الاكتفاء في أخبار الخلفاء

تأليف

أبي مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزري

من علماء القرن السادس الهجري

دراسة وتحقيق

الأستاذ الدكتور عبد القادر بوباية

أستاذ التعليم العالي في تاريخ المغرب الإسلامي

قسم التاريخ - جامعة وهران

الجزء الأول

السيرة النبوية الشريفة - تاريخ الخلفاء الراشدين

تاريخ الخلافة الأموية - تاريخ الأندلس



http://www.al-ilmiyah.com info@al-ilmiyah.com sales @al-ilmiyah.com baydoun@al-ilmiyah.com

Title : AL-'IKTIFA' FĪ AHBĀR AL-HULAFĀ' (History of The Caliphs)
Classification: History
Author : 'Abdul-Malik ben al-Kardabūs
Editor : Dr. 'Abdul-Qādir Būbāyah
Publisher : Dar Al-Kotob Al-ilmiyah
Pages : 960 (2 volumes)
Year : 2009
Printed in : Lebanon
Edition : 1st

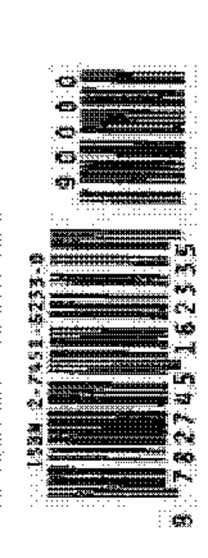
الكتاب : الاكتفاء في أخبار الخلفاء
التصنيف : تاريخ
المؤلف : عبد الملك بن الكردبوس التوزري
المحقق : د. عبد القادر بوباية
الناشر : دار الكتب العلميـــة ـ بيروت
عدد الصفحات: 960 (جزءان)
سنة الطباعة : 2009
بلد الطباعة : لبنان
الطبعة : الأولى



Aramoun, al-Quebbah, Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Solh Beirut 1107 2290

عرمون،القبة،مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٠/١١/١٢
فاكس: +٩٦١ ٥ ٨٠٤٨١٣
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠

ISBN 978-2-7451-6233-5



إهداء

إلى روح نبينا محمد صلى الله عليه وسلم في وقت تكالب فيه أهل الكفر على شخصه الكريم؛ فحاولوا تشويه صورته من خلال رسوماتهم القذرة وآياتهم الشيطانية، وهو الذي قال فيه الله عزّ وجلّ: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾

[سورة الأنبياء– الآية 107]، وقال فيه أيضا:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾

[سورة سبأ– الآية 28].

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة التحقيق

لا تزال الكثير من المصادر التاريخية الهامة مخطوطة، وهو ما يعني حرمان أغلب الباحثين وطلبة العلم من الاطلاع عليها، والاستفادة من محتوياتها، وتوظيفها في بحوثهم ودراساتهم، ومن هذه المصادر كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء الذي ألفه أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزري.

وباستثناء القطعة التي قام الدكتور أحمد مختار العبادي بتحقيقها ونشرها في مجلة المعهد المصري للدراسات الإسلامية بمدريد سنة 1971م، وتتعلق بتاريخ الأندلس من فتحه إلى عهد أبي يوسف يعقوب المنصور الموحدي[1]، لا يزال هذا المؤلف مخطوطا، ولذلك آلينا على أنفسنا القيام بتحقيقه ونشره ليتسنى للباحثين وطلبة العلم الاستفادة منه، وتوظيفه في دراساتهم وبحوثهم، وقد اعتمدنا في ذلك على نسخ أربع من هذا المؤلف الهام، وسيأتي التعريف بها لاحقا.

المؤلف

ورد اسمه في مقدمة الكتاب الذي جاء فيه: "قال الفقيه العلامة المؤرخ أبو

---

(1) ابن الكردبوس التوزري أبو مروان عبد الملك - تاريخ الأندلس وهو قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء- دراسة وتحقيق أحمد مختار العبادي- المعهد المصري للدراسات الإسلامية- مدريد- 1971م.

مروان عبد الملك ابن الكردبوس التوزري[1] غفر الله له ورضي عنه"، كما ذكر ابن الشباط اسمه في سياق حديثه عن قصة البيت ذي الأقفال العشرين الذي أصرّ لذريق حاكم الأندلس على فتحه رغم اعتراض القساوسة ورجال الدولة حيث جاء فيه: قال أبو مروان عبد الملك بن أبي القاسم بن محمد بن الكردبوس التوزري رحمه الله في كتاب الاكتفاء[2]، وذكره مرّة ثانية عند حديثه عن مائدة سليمان عليه السلام التي أصابها طارق بن زياد عقب فتح مدينة طليطلة حيث قال: وكذلك ذكره الفقيه أبو مروان عبد الملك ابن الكردبوس رحمه الله في كتابه[3].

وذكره أيضا عند حديثه عن العالم المحدث الحافظ أبي الطاهر السلفي الشافعي[4]، نزيل الإسكندرية المتوفى بها سنة 576هـ حيث قال: والسلفي بكسر

---

(1) التوزري نسبة إلى توزر، وهي أم بلاد قسطيلية، وهي مدينة كبيرة عليها سور مبني بالحجر والطوب، ولها جامع محكم البناء، وأسواق كثيرة، وحولها أرباض واسعة آهلة، وهي مدينة حصينة لها أربعة أبواب، كثيرة النخل والبساتين والثمار إلا أن قصب السكر واللوز لا يصلحان بها، وحولها سواد عظيم من النخل، وهي أكثر بلاد إفريقية تمرًا، ويخرج منها في أكثر الأيام ألف بعير موقورة تمرًا وأزيد، شربها من ثلاثة أنهار تخرج من رمال كالدر رقة وبياضا. البكري أبو عبيد- المسالك والممالك- تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري- الدار العربية للكتاب- بيت الحكمة- قرطاج-1992م- ج2 ص 708/مجهول- كتاب الاستبصار في عجائب الأمصار- نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد- دار النشر المغربية- الدار البيضاء- 1985م- ص 155-156/ وقال الحميري: هي قاعدة قسطيلية من البلاد الجريدية، ولها سور عظيم حصين، وبها نخل كثير جدًا، وتمرها كثير يعم بلاد إفريقية، وبها الأترج الكثير الطيب، والبقول بها موجودة متناهية في اللذة والجودة، وسعر طعامها غال في أكثر الأوقات لأنه يجلب إليها، والحنطة والشعير بها قليلان، وبينها وبين الحمة مرحلة صغيرة. الحميري محمد بن عبد المنعم- الروض المعطار في خبر الأقطار- تحقيق إحسان عباس- مكتبة لبنان- بيروت- ط2- 1984م- ص 144.

(2) ابن الشباط التوزري محمد بن علي- وصف الأندلس وهو قطعة من كتاب صلة السمط وسمة المرط- تحقيق أحمد مختار العبادي- المعهد المصري للدراسات الإسلامية- مدريد- 1971م- ص 103.

(3) نفسه- ص 121.

(4) أبو الطاهر السلفي: هو الحافظ العلامة الكبير، مسند الدنيا، ومُعمّر الحفاظ أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم الأصبهاني الحرواني، وحروان محلة بأصبهان، وسلفة بكسر المهملة لقب جده أحمد، ومعناه غليظ الشفة، سمع من أبي عبد الله الثقفي وأحمد بن

=

السين وفتح اللام، وهو إمام في الحديث مشهور طال عمره، وكان ممن أدرك أبا محمد الحريري رحمه الله، وروى عنه المقامات، وروى أيضا عن أبي زكرياء التبريزي، وشهرته تغني عن ذكره، وهو شيخ الفقيه أبي مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزري رحمه الله[1].

ومن المرجح أن ابن الكردبوس قد درس على السلفي في الإسكندرية أي أنه عاش فترة من حياته بمصر، وبذلك فهو يفيدنا باسم أحد شيوخه بمدينة الإسكندرية، وللأسف فإننا لا نجد له ذكرًا في كتب التراجم التي استعملناها في التحقيق، وبخاصة منها كتب التراجم المخصصة لأعلام بلاد المغرب الإسلامي عامة، وبلاد إفريقية بصفة خاصة.

عصر المؤلف

كتب أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزري هذا الكتاب في القرن السادس الهجري (12م)، وسماه بكتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، وقد عاصر دولة أبي يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن على عكس ما يقول أحمد مختار

=

عبد الغفار بن أشته ومكي السلار وخلق كثير بأصبهان، وحدث في أصبهان سنة اثنين وتسعين، قال: وكنت ابن سبع عشرة سنة، ورحل سنة ثلاث فأدرك أبا الخطاب بن البطر ببغداد، وتفقه بها بالكيا الهراسي وأبي بكر الشاشي وغيرهما، وعمل معجما لشيوخ بغداد، ثم حج وسمع بالحرمين والكوفة والبصرة وهمذان وزنجان والري والدينور وقزوين وأذربيجان والشام ومصر فأكثر وأطاب، وتفقه فأتقن المذهب الشافعي، وبرع في الأدب، وجود القرآن بالروايات، واستوطن الأسكندرية بضعا وستين سنة مكبا على الاشتغال والمطالعة والنسخ وتحصيل الكتب، ومكث نيفا وثمانين سنة يسمع عليه، قال الذهبي: ولا أعلم أحدًا مثله في هذا، وقال ابن عساكر: سمع السلفي ممن لا يحصى، وبنى له العادل علي بن إسحاق بن السلار أمير مصر مدرسة بالأسكندرية، وقال ابن السمعاني: هو ثقة ورع متقن مثبت حافظ فهم له حظ من العربية، ومات يوم الجمعة بكرة خامس ربيع الآخر سنة 576هـ. ابن العماد الحنبلي- شذرات الذهب في أخبار من ذهب- دار الكتب العلمية- بيروت- د. ت-ج4 ص 255.

(1) ابن الكردبوس التوزري- تاريخ الأندلس- دراسة وتحقيق أحمد مختار العبادي- ص 8.

العبادي الذي جعله يؤرخ لبداية عهد الخليفة الموحدي أبي يعقوب يوسف بن عبد المؤمن الذي حكم من سنة 558 إلى سنة 580هـ[1]، ويؤكد ذلك عند إيراده لأخبار أبي يوسف يعقوب الموحدي، حيث يذكره في نهاية السفر الأول من الكتاب عندما يقول: "ثم قام من بعده ابنه أبو يوسف؛ فقام بالحق أكمل قيام، وأحكمه أحسن إحكام، وأتقنه وأبرمه أيّما إبرام، ولم يزل الله تعالى يمنحه..."، ومن المعلوم أن أبا يوسف يعقوب بن يوسف بن عبد المؤمن بن علي الكومي الملقب بالمنصور قد حكم دولة الموحدين من عام 580هـ إلى 595هـ(1184- 1199م).

ومن المرجح أنه عاش إلى غاية نهاية حكم هذا الأخير بدليل ما أورده ابن الكردبوس حين قال: "وله الفتوحات الظاهرة، والآيات الباهرة، ودوّخ بلاد الشرك وخرّب قصورها، واستباح معاقلها، وأظلم ديجورها[2]، وبدّل صوت النواقيس فيها بالأذان، وأزال القول بالتثليث عنها وما سواه من عبادة الأوثان بإخلاص الكلمة لله الواحد الرحمن"، ومن المعلوم أن الموحدين على عهده قد حققوا انتصارًا كبيرًا على النصارى في موقعة الأرك سنة 591هـ(1195م)، ويؤكد ذلك ابن عذاري حيث يقول: "فالتحم الجمعان، واعترك الفريقان، وحمي الوطيس...، وخلع الكفار عن مراكزهم، ونسخ الله ما أراهم من اغترارهم؛ فولوا الأدبار وشملهم الإدبار، وركبهم السيف، وتقسمهم النهب والحيف...؛ فانتهبت محلة اللعين على الفور، وأجلت الحرب عن حصيد من القتلى كالزرع المحصود والصخر المنضود"[3]، ويقول عبد الواحد المراكشي: "وخرج أمير المسلمين بنفسه حتى أتى قلعة رباح فدخلها، وأمر بكنيستها فغُيّرت مسجدًا؛ فصلى فيها المسلمون، واستولى على ما حول طليطلة من الحصون"[4]، وسيتأكد هذا الانتصار الباهر بالحملة التي سيقودها إلى

---

(1) نفسه- ص 9.

(2) الديجور الظلمة، ووصفوا به فقالوا ليل ديجور وليلة ديجور. المعجم الوسيط- ص 271.

(3) ابن عذاري المراكشي- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- قسم الموحدين- تحقيق محمد إبراهيم الكتاني ومحمد بن تاويت ومحمد زنيبر وعبد القادر زمامة- دار الثقافة للنشر والتوزيع- الدار البيضاء- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط1- 1406هـ- 1985م- ص 220.

(4) عبد الواحد المراكشي- المعجب في تلخيص أخبار المغرب- تحقيق صلاح الدين الهواري-

-

الثغور الشمالية، وبخاصة إلى طليطلة ومجريط سنة 594هـ(1198م)، والتي يعبر عنها ابن عذاري عند حديثه عن آخر غزوات المنصور بقوله: "ولما رأت ملوك الروم أن بلادهم ورجالهم قد أتى عليها الاستيصال والاصطلام، وأن لا نجاة لها إلا الرغبة في الاستسلام، وجهوا أرسالهم في طلب الصلح على ما عهد من شروط الأحكام؛ فأسعفوا فيه على حكم شريعة الإسلام"[1]، ويؤكد عبد الواحد المراكشي ذلك فيقول: "وتوغل بلاد الروم، ووصل إلى مواضع لم يصل إليها ملك من ملوك المسلمين قط"[2].

دوافع التأليف ومحتويات الكتاب

يقول ابن الكردبوس في مقدمة كتابه: "فهذا كتاب مبارك أثبت فيه ذكر النبي الهاشمي صلى الله عليه وسلم المرتضى، وأمينه المجتبى المختص بالفضل والكمال صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، صلاة دائمة الاتصال بغير انقطاع ولا انفصال، وأتلوه بذكر أصحابه البررة الكرام الخلفاء الأربعة الأعلام، وأتبعهم بذكر من ولي أمر المسلمين من الخلفاء الأمويين والعباسيين جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن إلى حيث انتهى بنا هذا التأليف، وأصل بذكر بني أمية بعض أخبار الأندلس وولاتها بسبب من دخلها منهم، وتملك بجهتها، ومن ولي المغرب، وأحيا السنة فيه بعد إحالتها، كل ذلك على طريق التقريب على قارئه لاختصار الناظر فيه، وترجمته بكتاب "الاكتفاء في أخبار الخلفاء".

من خلال ما سبق ذكره يمكن معرفة أهم العناصر التي تطرق إليها المؤلف، وهي على سبيل الإيجاز:

1- ذكر النبي صلى الله عليه وسلم: حيث يتطرق إلى نسبه ومولده، ورؤيا آمنة قبل ولادته، وقصة شقّ البطن، ووفاة أمه وحبّ جده له، ثم يذكر أحداثا أخرى

المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- ط1- 1426هـ-2006م- ص 206-207.

(1) نفسه- ص 228.

(2) عبد الواحد المراكشي- نفس المصدر- ص 207.

قبل البعثة، وأول الناس إسلاما، ثم يتعرض المؤلف إلى صفته وبيعة الحديبية، والهجرة إلى المدينة المنورة، وغزواته وسراياه، وكتّابه وحجّابه وخدمه وأمراء جنده ونقش خاتمه ومعجزاته، وتأويله لرؤيا أصحابه، وأولاده وأزواجه، وتغسيله وكفنه ودفنه وأسمائه.

2- ذكر أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ويتناول فيه العناصر التالية: سبب إسلامه ومكانته، ودوره في تبليغ الدعوة، ومبايعته وخطبه وصفته، وحاجبه وقاضيه ونقش خاتمه، وبنيه وأخلاقه، وحركة الردة والفتوح على عهده، ومرضه ودفنه، وعماله على الأمصار.

3- ذكر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ويتطرق فيه إلى نسبه وإسلامه، ومبايعته وصفته، ووزرائه ونقش خاتمه، وبنيه وتسميته بإمرة المؤمنين، ولمع من خطبه، ومقاسمته أموال عماله، وتفقده لأحوال الرعية، والفتوحات على عهده، ومقتله ومجلس الشورى ووصيته لخلفه، ووفاته ودفنه، ورثاء زوجته عاتكة له، وعماله على الأمصار.

4- ذكر أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه: ويتناول فيه نسبه ومولده وصفته، ومبايعته بالخلافة وفتوحاته، وتوسيع المسجد الحرام والمسجد النبوي، وفقدان خاتم الرسول صلى الله عليه وسلم، وفتنة الأمصار، ومقتله رضي الله عنه، ورثاء الشعراء له، وعماله على الأمصار.

5- أمير المؤمنين علي كرّم الله وجهه: ويتطرق فيه إلى نسبه وإسلامه، ومبايعته بالخلافة، وصفته وكتابه وحاجبه ونقش خاتمه، وبنيه، ونماذج من بلاغته، وموقفه من عمال عثمان رضي الله عنه، وبداية الفتنة الكبرى، وموقعتي الجمل وصفين، ومقتل عمار بن ياسر رضي الله عنه، والتقاء الحكمين، ومقتل علي، ومدّة خلافته، والتآمر على قتله، وما قيل من الشعر بعد قتله، وبيعة الحسن بن علي.

6- خبر معاوية: حيث يذكر نسبه وخبر أمه، وبيعته وصفته، ووزرائه ونقش خاتمه، وبنيه وأخلاقه، ولمع مما جرى بينه وبين الصحابة والتابعين، والفتوحات على عهده، ومنها فتوحات عقبة بن نافع الفهري، وبناء القيروان، وغزو القسطنطينية، ووفاته ومدة خلافته.

7- خبر خلفاء بني أمية: وهم يزيد بن معاوية ومعاوية بن يزيد ومروان بن

الحكم وعبد الملك بن مروان والوليد، الذي يتطرق خلال الحديث عنه إلى قصة فتح الأندلس، وسليمان وعمر بن عبد العزيز ويزيد وهشام ابني عبد الملك ويزيد الناقص بن الوليد وإبراهيم بن الوليد ومروان الجعدي، ويتبع في ذلك المنهج نفسه الذي اتبعه مع معاوية.

8- أخبار الأندلس وولاتها: ويتطرق فيه إلى قيام الإمارة الأموية بالأندلس، والأمراء والخلفاء الذين تداولوا على حكمها، واستبداد المنصور محمد بن أبي عامر، والفتنة الأندلسية وقيام ملوك الطوائف، وتكالب النصارى على المسلمين، وحركة الاسترداد بداية من سقوط مدينة طليطلة، والاستنجاد بالمرابطين، ودورهم في حماية المسلمين، وقضائهم على ملوك الطوائف، واستيلاء النصارى على سرقسطة وبلنسية والجزائر الشرقية، ويتطرق في الأخير إلى نهاية المرابطين، وقيام دولة الموحدين وجهادهم في الأندلس.

مصادر الكتاب

لا يذكر ابن الكردبوس المصادر التي استقى منها معلوماته في غالب الأحيان، ومع ذلك فقد زخر كتابه بمعلومات في غاية القيمة التاريخية نظرًا لاعتماده على كثير من المصادر الضائعة، وبخاصة منها تلك المتعلقة بتاريخ الأندلس، ويؤكد ذلك العبادي حين يقول: "بل إنه في كثير من الأحيان يأتي بمعلومات جديدة لا نجدها في المصادر التاريخية الأخرى"[1]، وقد تأكدنا من ذلك فعلا من خلال مقارنة المعلومات الواردة فيه بتلك الموجودة في المصادر الأخرى المطبوعة.

لم يذكر المؤلف في هذا السفر الأول سوى ابن إسحاق وابن هشام اللذين اعتمد عليهما في حديثه عن السيرة النبوية وسيرة الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم، وخليفة بن خياط الذي أورده اسمه مرة واحدة، والمسعودي الذي نقل عنه في موضعين، والعتبي[2] وابن قتيبة صاحب كتاب الإمامة والسياسة الذي نقل عنهما في

---

(1) العبادي- نفس المرجع- ص 12.

(2) العتبي: هو أبو عبد الرحمن محمد بن عبيد الله بن عمرو بن معاوية بن عمرو بن عتبة بن أبي

مناسبتين، ومن خلال المقارنة تبين لنا بوضوح أنه اقتبس معلوماته من مؤلفين آخرين دون ذكر أسمائهم، ودليلنا في ذلك هو التشابه الكبير في المعلومات والأسلوب، ومن المؤلفين الذين نقل عنهم، ولم يذكر أسماءهم، أبو القاسم بن عساكر صاحب كتاب تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها، وأبو عمر بن عبد البر النمري صاحب كتاب الاستيعاب في معرفة الأصحاب، وابن حجر العسقلاني صاحب كتاب الإصابة في تمييز الصحابة، وعبد الرحمن بن عبد الحكم صاحب كتاب فتوح مصر وأخبارها، وعبد الملك بن حبيب صاحب كتاب التأريخ، وسنبين في هوامش التحقيق التشابه الموجود بين نص المخطوط ونصّ المؤلفات المذكورة آنفا، وقد اعتمد المؤلف عليهم كثيرًا في الجزء المتعلق بسيرة النبي صلى الله عليه وسلم وسيرة الخلفاء الراشدين وتاريخ خلفاء بني أمية.

أما بالنسبة للجزء المتعلق بتاريخ الأندلس فقد اعتمد فيه على كتاب فتح الأندلس لمؤلف مجهول، ومصادر أخرى مفقودة لعلّ من أبرزها كتاب البيان الواضح في الملم الفادح للمؤرخ البلنسي أبي عبد الله محمد بن خلف الصدفي المعروف بابن علقمة المتوفى سنة 509هـ(1115م)[1].

قيمة الكتاب وأهميته

يعتبر كتاب الاكتفاء مصدرًا تاريخيًا في غاية الأهمية إذ إنه يزودنا بمعلومات ينفرد بها عن بقية المصادر المتوفرة لدينا إلى غاية الساعة، وقد بينت

سفيان الأموي، المعروف بالعتبي المتوفى سنة 228هـ أحد العلماء بأخبار الرواة للمآثر والأشعار، معدود في العلماء الظرفاء الشعراء الفضلاء، وكان من أعيان الشعراء بالبصرة، روى عن سفيان بن عيينة وأبي مخنف لوط بن يحيى، روى عنه أبو حاتم السجستاني وأبو الفضل الرياشي، وله من التصانيف كتاب الخيل وكتاب أشعار الأعاريب وكتاب أشعار النساء اللاتي أحببن ثم أبغضن وكتاب الأخلاق وكتاب الذبيح. ابن أنجب الساعي- الدر الثمين في أسماء المصنفين- ضبطه وعلق عليه أحمد شوقي بنبين ومحمد سعيد حنشي- الخزانة الحسنية- الرباط- ط1- 1428هـ- 2007م- ج1 ص 160/ابن العماد الحنبلي- شذرات الذهب- ج2 ص 65-66.

(1) نفسه- ص 11.

ذلك في الهوامش عندما أكدت على عدم وجودها في المصادر المستعملة في التحقيق، ولإبراز قيمة الكتاب وأهميته لا بأس من إيراد أمثلة تؤكد ذلك، ومنها وصفه الرائع لعمليات نزول جيوش المسلمين بقيادة طارق بن زياد الولهاصي النفزي في جبل منت كالبي (جبل الفتح أو جبل طارق لاحقا) حيث يقول المؤلف: "فمضى طارق لسبتة، وجاز في مراكبه إلى جبل؛ فأرسى فيه فسمي جبل طارق باسمه إلى الآن، وذلك سنة اثنتين وتسعين من الهجرة، ووجد بعض الروم وقوفا في موضع وطيء كان عزم على النزول فيه إلى البرّ فمنعوه منه؛ فعدل عنه ليلا إلى موضع وعر؛ فوطأه بالمجاذف وبراذع الدواب، ونزل منه في البرّ وهم لا يعلمون؛ فشنّ غارة عليهم وأوقع بهم وغنمهم".

المثال الثاني هو ذلك الذي يسوقه المؤلف عند حديثه عن المنصور محمد بن أبي عامر الذي تقول المصادر الأخرى المتعلقة بتاريخ الأندلس بأنه حطم بلاد العدو وخربها، حيث يثبت نقيض ذلك على لسان المنصور الذي يقول، وهو يحاور حاجبه ومملوكه كوثر الصقلبي: "لما فتحت البلاد الروم ومعاقلهم عمّرتها بالأقوات من كل مكان، وسجنتها بها حتى عادت في غاية الإمكان، ووصلتها ببلاد المسلمين، وحصّنتها غاية التحصين؛ فاتصلت العمارة".

يعطينا ابن الكردبوس كذلك معلومات قيمة ينفرد بها عن بقية المصادر المطبوعة عند حديثه عن استيلاء العدو النصراني على سرقسطة وبلنسية، ومهاجمة أهل جنوة وبيزا للجزائر الشرقية (ميورقة ومنورقة ويابسة)، وتصدي أسطول المرابطين لها وإنقاذها.

إن هذه الأمثلة المتعلقة بتاريخ الأندلس بحكم اختصاصنا فيه دليل على قيمة وأهمية الكتاب الذي يعتبر مصدرًا لا يمكن الاستغناء عنه بالنسبة لكل الباحثين المهتمين بتاريخ الدولة الإسلامية من عهد الرسول صلى الله عليه وسلم إلى سنة 594هـ، وهو التاريخ الذي انتهى إليه المؤلف في كتابه.

النسخ المعتمدة في التحقيق

1- النسخة رقم 13110: توجد بالخزانة الحسنية بالرباط (المملكة

المغربية)، وهي نسخة كاملة، كتبت بخط مغربي جميل ملون، تقع في 201 ورقة، مقياس 23,5 ×17,5 سم، مسطرتها 21 سطرا، بها تعقيبة وبعض الطرر، وهي عارية عن اسم الناسخ وتاريخ النسخ.

أولها: بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله.

قال الفقيه العلامة المؤرخ أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزري غفر الله له ورضي عنه:

الحمد لله العدل في قضائه الناجز حكمه في أرضه وسمائه، الذي ابتلى خلقه ليعلم كيف يصبرون وعافاهم ليعلم كيف يشكرون، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون...

آخرها: ثم تغزون الدجال فيفتحها الله، كملت دولة بني أمية، وما أضيف إليها من أخبار الأندلس، وصلى الله على سيدنا محمد رسوله الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا أثيرًا طيبًا مباركًا.

2- النسخة رقم 8539: توجد بالخزانة الحسنية بالرباط (المملكة المغربية)، وهي نسخة مرممة، كتبت بخط مغربي جميل ملون، وتقع في 183 ورقة، مقياسها 27 × 18,5 سم، مسطرة 23 سطرا، بها تعقيبة وأثر الرطوبة، وهي عارية عن تاريخ النسخ واسم الناسخ.

أولها: الحمد لله الواحد القهار، العزيز الجبار، ذي...والإنعام، والجلال والإكرام...

آخرها: ...ثم تغزون الرجال فيفتحها الله. كملت دولة بني أمية وما أضيف إليها من أخبار الأندلس، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد رسوله الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

3- نسخة القنادسة: وتوجد في الخزانة الزيانية القندوسية لصاحبها الأستاذ امبارك الطاهري، والمتواجدة بمدينة القنادسة الواقعة على بعد 20 كلم إلى الغرب من مدينة بشار (جنوب غرب الجمهورية الجزائرية)، وهي نسخة مبتورة الأول، كتبت بخط مغربي جميل ملون، مقياسها 27.2 × 20.5 سم، مسطرة 21 سطرًا، وبها أثر الرطوبة على الأطراف.

أولها: ووجد في كنيستهم العظمى مائدة سليمان بن داود عليهما السلام،

ومرآة إذا نظر فيها الناظر رأى الدنيا كلها بين عينيه...

وآخرها:...فمازال يركض في بحر الحق واليقين، ويجري على سنن الصحابة والتابعين، وينهى...، ويأمر بالمعروف الناس أجمعين...رضي الله عنهم إلى يوم الدين.

نجز السفر الأول من كتاب الاكتفا في أخبار الخلفا بعون الله تعالى وقوته، ويتلوه في السفر الثاني إن شاء الله أخبار بني العباس وسبب ظهورهم، وصلى الله على مولانا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم تسليما.

تقع هذه المخطوطة في 79 صفحة، بها تعقيبة وبعض الطرر، وبها أثر الرطوبة، وهي أقدم نسخة حيث تم نسخها على يد علي بن علي بن أحمد التميمي الشهير بالقربلي، وكان الفراغ من نسخه صبيحة يوم الخميس السابع لصفر عام ثلاثة وستين وثمانمائة (863هـ)[1].

4- نسخة مكتبة الحرم النبوي: وتوجد في مكتبة الحرم النبوي بالمدينة المنورة، وتقع في 127 ورقة، مقياس 27 × 18 سم، مسطرتها بين 27 و29 سطرًا، وهي مكتوبة بخط مغربي باللونين الأسود والأحمر، وتوجد في حالة جيدة.

أولها: الحمد لله الواحد القهار، العزيز الجبار، ذي المنّ والإنعام...وبعد فإن هذا الكتاب أثبت فيه ذكر النبي...

وآخرها:... ثم تغزون الدجال فيفتحها الله، انتهى بحمد الله وعونه، كملت دولة بني أمية وما أضيف إليها من تاريخ الأندلس، وصلى الله على سيدنا محمد رسوله الكريم وعلى آله وسلم تسليما.

وقد تم نسخ هذه المخطوطة سنة 1194هـ.

---

(1) ويؤكد ذلك أن الأصل كان موجودًا في الزاوية الزيانية الواقعة بالقنادسة (ولاية بشار- جنوب غرب الجزائر)، ونسخت بقية النسخ عنها، ويؤكد ذلك ما جاء في نهاية النسخة 8648: "وتمامه في زاوية الشيخ الكامل قطب زمانه السيد الحاج محمد بن أبي زيان في محضر خليفته شيخنا السيد الحاج محمد بن أبي زيان"، ومما يؤكد ما ذهبنا إليه الزيادات الكثيرة الموجودة في نسخة الزاوية مقارنة بالنسخ الأخرى، والتي تتشابه كلها من حيث المحتوى، وكأن النساخ قد نقلوا كلهم من نسخة واحدة ناقصة.

منهجنا في التحقيق

بعد حصولنا على النسخ الأربعة شرعنا في دراسة وتحقيق المخطوط واتبعنا في ذلك الخطوات التالية:

1-إعادة كتابة المخطوط بالاعتماد على النسخة 11310 التي اعتمدناها كأصل بسبب وضوحها وسهولة قراءتها.

2- مقارنتها بالنسخ الأخرى المستعملة في التحقيق، وهي النسخة 8539 التي رمزنا إليها بالحرف م، ونسخة الخزانة الزيانية القندوسية التي رمزنا إليها بالحرف ق، ونسخة مكتبة الحرم النبوي الشريف بالمدينة المنورة التي رمزنا إليها بالحرف ن.

3- تصويب الأخطاء الواردة في المتن مع الإشارة إلى الأخطاء والهفوات الأصلية في الهوامش.

4-تحقيق الأعلام البشرية والجغرافية الواردة في المتن، وتخريج الآيات القرآنية والأحاديث النبوية.

الرموز المستعملة في التحقيق

[...] ملأ النقص الوارد في المخطوط الأصلي ونسخه المختلفة بالاعتماد على المصادر المطبوعة.

{...} الكلمات أو الفقرات الساقطة في النسخ الثلاث التي استعنا بها في التحقيق مقارنة بالنسخة المعتمدة كأصل في التحقيق.

(...) الكلمات أو الفقرات الساقطة في الأصل، والتي ملأناها بالاعتماد على النسخ الثلاث التي استعنا بها في التحقيق.

وفي ختام هذه المقدمة لا يسعني إلا أن أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى كل من الأستاذ الدكتور محمد شوقي بنبين مدير الخزانة الحسنية بالرباط- المملكة المغربية- وكافة موظفيها وبخاصة منهم السيد حميد مومو ومحمد الإدريسي الذين لم يبخلوا علينا بتقديم الدعم والمساعدة اللازمتين لإنجاز هذا العمل، كما أتقدم بالشكر الجزيل أيضا إلى الأستاذ مبارك الطاهري الذي أسعفنا بنسخة من

المخطوطة المتوفرة في الخزانة الزيانية القندوسية، والباحث عبد الله حمادي الذي قام بتصوير هذه النسخة، وساعدنا في قراءة الكلمات التي أشكل علينا فهمها، كما أوجه شكري وامتناني أيضا إلى الأستاذ محمد الصانع رئيس قسم المجموعات الخاصة بمكتبة المسجد النبوي الذي نسخ لنا صورة من مخطوطة الاكتفاء الموجودة بهذه الخزانة.

أنجزت الدراسة والتحقيق بمدينة وهران- حي إيسطو- يوم الجمعة 26 ربيع الثاني 1427هـ الموافق لـ2 ماي 2008م.

الأستاذ الدكتور عبد القادر بوباية- أستاذ التعليم في تاريخ المغرب الإسلامي

قسم التاريخ- جامعة وهران السانية- الجمهورية الجزائرية.

صور الصفحات الأولى والأخيرة

من النسخ المعتمدة في التحقيق

الصفحة الأولى من الأصل

الصفحة الأخيرة من الأصل

بسم الله الرحمن الرحيم   صلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم تسليما

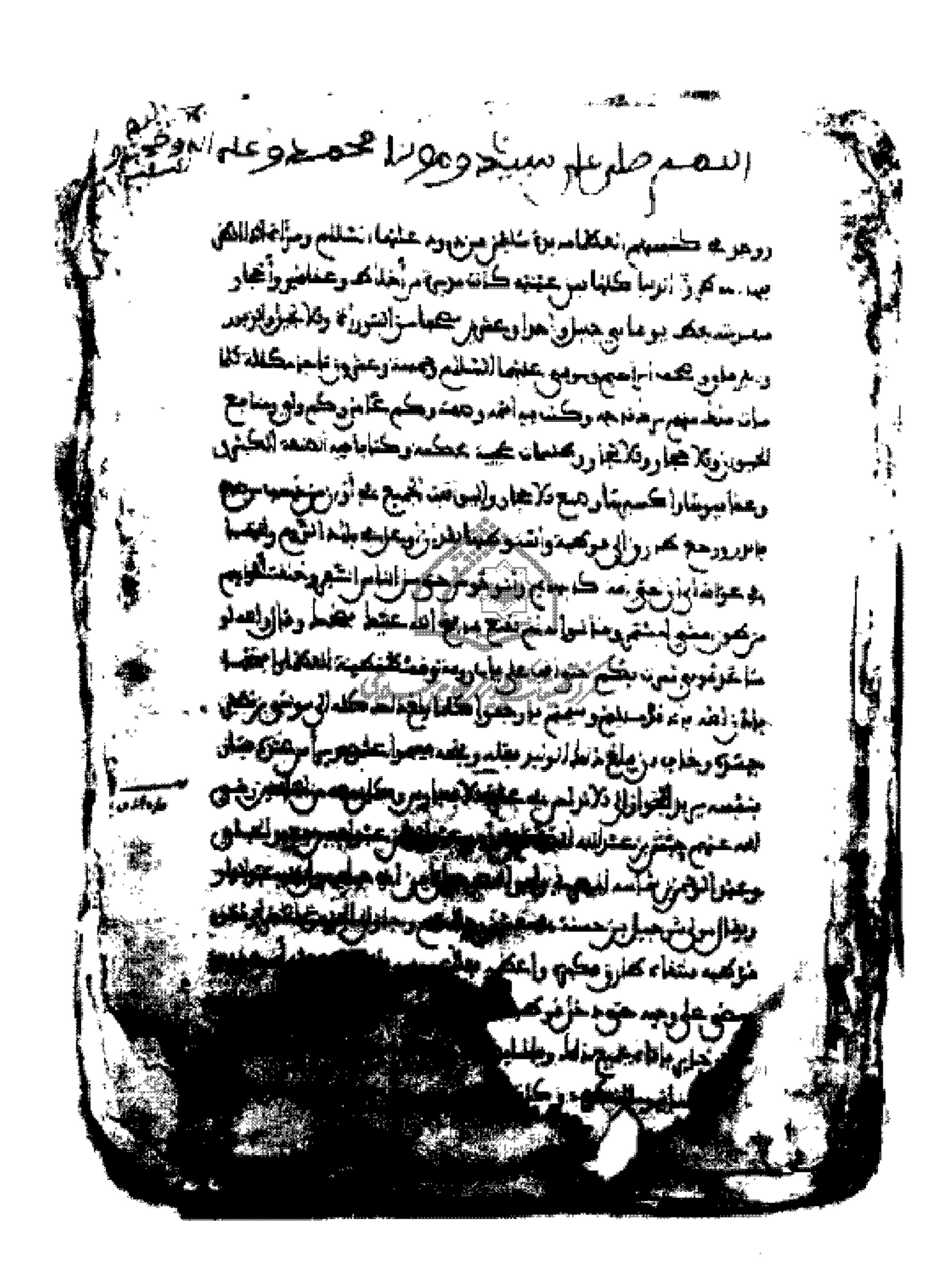
الصفحة الأولى من النسخة ن

كملت دولة بني امية وما اضيف
اليها من اخبار الاندلس وصلى
الله على سيدنا محمد رسوله
الامي وعلى آله وصحبه
وسلم تسليما

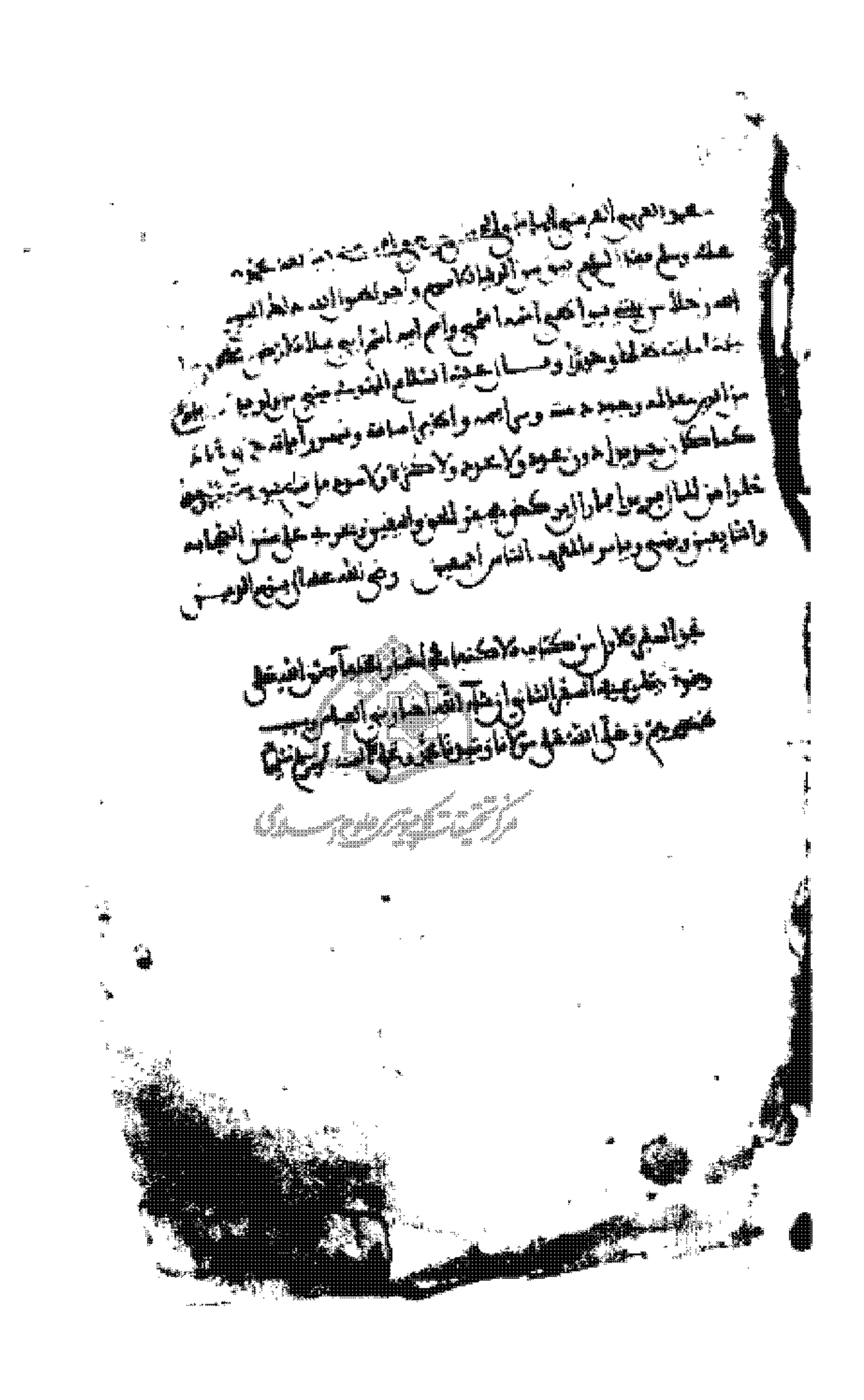
بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وسلم

خبر دولة بني العباس رحمهم الله تعالى

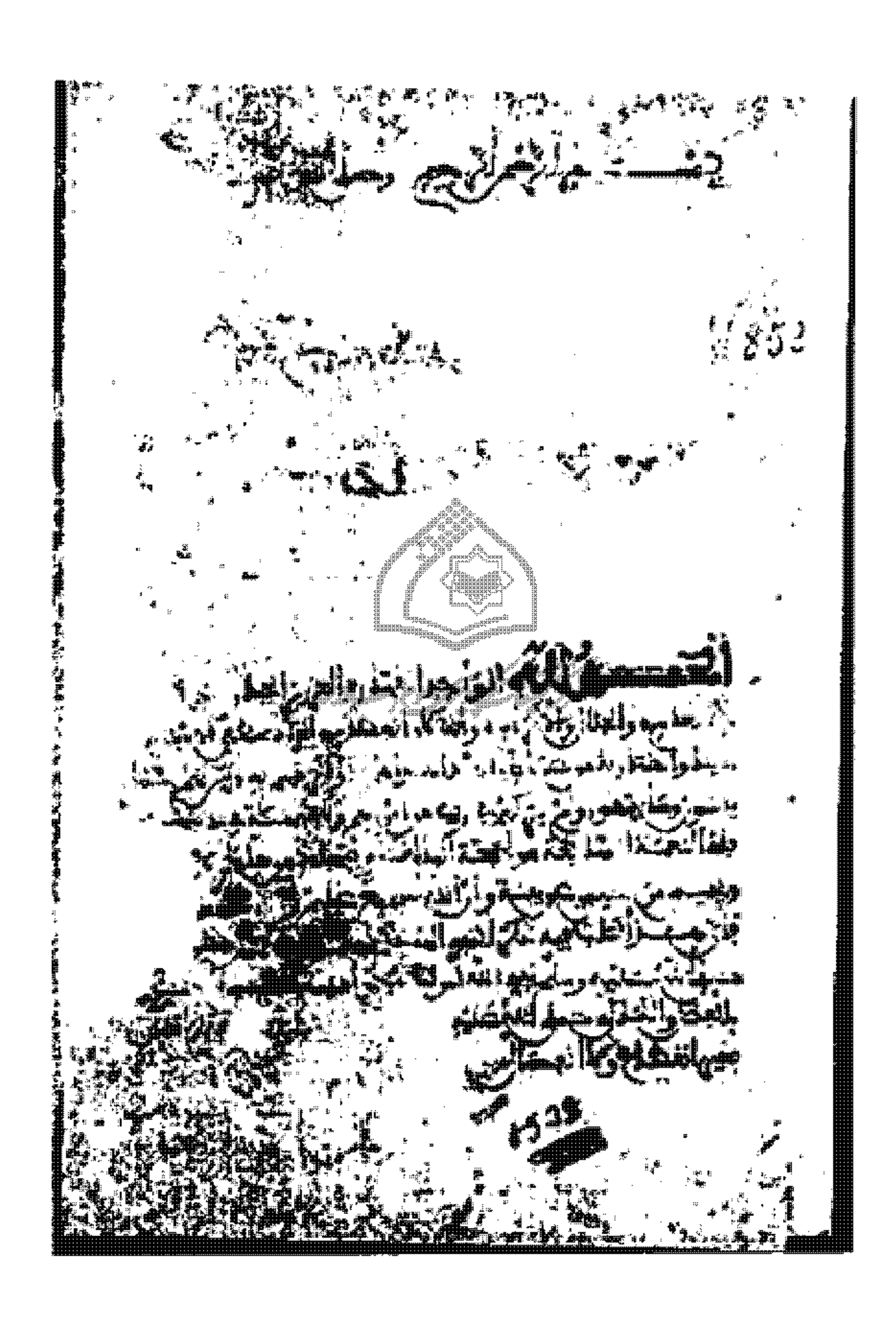
الصفحة الأخيرة من ن


اللهم صل على سيدنا ومولانا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

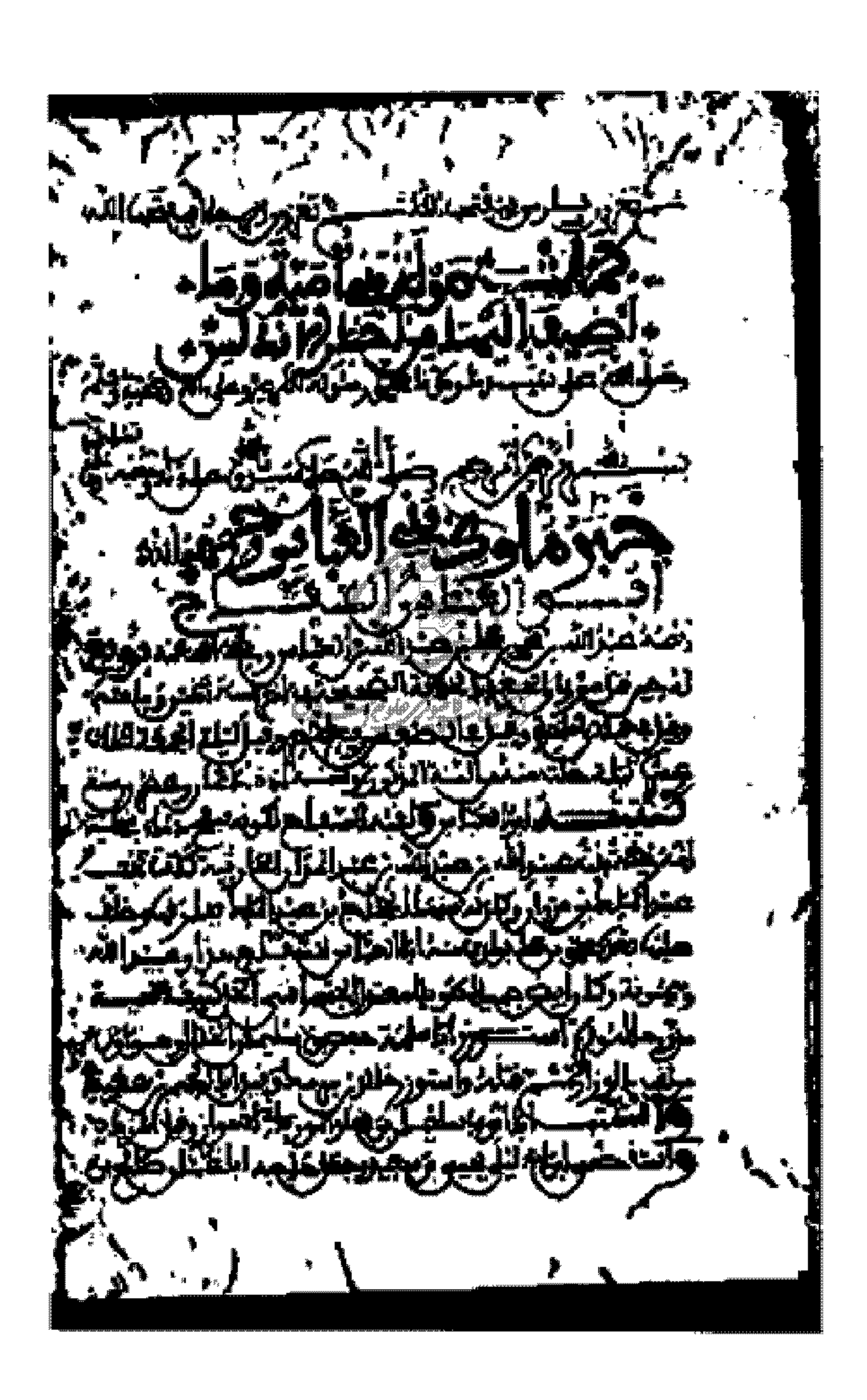
الصفحة الأولى من النسخة ق



الصفحة الأخيرة من ق



الصفحة الأولى من م



الصفحة الأخيرة من م




الاكتفاء
في
أخبار الخلفاء



[مقدمة المؤلف]

/1ظ/بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله

قال الفقيه العلامة المؤرخ أبو مروان عبد الملك بن الكردبوس التوزري غفر الله له ورضي عنه.

الحمد [لله العدل في قضائه الناجز حكمه في أرضه وسمائه، الذي ابتلى خلقه ليعلم كيف يصبرون وعافاهم ليعلم كيف يشكرون، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون؛ فسبحان الذي بيده ملكوت كل شيء وإليه ترجعون، خلق الخلق للفناء وابتلاهم بحب البقاء، وبثّ فيهم السعادة والشقاء فسكن لبلائه من ارتضاه، وصبر بقضائه من ابتلائه وذلك بتوفيقه وتسديده إياه، وجعل له عبادا يعدون البلاء منه نعمة، والمعافاة منه نقمة وذلك لما قضاه على العباد، وأحصاه في البلاد، قدر الفتنة لتمحيص المؤمنين وحفظ المؤمنين ومحق المشركين والملحدين ليعلم المجاهدين منهم والصابرين.

أحمده على جميع القضاء وأسأله المعافاة من حلول البلاء، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العالم بما يكون لا يجوز عليه الانتقال والحركات والسكون سبحانه وتعالى عما يقول الظالمون، ونشهد أن محمدا عبده ورسوله المبعوث بالحق إلى سائر الخلق، والناس في داعية الأيام عميا يعبدون الأصنام ويستقسمون بالأزلام ويعظمون النيران دون الملك العلام؛ فقام عليه الصلاة والسلام باللين والرفق والبر والصدق؛ فامتدت أيدي المشركين إليه، وتواثب[1] الملحدين عليه إلى أن ظهر الحق وعلا مناره، واستتر الكفر وانطمست آثاره، وقام الدين وتوطدت /2و/دعائمه، وعلا الإسلام واستقامت قوائمه، وأكمل الله دينه القويم، واطمأنت بمحمد صلى الله عليه وسلم الدار، واستقرّ به وبأصحابه القرار،

---

(1) تواثبوا في الأصل.

وأكمل له دينه القويم، وهداه إلى الصراط المستقيم، فالشكر][1] لله الواحد القهار، العزيز الجبار، ذي الجلال والإكرام، الذي اصطفى الإسلام دينا، واختار له من عباده أهلا وأهلهم له، وأكرمهم به، وبيّن لهم ما يؤتون وما يتقون، ولم يكرههم في ريب من أمرهم ولا شبهة من دينهم؛ فله النعمة السابغة والحجة البالغة، ليهلك من هلك عن بينة، ويحيى من حيي عن بينة.

وبعد؛ فهذا كتاب مبارك أثبت فيه ذكر النبي الهاشمي صلى الله عليه وسلم المرتضى، وأمينه المجتبى المختص بالفضل والكمال صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله، صلاة دائمة الاتصال بغير انقطاع ولا انفصال، وأتلوه بذكر أصحابه البررة الكرام الخلفاء الأربعة الأعلام، وأتبعهم بذكر من ولي أمر المسلمين من الخلفاء الأمويين والعباسيين جيلا بعد جيل وقرنا بعد قرن إلى حيث انتهى بنا هذا التأليف، وأصل بذكر بني أمية بعض أخبار الأندلس وولاتها بسبب من دخلها منهم، وتملك بجهتها، ومن ولي المغرب، وأحيا السنة فيه بعد إحالتها، كل ذلك على طريق التقريب على قارئه لاختصار الناظر فيه، وترجمته بكتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء، وبالله جلّت قدرته الاستعانة، ومنه أرجو الإعانة {بذلك عليه}، ولديه {غير عسير}[2] لا إله إلا هو السميع البصير.

---

(1) ساقط في م ون، ومن هنا تبدأ هذه النسخ.

(2) بياض في الأصل وما أثبتنا من ن.

ذكر النبي صلى الله عليه وسلم

[نسبه] هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب شيبة، وقيل عامر، ابن هشام واسمه عمرو بن عبد مناف، واسم عبد مناف المغيرة، بن قُصي، واسمه زيد، ابن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي بن غالب بن حمير، وهو قريش بن مالك بن /2/ ظ/النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة، واسم مدركة عمرو، ابن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وهذا هو النسب المتفق عليه[1]، واختلف فيما بعده، وروى حمزة بن ربيعة بن عطاء عن أبيه قال: بين النبي صلى الله عليه وسلم وبين آدم عليه السلام تسعة وأربعين أبا[2].

أمه صلى الله عليه وسلم آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرّة بن كعب بن لؤي القرشية الزهرية، وفي كلاب يجتمع نسبها مع نسبه عليه السلام، وكان أبوها وهب يومئذ سيد بني زهرة نسبا وشرفا[3].

روي عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كانت امرأة من خثعم تعرض نفسها في مواسم الحج، وكان لها أدم تضرب بها كأنها تبيعها؛ فأتت على عبد الله بن عبد المطلب فلما رأته أعجبها؛ فقالت: والله ما أطوف بهذه الأدم، وما لي منها حاجة، وإنما أتوسم الرجال هل أجد كفؤا؛ فإن كانت لك إلي حاجة فقم؛ فقال لها: مكانك ارجع إليه؛ فانطلق إلى رحله فبدا له؛ فوقع أهله؛ فحملت بالنبي صلى الله

---

(1) محمد بن سعد- الطبقات الكبرى- تحقيق سهيل كيتالي- دار الفكر- بيروت- ط1- 1414هـ- 1994م- مج 1- ص34/ابن هشام أبو محمد عبد الملك- السيرة النبوية- دار ابن حزم- بيروت- ط1- 1422هـ- 2001م- صص 46- 54/الطبري أبو جعفر محمد بن جرير- تاريخ الرسل والملوك- تقديم ومراجعة صدقي جميل العطار- دار الفكر- بيروت- ط1- 1418هـ- 1998م- ج2 ص 202/الذهبي محمد بن أحمد- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام- تحقيق عمر عبد السلام تدمري- دار الكتاب العربي- بيروت- ط2- 1409هـ- 1989م- السيرة النبوية- ص 17.

(2) قارن مع محمد بن سعد- الطبقات الكبرى- مج1- ص 35/الطبري- نفس المصدر- ج2 ص 204/الذهبي- تاريخ الإسلام- السيرة النبوية- ص 18.

(3) الطبقات الكبرى- ج1 ص 37/السيرة النبوية- ص 54-55.

عليه وسلم؛ فلما رجع إليها قال: أراك هاهنا، قالت: ومن أنت؟ قال: الذي وعدك، قالت له: ما أنت هو ولئن كنت هو هو، لقد رأيت بين عينيك نورا لا أراه[1].

[مولده] وولدته صلى الله عليه وسلم أمه يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول عام الفيل، وقيل بعد الفيل بخمسين يوم، وقيل ولد لثمان خلون من شهر ربيع المذكور[2] ؛ فقرّر الله به عند مولده من الملائكة إسرافيل عليه السلام حتى بلغ الحلم، ثم جبريل عليه السلام خمساً وثلاثين سنة حتى بلغ الأشدّ أربعين سنة، وكان أبوه عبد الله غائبا بأرض الشام؛ فانصرف مريضا بالمدينة، وأم رسول الله صلى الله عليه وسلم حاملا به، وقيل إنه مات بعد مولد النبي صلى الله عليه وسلم بشهر.

[رؤيا آمنة قبل ولادته] ويروى أن آمنة كانت تحدث حين حملت برسول الله صلى الله عليه وسلم أن آتيا أتاها في منامها /3و/فقال لها: إنك قد حملت بسيد هذه الأمة؛ فإذا وقع إلى الأرض فقولي: أعيذه بالواحد من شرّ كل حاسد، ثم تسميه محمداً، ورأت حين حملت به أنه خرج منها نور أضاءت به قصور بصرى من أرض الشام[3] ؛ فلما وضعته أخذه جده عبد المطلب ودخل به الكعبة؛ فقام يدعو[4] الله ويشكر له ما أعطاه[5]، ثم خرج به إلى آمنة أمه فرجعه لها، والتمس له المراضع في السنة الأولى[6] ؛ فأخذته حليمة بنت عبد الله بن الحارث السعدية، وانقلبت به إلى أهلها[7].

[قصة شق البطن] فلما كان في السنة الرابعة من مولده شق الملكان بطنه،

---

(1) قارن مع ما أورده ابن سعد- الطبقات الكبرى- ج1 ص 63-65/ابن هشام- ص 75-76 /الطبري- تاريخ الرسل- ج2 ص 184-185/عبد الملك بن حبيب- كتاب التأريخ- دراسة وتحقيق خورخي أغوادي- المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ومعهد التعاون مع العالم العربي- مدريد- 1991م- ص 77.

(2) قارن مع الطبري- تاريخ الرسل والملوك- ج2 ص 134.

(3) السيرة النبوية- ص 76/ الطبري- نفس المصدر- ج2 ص 134.

(4) يدع في الأصل.

(5) ابن سعد- الطبقات الكبرى- ج1 ص 68.

(6) السيرة النبوية- ص 77/الطبري- نفس المصدر- ج2 ص 134.

(7) نفسه- ص 77/الطبري- نفس المصدر- ج2 ص 134.

واستخرجا قلبه وشقاه، واستخرجا منه علقة سوداء، وقالا: هذه نصيب الشيطان منه، ثم غسلا قلبه وبطنه بالثلج، ورجع كما كان بإذن الله تعالى[1].

[وفاة أمه وحضانة أم أيمن له] وفي السنة الخامسة ردّته مرضعته حليمة إلى أمه آمنة، وقيل في مستهل السادسة، وفي السنة السابعة من مولده خرجت به أمه إلى أخواله من بني عدي بن النجار تزورهم لأن أم عبد المطلب بن هاشم سلمه بنت عمر بن النجار؛ فتوفيت بالأبواء بين مكة والمدينة وهي راجعة[2]، وقدمت به أم أيمن[3] إلى مكة بعد خامسة من موت أمه، وهي مولاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحاضنته[4]، واسمها بركة، وكانت وصيفة لعبد الله بن عبد المطلب، ولم تزل تحضنه حتى كبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعتقها وأنكحها رسول الله صلى الله عليه وسلم زيد بن حارثة، وولد له أسامة بن زيد، وتوفيت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بخمسة أشهر[5].

[حبّ جدّه له] بعد قدوم أم أيمن به مع جده عبد المطلب، وكان عبد المطلب يوضع له فراش في ظل الكعبة؛ فكان بنوه يجلسون حول فراشه ذلك حتى يخرج إليهم لا يجلس عليه أحد منهم إجلالا له؛ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي حتى يجلس عليه فيأخذه أعمامه ويؤخرونه منه؛ فيقول لهم عبد المطلب إذا رأى ذلك /3ظ/منهم: دعوا ابني فوالله إن له شأنا، ثم يجلسه معه عليه، ويمسح ظهره بيده، ويسرّه ما يراه يصنع[6].

[ديانة عبد المطلب قبل وفاته] وفي السنة الثامنة من مولده توفي

---

(1) السيرة النبوية- ص 78/ابن الأثير عز الدين أبو الحسن علي بن محمد- الكامل في التاريخ- اعتنى به أبو صهيب الكرمي- بيت الأفكار الدولية- عمان- د. ت- ص 130- 131.

(2) السيرة النبوية- ص 80/ابن الأثير- الكامل- ص 132.

(3) أم أيمن: مولاة النبي ﷺ وحاضنته، واسمها بركة بنت ثعلبة بن عمرو بن حصن بن مالك بن سلمة بن عمرو بن النعمان. ابن حجر العسقلاني- الإصابة في تمييز الصحابة- دار الكتاب العربي- بيروت- د. ت- ج4 ص 415.

(4) انظر ابن سعد- الطبقات الكبرى- ج1 ص 77-79/ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 132.

(5) لمزيد من التفاصيل عنها انظر: الإصابة- ج4 ص 415-417.

(6) السيرة النبوية- ص 80.

عبد المطلب[1]، وأوصى ابنه أبا طالب بالنبي صلى الله عليه وسلم، وكان عبد المطلب فيما ذكر جماعة من [المؤرخين][2] مثل وهب بن منبه وأبي مخنف لوط وأبي عبيدة معمر بن مثنى وابن عباس والحافظ وسهيل بن يزيد وابن المقفع والعتبي اليزيدي[3] مؤمنا لم يشرك بالله شيئا، ومنهم من رأى أنه كان مشركا فالله أعلم حقيقة ذلك أنه روي عن الحسن بن جمهور مولى المنصور قال: أخرج إليّ بعض ولد سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب كتابا لعبد المطلب بن هاشم كتبه بخط يده كأنه خط النساء؛ فإذا هو: باسمك اللهم ذكر حق عبد المطلب بن هاشم من أهل مكة على فلان ابن فلان الحميري من أهل صنعاء عليه ألف درهم فضة طيبة، ومتى دعاه بها أجابه شهد الله والملائكة، وهذا يدل على أنه كان يؤمن بالملائكة والبعث.

[أحداث قبل البعثة] فضمّه عمّه أبو طالب إليه، وكان في حجره، وكان أبو طالب وعبد الله أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم أخوين لأب وأم اسمها فاطمة بنت عمرو بن محاجر المخزومي، وكان أبو طالب هو الذي يلي أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد جده عبد المطلب، وكان إليه ومعه[4].

وخرج به إلى الشام وهو ابن ثلاث عشرة سنة، واجتمع مع بحير الراهب ببصرى من أرض الشام، وقصته معه مشهورة ذكرها ابن هشام في كتاب السيرة[5]، ثم رجع به إلى مكة حين فرغ من تجارته بالشام؛ فشبّ رسول الله صلى الله عليه

---

(1) نفسه- ص 80.

(2) في الأصل وفي كل النسخ المؤمنين، ولعلّ الصواب ما أثبتنا.

(3) اليزيدي: هو أبو عبد الله محمد بن العباس بن محمد بن أبي محمد اليزيدي، كان إخباريا نحويا لغويا، قال الخطيب: وكان راوية للأخبار والآداب، مصدقا في حديثه، روى عنه أبو بكر الصولي، واستدعي في آخر عمره ليعلم أولاد المقتدر بالله، وله تصانيف منها كتاب مختصر النحو، وكتاب الخيل، وكتاب مناقب بني العباس، وكتاب أخبار اليزيديين، وكتاب الوحوش، وكتاب النوادر، وكانت وفاته في سنة 310هـ ابن أنجب الساعي- الدر الثمين- ص 149/محمد بن إسحاق النديم- الفهرست- تحقيق مصطفى الشويمي- الدار التونسية للنشر- تونس - المؤسسة الوطنية للكتاب- 1405هـ- 1985م- ص 231-232.

(4) السيرة النبوية- ص 85/الطبري- نفس المصدر- ج 2 ص 205-206.

(5) انظر ابن هشام- السيرة النبوية- ص 85-86.

وسلم يكلؤه الله تعالى ويحوطه ويحفظه من أقذار الجاهلية لما يريد به من كرامته ورسالته[1]؛ فبعثه وهو ابن أربعين سنة[2]؛ فناجاه الحق وهو في حراء، وذلك يوم الاثنين، وهو أول موضع نزل فيه القرآن، أنزله إليه، وهو ابن /4و/ثلاث وأربعين سنة[3].

وأول ما نزل عليه «يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ»[4]، وقيل «اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ»[5] إلى قوله «عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ»[6]،[7] وأول ما ابتدأ به من النبوءة الرؤيا الصالحة؛ فكان لا يرى ويؤول في منامه إلا جاءت مثل فلق الصبح[8]؛ فلبث في مكة عشر سنين[9] ينزل عليه القرآن، وبالمدينة عشرا[10].

[أول الناس إسلامًا] أول ذكر آمن به من الناس وصدّق بما جاء به علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وهو ابن عشر سنين يومئذ، وكان في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل الإسلام[11]، ثم أسلم زيد بن حارثة مولاه[12]، ثم أبو بكر الصديق رضي الله عنه[13]، وقيل أول من أسلم أبو بكر، وقيل زيد.

وروي عن محمد بن كعب القرظي[14] أن أول من أسلم من هذه الأمة،

---

(1) السيرة النبوية- ص 86-87.
(2) الطبري- نفس المصدر- ج 2 ص 213.
(3) الطبري- نفس المصدر- ج 2 س 214
(4) سورة المدثر- الآية 1.
(5) سورة العلق- الآية 1.
(6) سورة العلق- الآية 5.
(7) انظر الطبري- نفس المصدر- ج 2 ص 220/ابن الأثير- الكامل- ص 202.
(8) السيرة النبوية- ص 110.
(9) قال الطبري: فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة- نفس المصدر- ج2 ص 214.
(10) البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل- صحيح البخاري- مراجعة وضبط الشيخ محمد علي القطب والشيخ هشام البخاري- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- 1424هـ-2003م- كتاب المناقب- الحديث رقم 3547- ص 625.
(11) السيرة النبوية- ص 115.
(12) لمزيد من التفاصيل انظر السيرة النبوية- ص 116.
(13) لمزيد من التفاصيل انظر السيرة النبوية- ص 117.
(14) محمد بن كعب القرظي: هو محمد بن كعب القرظي كوفي المولد والمنشأ، روى عن كبار

وآمن برسول الله صلى الله عليه وسلم خديجة، وأول رجلين أسلما أبو بكر الصديق [وعلي بن أبي طالب][1] رضي الله عن جميعهم، وأن أبا بكر أول من أظهر الإسلام، وأن عليا كان يكتم الإسلام فرقا من أبيه حتى لقيه أبو طالب؛ فقال: أأسلمت ؟ قال: نعم؛ فقال: وازر ابن عمك وانصره[2].

وسئل ابن عباس رضي الله عنه أي الناس أول إسلاما ؟ قال: أما سمعت حسّان بن ثابت رحمه الله:

إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية أتقاها وأعدلها بعد[3] النبي وأوفاها بما حملا

الثاني التالي المحمود مشهده وأول الناس منهم صدق الرسلا[4]

[صفته النبي صلى الله عليه وسلم] وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما ملجما[5]، يتلألأ وجهه نورا تلألأ القمر ليلة البدر، قالت عائشة رضي الله عنها: دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقعد يخصف نعلا، وأنا قاعدة أغزل؛ فرفعت رأسي إليه فإذا سالفته قد عرقت، وهو يتولد في عيني نورا؛ فقلت: أما والله لو رأى أبو كبير الهذلي لعلم أنك أحق بشعره من غيرك؛ فقال صلى الله عليه وسلم: ما قال يا عائشة أبو كبير؟ قالت: قال:

ومبرّءٍ من كل غُبَّرِ[7] حيضة وفساد مرضعة وداء مغيل[6]

-

الصحابة، وكان موصوفا بالعلم والصلاح والورع، وكان كبير القدر، ثقة قاله الذهبي. ابن عماد الحنبلي- شذرات الذهب- ج1 ص 136.

(1) ساقطة في الأصل.

(2) قارن مع ما أورده ابن هشام- السيرة النبوية- ص 116.

(3) في الأصل وما أثبتنا من الكامل- ص 205.

(4) ابن الأثير- الكامل- ص 205.2

(5) عند ابن حبيب قسيما وسيما مفخما. كتاب التأريخ- ص 79.

(6) مغيل: مغل بالرجل وشي به ومغل فلان مغالة خان وغشّ. مجمع اللغة العربي- المعجم الوسيط- مكتبة الشروق الدولية- القاهرة- ط4- 1426هـ- 2005م- ص 879.

(7) غُبّر: يقال غُبّرُ الحيض وغُبّرُ اللبن لبقاياه.الزمخشري أبو القاسم محمود بن عمر- أساس البلاغة- دار صادر- بيروت- ط1-1412هـ- 1992م- ص 444.

/4ظ/وإذا نظرت إلى أسرّة وجهه   برقت كبرق العارض المتهلل

قالت: فوضع رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان في يده، وقال: جزاك الله يا عائشة خيرا؛ فما أعلم متى سررت مثل سروري بكلامك، واسم أبي كبير الهذلي ثابت بن عبد شمس، ويقال عامر بن الحليس[1].

وكان صلى الله عليه وسلم أطول من المربوع، وأقصر من المشذّب، عظيم الهامة، رَجِل الشعر، [إذا انفرقت عَقِيصَتُه فَرَق، وإلا فلا][2] يجاوز شعره شحمة أذنيه إذا هو وفّره، أزهر اللون، واسع الجبين، أَزَجُّ[3] الحواجب: [سوابغ][4] في غير قُرَنٍ، بينهما عِرْقٌ يُدِرُّهُ الغضب، أقنى العِرْنَيْن[5]، أشَمّ أدعج، أسيل الخدين، ضليع الفم، أشنب، مفلج الأسنان، وكأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة، معتدل الخَلْقِ، بادنٌ، له نور يعلوه، بعيد ما بين المنكبين، ضخم الكراديس[6]، أنور المتجرد، موصول ما بين اللبّة والسرّة بشعر يجري كالخط، أشعر الذراعين والمنكبين وأعالي الصدر، طويل الذراعين، رحب الراحة، شثن[7] الكفين والقدمين وسائر الأطراف، خُمْصان[8] الأخمصين، مسيح القدمين، ينبو عنهما الماء إذا زال [زال][9] تقلعا، ويخطو تَكَفِّيًا، ويمشي هونا، إذا مشى كأنما ينحط من صَبَب، وإذا التفت التفت جميعا، وكان يعرف رضاه وغضبه في وجهه، كان إذا رضي وسرّ كأن وجهه المرآة،

---

(1) في الأصل الحلفة وما أثبتنا من الزركلي، وهو أبو كبير عامر بن الحليس الهذلي من بني سهل بن هذيل، شاعر فحل من شعراء الحماسة. الزركلي خير الدين- كتاب الأعلام قاموس تراجم – دار العلم للملايين- بيروت- ط 11- 1995م- ج3 ص 250.

(2) الزيادة من الذهبي- تاريخ الإسلام- السيرة النبوية- صص 444.

(3) أزج الحاجب دقّ في الطول وتقوس- المعجم الوسيط- ص 389.

(4) الزيادة من الذهبي- تاريخ الإسلام- السيرة النبوية- ص 444.

(5) وما صلب من عظم الأنف حيث يكون الشمم.المعجم الوسيط- ص 597.

(6) الكراديس: رؤوس العظام وقيل هي ملتقى كل عظمين ضخمين كالركبتين والمرفقين والمنكبين. المعجم الوسيط- ص 782.

(7) شثن: الغليظ الخشن يقال رجل شثن الأصابع. المعجم الوسيط- ص 472.

(8) تخامص عنه أي تجافى ومعناه هنا المبالغ منه أي أن ذلك الموضع من أسفل قدميه شديد التجافي عن الأرض. المعجم الوسيط- ص 256.

(9) الزيادة من الذهبي- تاريخ الإسلام- السيرة النبوية- ص 444.

وإذا غضب تلوّن وجهه واحمرّت عيناه[1].

[بيعة الحديبية] وكان عدد من بايعه تحت الشجرة من الحديبية ألفا وأربعمائة، وهي بيعة الرضوان، وكانت الشجرة سمرة، بايعوه على أن لا يغزوا[2].

قال سلمة بن الأكوع: بينما نحن قائلون نادى مناد: يا أيها الناس البيعة البيعة؛ فسرنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو تحت شجرة فبايعناه؛ فذلك قوله تعالى: **«لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ»**، أي ما في قلوبهم من الإخلاص، **«فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ [وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا]»**[3]، قال قتادة: الصبر والوقار[4].

وكان أول من بايعه تحتها يومئذ أبو سنان وهب بن عبد الله بن حرثان الأسدي، وقيل سلمة بن الأكوع[5]، وكان سبب بيعة الرضوان أن رسول الله صلى /5 و/الله عليه وسلم كان وجّه عثمان رضي الله عنه إلى مكة في أمر يقوم به غيره من صلح قريش على أن يتركوا رسول الله صلى الله عليه وسلم والعمرة؛ فلما أتاه الخبر الكاذب بأن عثمان قد قتل جمع أصحابه فدعاهم إلى البيعة على قتال أهل مكة يومئذ، وبايع رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عثمان يومئذ [بأن ضرب] بإحدى يديه [على] الأخرى، وقال: يد رسول الله صلى الله عليه وسلم لعثمان خير من يد عثمان لنفسه، ثم أتاه الخبر بأن عثمان لم يقتل[6].

[الهجرة إلى المدينة المنورة] وهاجر صلى الله عليه وسلم من مكة إلى المدينة ومعه أبو بكر رضي الله عنه وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ودليلهم

---

(1) قارن مع ما أورده ابن سعد- الطبقات الكبرى- ج1 ص 287-288/الطبري- تاريخ- ج3 ص 241/ابن الأثير- الكامل- ص 272/عبد الملك بن حبيب- كتاب التأريخ- ص79-80 /الذهبي- تاريخ الإسلام- السيرة النبوية- ص 434-445.

(2) انظر السيرة النبوية- ص 499/الطبري- تاريخ- ج3 ص 124/ابن الأثير- الكامل- ص 244 -245.

(3) سورة الفتح- الآية 18.

(4) أورد الطبري نفس الرواية- تاريخ- ج3 ص 130.

(5) الطبري- تاريخ- ج3 ص 130.

(6) سيرة ابن هشام- ص 503/الكامل- ص 244-245.

عبد الله بن أرقط[1] الليثي، ولم يكن مسلما؛ فدخل الغار الذي بثور، وهو جبل بأسفل مكة، وأقام فيه ثلاثا ومعه أبو بكر[2]، ثم ارتحل بعد الثلاث؛ فدخل المدينة يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلة مضت من شهر ربيع الأول حين اشتدّ الضحى، وكادت الشمس تميل، وهو ابن ثلاث وخمسين بعد مبعثه بثلاث عشرة سنة.

ونزل في حال موافاته المدينة بقباء على كلثوم بن هدم، ونزل أبو بكر رضي الله عنه على خبيب بن إساف، وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه تخلف بعده بمكة بأمره ليوالي عنه الودائع التي كانت عنده للناس، ثم لحق برسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل عليّ على كلثوم بن هدم[3].

وسار من قباء يوم الجمعة ارتفاع النهار؛ فأدركته الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي؛ فكانت أول جمعة صلاها بالمدينة[4]، وأتاه الأنصار حيّا حيّا يسأله كل فريق منهم النزول عليه، ويتعلقون بزمام ناقته، وهي تجدّ بهم؛ فيقول لهم: خلّوا عنها فإنها مأمورة؛ فخلوا عنها؛ فانطلقت حتى إذا أتت دار بني مالك بن النجّار، وبركت على باب مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يومئذ في يد سهل وسهيل ابني [عمرو][5] /5ظ/من بني النجار، يتيمين في حجر أبي أمامة أسعد بن [زرارة][6].

ثم وثبت ورسول الله صلى الله عليه وسلم لم ينزل؛ فجرت قليلا، ثم التفتت خلفها؛ فرجعت إلى مبركها أول مرّة فبركت فيه، ثم تحلحلت ورزمت، ووضعت جرانها؛ فنزل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم قرب خالد بن زيد[7] له؛ فوضع في بيته رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأقام عنده حتى بنى مسجده ومساكنه، ثم

---

(1) في الأصل أريقط، وما أثبتنا من ابن هشام- السيرة النبوية- ص 223.

(2) السيرة النبوية- ص 223-224.

(3) السيرة النبوية- ص 227-228.

(4) السيرة النبوية- ص 228.

(5) في الأصل ابني رافع، وما أثبتنا من السيرة النبوية.

(6) في الأصل زرة، وما أثبتنا من السيرة النبوية- ص 235، يقول ابن هشام: وهما في حجر معاذ بن عفراء- سيرة ابن هشام- ص 229

(7) في الأصل خالد بن يزيد وما أثبتنا من ابن هشام وهو أبو أيوب خالد بن زيد. السيرة النبوية- ص 229.

انتقل إلى مساكنه[1].

واطمأنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة، واجتمع إليه إخوانه من المهاجرين والأنصار، واستحكم أمر الإسلام؛ فقامت الصلاة وفرضت الزكاة والصيام، وقامت الحدود، وفرض الحلال والحرام، وأقام بالمدينة بعد مقدمه بقية شهر ربيع الأول إلى شهر المحرّم.

[غزواته وسراياه] خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم غازيا في صفر على اثني عشر شهرا من مقدمه المدينة حتى بلغ وَدّان، وهي غزوة الأبواء يريد قريشا، واستعمل على المدينة سعد بن عبادة[2].

قال ابن إسحاق: وكان جميع ما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه سبعا وعشرين غزوة، أولها غزوة ودّان، وهي غزوة الأبواء، ثم غزوة بواط، ثم غزوة [العشيرة][3]، ثم غزوة بدر التي قتل الله فيها صناديد قريش، وكانت يوم الجمعة صبيحة السابع عشر من شهر رمضان، وافترض رمضان وحولت القبلة قبلها بشهرين[4]، ثم غزوة بني سُليم، ثم غزوة السويق، ثم غزوة غطفان وهي غزوة ذي أَمَر، ثم غزوة بُحْرَان، ثم غزوة أحد، ثم غزوة حمراء الأسد، ثم غزوة بني النضير، ثم غزوة ذات الرقاع، وفيها كانت صلاة الخوف، ثم غزوة بدر الآخرة، ثم غزوة دومة الجندل، ثم غزوة الخندق، ثم غزوة بني قريظة، ثم غزوة بني لَحْيان من هذيل، ثم غزوة ذي قَرَدٍ، ثم بني المصطلق من خزاعة، ثم غزوة الحديبية لا يريد قتالا؛ فصدّه المشركون عن البيت، وفيها كانت بيعة الرضوان تحت الشجرة، ثم غزوة خيبر،[ثم عمرة القضاء][5]، ثم غزوة الفتح، ثم غزوة حنين، ثم غزوة الطائف، ثم

---

(1) السيرة النبوية- ص 229.

(2) السيرة النبوية- ص 281.

(3) العسرة في الأصل، وما أثبتنا من السيرة النبوية- ص 285.

(4) قال ابن هشام: صرفت القبلة في شعبان على رأس ثمانية عشر شهرا من مقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة. السيرة النبوية- ص 289.

(5) أضاف المؤلف قائلا: ثم غزوة النصر، ولا وجود لها في المصادر المتوفرة لدينا، وما أثبتنا هو الوارد في هذه المصادر، ومنها السيرة النبوية- ص 644/الطبري- تاريخ- ج 3 ص 225 /ابن الأثير- الكامل- ص 271- 272.

غزوة تبوك، وفيهما /6و/جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بين الظهر والعصر والمغرب والعشاء[1].

قاتل فيها في تسع غزوات غزوة بدر وأحد والخندق وقريظة والمصطلق وخيبر والفتح وحنين والطائف[2]، وكانت بعوثه وسراياه من هجرته إلى أن توفي ثمانية وثلاثين من بعثة وسرية[3].

وروي عن عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة عشر غزوة، وقاتل في ثمان منهن[4]، وحج واعتمر قبل النبوءة وبعدها حججا وعمرا لا يعرف عددهم.

وروى جابر بن عبد الله قال: حجّ النبي صلى الله عليه وسلم ثلاث حجج: حجتين قبل أن هاجر، وحجّة قرن معها عمرة، ولم يحج بعد أن هاجر إلى المدينة إلا حجة واحدة، وهي حجة الوداع سنة عشر، وسمّاها حجّة الوداع لأنه ودّعهم[5].

وروي عن ابن عباس رضي الله عنه: أنه ذكر عنده حجة الوداع فأنكر ذلك؛ فقيل له: حجّة الإسلام؛ فقال: نعم لم يحج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة ولا من غيرها غير هذه الحجة.

---

(1) السيرة النبوية- ص 644/الطبري- تاريخ- ج 3 ص 225/ابن الأثير- الكامل- ص 271-272، ولمزيد من التفاصيل عنها انظر البخاري- صحيح البخاري- كتاب المغازي- صص 691-777/ابن هشام- السيرة النبوية- صص 281 وما بعدها.

(2) السيرة النبوية- ص 644/الطبري- تاريخ- ج3 ص 225/ابن الأثير- الكامل- ص 272.

(3) السيرة النبوية- ص 644، وقال الطبري إنها خمسا وثلاثين بعثا وسرية، وقال ابن الأثير: واختلف في عدد سراياه؛ فقيل خمسا وثلاثين ما بين سرية وبعث، وقيل ثمانيا وأربعين- تاريخ- ج3 ص 226/الكامل- ص 272.

(4) ورد في صحيح مسلم- كتاب الجهاد والسير-الحديث رقم 1814- ص 927، وورد في صحيح البخاري حديث لابن بريدة عن أبيه قال: غزا مع رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة - كتاب المغازي- الحديث رقم 4473- ص 777.

(5) ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 272/صحيح البخاري- كتاب المغازي- باب حجة الوداع- الحديث رقم 4404- ص 766، وقارن مع ما ورد في الصحيحين: صحيح البخاري- كتاب العمرة- باب كم اعتمر النبي ﷺ- ص 304-305/أبو الحسين مسلم بن الحجّاج القشيري- صحيح مسلم- كتاب الحج- مكتبة الإيمان- المنصورة- د. ت- باب بيان عدد عمر النبي ﷺ وزمانهن- ص 598-599.

[**كُتَّابه**] وكتابه جماعة حسب فيهم عبد الله بن الأرقم، وكتاب الوحي منهم أربعة: معاوية بن أبي سفيان وزيد بن ثابت وحنظلة بن ربيعة وعبد الله بن سعد [بن أبي سرح]، ارتدّ ولحق بمكة مشركا، ثم أسلم أيام الفتح فحسن إسلامه، ومنهم عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وخالد بن سعيد وعمرو بن العاص والعلاء بن الحضرمي رضي الله عنهم أجمعين، وقيل كتاب الوحي عثمان وعلي رضي الله عنهما، والباقون إنما يكتبون له في حوائجه، وآخر كتابه معاوية، وهو الذي يكتب له إلى أن توفي صلى الله عليه وسلم(1).

[**حُجَّابُه وخَدَمُه وأمراء جنده**] وحاجبه مولاه أبو أنسة(2)، وخادمه أنس بن مالك رضي الله عنه، وقيل هو حاجبه أيضا، وإذنه عبد الله زمعة بن الأسود، وأمه قريبة أخت أم سلمة زوج النبي صلى الله عليه وسلم.

وأمراء /6ظ/جيوشه عمر وعلي رضي الله عنهما.

ونقش خاتمه: وكان من فضة فصّه حبشي، محمد رسول الله، محمد سطر، ورسول سطر، والله سطر، وقيل: لا إله إلا الله محمد رسول الله، وتختم به أبو بكر بعده، ثم عمر من بعد أبي بكر، ثم عثمان بعد عمر، ثم سقط من أصبعه في بئر أريس.

وصاحب خاتمه سعيد بن زيد الأنصاري، وخازنه معيقيب(3) بن أبي فاطمة الدوسي(4).

ومن معجزاته عليه السلام: القرآن المنزل عليه الذي دعا بلغاء العرب

---

(1) قارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج3 ص 237/ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 274.

(2) في الأصل أبو أنيسة، وهو أنسة مولى النبي ﷺ، وقيل أبو أنسة، ويكنى أبا مسرح، وكان يأذن على النبي ﷺ، وما أثبتنا من الإصابة- ج1 ص 87-88، والطبري- ج3 ص 236، وابن الأثير- الكامل- ص 274.

(3) هو معيقيب بن أبي فاطمة الدوسي حليف بني أمية، أسلم قديما وشهد المشاهد، وكان مجذوما. الإصابة- ج3 ص 430.

(4) قارن مع ما أورده أبو عمرو خليفة بن خياط - تاريخ خليفة بن خياط- تحقيق مصطفى نجيب فوّاز وحكمت كشلي فوّاز- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1415هـ- 1995م- ص 49.

وغيرهم من بعثه الله تعالى قرنا بعد قرن إلى زماننا هذا وإلى يوم القيامة على أن يأتوا بمثله إن شكّوا في صدقه؛ فأعجز الله عن ذلك جميع البلغاء، قال الله العظيم: **«وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ»**[1] ؛ فلما عجزوا عن الإتيان بمثل ما أتي به علم بالضرورة صدقه، ولما سألته قريش أن يأتيهم بآية يصدقوه بها شقّ الله تعالى له القمر، وأنزل عليه في ذلك **«اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ»**[2].

وكلمه الذراع والذئب والظبية والعَيْر[3] والجمل، ونبع الماء من بين أصابعه فشرب منه العسكر كله وهم عطاشى وتوضأ، كل ذلك من قدح صغير ضاق عن أن يبسط فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم يده الكريمة، وأشبع من صاع واحد ألفا إلى غير ذلك من معجزاته وأعلام نبوته وآياته صلى الله عليه وسلم [4].

وكان النبي إذا صلى الصبح قال في مجلسه، وهو ثان رجليه سبعين مرة: أستغفر الله، إن الله كان توابا رحيما[5]، ويقول سبعين لسبعمائة: لا خير ولا طمع لمن كانت ذنوبه في يوم واحد أكثر من سبعمائة، ثم يستقبل الناس بوجهه.

[تأويله لرؤيا أصحابه] وكان عليه السلام تعجبه الرؤيا، ثم يقول: هل [ر]أى أحد منكم /7و/رؤيا؟[6] قال ابن رمل، رجل من الصحابة لا يواقف على اسمه: أنا يا نبي الله؛ فقال: خيرا تلقاه، وشرّا توقاه، وخيرا لنا وشرّا على أعدائنا، والحمد لله رب العالمين، اقصص؛ فقال: رأيت جميع الناس على طريق رحب سهل لاحب، والناس على الجادة منطلقين؛ فبينما هم كذلك إذ أشفى ذلك الطريق على مرج لم

---

(1) سورة البقرة- الآية 23.

(2) سورة القمر- الآية 1-2.

(3) العَيْر: الحمار- المعجم الوسيط- ص 639.

(4) انظر صحيح البخاري- كتاب المناقب- باب علامات النبوة- صص 628- 631/صحيح مسلم- كتاب الفضائل- باب في معجزات النبي ﷺ- صص 1149-1151.

(5) صحيح البخاري- كتاب الدعوات- باب استغفار النبي ﷺ في اليوم والليلة- الحديث رقم 6307- ص 1129.

(6) صحيح مسلم- كتاب الرؤيا- باب رؤيا النبي- الحديث رقم 2275- ص 1148.

تر عين مثله، يُرى رفيفا[1] يقطر نداه فيه من أنواع الكلأ، قال: فكأني بالرعلة[2] الأولى حين أشفوا على المرج كفأوا ثم أكفأوا رواحلهم في الطريق، ثم جاءت الرعلة الثانية وهم أكثر منهم أضعافا؛ فلما أشفوا على المرج كبّروا وقالوا: هذا خير المنزل؛ فكأني أنظر إليهم يميلون يمينا وشمالا؛ فلما رأيت ذلك لزمت الطريق، ومضيت منه حتى آتي المرج فإذا أنا بك يا رسول الله على منبر فيه سبع درجات، أنت في أعلاها درجة، وإذا عن يسارك رجل آدم شهل أقنى، إذا تكلم يسمو فيفرع الرجال طولا، وإذا على يسارك رجل ربعة، كثير خيلان الوجه كأنما حمّم شعره بالماء، إذا هو يتكلم أصغيتم له إكراما، وإذا أمامكم شيخ أشبه الناس بك خلقا ووجها، كلكم تؤثرونه تريدونه، وإذا أمامكم ذلك ناقة عجفاء شارف، وإذا أنت يا رسول الله كأنك تبعثها.

فامتقع رسول الله صلى الله عليه وسلم ساعة، ثم سرى عنه؛ فقال عليه السلام: أما ما رأيت من الطريق السهل الرحب اللاحب فذلك ما حملتكم عليه من الهدى وأنتم عليه، وأما المرج الذي رأيتم فالدنيا وغضارة عيشها، مضيت أنا وأصحابي لم نتعلق بها ولم نردها، ثم جاءت الرعلة الثانية بعدها، وهم أكثر منا أضعافا؛ فمنهم المرتعي ومنهم آخذ الضغث ونجوا على ذلك، ثم جاء عظم الناس فماجوا في المرج، وأما أنت فمضيت على طريقة صالحة فلم تزل عليها حتى تلقاني، وأما المنبر الذي فيه سبع درجات فالدنيا سبعة آلاف سنة، أنا في آخرها ألفا، وأما الرجل الذي رأيت عن يميني /7ظ/الأدم السهل الجم فذلك موسى عليه الصلاة والسلام إذا هو يتكلم يسدّ الرجال بفضل كلام الله إياه، وأما الرجل الذي رأيت عن يساري الربعة الكثير خيلان الوجه كأنما شعره بالماء فذلك عيسى عليه السلام نكرمه لإكرام الله إياه، وأما الشيخ الذي رأيت أشبه الناس بي خلقا ووجها فذلك هو أبونا إبراهيم عليه السلام، كلنا نؤمه ونقتدي به، وأما الناقة التي رأيتني أبعثها فهي الساعة تقوم علينا لا محالة، لا نبي بعدي ولا أمة بعد أمتي، قال: فما سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن رؤيا إلا أن يجيء الرجل فيحدث

---

(1) الرفيف الخصب، تقول أرض ذات رفيف. المعجم الوسيط- ص 362.

(2) الرعلة: الجماعة القليلة أو التي تتقدم غيرها. المعجم الوسيط- ص 355.

بها متبرعا.

ويعث النبي صلى الله عليه وسلم على رأس أربعين سنة من مولده؛ فأقام بمكة ثلاث عشرة سنة وبالمدينة عشرا، وقبض وهو ابن ثلاث وستين سنة، وقيل أقام بمكة عشرا وبالمدينة عشرا، وتوفي وهو ابن ستين سنة، وليس في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء، وتوفي يوم الإثنين لاثنتي عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة حين اشتدّ الضحى في الشهر واليوم والوقت الذي دخل فيه المدينة، وهو الشهر واليوم والوقت الذي ولد فيه صلى الله عليه وسلم، وهو اليوم الذي نزل فيه جبريل بالوحي في حراء[1].

[أولاده] ومات ولم يخلف من ولده غير فاطمة رضي الله عنها، وكان جميع ولده ثمانية ويقال سبعة؛ فالذكور منهم القاسم، وبه كان يكنى عليه السلام، والطاهر والطيب وإبراهيم، ويقال أن الطاهر هو الطيب، ويقال هو عبد الله، والإناث زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة، وولده كلهم من خديجة بنت خويلد رضي الله عنها إلا إبراهيم فإنه من مارية القبطية، جارية أهداها المقوقس ملك الإسكندرية، مات إبراهيم وهو ابن ثمانية عشر شهرا، ويقال ستة عشر[2].

وبناته كلهن أدركهن الإسلام، وأسلمن وهاجرن؛ فكانت زينب تحت أبي /8و/العاصي، واسمه لقيط بن الربيع بن عبد العزيز بن عبد شمس بن عبد مناف، زوجها النبي صلى الله عليه وسلم إياه قبل أن ينزل عليه الوحي، وأسلم أبو العاصي بعدها في خروج النبي صلى الله عليه وسلم إلى بدر، ثم زوّج[3] بعدها رقية من عثمان بن عفان رضي الله عنه، ثم توفيت، ثم زوجه أم كلثوم، ولذلك يقال له ذو النورين، وتوفيت أم كلثوم سنة تسع، وتزوج علي رضي الله عنه فاطمة رضي الله عنها سنة اثنين من المحرّم، وتوفيت بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بستة أشهر.

[أزواجه] وكان جميع من تزوج النبي عليه السلام ثلاث عشرة، ست منهن

---

(1) قارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج3 ص 262-263.

(2) الطبري- تاريخ- ج3 صص 230-234/ابن الأثير- الكامل- صص 272-274.

(3) في الأصل تزوج، والصواب ما أثبتنا.

قرشيات:

خديجة بنت خويلد بن أسد، وهي أول من تزوجها قبل مبعثه، وهو ابن خمس وعشرين سنة، وهي بنت أربعين سنة، ولم يتزوج عليها حتى توفيت بعد أن بعث، وذلك قبل مخرجه إلى المدينة بثلاث سنين، وكانت رضي الله عنها أول من آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم، وصدّقت ما جاء به.

وسودة بنت زمعة بن قيس، وعائشة بنت أبي بكر بن أبي قحافة رضي الله عن الجميع، ولم يتزوج بكرًا غيرها، تزوجها وهي بنت ست بعد موت خديجة بسنتين أو قريبا من ذلك، وابتنى بها وهي بنت تسع، وذلك أن خولة بنت حكيم بن الأوقص السلمية امرأة عثمان بن مظعون أتت النبي عليه السلام بعد موت خديجة رضي الله عنها، وقالت: يا رسول الله إني أراك قد دخلتك خلة بفقد خديجة رضي الله عنها، قال: أجل أم العيال وربّة البيت؛ فقلت: ألا تتزوج؟ فقال: ومن؟ فقلت إن شئت بكرا وإن شئت ثيبا؛ فقال: من البكر؟ فقلت: بنت أحبّ الخلق إليك، عائشة بنت أبي بكر؛ فقال: فمن الثيب؟ فقلت: سودة بنت زمعة، وقد آمنت واتبعت الذي أنت عليه، قال: فاذكريهما عنّي.

فدخلت بيت أبي بكر فقلت: يا أم رومان ما أدخل /8ظ/الله عليك من الخير والبركة؛ فقالت: وما ذاك؟ فقلت: أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة، قالت: إنتظري حتى يأتي أبو بكر؛ فدخل أبو بكر قالت: فقلت له ماذا أدخل الله عليكم من الخير والبركة؟ قال: وما ذاك؟ قلت أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطب عليه عائشة؛ فقال: وهل تصلح له؟ إنما هي بنت أخيه؛ فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فذكرت ذلك له؛ فقال: ارجعي له فقولي له: أنا أخوك وأنت أخي في الإسلام، وابنتك تصلح لي؛ فرجعت إليه فذكرت ذلك له؛ فقال: ادع رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فدعوته فزوجها منه عليه السلام، وهي يومئذ بنت ست سنين.

ثم خرجت فدخلت على سودة بنت زمعة فقلت لها: ماذا أدخل الله عليك من الخير والبركة؛ فقالت: وما ذاك؟ فقلت: أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم أخطبك عليه؛ فقالت: وددت، أدخلي على أبي فاذكري ذلك له، وكان شيخا كبيرا قد أدركه السن، وقد فاته الحجّ؛ فدخلت عليه فحيته تحية الجاهلية؛ فقال: من أنت؟

فقلت: خولة بنت حكيم، قال: وما شأنك؛ فقلت: أرسلني محمد بن عبد الله إليك أخطب عليه سودة؛ فقال: كفؤ كريم، ما تقول صاحبتك؟ فقلت: تحب ذلك؛ فقال: ادعها لي، قالت: فدعوتها فجاءت؛ فقال: يا بنية إن هذه تزعم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب أرسل يخطبك عليه، وهو كفؤ كريم أفتحبين أن أزوجك إياه؛ فقالت: نعم؛ فقال: ادع لي محمداً؛ فدعوته فزوجها منه؛ فلما قدم عبد الله بن زمعة من الحج، قال: ما أصنع حيث زوج سودة منه، وكان بعدما أسلم يقول: لعمري إنني لسفيه يوم أنكرت تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم سودة، وكان حثا على رأسه التراب.

وحفصة بنت عمر بن الخطاب تزوجها بعد الهجرة بثلاث سنين.

وأم /9و/حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب، واسمها رملة، وكانت هاجرت إلى الحبشة مع بعلها عبد الله بن جحش بن رئاب الأسدي فمات هنالك، وأقامت على إسلامها؛ فزوجها النجاشي من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصدقها عنه أربعمائة دينار؛ فقدمت على النبي صلى الله عليه وسلم في مسيره إلى خيبر.

وأم سلمة بنت أبي أمية بن المغيرة، واسمها هند، وكانت من أجمل الناس.

وست منهن عربيات:

زينب بنت جحش بن رئاب الأسدية، تزوجها بعد الهجرة بثلاث سنين، وكانت عند زيد بن حارثة الذي أنعم الله عليه ورسوله، وفيها نزلت: « [وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لاَ يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً] »[1].

وقال ناس من أهل العراق لعائشة رضي الله عنها: إنه يقال إن عندكم شيئاً من كتاب الله تعالى لم تظهروه؛ فقالت: لو كتم محمد صلى الله عليه وسلم شيئا مما نزل الله لكتم هذه الآية.

وميمونة بنت الحارث العامرية، تزوجها حيث قدم مكة في العمرة الوسطى،

---

(1) سورة الأحزاب- الآية 37.

خطبها عليه عمه العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه، وبنى بها بسرف[1]، منزل نزله.

وزينب بنت خزيمة الهلالية، توفيت قبله، وكانت يقال لها أم المساكين.

وجويرية بنت الحارث[2] بن أبي ضرار الخزاعية المصطلقية، وكان اسمها برّة؛ فسمّاها رسول الله صلى الله عليه وسلم جويرية، تزوجها يوم المريسيع، وجعل صداقها عتق جماعة من قومها.

وأسماء بنت النعمان الكندية لم يدخل بها، وجد بها بياضا فمتعها، وردّها إلى أهلها، وعمرة بنت يزيد الكلابية لم يدخل بها، قدمت عليه فاستعاذت منه؛ فردّها إلى أهلها.

واحدة من غير العرب: صفية بنت حيي بن أخطب من بني النضير، تزوجها حين افتتح خيبر، وأعتقها رسول الله صلى الله عليه وسلم، وجعل عتقها صداقها، وقيل تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم أربع عشرة /9ظ/وقيل سبع عشرة، ولم يختلف في أنه توفي عن تسع، وهن عائشة وحفصة وأم حبيبة وجويرية وصفية وأم سلمة وسودة وزينب بنت جحش وميمونة رضي الله عنهن[3].

[تغسيله وكفنه ودفنه] وغسّل صلى الله عليه وسلم في قميصه يصبّون الماء فوق القميص، ويدلكونه به دون أيديهم، وكانوا إذا أرادوا نزعه سمعوا صوتا يقول: لا تنزعوا القميص، وكفن صلى الله عليه وسلم في ثلاثة أثواب بيض سمولية[4] ليس فيها قميص ولا عمامة، أدرج فيهن إدراجا، ووضع على سريره في بيته، وصلى الناس عليه أفذاذا لا يؤمهم أحد حتى إذا فرغ الناس أدخل النساء، حتى إذا فرغ

---

(1) سرف: بفتح أوله وكسر ثانيه موضع على ستة أميل من مكة وقيل سبعة وتسعة واثني عشر، تزوج به رسول الله صلى الله عليه وسلم ميمونة بنت الحارث، وهناك بني بها وهناك توفيت. ياقوت الحموي- معجم البلدان- دار بيروت للطباعة والنشر- دار صادر- بيروت- 1404هـ- 1984م- ج3ص 212.

(2) في الأصل الحرث، والتصويب من الطبري- ج3 ص232.

(3) انظر السيرة النبوية- ص660-664/الطبري- تاريخ- ج3 صص 229- 234/ابن الأثير- الكامل- ص272-273.

(4) السمل يقال سمل الثوب ونحوه سمولا وسمولة: أخلق وبلي. المعجم الوسيط- ص 450.

النساء أدخل الصبيان[1].

وحفر له تحت فراشه في بيته ثم دفن من وَسَط الليل ليلة الأربعاء، وقيل دفن يوم الثلاثاء، ونزل في قبره علي بن أبي طالب رضي الله عنه والفضل وقثم ابنا العباس وشقران مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم رضي الله عنهم[2].

[أسماؤه] وكان له صلى الله عليه وسلم خمسة أسماء محمد وأحمد والماحي والحاشر والعاقب، وقال كعب الأحبار رضي الله عنه: أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم في الكتب المنزلة السالفة محمد وأحمد والمتوكل والمختار وحمياط وبارقليط وماذ والحاشر والماحي والعاقب والمقتفي والخاتم، وحمياط: يحمي الحرم، وبارقليط: يفرق بين الحق والباطل، وماذ: أطيب من طيب، والحاشر الذي يحشر الناس على عقبيه في أيامه ونبوته، والماحي الذي يمحو الله به الكفر والشرك والباطل، والعاقب الذي عقب الأنبياء بالأمر والنهي ومراد الله تعالى، والمقتفي المتبع للسنن، والخاتم آخر الأنبياء خَلقا وخُلُقا صلى الله عليه وعلى آله، وجمعنا معه في أعلى عليين، وأماتنا على سنته، وجعل لنا الحظ الأوفر من بركته وشفاعته بمنه ﷺ[3].

---

(1) السيرة النبوية- ص 671-672/الطبري- تاريخ- ج3 ص 260-261.

(2) السيرة النبوية- ص 672/الطبري- تاريخ- ص 261.

(3) قارن مع ما أورده الطبري- ج3 ص 240-241/ابن الأثير- الكامل- ص 272.

ذكر أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه

هو عبد الله بن أبي قحافة، واسم أبي قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم /10و/بن مرّة بن كعب بن لؤي القرشي التيمي، يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم في الأب السابع عند مرّة بن كعب، ولقبه عتيق ببشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم إياه أنه عتيق الله من النار، وقيل إنما لقب عتيقا لعتاقة وجهه وحسبه، وقيل غير ذلك[1].

أمه أم الخير، واسمها سلمى بنت صخر بن عمرو بن عامر[2] بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، مسلمة رحمها الله تعالى، ولدته رضي الله عنه يوم الإثنين لثمان خلون من شهر ربيع الأول بعد عام الفيل بثلاثة أعوام.

[سبب إسلامه] وكان سبب إسلامه أنه خرج إلى اليمن في تجارة فلقي شيخا عالما قد قرأ الكتب، وتعلم علما كثيرا، وأتت عليه أربعمائة سنة إلا عشر سنين، قال أبو بكر رضي الله عنه: فلما رآني قال: أحسبك، حرميًا؟ قلت: أنا من أهل الحرم، قال: وأحسبك قرشيًا؟ قلت: نعم أنا من قريش، قال: وأحسبك تيميًا؟ قلت: نعم أنا تيمي، قال لي: اكشف لي عن بطنك، قلت له: لن أفعل أو تخبرني لِمَ ذلك، قال لي: إن في العلم الصحيح أن نبيًا يبعث بالحرم يعاون على أمره فتى كهلا؛ فأما الفتى فخوّاض غمرات ودافع معضلات، وأما الكهل فأبيض نحيف على بطنه

---

(1) قارن مع ابن سعد- الطبقات الكبرى- ج2 ص 160/الطبري- تاريخ- ج 4 ص 76/ابن الأثير- الكامل- ص 305/الذهبي- تاريخ الإسلام-عهد الخلفاء الراشدين- ص 105 /السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر- تاريخ الخلفاء- دار الجيل- بيروت- 1408هـ- 1988م- ص 33/تاريخ خليفة بن خياط- ص 50.

(2) قال ابن حجر العسقلاني: هي أم الخير بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرة، وقيل بنت صخر بن عمرو بن عامر...- الإصابة- ج4 ص 429، وقال ابن سعد: وأمه أم الخير واسمها سلمى بنت صخر بن عامر...-الطبقات الكبرى- ج2 ص 160، وهي سلمى بنت عامر بن كعب عند الطبري- تاريخ- ج4 ص 76/ابن الأثير- الكامل- ص 305 /السيوطي- تاريخ الخلفاء- ص 37.

ثمامة، وعلى فخذه اليسرى علامة، وأظنك هو، وما عليك أن تريني ما خفي علي، قال أبو بكر: فكشفت له عن بطني فرأى شامة سوداء فوق السرّة، فقال: أنت هو ورب الكعبة، وإني متقدم إليك في أمر فاحذره، قال أبو بكر: ما هو؟ قال: إياك والميل عن الهدى، وتمسك بالطريقة الوسطى، وخف الله تعالى فيما خوّلك وأعطاك.

قال: فقضيت باليمن إربي، ثم أتيت الشيخ لأودعه؛ فقال: أحامل أنت مني أبياتا إلى ذلك النبي؟ قلت: نعم؛ فأنشد يقول:

ألم تر أني قد سئمت[2] معاشري ونفسي ... وقد أصبحت في الخلق واهنا[1]

حييت وفي الأيام للمرء عبرة ... ثلاث ميئين ثم تسعين آمنا

وصاحبت أحبارا أبانوا بعلمهم ... غياهب دين قد نرى فيه طائنا

/10ظ/وكم غَقْشَلَيْنٍ[3] راهب فوق قائم لقيت

وما غادرت في البحث كاهنا

فكلهم لمّا تعطشت[4] قال لي ... أبيا سوف تلقاه دائنا

بمكة والأوثان[5] فيها عزيزة ... فيركسها حتى تراها كوامنا

فما زلت أدعو الله في كل حاضر ... حللت به سرّا وجهرا معالنا

وقد خمدت مني شرارة قوتي ... وألفيت شيخا لا أطيق الشواحنا

وأنت ورب البيت تلقى محمدا ... لعامك هذا قد أقام البراهنا

فحيي رسول الله عني فإنني ... على دينه أحيى وإن كنت آكنا

فيا ليتني أدركته في شبيبتي ... فكنت له عبدا وذلا عجاهنا[6]

عليه سلام الله ما ذرّ شارق ... وما حمل الركاب فيه الشواحنا

---

(1) في الحي عند ابن عساكر.

(2) قد وهنت عند ابن عساكر أبي القاسم علي بن الحسن- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها- دراسة وتحقيق علي شيري- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- د. ت- ج 30 ص 31.

(3) خفشلين في النسخة 8575، وعيليل عند ابن عساكر.

(4) تطمست عند ابن عساكر.

(5) الأديان عند ابن عساكر.

(6) العجاهنا: الطباخ والخادم.

ومـــا نـــسجت بالحبلـــين وشـــيجة[1] وما سحّ ضحاك من النور هاتنا

قال أبو بكر رضي الله: فحفظت وصيته وشعره، وقدمت مكة وقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم؛ فجاءني عقبة بن أبي معيط وشيبة وأبو جهل وأبو البختري بن هشام وصناديد قريش؛ فقلت: هل نابتكم نائبة أو ظهر فيكم أمر؟ فقالوا: يا أبا بكر أعظم الخطب وأجل النوائب، يتيم أبي طالب زعم أنه نبي ولولا أنت ما انتظرنا به؛ فإن فيك الغاية والكفاية، قال أبو بكر: فصرفتهم على حسن حسّ، وسألت عن النبي صلى الله عليه وسلم فقيل لي: إنه في منزل خديجة؛ فقرعت عليه الباب فخرج إلي؛ فقلت: يا محمد قعدت في منزلك واتهموك بالغيبة، وتركت دين آبائك وأجدادك، قال: يا أبا بكر إني رسول الله إليك وإلى الناس كلهم فآمن بالله؛ فقلت: وما دليلك على ذلك؟ قال: الشيخ الذي لقيت باليمن؛ فقلت: وكم من مشائخ لقيت وبعت واشتريت وأخذت وأعطيت؟ فقال: الشيخ الذي أفادك الأبيات؛ فقلت: ومن أخبرك بهذا يا حبيبي؟ فقال: الملك العظيم الذي يأتي من قبلي، قال: قلت امدد يدك فأنا /11و/أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال أبو بكر رضي الله عنه: وانصرفت وما بين لابتيها أشر سرورًا مني بإسلامي؛ فلما أسلم أبو بكر رضي الله عنه أظهر إسلامه، ودعا إلى الله ورسوله[2].

[مكانة أبي بكر ودوره في تبليغ الدعوة] وكان أبو بكر رجلا مؤلفا لقومه مُحبيًا[3] سهلا، وكان أنسب قريش لقريش، وأعلم قريش بها، وبما كان [فيها] من خير وشرّ، وكان رجلا تاجرًا ذا خلق ومعروف، وكان[4] رجال قومه يأتونه، ويألفونه

---

(1) وما سحبت بالحكمتين وسبحة عند ابن عساكر.

(2) وردت هذه الرواية المتعلقة بإسلام أبي بكر الصديق رضي الله عنه عند ابن عساكر- تاريخ دمشق- ج 30 صص 31-33، ولم ترد في أي من المصادر الأخرى التي استعملناها في التحقيق.

(3) في الأصل مجيبا، وما أثبتناه من السيرة النبوية- ص 117/ وابن حجر- الإصابة- ج2 ص 334.

(4) كانوا في الأصل، والصحيح ما أثبتنا.

لغير واحد من الأمر، لعلمه وتجارته[1] وحسن مجالسته[2].

فجعل يدعو إلى الإسلام من وثق به من قومه ممن يغشاه ويجلس إليه؛ فأسلم بدعائه عثمان بن عفان رضي الله عنه والزبير بن العوام وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وطلحة بن عبيد الله[3] ؛ فجاء بهم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استجابوا له؛ فأسلموا وصلوا؛ فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ما دعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت عنده فيه كبوة ونظر وتردد إلا ما كان من أبي بكر بن أبي قحافة ما عكم[4] عنه حين ذكرته له، وما تردد فيه، تعكم أي تلفت[5].

[مبايعته بالخلافة] بويع أبو بكر في سقيفة بني ساعدة بن كعب بن الخزرج يوم الإثنين الذي توفي فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذلك أنه لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم خالفت الأنصار، واجتمعوا بأسرهم في سقيفة بني ساعدة، واتفقت على أن تولي هذا الأمر سعد بن عبادة الخزرجي، وكان مريضا، وكان سيدًا في الأنصار مقدما وجيها، له رياسة وسيادة يعترف له بها قومه؛ فساروا إليه، وساقوه على الأعناق.

فحمد الله تعالى وأثنى عليه، وقال: يا معشر الأنصار لكم سابقة في الدين ليست لقبيلة من قبائل العرب، كان محمد صلى الله عليه وسلم لبث في قومه بضع عشرة سنة يدعوهم إلى عبادة الله تعالى وخلع الأوثان؛ فما آمن به إلا رجال قلائل، والله ما كانوا يقدرون لا أن يمنعوا منه، ولا أن يعزّوا دين الله، ولا يدفعوا عن أنفسهم /11ظ/حتى أراد الله بكم الفضيلة، وساق إليكم النعم الجزيلة، وخصّكم بالكرامة، ورزقكم الله الإيمان برسوله عليه السلام؛ فكنتم أشدّ الناس على عدوه حتى استقامت العرب لأمر الله طوعا وكرها؛ فأعطى البعيد المقادة صاغرًا، وعادت الأكابر لديه أصاغر؛ فأنجز الله له بكم ما وعده، ودانت بسيوفكم له العرب، وتوفاه

(1) تجاربه عند ابن حجر- الإصابة- ج2 ص 334.

(2) انظر ابن هشام- السيرة النبوية- ص 117/ ابن حجر- الإصابة- ج 2 ص 334.

(3) قارن مع ما أورده ابن حجر- الإصابة- ج 2 ص 334.

(4) يقال عكم فلان أي انتظر. المعجم الوسيط- ص 619.

(5) أورد ابن هشام نفس الرواية نقلا عن ابن إسحاق- السيرة النبوية- ص 117.

الله تعالى وهو عنكم راض، وبكم قرير العين؛ فاستبدّوا بهذا الأمر فإنه لكم دون غير؛ فأجابوه: إنك قد وفقت الرأي وأصبت، ونحن نوليك هذا الأمر فإنك للمسلمين رضا.

فجاءهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة في آخر خطبته، واجتمع[1] المهاجرون إلى أبي بكر رضي الله عن الجميع؛ فحمد الله أبو بكر وأثنى عليه، وصلى على نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم، وقال إن الله تعالى بعث محمدًا صلى الله عليه وسلم رسولا إلى خلقه، وشهيدا على أمته، ليعبدوا الله وحده، وكانوا يعبدون من دونه آلهة شتى، يزعمون أنها لهم شافعة ولهم نافعة، وإنما كانت من حجر منجورة، ثم تلا قوله تعالى: «وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ مَا لاَ يَضُرُّهُم وَلاَ يَنْفَعُهُمْ»[2] ؛ فعظم على العرب أن يتركوا دين آبائهم، وخصّ الله تعالى المهاجرين الأولين من قوم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتصديقه، والإيمان به، والمواساة له، والصبر معه؛ فلم يستوحشوا لقلة عددهم واجتماع قومهم عليهم؛ فهم أول من عبد الله تعالى في الأرض، وآمن به وبرسوله، وهم عشيرته، وأحق الناس بهذا الأمر بعده، لا ينازعهم فيه إلا ظالم.

وأنتم يا معشر الأنصار ممن لا تنكر فضيلتهم في الدين، وسابقتهم في الإسلام، رضيكم الله أنصارا لدينه ولرسوله عليه السلام، وجعل إليكم هجرته؛ فليس من المهاجرين الأولين أحد عندنا بمنزلتكم، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا نقضي دونكم أمرا سرّا ولا جهرا، وقد رضيت لكم أحد هذين الرجلين فبايعوا أيهما شئتم، وأخذ بيد عمر وأبي عبيدة بن الجرّاح رضي الله عن الجميع؛ فقال الحباب بن /12و/المنذر بن الجموح: أنا جذيلها المحكك[3]، وعذيقها[4] المرجب[5]، منا أمير ومنكم أمير، يا معشر قريش أما والله لو شئتم لنعيدنها جذعة؛ فقال أبو عبيدة بن الجراح: يا معشر الأنصار إنكم أول من نصر فلا تكونوا أول من بدّل وغير.

وكثر اللغط، وارتفعت الأصوات؛ فقال عمر: ابسط يدك يا أبا بكر فبسط

---

(1) في الأصل واجتمعوا.

(2) سورة يونس- الآية 18.

(3) يقال جذيلها المحكك لمن يستشفى برأيه- المعجم الوسيط- ص 113.

(4) العذق العزّ، يقال في بني فلان عذق كهل أي عزّ قد بلغ غايته. المعجم الوسيط- ص 590.

(5) رجب الإنسان وغيره عظمه. المعجم الوسيط- ص 329.

يده فبايعه، وبايعه المهاجرون ثم الأنصار؛ فانكسر على سعد بن عبادة ومن تبعه ما كانوا أجمعوا عليه، ثم أقبل الناس يبايعون أبا بكر حتى كادوا يطؤون سعدا؛ فقال أصحابه: اتقوا سعدا لا تطؤوه فتقتلوه؛ فقال عمر: قتل الله سعدًا.

فحملته الخزرج إلى داره، وترك أياما، ثم بعث إليه أن اقبل وبايع فقد بايع قومك[1]؛ فقال: والله لا أفعل حتى أرميكم بما في كنانتي من سهام، وأختضب بدمائكم رمحي، وأضربكم بسيفي، وأيم الله لو أن الجنّ اجتمعت لكم مع الإنس ما بايعتكم حتى أعرض على ربي؛ فلما اتصل ذلك بأبي بكر قال له عمر: لا تدعه حتى يبايع؛ فقال البشير بن سعد: إنه لا يبايعكم حتى يقتل، وليس يقتل حتى يقتل مع ولده وأهل بيته وطائفته وعشيرته؛ فاتركه فإنما هو رجل واحد؛ فقبلوا رأيه وتركوه؛ فكان سعد بن عبادة لا يصلي بصلاتهم، ويحج فلا يفيض معهم، ولم يزل على ذلك[2].

وخرج عن المدينة، ولم ينصرف إليها إلى أن مات بحوران من أرض الشام، لستتين ونصف مضتا من خلافة عمر، وذلك سنة خمس عشرة وقيل سنة أربع عشرة، وقيل مات في خلافة أبي بكر سنة إحدى عشرة، ولم يختلفوا أنه وجد ميتا في مغسله، وقد اخضرّ جسده، ولم يشعروا بموته حتى سمعوا قائلا يقول ولا يرون أحدا:

[نحن] قتلنا سيد الخزرج سعد بن عبادة   رميناه بسهم[ين] فلم نخطئ فؤاده

ويقال إن الجن قتلته والله أعلم[3].

وتخلف يومئذ عن بيعة أبي بكر علي وطلحة والزبير وخالد بن سعيد بن العاص ثم بايعوه بعد؛ فأما علي فلم يبايعه حتى ماتت فاطمة /12ظ/رضي الله عنها وعنهم، وكانت وفاتها بعد وفاة أبيها رسول الله صلى الله عليه وسلم بستة أشهر، وأما خالد بن سعيد فكان حين بويع أبو بكر غائبا؛ فقدم فتكلم بكلام؛ فقال: أرضيتم

---

(1) في الأصل: قوميك.

(2) قارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج3 صص 263-266/ابن الأثير- الكامل- ص 278-279/السيوطي- تاريخ الخلفاء- ص 79-83.

(3) النص منقول حرفيا عن أبي عمر بن عبد البر القرطبي- الإستيعاب في أسماء الأصحاب- دار الكتاب العربي- بيروت- د. ت- ج2 ص 37.

يا بني عبد مناف أن يلي هذا الأمر عليكم رجل من بني تيم؟ فبلغه عمر أبا بكر؛ فلم يحملها أبو بكر عليه؛ فمكث ثلاثة أشهر؛ فمرّ به أبو بكر ظهرا وهو في داره؛ فقال: أتحب أن أبايعك يا أبا بكر؟ قال: أحب أن تدخل فيما دخل فيه الناس؛ فجاءه بعد الظهر فبايعه[1].

[خطبة أبي بكر بعد دفن الرسول صلى الله عليه وسلم] وقام أبو بكر على المنبر بعد دفن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومبايعة الناس له في سقيفة بني ساعدة؛ فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: أيها الناس إن الذي رأيتم مني أمس لم يكن حرصا على ولايتكم ولكن خفت الفتنة عليكم والاختلاف؛ فدخلت فيها؛ فهاأنذا وقد رجع الأمر إلى أحسن ذلك، وكفّ الله تلك النائرة، وهذا أمركم إليكم فولوا من أحببتم من الناس، وأنا أجيبكم إلى ذلك، وأكون كأحدكم؛ فأجابه الناس جميعا: رضينا بك قسما وحظا، وأنت الخيرة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وثاني اثنين، وأحدثوا بيعة أخرى[2].

ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلى أحد من الناس، وخطب أبو بكر الناس: إني قائل قولا من وعاه فعلى الله جزاؤه، ومن لم يعه فلا يعتذرها، ومهما قصّرتم عنه من تفضيله فلن تعجزوا عن تحصيله؛ فأودعوه أسماعكم، وأشعروه قلوبكم؛ فإن الموعظة حياة، والمؤمنين إخوة، وعلى الله قصد السبيل، ولو شاء لهداكم أجمعين، فأتوا الهدى تهتدوا، واجتنبوا الغيّ ترشدوا، وتوبوا إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون.

إن الله أمركم بالجماعة ورضيها لكم، ونهاكم عن الفرقة وسخطها منكم؛ فاتقوا الله حق تقاته، ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون، إن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالدين، واختاره على العالمين، واختار له /13و/أصحابا على الحق وزراء دون الخلق، وأحبهم وانتخبهم فصدقوه ونصروه وعزّروه ووقروه؛ فلم يقدموا

---

(1) قارن مع ما أورده عبد الملك بن حبيب- كتاب التأريخ- ص 97/ابن الأثير- الكامل- ص 279/المسعودي أبو الحسن علي بن الحسين- مروج الذهب ومعادن الجوهر- دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- ط4- 1401هـ- 1981م- ج2 ص 302/أبو عمر بن عبد البر- الإستيعاب- ج2 ص 244-246.

(2) أورد نفس النص عبد الملك بن حبيب- كتاب التأريخ- ص 97.

إلا بأمره، ولم يحجموا إلا عن رأيه، وكانوا أعوانه بعهده وحلفاءه.

ولست أدعوكم إلى هدي يتبع ولا رأي يبتدع، وإنما أدعوكم إلى الطريقة المثلى التي فيها شرف الآخرة والأولى؛ فمن أجاب فإلى رشده، ومن عمي فعن قصده، عليكم أيها الناس بتقوى الله العظيم؛ فاتبعوا كتاب الله، واقبلوا النصيحة فإن الله يقبل التوبة عن عباده، ويعفو عن السيئات، واحذروا يوما لا ينفع فيه حميم ولا شفيع يطاع، واعملوا قبل أن لا تقتدروا على عمل يكفر خطيئة، ولا يقرب إلى درجة؛ فإن الله لو شاء لجعلكم سدى، ولكن جعل فيكم أئمة هدى؛ فاتبعوا ما أمركم الله، واجتنبوا ما نهاكم عنه، واتقوا المعاصي فليس فيها رغبة، واستعفوا عن ما حرّم الله تعالى، وإياكم المحقرات فإنها تقرب إلى الموجبات[1].

إني وليت عليكم ولست بخيركم؛ فإن أحسنت فأعينوني، وإن أسأت فقوّموني، فالصدق أمانة والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى أريح الحق عليه، والقوي فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه، ولا يدع قوم الجهاد في [سبيل] الله إلا ضربهم [الله بالذل، ولا][2] تشيع الفاحشة في قوم إلا عمّهم البلاء، أطيعوني ما أطعت الله ورسوله؛ فإذا عصيت فلا طاعة لي عليكم، والله ما كنت حريصا على الإمارة، ولا فيها راغبا، ولا سألتها الله في سرّ ولا علانية، ولكني أشفقت من الفتنة، وما لي في الولاية من الراحة، ولقد قلدت أمرا عظيما ما لي به من طاقة ولا يد يرد إلا بتقوية الله تعالى وعونه، قوموا إلى صلاتكم يرحمكم الله، وصلوا على نبيكم كما أمركم الله[3].

واستخلف أبو بكر رضي الله عنه وأبوه بالحياة، وعاش بعده إلى خلافة عمر رضي الله عنه، ومات سنة أربع عشرة، وهو ابن سبع وتسعين سنة، وورث من أبي بكر السدس؛ فردّه على ولد أبي بكر رضي الله عنهم /13ظ/أجمعين[4].

---

(1) لم نجد هذه الخطبة فيما بين أيدينا من المصادر.

(2) ساقطة في الأصل، والزيادة من سيرة ابن هشام- ص 671.

(3) قارن مع نص الخطبة الوارد عند ابن هشام- السيرة النبوية- ص 671/السيوطي- تاريخ الخلفاء- ص 82.

(4) انظر الطبري- تاريخ- ج4 ص 77/السيوطي- تاريخ الخلفاء- ص 100.

وصفته رضي الله عنه: أبيض نحيف خفيف العارضين، مُعْرَّق[1] الوجه، غائر العينين، ناتئ الجبهة، رقيق الساعدين، وكان يصبغ بالحناء والكتم[2].

حاجبه مولاه سويد، **وكاتبه** عثمان بن عفان، **وقاضيه** عمر بن الخطاب رضي الله عنهم أجمعين.

نقش خاتمه: نعم القادر الله[3].

بنوه: عبد الله[4] وعبد الرحمن وهو شقيق عائشة، أمهما أم رومان بنت الحارث بن غنم الكنانية[5]، وشهد معها الجمل، ومحمد أمه أسماء بنت عميس الخثعمية، كان مع علي رضي الله عنه يوم الجمل، وقتل بمصر، ويأتي ذكر أم كلثوم أمها حبيبة بنت خارجة بن زيد بن أبي زهير من بني الحارث بن الخزرج، ولدتها بعد وفاة أبي بكر، وتزوجها طلحة بن عبيد الله[6].

[أخلاقه] وكان أبو بكر رضي الله عنه أزهد الناس، وأكثرهم تواضعا في أخلاقه ولباسه ومطعمه؛ فكان يلبس في خلافته الشملة والعباءة، قالت عائشة رضي الله عنها: دعاني أبي في مرضه فقال: يا بنية إني كنت أتجر قريش وأكثر مالا؛ فلما شغلتني الإمارة رأيت أن أصيب من المال؛ فأصبت هذه العباءة القطوانية حلاقا وعبدًا؛ فإذا مت فاسرعي به إلى ابن الخطاب، يا بنية بثيابي هذه كفنيني فيها، قالت: فبكيت، وقلت: يا أبت نحن أيسر من ذلك؛ فقال غفر الله لك، وهل ذلك إلا

---

(1) معرق القليل اللحم المهزول. المعجم الوسيط- ص 596.

(2) الطبري- تاريخ- ج4 ص 75/الذهبي- تاريخ الإسلام- عهد الخلفاء الراشدين- ص 106.

(3) قارن مع الطبري- تاريخ- ج4 ص 77/ابن الأثير- الكامل- ص 305.

(4) عبد الله هو الأخ الشقيق لأسماء ذات النطاقين وأمهما قتيلة ابنة عبد العزى بن عامر بن أسعد بن جابر بن مالك، وكان تزوجها في الجاهلية. الطبري- تاريخ- ج4 ص 76/ابن الأثير- الكامل- ص 305.

(5) أم رومان: هي أم رومان بنت عامر بن عميرة بن ذهل بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة، وقال بعضهم هي أم رومان بنت عامر بن عويمر بن عبد شمس بن عتاب بن أذينة بن سبيع بن دهمان بن الحارث بن غنم بن مالك بن كنانة.الطبري- تاريخ- ج4 ص 76/ابن الأثير- الكامل- ص 305

(6) قارن مع ابن سعد- الطبقات الكبرى- ج2 ص 160/الطبري- تاريخ- ج4 ص /ابن الأثير- الكامل- ص 305.

للمهنة؟، قالت: فلما مات بعثت بذلك إلى ابن الخطاب فقال: يرحم الله أباك لقد أحبّ ألا يترك لقائل مقالا[1].

وكان حرّم الخمر في الجاهلية، وممن حرّم الخمر في الجاهلية سواه أيضا عثمان بن مظعون وعثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وقيس بن عاصم وعباس بن مرداس، وحرّمها قبل هؤلاء عبد المطلب بن هاشم وعبد الله بن جدعان وشيبة بن ربيعة وورقة بن نوفل والوليد بن المغيرة وعامر بن الظرب، ويقال هو أول من حرّمها على نفسه في الجاهلية، ويقال بأن عفيف بن معد كرب المعيدي[2].

[حركة الردّة] ولما كان بعد استخلافه بعشرة أيام ارتدّ من /14و/ العرب عن الإسلام؛ فكفروا بالزكاة، وقالوا: كنا ندفع أموالنا إلى محمد؛ فمال ابن أبي قحافة يسألنا أموالنا، والله لا نعطيه منها شيئا أبدا؛ فمنعوا أبا بكر الزكاة وكفروا بها؛ فاستشار أبو بكر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم؛ فأجمع رأيهم جميعا على أن يتمسكوا بدينهم، وأن يخلوا بين الناس وبين ما اختاروه لأنفسهم، وظنّوا أنه لا طاقة لهم عمّن ارتدّ منهم عن الإسلام لطول ما قاسى رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهاده إياهم، وما لقي من التكذيب والأذى والشدة والمشقة والمكروه مع كثرة عددهم وشدة شوكتهم حتى دخلوا في الإسلام كلهم قبل وفاته؛ فلما ارتدّوا بعده تخوف أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أمرهم؛ فقال أبو بكر: والله لو لم أجد أحدا يؤازرني لجاهدتهم بنفسي وحدي حتى أموت، أو يرجعوا إلى الإسلام، ولو منعوني عقالا مما كانوا يعطونه لرسول الله صلى الله عليه وسلم لجاهدتهم حتى ألحق به[3].

فخرج إلى قتال أهل الردة، وذلك في سنة إحدى عشرة، واستخلف على المدينة سنان الضمري[4] ؛ فلم يزل يحاربهم بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبالمقبل من المسلمين حتى عادوا جميعا إلى الإسلام، ودخلوا فيما كانوا

---

(1) قارن مع ما أورده ابن الأثير- الكامل- ص 306.

(2) انظر السيوطي- تاريخ الخلفاء- ص 38.

(3) قارن مع الطبري- تاريخ- ج3 ص 278/ابن الأثير- الكامل- ص 283/السيوطي- تاريخ الخلفاء- ص 87-88

(4) انظر تاريخ خليفة بن خياط- ص 50.

خرجوا منه.

وفي سنة إحدى عشرة أيضا وجّه خالد بن الوليد إلى طليحة بن خويلد في بني أسد وبني فزارة؛ فالتقوا [بزاخة][1] فهزمه، وقتل نفرا من أصحابه، وفرّ طليحة فنجا بنفسه، وحسن إسلامه بعد[2]، وفيها بعث خالد بن الوليد أيضا إلى مسيلمة باليمامة فقتل مسيلمة، وافتتح اليمامة صلحا، صالحه عليها مجّاعة بن مُرارة[3]، واستشهد باليمامة ألف ومائتا رجل من المسلمين منهم سبعمائة جمعوا القرآن، وقيل ألف وأربعمائة[4].

وفيها بعث أبو بكر رضي الله عنه المهاجر بن أبي أمية إلى اليمن فأسر الأشعث بن قيس /14ظ/؛ فكان الأشعث أبى أن يبايع أبا بكر؛ فحاربه المهاجر[5] حتى استأمنه؛ فأمنه على حكم أبي بكر، وبعث به إليه، وافتتح حصن النجير[6] صلحا[7]، وأقام الحجّ للناس فيها عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وفي سنة اثنتي عشرة أتى سبي البحرين من اليمن، وكان الأشعث[8] بن

---

(1) في الأصل براحة وما أثبتنا من الطبري وابن الأثير، وبزاخة بالضم والخاء المعجمة ماء لبني أسد بأرض نجد كانت فيه وقعة عظيمة في أيام أبي بكر الصديق مع طليحة بن خويلد الأسدي. تاريخ- ج3 ص283-284/الكامل- ص 283/معجم البلدان- ج1 ص 408.

(2) لمزيد من التفاصيل انظر الطبري- ج3 صص 283-288/تاريخ خليفة بن خياط- ص 51-52/ابن الأثير- الكامل- ص 283-284.

(3) لمزيد من التفاصيل انظر الطبري- ج3 ص 303 وما بعدها/تاريخ خليفة بن خياط- صص 55-60/ابن الأثير- الكامل- ص 288- 290.

(4) قال الطبري: قتل ستمائة أو يزيدون، وقال ابن الأثير: وقد قتل من المهاجرين والأنصار من أهل المدينة ثلاثمائة وستون، ومن المهاجرين من غير المدينة ثلاثمائة رجل، وقال خليفة بن خياط: وكان جميع القتلى أربعمائة وخمسين رجلا. تاريخ- ج3 ص 308/الكامل- ص 289/تاريخ خليفة بن خياط- ص 57.

(5) في الأصل المهاجرون، والصحيح ما أثبتنا.

(6) في الأصل الجير، وما أثبتنا هو الصحيح، والنجير حصن باليمن قرب حضرموت منيع لجأ إليه أهل الردّة مع الأشعث بن قيس في أيام أبي بكر رضي الله عنه. معجم البلدان- ج 5 ص 272.

(7) انظر الطبري- ج 4 ص 19/تاريخ خليفة بن خياط- ص 60-61/الكامل- ص 294.

(8) زاد المؤلف وكان.

قيس معهم فجعل يكلم أبا بكر، وهو في الحديد، وأبو بكر يقول له: فعلت وفعلت؛ فقال له الأشعث: استبقني لحربك وزوجني أختك؛ ففعل أبو بكر ذلك، وهي أم فروة[1].

[فتوح خالد في العراق] وفيها ورد على خالد بن الوليد، وهو باليمامة كتاب أبي بكر رضي الله عنه يأمره بالسير إلى العراق لقتال الفرس، وجّه به إليه مع أبي سعيد الخدري رضي الله عنه؛ فخرج من اليمامة بمن معه من المسلمين نحو العراق؛ ففتح في طريقه ذلك حصونا إلى أن وصل الحيرة؛ فخرج إليه راديه صاحب كسرى في جماعته؛ فقاتلهم قتالا شديدا، وهزمهم خالد؛ فلما رأى ذلك أصحاب الحيرة خرجوا إلى الوليد، وفيهم عبد المسيح بن عمرو بن بُقَيلة[2].

فاستقبل عبد المسيح خالدًا؛ فقال له خالد حين لقيه: من أين خرجت؟ قال: من بطن أمي، قال: ويحك في أي شيء أنت؟، قال: في ثيابي، قال: ويحك علي أي شيء أنت؟، قال: على ظهر وجه الأرض، قال: ويحك أتعقل؟، قال: نعم وأربط، قال: ويحك إني إنما أكلمك بكلام الناس، قال: وأنا أجيبك بجواب الناس، قال: ويحك أسلم أنت أم حرب؟ قال: بل سلم، قال: فما بال هذه الحصون التي أرى؟ قال: بنيناها لأجل الفتنة التي كانت بين أهل هذه الجهات، ثم إنا تذاكرنا الصلح؛ فاصطلحنا على مائة ألف يؤديها أهل الحرب إلى الفرس في كل سنة؛ فكان أول مال دخل من أرض الحجاز للمدينة، وقال خالد لأهل الحيرة: صالحناكم على أن لا تبغونا غائلة، وأن تكونوا لنا عونا على أهل فارس، فأقروا بذلك؛ ففعلوا، وكان ظهور المسلمين أحبّ إليهم من الفرس[3].

وحجّ بالناس أبو بكر رضي الله عنه، واعتمر في رجب، واستخلف على المدينة /15و/عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقيل عثمان بن عفان رضي الله عنه، ولما قفل من حجّه ذلك وجّه أبا عبيدة بن الجرّاح إلى الشام وعمرو بن العاص

---

(1) انظر ابن الأثير- الكامل- ص 294-295.

(2) قارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج4 ص 26 وما بعدها/ابن الأثير- الكامل- ص 296-296.

(3) قارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج4 ص 28/ابن الأثير- الكامل- ص 296-296.

ويزيد بن أبي سفيان وشرحبيل ابن حسنة، وأمرهم أن يسلكوا على البلقاء[1].

وكتب أبو بكر رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد، وهو بالعراق، أن يمدّ أهل الشام فأمدّهم؛ فمنهم من قال جعله أميرا عليهم، فسار خالد من الحيرة إلى الشام؛ فأغار على الأنبار في طريقه، ثم على غسّان بمَرج راهِط؛ فقتل منهم وسبى وصالح عامتهم وأسلموا، ثم سار فنزل على قناة بصرى، وقدم عليه يزيد بن أبي سفيان وأبو عبيدة بن الجرّاح وشرحبيل ابن حسنة؛ فصالحت بصرى فكانت أول مدائن الشام فتحت، ثم ساروا قِبَل فلسطين فالتقوا بالروم بأجنادين بين الرملة وبيت جبرين[2] والأمراء كل على حدة، وقيل كان عمرو بن العاص الوالي، وكان هؤلاء أمدادا له فهزم الله المشركين[3].

وكان الفتح بأجنادين في جمادى الأولى لليلتين بقيتا منه يوم السبت نصف النهار سنة ثلاث عشرة قبل وفاة أبي بكر رضي الله عنه بأربع وعشرين ليلة، وهي أول وقعة عظيمة كانت بالشام، قتل المسلمون من الروم في المعركة ثلاثة آلاف، وأتبعوهم يأسرونهم ويقتلونهم، وخرج فلّ الروم فلحقوا بإلياء وقيسارية ودمشق ومصر، وتحصنوا في المدائن العظام، وقتل يومئذ من المسلمين أبان بن سعيد وسلمة بن هشام المخزومي ونعيم بن [عبد الله النحّام][4] وهشام بن العاص أخو عمرو بن العاص وهبار بن [سفيان بن عبد الأسد][5] وعبد الله بن عمرو بن الطفيل ذي النور الأزدي، وكانوا من فرسان المسلمين، ومن أهل النجدة والشدّة رحمهم الله[6].

[كتاب خالد بالفتح] وكتب خالد بن الوليد إلى أبي بكر رضي الله عنه

---

(1) انظر تاريخ خليفة بن خياط- ص 62.

(2) بيت جبرين بليد بين بيت المقدس وغزّة، وبينه وبين القدس مرحلتان، وبينه وبين غزّة أقل من ذلك.معجم البلدان- ج1 ص 519.

(3) انظر تاريخ خليفة بن خياط- ص 62-63.

(4) نعيم بن صخر بن عدي في الأصل، وما أثبتنا من الإصابة- ج3 ص 537-538.

(5) في الأصل هبار بن الأسود، وكذا عند الطبري، وهذا كان حيا في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وما أثبتنا من الإستيعاب الذي يؤكد مؤلفه استشهاده في وقعة أجنادين. تاريخ الرسل–ج4 ص 72/الإستيعاب– ج3 ص 576.

(6) قارن مع تاريخ الرسل–ج4 ص 72/تاريخ خليفة بن خياط– ص 63/الكامل– ص 304.

يعلمه بالفتح:

بسم الله الرحمن الرحيم لعبد الله أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم من خالد بن الوليد سلام عليكم وبعد؛ فإني أحمد/15ظ/إليك الله الذي لا إله إلا هو، وأخبرك أيها الصديق أنّا التقينا نحن والمشركون، وقد جمعوا لنا جموعا جمّة كثيرة بأجنادين، وقد رفعوا صلبانهم، ونشروا كتبهم، وتقاسموا بالله لا يفرون حتى يفنونا أو يخرجونا من بلادهم، فخرجنا إليهم واثقين بالله، متوكلين على الله؛ فطاعناهم بالرماح، ثم صرنا إلى السيوف فقارعناهم بها، ثم إن الله أنزل نصره وهزم الكافرين؛ فقتلنا منهم في كل فجّ وشعب؛ فأحمد الله على إعزاز دينه، وإذلال عدوه، وحسن الصنع لأوليائه، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته[1].

وبعث به إليه مع عبد الرحمن بن حنبل الجمحي؛ فجاء بالكتاب حتى قدم به على أبي بكر رضي الله عنه؛ فلما قرأه أبو بكر فرح به وأعجبه، وقال: الحمد لله الذي نصر المسلمين، وقرّ عيني بذلك.

ثم التقوا مع الدرنجان[2]، وكان بعثه ملك الروم في خمسة آلاف رجل من أهل القوة والشدّة منهم ليغيث أهل دمشق، وانضاف إليهم أكثر منهم؛ فهزم الله الدرنجان، وقتل المسلمون منهم وأسروا، وكان ذلك يوم مرج الصفر يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة قبل وفاة أبي بكر رضي الله عنه بأربعة أيام[3].

[مكانة أبي بكر الصديق رضي الله عنه] واتفقت العلماء والصحابة رضي الله عنهم أن أبا بكر رضي الله عنه أولى بالخلافة وأحق بالتقدمة لأنه أول من أسلم، وفيه اختلاف، قَبِلَ الدين من غير امتناع منه على النبي صلى الله عليه وسلم حين دعاه إليه، ثم أحسن معاونته ومؤازرته، وبذل نفسه وأنفق ماله، وناصب قومه وأسرته، وترك عزّه ورياسته.

---

(1) أورد الأزدي هذا النص في كتابه، وأثبته محمد حميد الله- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة- دار النفائس- بيروت- ط5- 1405هـ-1985م- ص 394 - 395.

(2) عند الطبري أدرنجا، وهو صاحب بصرى- تاريخ الطبري-ج4 ص 72.

(3) قارن مع الطبري- تاريخ- ج4 ص 72/تاريخ خليفة بن خياط- ص 63.

وكان قبل إسلامه ذا جاه عريض ومال كثير، وكان يقري الأضياف، ويحمل الكَلَّ، ويكسب المعدم، ويعين على نوائب الحق، مغشي الجناب مقبولاً؛ فآثر الإسلام على هذه المآثر، وتخلى عن تلك الفضائل والمفاخر، ولزم النبي عليه السلام، ولم يفارقه في حضره ولا سفره، ولا في حال عسر ولا يسر[1].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا/16و/جلس جلس أبو بكر رضي الله عنه عن يمينه، وإذا وقف تنحى أصحابه، ولم يقف معه أحد إلا أبو بكر، وإذا دعا فأبو بكر يؤمن على دعائه، وإذا نزل أمر جليل فأراد أن يستشير أصحابه دعا أبا بكر فكان أول من يستشير، وإذا صلى كان أبو بكر خلفه محاذيا له لا يقف ذلك الموقف غيره، وإذا حضرت الحرب قدم الناس، وأجلس أبا بكر معه، وكان يوم بدر معه في العريش، وهذه رتبة لم يحزها غيره من أصحابه[2].

وقال النبي عليه السلام: إنَّ مَنْ أَمَنِّ الناس عليَّ في صحبته وماله أبا بكر[3]، ولو كنت متخذا خليلا [غير ربي][4] لاتخذت أبا بكر، ولكن أخوة الإسلام ومودته، لا يَبْقَيَنَّ في المسجد باب إلا سُدَّ إلاَّ باب أبي بكر[5].

وقال لعبد الرحمن بن أبي بكر حين ثقل: إيتني بكتف حتى أكتب لأبي بكر كتابا لا يختلف [عليه] بعدي؛ فلما قام عبد الرحمن، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يأبى[6] الله والمؤمنون إن يختلف على أبي بكر الصديق[7].

وأتت امرأة إلى النبي صلى الله عليه وسلم؛ فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئت ولم أجدك؟ كأنها تقول: الموت؛ فقال: إن لم تجديني فأتي أبا

---

(1) قارن مع السيوطي- تاريخ الخلفاء- ص 38 وما بعدها.

(2) انظر السيوطي- تاريخ الخلفاء- ص 43 وما بعدها.

(3) أبو بكر في الأصل.

(4) ساقطة في الأصل، وما أثبتنا من صحيح البخاري.

(5) البخاري- صحيح البخاري- كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ- الحديث 3654- ص 641.

(6) عند السيوطي معاذ.

(7) انظر مسلم بن الحجاج القشيري- صحيح مسلم- كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم- باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه- الحديث رقم 2387- ص 1197 /السيوطي- تاريخ الخلفاء- ص 74.

بكر[1].

وصحب النبي صلى الله عليه وسلم في الغار، قال الله تعالى: «ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ [إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا]»[2]، وهذا أمر لم يشركه فيه أحد من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم[3]، ولم يكن مثل هذا الصاحب لنبي متقدم، ألا ترى أن موسى عليه السلام لما سار ببني إسرائيل وتبعه فرعون؛ فلما خشوا أن يرهقهم، قالوا: إنا لمدركون، قال: كلا إن معي ربي سيهدين، ولم يقل: إن معنا ربنا أو معي ومع يوشع بن نون أو فلان لبعض خواصه؛ فقوله: إن الله معنا يخبر عن جلالة أبي بكر، وقرب موضعه من نبيه عليه السلام، واتصال حاله بحاله، ولذلك كان يدعى صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم دون سائر أصحابه.

[مرض أبي بكر ووفاته] وابتدأ المرض بأبي بكر يوم الإثنين لسبع خلون من جمادى الأولى، وكان سببه أنه اغتسل في يوم بارد فحمّ /16ظ/خمس عشرة ليلة لا يخرج إلى الصلاة، وكان يأمر عمر يصلي بالناس، وكان الناس يعودونه، وهو يومئذ في داره التي قطع له رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فلما اشتدّ مرضه دعا أصحاب النبي عليه السلام؛ فقال لهم: انظروا كم أنفقت من مال الله تعالى مذ وليت؟ فوجدوه قد أنفق ثمانية آلاف درهم؛ فقال: اقضوها عني فقضوها عنه[4].

كانت خلافته سنتين وأربعة أشهر إلا عشر ليال، وتوفي رضي الله عنه ليلة الثلاثاء لثمان بقين من جمادى الأولى، وقيل من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة، وهو ابن ثلاث وستين سنة، وأوصى أن تغسله امرأته أسماء بنت عُمَيْس؛ فإن ضعفت استعانت بولده عبد الرحمن؛ فغسلته أسماء ولم تستعن به، وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ودفن ليلا في بيت النبي عليه السلام، وجعل رأسه عند كتف النبي صلى الله عليه وسلم، ونزل في حفرته عمر بن الخطاب وطلحة بن

---

(1) البخاري- صحيح البخاري- كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ- الحديث رقم 3659- ص 642/مسلم بن الحجاج القشيري- صحيح مسلم- كتاب فضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم- باب من فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه- الحديث رقم 2386- ص 1196.

(2) سورة التوبة- الآية 40.

(3) قارن مع السيوطي- تاريخ الخلفاء- ص 57.

(4) قارن مع الطبري- تاريخ- ج4 ص 72-73.

عبد الله وعثمان بن عفان وعبد الرحمن ابنه رضي الله عنهم، واستخلف عمر بعد مشورة جماعة من المهاجرين والأنصار منهم عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأُسَيْد بن حُضَيْر في آخرين[1].

[شهادة علي بن أبي طالب في أبي بكر الصديق] ولما توفي رضي الله عنه جاء علي رضي الله عنه مسرعا باكيًا، وقال: رحمك الله يا أبا بكر كنت والله أول الناس إسلاما، وأخلصهم إيمانا، وأشدّهم يقينا، وأخوفهم لله، وأحوطهم على رسول الله، وأحسنهم صحبة، وأفضلهم مناقب، وأكثرهم سوابق، وأقربهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأشبههم به هديا وخلقا وسمتا وفضلا، وأكرمهم عليه، وأوثقهم عنده؛ فجزاك الله عن الإسلام خيرا، صدّقت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين كذّبه الناس فسماك الله تعالى صديقا؛ فقال عزّ من قائل: «وَالَّذِي /17و/جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ»[2]، وآنسته حين تخلفوا، وقمت معه حين قعدوا، وصحبته في الشدّة أكرم الصحبة، ثاني اثنين وصاحبه في الغار، ورفيقه في الهجرة ومواطن الكرة، وخليفته في أمته بأحسن الخلافة؛ فقويت حين ضعف أصحابك، وبرزت حين استكانوا، ونهضت حين وهنوا، وقمت بالأمر حين فشلوا، ومضيت بعزة الله حين وقفوا، كنت أطولهم صمتا وأبلغهم قولا، وأشجعهم قلبا وأشدّهم يقينا وأحسنهم عملا؛ فحملت ثقل ما عنه ضعفوا، وحفظت ما أضاعوا، ورعيت ما أهملوا، وعلوت إذ سفلوا، وسرت إذ جزعوا، كنت كالجبل لا تحركه العواصف ولا تزلزله القواصف، كنت كما قال النبي الصلاة والسلام ضعيفا في قولك قويا في أمر دينك، متواضعا في نفسك، عظيما عند الله، محبوبا إلى أهل السموات وأهل الأرض؛ فجزاك الله عنا وعن نفسك وعن الإسلام خيرا[3].

[رثاء حسان بن ثابت] ثم قال حسان بن ثابت يرثيه:

إذا تذكرت شجوا من أخي ثقة ... فاذكر أخاك أبا بكر بما فعلا

خير البرية أتقاها وأعدلها ... بعد النبي وأوفاها بما حملا

(1) انظر الطبري- تاريخ- ج 4 ص 73-74/ابن الأثير- الكامل- ص 305.

(2) سورة الزمر- الآية 33.

(3) لم نجد هذا النص في المصادر المستعملة في التحقيق.

الثاني اثنين والمحبوب مشهده[1] وأول الناس منهم صدّق الرسلا
وكان حِبّ رسول الله قد علموا خير البرية لم يعدله رجلا[2]

[عماله على الأمصار] وتوفي رحمة الله عليه ورضوانه، وعامله على مكة عتاب بن أسيد بن أبي الغيظ بن أمية بن عبد شمس، وكان تركه النبي عليه السلام عليها، وعثمان بن أبي العاص الثقفي على الطائف، وكان تركه النبي صلى الله عليه وسلم عليها، والعلاء بن الحضرمي على البحرين، وكان تركه النبي عليه السلام عليها، وقيل توفي النبي عليه السلام وعلى البحرين عامل أبان/17ظ/بن سعيد بن العاص وزياد بن لبيد على حضرموت، وكان تركه النبي عليه السلام عليها، و[المهاجر][3] بن أمية على صنعاء، واختلف هل تركه النبي صلى الله عليه وسلم عليها أم لا[4]، ويقال له يعلى ابن مُنْية[5]، وهي أمه، ينسب حينا إلى أبيه وحينا إلى أمه، وهي عمّة عتبة بن غزوان[6]، وكان آخر ما تكلم به «تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ»[7].

---

(1) عند السيوطي: جاء الشطر الأول من البيت كما يلي: والثاني التالي المحمود مشهده، تاريخ الخلفاء- ص 40.

(2) قارن مع السيوطي- تاريخ الخلفاء- ص 40.

(3) قال الطبري: كان يعلى بن أمية على خولان. تاريخ- ج4 ص 77.

(4) قارن مع الطبري- تاريخ- ج4 ص 77/تاريخ خليفة بن خياط- ص 65/ابن الأثير- الكامل- ص 305.

(5) يعلى بن أمية بن أبي عبيدة بن همام بن الحرث التميمي الحنظلي، ويقال له يعلى بن أمنية وهي أمه، وقيل هي أم أبيه، استعمله أبو بكر على خولان في الردّة. ابن حجر العسقلاني- الإصابة- ج3 ص 630/ابن عبد البر- الإستيعاب- ج3 ص 624/معجم البلدان- ج2 ص 407.

(6) ابن عبد البر- الإستيعاب- ج3 ص 624.

(7) سورة يوسف- الآية 101.

ذكر أمير المؤمنين عمر بن الخطاب

رضي الله عنه

[نسبه]: هو عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العُزَّى بن رياح بن عبد الله بن قرط بن رِزاح بن عدي بن كعب بن لؤي القرشي العدوي، يلقى النبي صلى الله عليه وسلم في الأب الثامن عند كعب بن لؤي، يكنى أبا حفص، ولقبه الفاروق، أمه حنتمة بنت هشام بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، أخت أبي جهل بن هشام لعنه الله[1]، هكذا نسبها أبو القاسم عبد الله بن محمد البغوي في معجمه، ورواه عن محمد بن زهير المروزي عن صدقة بن سابق عن محمد بن إسحاق عن عبد الرحمن بن الحارث عن بعض آل عمر أو بعض أهله[2].

قال: كان عمر ابن حنتمة بنت هشام بن المغيرة أخت أبي جهل بن هشام، وكان أبو جهل خاله، وذكر أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر في كتاب الاستيعاب له أن أم عمر حنتمة بنت هشام بن المغيرة، وقد قالت طائفة في أم عمر أنها بنت هاشم بن المغيرة وذلك خطأ لأنه لو كانت كذلك لكانت أخت أبي جهل بن هشام، وإنما هي ابنة عمه لأن أبا جهل بن هشام بن المغيرة، وأم عمر بنت هاشم بن المغيرة فهاشم جدّ عمر رضي الله عنه لأمه[3].

ولد عمر رضي الله عنه بعد الفيل بثلاث عشرة سنة، وكان إسلامه قبل الهجرة بأربع سنين، وكان أشرف قريش، وإليه كانت السفارة في الجاهلية، وذلك أن قريشا /18و/كانت إذا وقعت بينهم حرب أو بين غيرهم بعثوه سفيرا وإن نافرهم منافر وفاخرهم مفاخر بعثوه منافرا ومفاخرا ورضوا به، والمنافر معناه أينا أعزّ نفرا.

---

(1) الذهبي- تاريخ الإسلام- عهد الخلفاء الراشدين- ص 253، ويقول ابن الأثير: وهي ابنة عم أبي جهل، وقد زعم من لا معرفة له أنها أخت أبي جهل، وليس بشيء.الكامل في التاريخ- ص 362/الإستيعاب- ج2 ص 450.

(2) انظر ابن حجر- الإصابة- ج2 ص 511/الإستيعاب- ج2 ص 450.

(3) انظر ابن عبد البر- الإستيعاب- ج2 ص 450-451.

[إسلام عمر بن الخطاب] أسلم بعد أربعين رجلا وإحدى عشرة امرأة[1]، قال ابن إسحاق: وكان سبب إسلام عمر رضي الله عنه فيما بلغني أن أخته فاطمة بنت الخطاب كانت قد أسلمت، وأسلم زوجها سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وهما مستخفيان بإسلامهما من عمر، وكان نُعَيْم بن عبد الله النحّام رجلا بمكة من بني عدي بن كعب قد أسلم، وكان أيضا مستخفيا بإسلامه فَرَقًا من قومه، وكان خبّاب بن الأرت يختلف إلى فاطمة بنت الخطاب يُقرِئها القرآن؛ فخرج عمر يوما متوشِّحًا السيف يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم ورهطا من أصحابه قد ذكروا له أنهم قد اجتمعوا في بيت عند الصفا، وهم قريب من أربعين ما بين رجال ونساء، ومع رسول الله صلى الله عليه وسلم عمّه حمزة بن عبد المطلب وأبو بكر الصديق وعلي بن أبي طالب في رجال من المسلمين ممن كان أقام مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة، ولم يخرج إلى أرض الحبشة فيمن خرج، فلقيه نعيم بن عبد الله؛ فقال له: أين تريد يا عمر؟ فقال: أريد محمدا هذا الصابئ الذي فرّق أمر قريش وسفّه أحلامها، وعاب دينها، وسبّ آلهتها فأقتله؛ فقال له نعيم: والله لقد غرّتك نفسك من نفسك يابن الخطاب، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمدا، أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم، قال: وأي أهل بيتي؟ قال: [خَتَنُكَ][2] وابن عمك سعيد بن [زيد بن][3] عمرو وأختك فاطمة بنت الخطاب؛ فقد والله أسلما وبايعا محمدا على دينه؛ فعليك بهما، قال: فرجع عمر عامدا إلى أخته خَتَنِه، وعندهما خبّاب بن الأرث معه صحيفة فيها طه يقرئهما إياها؛ فلما سمعوا حسّ عمر تغيب /18ظ/خبّاب في مخدع لهم أو في بعض البيت، وأخذت فاطمة بنت الخطاب الصحيفة فجعلتها تحت فخذها، وقد سمع عمر حين دنا إلى البيت قراءة خباب إليهما؛ فلما دخل قال: ما هذه الهينمة[4] التي سمعت؟ قالا له: ما سمعت شيئا، قال: بلى والله، لقد أخبرت أنكما بايعتما محمدا على دينه،

---

(1) انظر ابن عبد البر- الإستيعاب- ج2 ص 451/السيوطي- تاريخ الخلفاء- ص 127.

(2) في الأصل أختك، وما أثبتنا من السيرة النبوية، والختن كل من كان من قبل المرأة كأبيها وأخيها، وكذلك زوج البنت أو زوج الأخت. المعجم الوسيط- ص 218.

(3) إضافة من السيرة النبوية.

(4) الهينمة: هينم فلان تكلم وأخفى كلامه. المعجم الوسيط- ص 997.

ويطش بختنه سعيد بن زيد؛ فقامت إليه أخته فاطمة بنت الخطاب لتكفه عن زوجها؛ فضربها فشجّها؛ فلما فعل ذلك قالت له أخته وختنه: نعم، قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله؛ فاصنع ما بدا لك.

ولما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم على ما صنع وارعوى، وقال لأخته: أعطيني هذه الصحيفة التي سمعتكم تقرأون آنفا، انظر ما هذا الذي جاء به محمد، وكان عمر كاتبا؛ فلما قال ذلك قالت له أخته: إنا نخشاك عليها، قال: لا تخافي، وحلف لها بآلهته ليردّنها إذا قرأها إليها؛ فلما قال ذلك طمعت في إسلامه؛ فقالت له: يا أخي أنت نجس على شركك، وأنه لا يمسها إلا المطهر؛ فقام عمر فاغتسل؛ فأعطته الصحيفة وفيها طه فقرأها؛ فلما قرأ منها صدرا قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه.

فلما سمع ذلك خبّاب خرج إليه؛ فقال له: يا عمر والله إني لأرجو أن يكون الله تعالى قد خصك بدعوة نبيه صلى الله عليه وسلم؛ فإني سمعته أمس وهو يقول: اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم ابن هشام أو بعمر بن الخطاب؛ فالله الله يا عمر؛ فقال له عند ذلك فَدُلّني يا خبّاب على محمد حتى آتيه فأسلم؛ فقال له خباب: هو في بيت عند الصفا مع نفر من أصحابه.

فأخذ عمر سيفه فتوشحه، ثم عمد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه؛ فضرب عليهم الباب؛ فلما سمعوا صوته قام رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظر من خلال الباب فرآه متوشحا سيفه؛ فرجع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو فزع؛ فقال: يا رسول الله، هذا عمر بن/19و/الخطاب متوشحا السيف؛ فقال له حمزة بن عبد المطلب: إئذن له فإن جاء يريد خيرا بذلناه له، وإن جاء يريد شرا قتلناه بسيفه؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إيذن له؛ فأذن له، ونهض إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى لقيه بالحجرة؛ فأخذ بحُجْزَته أو بجميع[1] ردائه، ثم جذبه به جذبة[2] شديدة فقال: ما جاء بك يا ابن الخطاب؟ فوالله ما أرى أن تنتهي حتى ينزل الله بك قارعة، قال عمر: جئتك يا

(1) بمجمع في السيرة النبوية- ص 160.

(2) في السيرة النبوية- جبذه جبذة، وجبذ الشيء جذبه.المعجم الوسيط- ص 104.

رسول الله لأومن بالله وبرسوله وبما جاء من عند الله، قال: فكبّر رسول الله صلى الله عليه وسلم تكبيرة عرف أهل البيت من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمر قد أسلم؛ فتفرق أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكانهم، وقد عزّوا في أنفسهم حين أسلم عمر مع إسلام حمزة، وعرفوا أنهما سيمنعان رسول الله صلى الله عليه وسلم، وينتصفون بهما أمر عدوهم[1] ؛ فكان إسلامه عزًّا أظهر به الإسلام بدعوة النبي عليه السلام.

وهاجر فهو من المهاجرين الأولين، وشهد بدرا وبيعة الرضوان، وكل مشهد شهده الرسول صلى الله عليه وسلم، وتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنه راض.

[مبايعته بالخلافة] بويع يوم مات أبو بكر رضي الله عنهما باستخلافه إياه، وذلك أن ابا بكر رضي الله عنه لما مرض دعا عبد الرحمن بن عوف؛ فقال له: أخبرني عن عمر؛ فقال: يا خليفة رسول الله هو والله أفضل من رأيك فيه، ولكن فيه غلظة؛ فقال أبو بكر: ذلك أنه يراني رقيقا، ولو أفضى الأمر إليه لترك كثيرا مما هو عليه، يا أبا محمد قد رمّقته؛ فرأيته إذا غضبت على الرجل أراني الرضا عنه، وإذا لنت له أراني الشدّة، لا تذكر له يا أبا محمد مما قلت لك شيئا، قال: نعم، ثم دعا بعثمان بن عفان رضي الله عنه؛ فقال يا أبا عبد الله أخبرني عن عمر؛ فقال: أنت أخبر به مني؛ فقال أبو بكر: على ذلك لتخبرني؛ فقال: اللهم علمي به /19ظ/ أن سريرته خير من علانيته، وليس فينا مثله؛ فقال له أبو بكر: لو تركته ما عدتك[2]، ولا أدري لعلي تاركه، والخيرة له ألا يلي أمركم، ولوددت أني كنت خلواً من أمركم، وأني كنت ممن مضى من سلفكم، يا أبا عبد الله لا تذكر له شيئا مما ذكرت لك[3].

فلما اشتدّ مرضه دعا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال: يا

---

(1) السيرة النبوية نقلا عن ابن إسحاق- ص 159-160/السيوطي- تاريخ الخلفاء- صص 128-133.

(2) عند الطبري- ما عدوتك. تاريخ- ج4 ص 78.

(3) أورد الطبري نفس الرواية- تاريخ- ج4 ص 78/ ابن حبيب- كتاب التأريخ- ص 99-100 /ابن الأثير- الكامل- ص 307.

معشر المسلمين، قد حضرني من قضاء الله تعالى ما ترون، وإذ [لا][1] بدّ لكم من رجل يلي أمركم، ويصلي بكم، ويقاتل عدوكم؛ فإن شئتم اجتمعتم وأتمرتم، وإن شئتم اخترت لكم؛ فبالله الذي لا إله إلا هو لا آلوكم ونفسي خيرا؛ فبكوا وقالوا: أنت خيرنا وأعلمنا؛ فاختر لنا؛ فقال: إني اخترت لكم عمر بن الخطاب، ثم قال لعثمان أكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما عهد به أبو بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدنيا، وأول عهده بالآخرة في الحال التي يؤمن فيها الكافر، ويتقي فيها الفاجر، إني استعملت عليكم عمر بن الخطاب؛ فإن برّ وعدل فذلك علمي به ورأيي فيه، وإن جار وبدّل فلا علم لي بالغيب، والخير أردت، ولكل امرئ ما اكتسب، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[2] [3].

ثم بلغه أن قوما من الصحابة انتقدوا تقديمه إياه؛ فشقّ عليه ذلك؛ فدخل عليه عبد الرحمن بن عوف فوجده مغموما؛ فقال له: أصبحت بارئا يا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم، أما إني على ذلك لشديد الوجع، وما لقيت منكم يا معشر المهاجرين أشدّ علي من وجعي، إني وليت أموركم خيركم عندي؛ فكلكم ورم أنفه من ذلك، يريد أن يكون له الأمر من دونه، ورأيتم الدنيا قد أقبلت، ولما تقبل وهي مقبلة، والله لتتخذن نضائد الديباج وستور الحرير، ولتألمن النوم على الصوف الأذري كما يألم أحدكم النوم على حسك السعدان، والذي نفسي بيده ليُقدم أحدكم فيضرب عنقه في غير حدّ خير له من أن يخوض /20و/غمرات الدنيا، يا هادي الطريق جرت إنما هو الفخر و[البجر][4] ؛ فقال له عبد الرحمن: خفّض عليك يا خليفة رسول الله فإن هذا يهيضك إلى ما بك، إنما الناس في أمرك بين رجلين، إما رجل رأى ما رأيت فهو معك، وإما رجل خالفك فهو يشير به عليك، وصاحبك كما

---

(1) أضفناها حتى يستقيم المعنى.

(2) سورة الشعراء– الآية 227.

(3) أورد ابن حبيب نفس الرواية– كتاب التأريخ– ص 100–101/ وقارن مع الطبري– تاريخ– ج 4 ص 78/ابن الأثير– الكامل– ص 307/الذهبي– تاريخ الإسلام– عهد الخلفاء الراشدين– ص 254–255.

(4) في الأصل البحر، وما أثبتنا من الطبري.تاريخ– ج4 ص 79، وأبجر استغنى بعد فقر مدقع حتى كاد يطغى.المعجم الوسيط– ص 39.

تحب، ولم ترد إلا خيرا، والله ما زلت صالحا مصلحا، لا تأسى على ما فاتك من أمر الدنيا، ولقد تخليت بالأمر وحدك فما رأيت إلا خيرا[1].

[صفته] وكان عمر رضي الله عنه أبيض أمهق[2]، تعلوه حمرة، طوالا أصلع، أعسر يسرا، وهو الذي يعمل بيديه جميعا، وهو [الأعسر][3]، وقيل إنه كان آدم شديد الأدمة، كث اللحية، وكان يصفرها بالحناء، أعين، جهير الصوت[4].

[وزراءه] كاتبه زيد بن ثابت، وحاجبه يرفأ مولاه، وقاضيه أبو أمية شريح بن الحارث الكندي، وكان شريح أدرك الجاهلية، ويعد في كبار التابعين، وكان أعلم الناس بالقضاء، وقضى لعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين، وكان ذا فطنة ودهاء ومعرفة وعقل ورزانة، وكان شاعرا محسنا، وله أشعار محفوظة في معان حسان، ولي القضاء ستين سنة من زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى زمن عبد الملك بن مروان، وكان كوسجا أسناطا لا شعر في وجهه، توفي سنة سبع وثمانين، وهو ابن مائة[5].

وعلى بيت ماله عبد الله بن الأرقم، وقيل يسار مولاه، وقيل كان يسار حاجبه أيضا، وكان على بيت المال عبد الرحمن بن عبد الباري[6].

نقش خاتمه: كفى بالموت واعظا.

بنوه: عبد الله وعبد الرحمن وحفصة أمهما زينب بنت مظعون أخت قدامة وعثمان بن مظعون بن حبيب بن [وهب][7] بن حُذَافة بن جُمَح بن عمرو بن

---

(1) أورد الطبري نفس الرواية مع اختلاف طفيف. تاريخ- ج4 ص 79.

(2) أمهق: مهق مهقا كان لونه أبيض ناصع البياض بغير حمرة. المعجم الوسيط- ص 890.

(3) في الأصل الأضبك، ولا معنى لها، والصحيح ما أثبتنا، والأعسر: يقال هو أعسر أيسر أي يعمل بكلتا يديه. المعجم الوسيط- ص 600.

(4) قارن مع ابن سعد- الطبقات الكبرى- ج2 ص 276-279/الطبري- ج5 ص 56/ابن عبد البر- الإستيعاب- ج2 ص 452-453/السيوطي- تاريخ الخلفاء- ص 152-153.

(5) شريح بن الحارث الكندي: لمزيد من التفاصيل عنه انظر ابن حجر- الإصابة – ج2 ص 144 /والنص منقول حرفيا عن ابن عبد البر- الإستيعاب- ج2 ص 146-147.

(6) قارن مع تاريخ خليفة بن خياط- ص 89.

(7) فهر في الأصل، وما أثبتنا من ابن الكلبي- جمهرة النسب- ص 97، والطبري- تاريخ- ج5 ص57.

هصيص القرشي الجمحي، وعبيد الله وأمه مليكة بنت جَرْوَل الخزاعية، قتل بصفين مع معاوية، وسنذكر مقتله /20ظ/هنالك إن شاء الله، وفاطمة وزيد أمهما أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنها، أم كلثوم هذه تزوجها عمر رضي الله؛ فقتل عنها؛ فتزوجها محمد بن جعفر فمات عنها؛ فتزوجها عون بن جعفر فمات عنها؛ فتزوجها عبد الله بن جعفر فماتت عنده، وعاصم وأمه جميلة بنت عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح حمي الدبن، ويقال أمه جميلة بنت ثابت أخت عاصم وهو الأكثر، وكان اسمها عاصية فغير رسول الله صلى الله عليه وسلم اسمها وسمّاها جميلة[1]، ولد عاصم هذا قبل وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بسنتين، وخاصمت فيه أمه عمر بن الخطاب إلى أبي بكر رضي الله عنهما، وهو ابن أربع سنين، وقيل ابن ثماني سنين، وكان طويلا جسيما، يقال إنه كان في ذراعه ذراع ونحو شبر، وكان خيِّرًا فاضلا شاعرا، يكنى أبا عمر، مات سنة سبعين قبل موت أخيه عبد الله بنحو أربع سنين، ورثاه عبد الله بن عمر أخوه فقال:

وليت المنايا كنّ خلفن عاصما ... فعشنا جميعا أو ذهبن بنا معا

وآذى رجل عبد الله بن عمر بالقول؛ فقيل له: ألا تنتصر منه؟ قال: إني وأخي لا نساب الناس[2]، ومجبر واسمه أبو شحمة، واسمه أيضا عبد الرحمن الأصغر، وهو المحدود في الخمر، وفاطمة الصغرى وبنات أخرى[3].

[تسميته بإمرة المؤمنين] وهو رضي الله عنه أول من سمي بأمير المؤمنين، سمّاه عدي بن حاتم، وقيل غيره والله أعلم، وكان أول من سلم بها عليه المغيرة بن شعبة، وأول من كتب بها إليه أبو موسى الأشعري لعبد الله عمر أمير المؤمنين من أبي موسى الأشعري؛ فلما قرأ ذلك عمر قال: إني لعبد الله، وإني لأمير المؤمنين[4].

[أخلاقه وزهده] وكان متواضعا خشن الملبس، يشتمل بالعباءة، ويحمل

---

(1) قارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج ص 57-58/ابن الأثير- الكامل- ص 363.

(2) النص منقول حرفيا عن ابن عبد البر- الإستيعاب- ج ص 135-136.

(3) قارن مع ما أورده ابن سعد- الطبقات الكبرى- ج2 ص 231-232/الطبري- تاريخ- ج ص 57-58/ابن الأثير- الكامل- ص 363/الذهبي- تاريخ الإسلام- عهد الخلفاء الراشدين- ص 274-275.

(4) انظر ابن عبد البر- الاستيعاب- ج 2 ص 457-458/السيوطي- تاريخ الخلفاء- 161.

القربة على كتفه مع هيبة/21و/رزقه الله إياها، وكان شديدا في ذات الله تعالى، وكان أكثر ما يركب الجمل، ورحله مشدودة بالليف مع ما فتح الله عليه من البلاد، ووسّع عليه وعلى المسلمين من الأموال في الجهاد، وسلك عماله مسلكه في تواضعه وأفعاله.

[لمع من خطبه] خطب رضي الله عنه فقال في خطبته: يا أيها الناس ألا إنا كنا نعرفكم إذ بين أظهرنا النبي صلى الله عليه وسلم، وإذ ينزل الوحي، وإذ ينبئنا الله من أخباركم، وإنّ النبي صلى الله عليه وسلم قد مات، وانقطع الوحي، وإنما نعرفكم بما نقول لكم، من أظهر إلينا منكم خيرًا ظننا به خيرًا وأحببناه، ومن أظهر منكم شرًا ظننا به شرًا وأبغضناه عليه، سرائركم بينكم وبين الله تعالى، ألا إنه قد أتى عليّ زمان فأنا أحسب أنه من قرأ القرآن يريد به الله وما عنده، وقد خيّل إليّ أن أناسا قد قرأوا يريدون به ما عند الناس فإن يروا الله بقراءتكم وإن يروا الله بأعمالكم، ألا وإني والله ما أبعث عليكم عمالي ليضربوا أبشاركم، ولا ليأخذوا أموالكم، ولكني أبعثهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم؛ فمن فُعِل به شيء سوى ذلك فليرفعه إليّ؛ فوالذي نفسي بيده لأقصنه منه، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقص من نفسه، ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم، ولا تجيّروهم فتقصوهم، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم[1].

وقال: إنا معشر الصحابة لا يصلحنا إلا أربع: شدّة في غير عنف، ولين في غير ضعف، وأخذ المال في حله ووضعه في حقه، أيها الناس طيبوا مثواكم، وأصلحوا أموركم، واتقوا الله ربكم، ولقليل في رفق خير من كثير في عنف، والفتنة حتف تصيب البر والفاجر، والشهيد من احتسب نفسه؛ فقد اقترب منكم زمان قليل الأمناء، كثير الأمراء، معدوم الفقهاء[2].

/21ظ/[مقاسمته أموال عماله] وقاسم العمال أموالهم؛ فكتب إلى عمرو بن العاص مع محمد بن مسلمة: أما بعد فإنكم معشر العمال قعدتم على عيون الأموال فجبيتم الحرام وأكلتم الحرام وأورثتم الحرام، وقد بعثت إليك محمد بن مسلمة

---

(1) قارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج5 ص 60-61/ابن الأثير- الكامل- ص 363.

(2) قارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج5 ص 68-69.

ليقاسمك مالك فأحضره بمالك والسلام؛ فأحضره ماله فقاسمه إياه ثم رجع[1].

وقدم أبو هريرة من البحر فقال له عمر: يا عدو الله وعدو الإسلام خنت مال الله؛ فقال أبو هريرة: لست بعدو الله ولا بعدو الإسلام، ولكني عدو من عاداهما، ولم آخذ مال الله، ولكنها أثمان خيل لي تناتجت وسهام اجتمعت؛ فكرر عليه عمر قوله ذلك؛ فردّ عليه أبو هريرة كذلك ثلاث مرات؛ فقاسمه عمر، وقيل غرّمه اثني عشر ألفا؛ فقام أبو هريرة في صلاة الغداة؛ فقال: اللهم اغفر لأمير المؤمنين، ثم أراده على العمل فامتنع؛ فقال له: أوليس يوسف خير منك وقد كلف العمل؟ فقال: إن يوسف نبي ابن نبي وأنا ابن أميمة؛ فأنا أخاف ثلاثا واثنين، قال: ألا تقول خمسا، قال [لا، قال: مَهْ][2]، قال: إني أخاف أن أقول بغير حلم، وأقضي بغير علم، وأن يضرب ظهري، ويشتم عرضي، ويؤخذ مالي[3].

وقاسم النعمان بن بشير، وكان على حمص، وسبب مقاسمته النعمان أن خالد بن الصعق قال شعرًا كتب به إلى عمر رضي الله عنه، وهو:

أبلغ أمير المؤمنين رسالة ... فأنت ولي الله في المال والأمر

فلا تدعن أهل الرساتيق والجراء[4] ... يسيغون مال الله في الأدم والوفر

فأرسل إلى النعمان فاعلم حسابه ... وارسل إلى جزء وارسل إلى بشر

ولا تنسين النافعين كليهما ... وصهر بني غزوان عندك ذا وفر

وما عاصم منها بصفر عيابه ... ولا ابن غلاب من سراة بني بكر[5]

من الخيل كالغزلان والبيض كالدمى ... وما ليس ينسى من قيان[6] ومن ستر

/22و/ ومن ريطة مطوية في صيانة ... ومن طيّ أستار معصفرة حمر

إذا التاجر الهندي جاء بفارة ... من المسك راحت في مفارقهم تجري

---

(1) قارن مع ما أورده ابن عبد الحكم أبو القاسم عبد الرحمن- فتوح مصر وأخبارها- تحقيق وتقديم محمد الحجيري- دار الفكر- بيروت- ط1- 1416هـ- 1996م- ص 258.

(2) في الأصل لأمه، وما أثبتنا من ابن عبد الحكم.

(3) الرواية منقولة من ابن عبد الحكم- فتوح مصر وأخبارها- ص 262.

(4) الجزى عند ابن عبد الحكم.

(5) نصر عند ابن عبد الحكم

(6) قرام عند ابن عبد الحكم.

نبيع إذا باعوا ونغزو إذا غزوا ... فأنى لهم مال ولسنا بذي وفر
فقاسمهم نفسي فداؤك، إنهم ... سيرضون إن قاسمتهم منك بالشطر
ولا تدعوني للشهادة إنني ... أغيب ولكني أرى عجب الدهر

قال عمر: قد أعفيناه من الشهادة، ونأخذ منهم نصف أموالهم؛ فأخذ النصف[1].

[تفقد عمر لأحوال الرعية] قال أسلم[2]: خرجت مع عمر رضي الله عنه إلى حرّة راقم حتى إذا كنا بطار إذا نار؛ فقال: يا أسلم إني لا أرى هاهنا ركبا قصربهم الليل والبرد، انطلق بنا؛ فخرجنا نهرول حتى دنونا منهم فإذا بامرأة معها صبيان صغار، وقدر منصوب على نار، وصبيانها يتضاغون؛ فقال عمر رضي الله عنه: السلام عليكم يا أصحاب الضوء، وكره أن يقول يا أصحاب النار، فقالت: وعليك السلام؛ فقال: أأدنوا؟[3] فقالت: أدن بخير أو دع، قال: فدنا؛ فقال: ما بالكم؟ قالت: قصر بنا الليل والبرد، قال: وما بال هؤلاء الصبيان؟ قالت: الجوع، قال: فأي شيء في هذا القدر، قالت: ماء أسكتهم به حتى يناموا، والله بيننا وبين عمر، قال: أي يرحمك الله وما يدري عمر بكم؟ قالت: يتولى أمرنا ثم يغفل عنا، قال: فأقبل عليّ فقال: انطلق بنا؛ فخرجنا نهرول حتى أتينا دار الدقيق؛ فأخرج عدلا من دقيق وكبة شحم؛ فقال: إحمله عليّ؛ فقلت: أنا أحمله عنك؛ فقال: أأنت تحمل عني وزري يوم القيامة لا أم لك؟ فحملت عليه فانطلق، وانطلقت معه إليها؛ فهرول فألقى ذلك عندها، وأخرج من الدقيق شيئا فجعل يقول لها: ذُرّ عليّ وأنا أحرّك، وجعل ينفخ تحت القدر، ثم أنزلها؛ فقال أبغني شيئا؛ فأتته بصحفة فافرغها فيها، ثم جعل يقول لها: أطعميهم فأنا أطبخ لهم؛ فلم تزل حتى/22ظ/شبعوا، وترك عندهم فضل ذلك.
وقام وقمت معه؛ فجعلت تقول: جزاك الله خيرا، كنت أولى بهذا الأمر من

(1) أورد ابن عبد الحكم قصيدتين في نفس الموضوع: الأولى لخالد بن الصعق، والثانية للزبير بن الخريت أبو المختار النميري، وقد نقل المؤلف أبياتا من كلا القصيدتين- انظر فتوح مصر وأخبارها- صص 259-261.

(2) أسلم: هو مولى عمر رضي الله عنه، اشتراه بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم. الإصابة- ج1 ص 54.

(3) في الأصل آذنوا، وهو تصحيف.

أمير المؤمنين؛ فيقول: قولي خيرا إذا جئت أمير المؤمنين وجدتني هنالك إن شاء الله، ثم تنحى ناحية عنها، ثم استقبلها فربض مربضا؛ فقلت: لك شأن غير هذا فلا يكلمني حتى رأيت الصبية يطعمون ثم ناموا وهدؤوا؛ فقال: يا أسلم إن الجوع أسهرهم وأبكاهم فأحببت أن لا أنصرف حتى أرى ما رأيت[1].

وحج رضي الله عنه في خلافته تسع حجج، وكان في أيامه فتوحات ووقائع مشهورات على حسب ما يأتي بعد.

وروي أن قومًا أتوا عمر رضي الله عنه فيما ذكره الحسن؛ فقالوا: يا أمير المؤمنين إنا لنا إماما إذا فرغ من صلاته تغنّى؛ فقال عمر: من هو؟ فذكر له الرجل؛ فقال: قوموا بنا إليه فإنا إن وجهنا إليه يظن أنا تجسسنا أمره، قال: فقام عمر مع جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتوا الرجل وهو في المسجد؛ فلما نظر إلى عمر قام فاستقبله، وقال: يا أمير المؤمنين ما حاجتك؟ إن كانت الحاجة لنا فكنا أحق بذلك، وإن كانت الحاجة لك عظمنا خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمير المؤمنين؛ فقال له عمر: ويحك بلغني أمر ساءني، قال: فما هو يا أمير المؤمنين؟ فإني عنك من نفسي، قال له عمر: بلغني عنك أنك إذا صليت تغنيت، قال: نعم يا أمير المؤمنين، قال له عمر: أتمجن في عبادتك؟ قال: لا يا أمير المؤمنين، ولكنها عظة أعظ بها نفسي، قال عمر: قلها فإن كانت كلاما حسنا قلته بعد، وإن كانت قبيحا نهيتك عنه؛ فقال يا أمير المؤمنين: أكره أن تلزمني بشاعر، قال عمر: قلها؛ فقال:

وفــــؤادي كلمـــــا عاتبـــــته عـــــاد	فـــي الهجـــران يبغـــي تعبـــي
لا أراه الدهـــــــــر إلا لاهـــــــــيا	فـــي تماديـــه فقـــد بـــرّح بـــي
/23و/ يا قرين السوء ما هذا الصِّبَى	تقطـــع الدهـــر كـــذا باللعـــب
وشـــباب بـــاد منـــي فمـــضى	قـــبل أن أقـــضي مـــنه أرب
مـــا أرجـــى بعـــده إلا الفـــنا	ضـــيّق الـــشيب علـــيّ مطلـــب
ويـــحَ نَفْـــسِي لا أراهـــا أبـــدا	فـــي جمـــيل لا ولا فـــي أدب
نفـــسي لا كـــنت ولا كـــان الهدى	أمنـــي المولـــى وخافـــي وارهـــب

(1) انظر نفس القصة مع بعض الاختلاف عند الطبري- تاريخ- ج5 ص62.

فقال عمر رضي الله عنه: نفسي لا كنت ولا كان الهدى البيت، ثم قال عمر: على هذا فليغنِ من غنّى.

الفتوحات:

[وصية عمر بن الخطاب لقادة جنده] ندب عمر رضي الله عنه سلمة بن قيس الأشجعي بالحرّة إلى أرض فارس فقال: انطلقوا بسم الله وفي سبيل الله تقاتلون من كفر بالله، لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا، ولا تقتلوا امرأة ولا صبيا ولا شيخا هرما، إذا انتهيت إلى القوم فادعوهم إلى الإسلام وإلى الجهاد في سبيل الله؛ فإن قبلوا فلهم ما لكم وعليهم ما عليكم؛ فإن أبوا؛ فادعوهم إلى الإسلام بلا جهاد؛ فإن قبلوا فاقبل منهم، وأعلمهم أنه لا نصيب لهم في الفيء؛ فإن أبوا فادعوهم إلى الجزية؛ فإن قبلوا؛ فضع عنهم بقدر طاقتهم، وضع فيهم جيشا يقاتل من ورائهم وخلفهم، وما وضعت عليهم؛ فإن أبوا فقاتلهم؛ فإن دعوكم إلى أن تعطوهم ذمة الله تعالى وذمة النبي عليه السلام فلا تعطوهم ذلك، ولكن أعطوهم ذمة أنفسكم ثم أوفوا لهم؛ ف[إن قاتلوكم][1] فقاتلوهم؛ فإن الله تعالى ناصركم عليهم.

[قصة السفطين] قال: فقدمنا البلاد فدعوناهم بما أمرنا به فأبوا فقاتلناهم؛ فلما مسّهم الحصر نادوا أعطونا ذمّة الله وذمّة محمد، فقلنا لا ولكن نعطيكم ذمّة أنفسنا، ثم نفي لكم فأبوا علينا؛ فقاتلناهم فأصيب رجل من المسلمين، ثم إن الله فتح علينا؛ فملأ القوم أيديهم من المتاع والرقيق والرّقة[2] ما شئنا.

ثم إن سلمة بن قيس أمير القوم جعل يتخطى بيوت نارهم، وإذا /23 ظ/سفطان معلقان في أعلى البيت؛ فقال: ما هذان السفطان؟ قال: شيء كانت تعظم بهما الملوك بيوت نارهم، قال: اهبطوهما إليّ فأهبطوهما فإذا عليهما طوابع الملوك؛ فقال: ما أراهما طبعا إلا على أمر نفيس، عليّ بالناس فلما جاؤوا أخبرهم خبر السفطين؛ فقال: إني أردت أن أفضّهما بمحضركم ففضّهما فإذا هما مملوءان

(1) زيادة من الطبري ليستقيم المعنى- تاريخ- ج 5 ص50.

(2) الرقّة: أو الرّقاق وهي كل أرض إلى جانب واد ينبسط الماء عليها أيام المد ثم ينحسر عنها وينضب فتكون مكرمة للنبات. المعجم الوسيط- ص 366، وعند الطبري الرثة، وهي المتاع- تاريخ- ج5 ص50.

جوهرا لا ترى أنه يرى مثله؛ فأقبل بوجهه على الناس فقال: قد علمتم ما أبلاكم الله به في وجهكم هذا؛ فإن رأيتم أن تطيبوا بهذين السفطين نفسا لأمير المؤمنين بحوائجه وأموره وما ينتابه؛ فأجابوه بصوت واحد نشهد أن قد فعلنا، وطابت أنفسنا لأمير المؤمنين؛ فدعا برسول وقال: قد عهدت أمير المؤمنين وما أوصى به الحرّة، وما اتبعنا به من وصيته، وأمر السفطين وطيب أنفس المسلمين له بهما، واصدق الخبر، ثم ارجع إليّ بما يقول لك.

قال شقيق بن مسلمة الأسدي: قال لي رسول مسلمة بن قيس الذي حدّثني بهذا الحديث، قلت ما لي بدّ من صاحب، قال: خذ بيد من أحببت؛ فأخذت بيد رجل من القوم فانطلقنا بالسفطين، وانطلقت أطلب أمير المؤمنين عمر فإذا هو متكئ على عكّاز يقري الناس، وهو يقول يا يرفأ[1] ضع ها هنا، ويا يرفأ ضع ها هنا؛ فجلست في عرض الناس فمرّ بي؛ فقال: ألا تصيب من هذا الطعام؟ قلت: لا حاجة لي فيه، وإذا هو قائم يدور بهم، ثم قال: يا يرفأ خذ خداتك[2] وقصاعك ثم أدبر.

واتبعته فجعل يتخلل طرق المدينة حتى إلى دار قوراء عظيمة فدخلها؛ فدخلت أقفو أثره؛ فانتهى إلى حجرة من الدار فدخلها؛ فأقمت مليا حتى ظننت أن أمير المؤمنين تمكن في مجلسه فقلت: السلام عليكم؛ فقال: وعليكم السلام ادخل؛ فدخلت عليه فإذا هو جالس على وسادة، مرتفقا أخرى؛ فلما رآني نبذ التي كان مرتفعها إليّ فقعدت /24و/عليها؛ فإذا هي تغرزني وإذا حشوها ليف، ثم قال: يا جارية أطعمينا؛ فجاءت بقصعة فيها مدر من خبز يابس فصبّ عليه زيتا ما فيه ملح ولا خل؛ فقال: لو كنت راضية أطعمتنا خيرا من هذا يعني بالدنيا.

ثم قال لي أدن فدنوت؛ فقال: يا أم كلثوم ما يمنعك أن تخرجي؟ فقالت: لو أردت ذلك لكسوتني درعا أخرج فيه كما كسا طلحة امرأته والزبير امرأته وعبد الرحمن بن عوف امرأته، قال: وما يضرّك ألا يكون لك درع، وأنت يقال لك أم كلثوم بنت علي بن أبي طالب وامرأة أمير المؤمنين؛ فقالت: إن ذلك عني

---

(1) يرفأ حاجب عمر رضي الله عنه أدرك الجاهلية، وحجّ مع عمر في خلافة أبي بكر.الإصابة- ج 3 ص 633.

(2) خداتك: خدن مخادنته صاحبه وهو إخواني وأخداني. الزمخشري- أساس البلاغة- ص 156.

لغير قليل.

قال: فذهبت أتناول منها مدرة من الكسر فوالله ما قدرت أن أجيزها؛ فجعلت ألوكها مرّة من هذا الجانب، ومرّة من هذا الجانب فما قدرت أن أسيغها، قال: وأكل أحسن الرجال أكلة لا يتعلق طعام بثوب ولا شعر ولا شيء حتى رأيته يطلع جوانب القصعة، وقال: يا جارية اسقنا؛ فجاءت بسويق؛ فقال: أعطيه فناولتنيه؛ فجعلت إذا حركته ثارت له نشارة، وإذا حركته تبدى؛ فلما رآني قد بشعته ضحك، وقال: ما لك؟ أرينيه إن شئت؛ فناولته فشرب حتى وضع القدح على جبهته، ثم قال: الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وأروانا وجعلنا من أمة محمد صلى الله عليه وسلم؛ فقلت: أكل أمير المؤمنين وشبع، وشرب فروي، حاجتي جعلني الله فداءك.

قال شقيق: وكان في حديث هذا الرسول إيامي، قال لي: ومن أنت؟ قلت: رسول مسلمة بن قيس، قال ثقيق: فحلف الرجل في حديثه ثلاثا هذه أحدها؛ فوالله لكأني خرجت من بطنه فجنى عليّ وحتى تخير من جئت من عنده، وجعل يقول إيه لله أبوك، وهو من أحبّ الناس إليّ، كيف حالكم؟ ما صنعتم؟ كيف المسلمون؟ وكيف سلمة بن قيس؟ قلت: على ما يحب أمير /24ظ/المؤمنين؛ فقصصت عليه الخبر حتى انتهيت إلى من قتل؛ فاسترجع وبلغ منه وترحم عليه طويلا، قلت: ثم إن الله عزّ وجلّ فتح علينا وعلى المسلمين فتحا عظيما فملأوا أيديهم من متاع ورقيق ورقة بما شاؤوا، قال: ويحك فكيف اللحم بها؟ وأنها شجرة العرب، ولا تصلح العرب إلا بشجرتها، قلت الشاة بدرهمين، قال: الله أكبر، ثم قال: ويحك هل أصيب من المسلمين غير ذلك الرجل؟ قلت: لا، قال: ما يسرّني أن أصبتم أضعف، وأنه أصيب أحد من المسلمين.

ثم أخبرته بحديث السفطين؛ فحلف الرسول عندها بيمين أخرى بالله الذي لا إله إلا هو لكأني أرسلت عليه الأفاعي والأسود والأراقم، ثم أقبل عليّ آخذا بحقويه، وقال: لم تكن لي أن أقبل ذلك، كيف والمسلمون يتخيلون الظمأ والجوع والخوف ومصادرة العدو، وعمر يغدو من أهله ويروح عليهم، ويتبع أحياء المدينة، إرجع بما جئت به فلا حاجة لي فيه؛ فقلت: يا أمير المؤمنين إنه أُبْدِعَ بي وبصاحبي فاحملنا، قال: لا ولكن عامة للآخر ما جئتني بما أشكر فيه فأحملك؛ فقلت: يا عبد الله أيترك رجلا رصين؛ فقال: أما لولا قبلها، ثم قال: يا يرفأ انطلق بهما فاحمله

وصاحبه على ناقتين ظهريتين من إبل الصدقة، ثم انهض بهما حتى يخرجا من الحرّة، ثم التفت إليّ فقال: إن شتا المسلمون في مشتاهم قبل أن يقسماه عذور منكم ومن صويحبك، ثم قال لي: إذا انتهيت إلى البلاد [فـ]انظر أحوج من ترى من المسلمين [و]ادفع إليه الناقتين؛ فقدمنا على سلمة بن قيس فأخبرناه الخبر؛ فقال: عليّ بالمسلمين فجاؤوا؛ فقال لهم: إن أمير المؤمنين قد وفركم في سفطيكم هذين، ورأى أنكم أحق بهما فاقسموا على بركة الله؛ فقالوا: أصلحك الله أيها الأمير، إنه ينبغي لهما نظر وتقويم وقسمة؛ فقال: لا تدرجوني /25و/وأنتم تطلبوني منها بحجر فعدّ القوم وعدّ الحجارة فربما ألقى إلى الرجل الحجر، وربما فلق الحجر بين اثنين[1].

[أحداث سنة 13هـ] وفي أول سنة من خلافة عمر رضي الله عنه، وهي سنة ثلاث عشرة فتح حمص والأبُلّة[2] والفرات، وفيها ولى أبا عبيدة بن الجراح الشام كلها، وعزل خالد بن الوليد، وفيها كانت وقعة [فحل][3] من أرض الأردن بالشام في رجب، وقيل في ذي القعدة، وفيها بعث عروة بن مسعود الثقفي إلى العراق؛ فبلغ الجسر.

[أحداث سنة 14هـ] وفي سنة أربع عشرة فتحت دمشق صلحا بأعمالها وما حولها إلى حمص في شهر ربيع الآخر، وقيل في رجب على يد أبي عبيدة بن الجراح، وقيل فيها كانت وقعة عجل والأول أكثر، وفيها حجّ عمر رضي الله عنه بالناس، وفيها أمر بالقيام في شهر رمضان بالمدينة، وكتب به إلى البلدان التي فتحت يصلى فيها، وكان قبل ذلك يصلي الرجل لنفسه، ويصلي بصلاته الرّهط؛ فجمعهم على قارئ واحد، وفيها بعث عتبة بن غزوان واليا إلى البصرة[4].

---

(1) انظر القصة عند الطبري مع بعض الاختلاف- تاريخ- ج5 ص 50-52.

(2) في الأصل البلّة، والصحيح ما أثبتنا، والأبلة بلدة على شاطيء دجلة البصرة العظمى في زاوية الخليج الذي يدخل إلى مدينة البصرة، وهي أقدم من البصرة، وكانت مدينة فيها مسالح من قبل كسرى وقائد. معجم البلدان- ج1 ص 77.

(3) في الأصل عجل، ولا يوجد موضع بالأردن بهذا الاسم، وما أثبتنا من الطبري- تاريخ- ج4 ص81/تاريخ خليفة بن خياط- ص 67-68.

(4) انظر تاريخ خليفة بن خياط- ص 67-69.

[وقعة اليرموك] وفي سنة خمس عشرة كانت وقعة اليرموك من أرض التيه في عمل دمشق على يد أبي عبيدة بن الجراح، وهي الوقعة التي كسر الله بها الروم وأظهر عليهم؛ فلم يكن بعدها وقعة، وكانت في رجب، وكان الروم يومئذ عشرين صفا لا يرى طرفاهم، وقيل إنهم كانوا أربعمائة ألف، والمسلمون ثلاثة صفوف؛ فضرب الله وجوه الروم، ومنح المسلمين أكتافهم يقتلونهم كيف شاؤوا، وركب بعضهم بعضا حتى انتهوا إلى مكان مشرف على أهوية تحتهم؛ فأخذوا يتساقطون فيها، وهو يوم ذو ضباب لا يعلم آخرهم ما يلقى أولهم حتى سقط فيها نحو من مائة ألف رجل، وقتل منهم في المعركة بعد ما أدبروا نحو من خمسين ألفا، وأتبعهم خالد بن الوليد يقتلهم في كل /25ظ/واد وفي كل شعب وفي كل جبل وفي كل ناحية، وسميت تلك الأهوية الواقعة إلى اليوم لأنهم وقعوا فيها[1].

وانتهى خبر الهزيمة إلى قيصر ملك الروم، وهو بأنطاكية؛ فبينما هو كذلك إذ جاء رجل عظيم من عظماء الروم؛ فقال له الملك: ما وراءك؟ قال الشرّ هزمنا، قال: فما فعل أميركم ماهان؟ قال: قتل، قال: فما فعل الدرنجان؟ قال: قتل، وكان من عظمائهم ونساكهم، قال: فلان وفلان وفلان؛ فسمى له عددا من أمرائه وبطارقته وفرسان الروم، قال: قتلوا كلهم؛ فقال له: وكأنك أنت والله أخبث وألأم وأكفر من أن تذب عن دين أو تقتل عن دنيا.

ثم قال لشرطه: أنزلوه فأنزلوه فجاويه؛ فقال له: ألست أنت أشدّ الناس عليّ في أمر محمد نبي العرب حين جاءني كتابه ورسله؟ وكنت قد أردت أن أجيب إلى ما دعاني إليه، وأدخل في دينه حتى تركت ما كنت أريد من ذلك، جهلا قاتلت، كان قوم محمد وأصحابه دون سلطاني، وعلى قدر ما كنت لقيت منك إذ منعتني من الدخول في دينه، اضربوا عنقه؛ فقدموه فضربوا عنقه، ثم نادى في أصحابه بالرحيل إلى القسطنطينية راجعا؛ فلما خرج من الشام، وأشرف على أرض الروم استقبل الشام بوجهه، وقال: السلام عليك يا سورية[2]، سلام مودع لا يرى أنه يرجع

---

(1) قارن مع الطبري- تاريخ- ج 4 ص 57 وما بعدها.

(2) في الأصل صورية، وما أثبتنا من تاريخ الطبري ومعجم البلدان.

إليك أبدا[1].

[وقعة القادسية] وفيها كانت وقعة القادسية بالعراق على يدي سعد بن أبي وقاص، ورأس الفرس رستم عامل يزدَجرد بن كسرى؛ فاستشهد فيها من المسلمين ألفان وخمسمائة، وقتل الله رستما، قتله هلال بن عُلّفة الليثي، وقتل معه من العدو مائة ألف وأسر منهم بضع وخمسون ألفا، وفيها فتحت الأردن كلها عنوة إلا طبرية فإنها فتحت صلحا[2].

[فتح بيت المقدس] وفي سنة ست عشرة كان فتح الجابية، وهي من عمل دمشق، فتحها أبو عبيدة بن /26و/الجراح، وفيها قدم عمر الشام فافتتح بيت المقدس، وكان دخل الشام مرتين، مرّة لصلح المقدس، ومرة للجابية؛ فقال: الحمد لله الحميد المستحمد، الرفاع المجيد، الغفور الودود، الذي من أراد أن يهدى من عباده اهتدى، ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا، ورجل من القسيسين عنده وعليه جبّة صوف؛ فلما قال عمر: من يهد الله فهو المهتدي؛ فقال النصراني: وأنا أشهد، فقال: ومن يضلل فلن تجد له وليا مرشدا؛ فنفض النصراني جبته عن صدره ثم قال: ما عدا الله لا يضل الله أحدا يريد الهدى؛ فقال عمر رضي الله عنه: ماذا يقول عدو الله هذا النصراني، قالوا: يقول إن الله يهدي ولا يضل أحدا؛ فرفع عمر صوته، وعاد في خطبته بمثل مقالته الأولى؛ ففعل النصراني كفعله الأول؛ فغضب عمر رضي الله عنه، وقال: والله لئن أعادها لأضربن عنقه، قال: فهم النصراني فسكت.

ثم إن عمر رضي الله عنه دعا في خطبته؛ فقال: من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له؛ فسكت النصراني، ثم قال عمر رضي الله عنه: أما بعد فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: خيار أمتي الذين يلونكم ثم الذين يلونهم، ثم يفشو الكذب حتى يشهد الرجل على الشهادة، ولم يستشهد عليها، وحتى يحلف على اليمين، ولم يسألها؛ فمن أراد بحبوحة الجنّة فليلزم الجماعة، ولا يبالي الله بشرور من شذ، ألا لا يخلون رجل منكم بامرأة إلا أن تكون له محرما؛

---

(1) قارن مع الرواية التي أوردها الطبري- تاريخ- ج 4 ص 187/ياقوت الحموي- معجم البلدان- ج3 ص 280.

(2) انظر الطبري- تاريخ- ج 4 ص 162 وما بعدها/ابن الأثير- الكامل- ص 323.

فإن ثالثهما الشيطان.

وفيها فتحت سَرُوج[1] والرها من أرض الجزيرة صلحا، وفيها كرهت الكوفة علي يدي سعد بن أبي وقاص بعد فراغه من المدائن، ورجع عمر رضي الله عنه من الشام؛ فحجّ بالناس، وكان خلف على المدينة زيد بن ثابت، وفيها كتب عمر التاريخ في شهر /26ظ/ربيع الأول بعد أن استشار في ذلك؛ فقال قائل من النبوة، وقال قائل من الهجرة، وقال قائل من الوفاة، ثم اجتمعوا على التأريخ من الهجرة، وفيها فتحت حلب وأنطاكية ومنبج[2] وقِنّسْرين[3]، وفيها كانت عمواس[4].

[عام الرمادة] وفي سنة سبع عشرة كان عام الرمادة، وهي السنة التي أصاب الناس فيها القحط والمجاعة حتى استسقى عمر بالعباس رضي الله عنهما؛ فقال: اللهم إنا نستشفع إليك بعم نبيك العباس؛ فسقوا مكانهم، وفيها افتتحت دار أمن الجزيرة صلحا، وفيها بنى عمر المسجد الحرام، ووسع فيها، وأقام بمكة عشرين ليلة يقصر الصلاة، وهدم على قوم دورا أبوا أن يبيعوها منه، ووضع أثمان دورهم في بيت المال حتى أخذوها، وفيها كانت سَرْغ[5].

[طاعون عمواس] وفي سنة ثمان عشرة كان طاعون عمواس بأرض الأردن وفلسطين، مات فيها بضع وعشرون ألفا من المسلمين، وفيها مات أبو عبيدة بن

---

(1) سروج: وهي بلدة قريبة من حرّان من ديار مضر، وقد فتحت صلحا سنة 17هـ.معجم البلدان- ج 3 ص 216.

(2) منبج: هي مدينة كبيرة واسعة ذات خيرات كثيرة وأرزاق واسعة، كان عليها سور مبني بالحجارة، بينها وبين الفرات ثلاثة فراسخ، وبينها وبين حلب عشرة فراسخ. ياقوت الحموي- معجم البلدان- ج 5 ص 206.

(3) نسرين في الأصل، والصواب ما أثبتنا.

(4) عمواس: هي كورة من فلسطين بالقرب من بيت المقدس، وهي ضيعة جليلة على ستة أميال من الرملة على طريق بيت المقدس، ومنها كان ابتداء الطاعون في أيام عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ثم فشا في أرض الشام فمات فيه خلق كثير لا يحصى من الصحابة رضي الله عنهم ومن غيرهم، وذلك سنة 18 للهجرة. معجم البلدان- ج 4 ص 157-158.

(5) سرغ: هي قرية بوادي تبوك، وهي آخر عمل الحجاز الأول، وهناك لقي عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أخبره بطاعون الشام فرجع إلى المدينة. معجم البلدان – ج 3 ص 211-212.

الجراح رضي الله عنه، ويقال إن عمواس قرية بين الرملة وبيت المقدس، وقيل إن الصبي يلقى الرجل فيقول له: عمّ واس؛ فسمي ذلك طاعون عمّ واس، وفيها فتحت الرها وشمشاط[1] وحران ونصيبين والموصل والماهات[2] ونيسابور.

[أحداث سنة 19هـ] وفي سنة تسع عشرة افتتحت جلولاء من أرض العراق على يدي سعد بن أبي وقاص، وقيل إن الذي افتتح جلولاء ابن أخيه هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، عقده عمه لواء لم يحضرها سعد، وقيل بل شهدها سعد، وكانت جلولاء تسمى فتح الفتوح، بلغت غنائمها ثمانية عشر ألف ألف[3].

وفيها ضمّ عمر الشام إلى يزيد بن أبي سفيان؛ فسار إلى قيسارية، وضيق عليها، ثم مضى إلى خلف الشام، وخلّف معاوية بن أبي سفيان محاصرا قيسارية بفلسطين دمشق وبعلبك والبلقاء.

وولى عمرو بن العاص /27و/فلسطين والأردن، وولى سعيد بن عامر بن حذيم[4] حمص، ثم جمع الشام كلها لمعاوية بن أبي سفيان، ثم انصرف يريد دمشق وما والاها فمرض ومات، واستخلف معاوية فأثبته عمر وولاه ؛ فلم يثبت عليها إلا يسيرًا حتى فتحها الله تعالى، ولم يبق بعد فتحها في أقصى الشام ولا أدناها عدو من المشركين، وكف الله المشركين عنه، وصار الشام كله في أيدي المسلمين.

وفيها بنى عمر رضي الله عنه مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، وزاد في مقدمه وجعله إلى موضع المقصورة، وزاد في ناحية دار مروان، وأدخل دار العباس فيه، وبناه وسقفه بالجريد، وجعل عمده الخشب.

---

(1) شمشاط مدينة بالروم على شاطيء الفرات- معجم البلدان- ج3 ص 362، وفي تاريخ خليفة بن خياط سميساط، وهي أيضا مدينة على شاطيء الفرات في طرف بلاد الروم على غربي الفرات، ولها قلعة في شق منها. نفسه- ج3 ص 258.

(2) الماهات: وهو تثنية الماه وهي القصبة وأصلها الماهان ولكن العرب تسميها بالجمع فتقول الماهات، والماهان الدينور ونهاوند وماهان مدينة بكرمان. معجم البلدان- ج 5 ص 48.

(3) قارن مع تاريخ خليفة بن خياط- ص 75.

(4) في الأصل خديم، وما أثبتنا من ابن الكلبي، وهو سعيد بن عامر بن حذيم بن سلمان بن ربيعة بن عريج بن سعد بن جمح، ولاه عمر بن الخطاب حمص، وكان خيرا فاضلا، وله حديث. ابن السائب الكلبي أبو المنذر هشام بن محمد- جمهرة النسب- تحقيق ناجي حسن- عالم الكتب- بيروت- 1425هـ- 2004م- ص 99.

[فتح مصر] وفي سنة عشرين كان افتتاح مصر على يدي عمرو بن العاص، وفيها مات هرقل عظيم الروم، وفيها فتحت أنطابلس وتُسْتُر، وكان أول من دخل باب تستر يومئذ عبد الله بن معقل المزني، وفيها أجلى عمر يهود خيبر ومن كان بالمدينة والحجاز، وفيها أيضا دوّن الدواوين.

[موقف عمر من خبر نيل مصر] وفيها كتب عمرو بن العاص إلى عمر رضي الله عنه بخبر نيل مصر، وذلك أن أهل مصر أتوا عمرو بن العاص حين دخل [بؤونة][1] من أشهر العجم، وهو يونية؛ فقالوا له: أيها الأمير لنيلنا[2] هذا سنة لا يجري إلا بها؛ فقال لهم: وما ذاك؟ قالوا: إنه إذا كان لاثنتي عشرة ليلة تخلو من هذا الشهر عمدنا إلى جارية بكر بين أبويها فأرضينا أباها، وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون؛ ثم ألقيناها في هذا النيل؛ فقال لهم عمرو: إن هذا لا يكون في الإسلام، وإن الإسلام يهدم ما قبله؛ فأقاموا بؤونة وأبيب[3]، وهو يولية ومِسْرَى، وهو أوسه، لا يجري قليلا ولا كثيرا حتى همّوا بالجلاء؛ فلما رأى ذلك عمرو كتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله /27ظ/عنه بذلك، فكتب إليه عمر: قد أصبت إن الإسلام يهدم ما قبله، وقد بعثت إليك ببطاقة؛ فألقها في داخل النيل إذا أتاك كتابي.

فلما قدم الكتاب على عمرو، وفتح البطاقة فإذا فيها: من عبد الله [عمر] أمير المؤمنين إلى نيل مصر، أما بعد فإن كنت تجري من قبلك فلا تجر، وإن كان الله الواحد القهار يجريك؛ فأسأل الله الواحد القهار أن يجريك؛ فألقى عمرو البطاقة في النيل قبل يوم الصليب بيوم، وقد تهيأ أهل مصر للجلاء والخروج منها لأنه لا يقوم بمصلحتهم فيها إلا النيل؛ فأصبحوا يوم الصليب وقد أجراه الله ستة عشر ذراعا في ليلة، وقطع [الله] تلك السنة السوء عن أهل مصر[4].

---

(1) في الأصل يرويه، وما أثبتنا من ابن عبد الحكم، وعند المقريزي بؤنة وفي رواية باؤونة، وهو الشهر العاشر من السنة القبطية. فتوح مصر وأخبارها- هامش 9 ص 264.

(2) في الأصل لنيلها، والصحيح ما أثبتنا.

(3) في الأصل أنبت، وما أثبتنا من ابن عبد الحكم، وأبيب هو الشهر الحادي عشر من السنة القبطية.

(4) نقل المؤلف الرواية عن ابن عبد الحكم- فتوح مصر وأخبارها- ص 264-265، وهي نفس الرواية تقريبا التي وردت عند المقدسي المعروف بالبشاري- أحسن التقاسيم في معرفة

=

[وقعة نهاوند] وفي سنة إحدى وعشرين كانت وقعة نهاوند بالعراق، وأميرها النعمان بن مقرن قتل فيها، ولم يكن لفارس بعدها وقعة، وفيها افتتحت الإسكندرية، فتحها عمرو بن العاص، وفيها سار عثمان بن أبي العاصي الثقفي إلى تَوَّج[1] فافتتحها ومصرها، وقتل ملكها سهرك[2]، وكان عمر ولاه على عمان والبحرين؛ فكان يزدجرد بن كسرى بعث سهرك وهتقيل في ثلاثين ألفا من الأساورة؛ فلقيهم عثمان بن أبي العاصي فيمن معه من عمان والبحرين ومعهم ثلاثة آلاف؛ فركب بابا الحميري جملا، وقال: أنا صاحب فيل العرب، وكان وصل رمحين فطعن سهرك فصرعه؛ فنفله عثمان بن أبي العاصي منطقته، وكانت ثلاثة عشر شبرا مرصعة بالجوهر، وبيعت بالبصرة بثلاثين ألفا، وذكر أن بابا الحميري قال لعثمان بن أبي العاصي: ما نلت من صحبتك خيرا، قال: فأين منطقة سهرك إذا؟[3]

وفي سنة اثنتين وعشرين كان فتح أذربيجان الأول، وفيها كانت غزوة سانيديا من أرض الشام، وغزوة عمورية.

واستشار عمر الصحابة في /28و/رجل يوجه إلى العراق لمساحة الأرضين وجبايتها؛ فاجتمعوا جميعا على عثمان بن حنيف الأنصاري، وقالوا: لن تبعثه إلى أهم من ذلك فإن له بصرا وعقلا ومعرفة وتجربة؛ فأسرع عمر إليه فولاه مساحة الأرض؛ فضرب عثمان على كل من ضربت من الأرض ناله الماء عامرا وغير عامر درهما وقفيزا؛ فبلغت جباية سواد الكوفة قبل أن يموت عمر بعام مائة ألف ونيف.

[أحداث سنة 23هـ] وفي سنة ثلاث وعشرين كان افتتاح الري على يد قرظة[4] بن كعب بن ثعلبة الأنصاري، وفيها كان افتتاح

الأقاليم- تحقيق محمد مخزوم- دار إحياء التراث العربي- بيروت-1408هـ-1987م- ص 176.

(1) تَوَّج: وهي تَوَّز مدينة بفارس قريبة من كازَرُون، شديدة الحرّ لأنها في غور من الأرض ذات نخل، وبناءها باللبن، بينها وبين شيراز إثنان وثلاثون فرسخا.معجم البلدان- ج2 ص 56.

(2) شهرك عند الطبري- تاريخ- ج5 ص 43.

(3) قارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج5 ص 3 وما بعدها/وتاريخ خليفة بن خياط- ص 83-84.

(4) قراظة في الأصل.

إصطخر[1] الأول من أرض العراق وهمدان وأصبهان.

وفيها فتحت أطرابلس وسرت على يد عمرو بن العاص، وأراد أن يوجه إلى إفريقية؛ فكتب إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن الله تعالى فتح عليه طرابلس وليس بينها وبين إفريقية إلا تسعة أيام؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله تعالى على يديه فعلى بركة الله؛ فكتب إليه عمر: لا إنها ليست بإفريقية ولكنها المفرقة غادرة مغدور بها لا يغزوها أحد ما بقيت[2].

وفيها حجّ عمر رضي الله عنه؛ فاستأذنه أزواج النبي صلى الله عليه وسلم في الحج معه فأذن لهن؛ فخرجن في الهوادج عليهن الطيالسة[3]، وكان أمامهم عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، ووراءهن عثمان بن عفان رضي الله عنه، وكانا لا يدعان أحدا يدنو منهن[4].

وكان عمر إذا أراد الحج كتب إلى أمراء الأجناد أن يقدموا عليه؛ فكانوا يقدمون ويخرجون معه متجردي الأجسام؛ فنظر إلى معاوية، وكان جلده جلد عذراء، وكان من أبيض الناس وأجملهم؛ فوضع أصبعه في عضده فاحمرّ الموضع؛ فقال: بخّ بخّ يا معاوية، نحن والله إذا خير /28ظ/الناس أن أعطينا نعيم الدنيا والآخرة؛ فعرف معاوية ما يريد؛ فقال: يا أمير المؤمنين إنا بأرض الأرياف والحمامات فلذلك ترق جلودنا؛ فقال عمر: لا والله ولكن شدّة الحجاب وإغلاق الباب، والطافك لنفسك بطيب الطعام، وتصبيحك حتى ترتفع الشمس، وقلة النظر في حوائج المسلمين، ويحك يا معاوية، وضرب على منكبه، إنه من ولي من أمر المسلمين شيئا ثم احتجب عنهم احتجب الله عنه يوم القيامة[5].

قالت عائشة: فلما ارتحل عمر من المحصبة أقبل رجل متلثم فقال، وأنا أسمع: أين كان منزل أمير المؤمنين؟ فقال قائل: إن كان منزله؛ فأناخ في منزل عمر،

---

(1) إصطخور في الأصل.

(2) ورد نفس النص عند ابن عبد الحكم- فتوح مصر وأخبارها- ص 297.

(3) طيالسة: الطالسان أو الطيلسان ضرب من الأوشحة يلبس على الكتف أو يحيط بالبدن خال من التفصيل والخياطة. المعجم الوسيط- ص 561.

(4) نفس النص ورد عند عبد الملك بن حبيب- كتاب التأريخ- ص 108.

(5) أورد عبد الملك بن حبيب نفس النص- كتاب التأريخ- ص 108.

ثم رفع عقيرته يتغنى:

عليك سلام[1] من أمير[2] وباركت ... يد الله في ذاك الأديم الممزّق

فمن يجرأ[3] ويركب جناح[4] نعامة ... ليدرك ما قدمت بالأمس يُسْبَقِ

قضيت أمورا ثم غادرت بعدها ... بوائق في أكمامها لم تفتق

قالت عائشة: فقلت لبعض أهلي أعلموني من هذا الرجل، فذهبوا فلم يجدوا في مناخه أحدا، قالت عائشة: فوالله إني لأحسبه من الجن[5]، وروي أن عائشة رضي الله عنها قالت: من هذا؟ قيل لها مدرك بن ضرار؛ فقالت لمدرك بعد ذلك؛ فحلف بالله ما شهدت تلك السنة الموسم.

وقال حارثة بن مضرب: حججت مع عمر فكان الحادي يحدو أن الأمير بعده عثمان، وحججت مع عثمان فكان الحادي يحدو أن الأمير بعده علي، وكان يرمي الجمرة في حجته تلك فأتاه حجر فوقع على صلعته فأدماه، وثمّ رجل من بني لهب أشعر أمير المؤمنين لا يحج بعد عامه هذا[6].

وقال في انصرافه من هذه الحجة التي لم يحج بعدها: الحمد لله ولا إله إلا الله /29و/يعطي من يشاء ما يشاء، لقد كنت بهذا الوادي يعني صحبان أرعى إبلا للخطاب، وكان فظا غليظا يتعبني إذا عملت، ويضربني إذا قصرت، وقد أصبحت وأمسيت وليس بيني وبين الله أحدٌ حاشاه، ثم تمثل:

لا شيء مما[7] ترى تبقى بشاشته ... يبقى الإله ويردى[8] المال والولد

لم يغن[9] عن هرمز يوما خزائنه ... والخلد قد حاولت عاد فما خلدوا

---

(1) عند ابن سعد جزى الله خيرًا- الطبقات الكبرى- ج2 ص 313.

(2) إمام عند السيوطي.

(3) عند ابن سعد فمن يمش أو- الطبقات الكبرى- ج2 ص 313.

(4) يسعى أو يركب جناحي عند السيوطي.

(5) قارن مع ما أورده ابن سعد- الطبقات الكبرى- ج2 ص 313-314/السيوطي- تاريخ الخلفاء- ص 168.

(6) قارن مع ما أورده السيوطي- تاريخ الخلفاء- ص 168.

(7) فيما عند الطبري.

(8) يودي عند الطبري.

(9) تغن عند الطبري.

ولا سليمان إذ تجري الرياح له والإنس والجن فيما بينها ترد
أين الملوك التي كانت لعزتها[1] من كل أوب إليها وافد[2] يفد
حوض[3] هنالك مورود[4] بلا كذب لا بدّ من ورده يوما كما وردوا[5]

[مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه] فقتل عمر رضي الله عنه بعد رجوعه من الحج، وذلك يوم الأربعاء لأربع ليال بقين من ذي الحجة، وكان الذي قتله غلام المغيرة بن شعبة من أهل نهاوند يدعى أبا لؤلؤة لعنه الله، وكان اسمه فيروز، وهو مجوسي، طعنه حين كبر لصلاة الصبح؛ فقال عمر حين طعنه: قتلني أو أكلني الكلب؛ فطار العلج بسكين ذات طريقين لا يمر على أحد يمينا ولا شمالا إلا طعنه حتى طعن منهم ثلاثة عشر رجلا، مات منهم سبعة؛ فلما رأى ذلك رجل من المسلمين طرح عليه برنسا، ثم برك عليه؛ فلما أيقن العلج أنه مأخوذ نحر نفسه.

ودعا عمر رضي الله عنه عبد الرحمن بن عوف فقدمه، وصلى بالناس صلاة خفيفة؛ فلما انصرفوا قال: يا ابن عباس[6] انظر من قتلني؛ فجال ساعة ثم جاء؛ فقال: غلام المغيرة بن شعبة؛ فقال الصّنَع؛ قال: نعم قاتله الله؛ فقال: الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الإسلام؛ فاحتمل إلى بيته؛ فقال: ادعوا لي الطبيب؛ فدعي الطبيب؛ فقال: أي الشراب أحب إليك؟ قال: النبيذ؛ فسقي نبيذا فخرج من طعنته[7] ؛ /29ظ/فقال الناس: هذا دم، هذا صديد؛ فقال: اسقوني لبنا فسقي؛ فخرج من الطعنة؛ فقال الطبيب: لا أرى أن يمسي؛ فما كنت فاعلا فافعل؛ فجاء الناس يثنون عليه[8].

وجاء شاب فقال: أبشر يا أمير المؤمنين ببشرى الله لك من الصحبة برسول

---

(1) نوافلها عند الطبري.
(2) راكب عند الطبري.
(3) حوضا عند الطبري.
(4) موردوا عند الطبري- تاريخ- ج 5 ص 71.
(5) قارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج5 ص 71-72.
(6) عند الطبري: يا عبد الله بن عمر.
(7) جوفه عند البخاري- ص 650.
(8) انظر الذهبي- تاريخ الإسلام- عهد الخلفاء الراشدين- ص 278.

الله صلى الله عليه وسلم، وقدم في الإسلام ما قد علمت، ثم وليت فعدلت، ثم شهادة؛ فقال: وددت أن ذلك كفاف لا لي ولا عليّ[1] ؛ فلما أدبر الرجل إذا إزاره يمس الأرض، قال ردّوا علي الرجل، قال: يا ابن أخي ارفع ثوبك فإنه أنقى لثوبك وأتقى لربك.

يا عبد الله بن عمر، أنظر ما عليّ من الدين؛ فحسبوه فوجدوه[2] [ستة] وثمانين ألفا[3] أو نحوه؛ فقال: إن وفى مال[4] آل عمر فأدّه من أموالهم، وإلا فسل في [بني] عدي بن كعب؛ فإن لم تف أموالهم فسل في قريش، ولا تعدهم إلى غيرهم؛ فأدِّ عني هذا المال[5].

[مجلس الشورى] فقال ابنه عبد الله: استخلف يا أمير المؤمنين على أمة محمد صلى الله عليه وسلم؛ فإن الناس زعموا أنك غير مستخلف؛ فإنه لو كان لك رعي إبل أو غنم ثم جاءك وتركها رأيت أنه قد ضيع؛ فرعاية الناس أشدّ، قال: فوافقته قولا؛ فوضع رأسه ساعة، ثم رفع إليّ؛ فقال: إن الله عزّ وجلّ يحفظ دينه، وإني الآن لا أستخلف فإن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يستخلف، وإن استخلف فإن أبا بكر قد استخلف، قال: فوالله ما هو إلا ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر رضي الله عنه؛ فعلمت أنه لم يكن ليعدل برسول الله صلى الله عليه وسلم أحد، وأنه غير مستخلف.

فقال القوم: أوص يا أمير المؤمنين استخلف؛ فقال: ما أحد أحق بهذا الأمر من هؤلاء النفر والرهط الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو عنهم راض؛ فسمى عليًا وعثمان والزبير وطلحة وسعدا وعبد الرحمن بن عوف، وقال: يشهدكم عبد الله بن عمر، وليس له في الأمر شيء كهيئة [التعزية له][6] فإن وليها

---

(1) انظر نفس القصة مع بعض الاختلاف في اللفظ عند السيوطي- تاريخ الخلفاء- ص 157.

(2) في الأصل: فوجده والصواب ما أثبتنا.

(3) في الأصل مائة وثمانين ألفا، وما أثبتنا من صحيح البخاري- ص 650.

(4) لهما في الأصل، وما أثبتنا من السيوطي- تاريخ الخلفاء- ص 157.

(5)البخاري- صحيح البخاري- كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ- باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان بن عفان رضي الله عنه- حديث رقم 3700- ص 649-650.

(6) في الأصل المغربة، وما أثبتنا من البخاري.

/30و/سعد فذلك، وإلا فليستعن بالله الوالي فإني لم أعزله عن عمد ولا خيانة[1]، وكان سعد أميرا على الكوفة فعزله عمر عنها لشكاة شكاها أهلها، ورموه بالباطل فيها؛ فدعا سعد على الذي وجهه بالكذب دعوة ظهرت إجابتها، والخبر بذلك مشهود.

وقال لصهيب: صلِّ بالناس ثلاثة أيام، وروي عن عبد الله بن عمر، قال: قال عمر لأهل الشورى: لله درهم إن ولوها الأصيلع يعني عليّا كيف يحملهم على الحق، ولو كان السيف على عاتقه؛ فقلت: أتعلم ذلك منه ولا توليه، قال: إنه إن لم أستخلف وأتركهم فقد تركهم من هو خير مني.

[وصيته لخليفته] ثم قال: أوصي الخليفة من بعدي بالمهاجرين الأولين إن لم يعرف لهم حقهم، ويحفظ لهم حرمتهم، وأوصيه بالأنصار خيرا، الذين تبوّؤوا الدار والإيمان من قبلهم أن يقبل من محسنهم، وأن يعفو عن مسيئهم، وأوصي بأهل الأمصار خيرا فإنهم ردء الإسلام وجباية المال وغيظ العدو، وأن لا يؤخذ منهم إلا فضلهم عن رضاهم، وأوصيه بالأعراب خيرا فإنهم أهل الحرب ومادة الإسلام، أن يأخذ من حواشي أموالهم، ويرد على فقرائهم، وأوصيه بذمّة الله تعالى وذمّة رسوله صلى الله عليه وسلم أن يوفي لهم بعهدهم، وأن يقاتل من ورائهم، ولا يكلفوا إلا طاقتهم[2].

[عمر بن الخطاب قبل وفاته] فلما أشرف على الوفاة قال لابنه عبد الله رضي الله عنه ورأسه في حجره: ضع خدي بالأرض، قال: يا أبتاه ما أقربه من الأرض، قال: ضعه فوضعه؛ فقال: ويل لعمر إن لم يغفر له الله ثلاث مرّات[3]؛ فقال له رجل ممن حضر: والله يا أمير المؤمنين إنك لتقدم على ما يسرّك وتقرّ به عينك؛ فقال: وما يدريك ويحك؛ فقال ابن عباس: وما لنا لا ندري، وقد عشت حميدا وذهبت فقيرا، وعملت بالحق؛ فقال عمر لقوم: أتعرفون ما قال ابن عباس؟ قالوا: نعم؛ فرفع يديه /30ظ/وقال: الله أكبر الله أكبر، ثم قال لابنه عبد الله:

---

(1) نفسه- ص 650.

(2) صحيح البخاري- ص 650.

(3) الذهبي- تاريخ الإسلام- عهد الخلفاء الراشدين- ص 282.

إيت عائشة فقل لها إن عبد الله عمر بن الخطاب يقرئك السلام، ولا تقل أمير المؤمنين؛ فإني لست اليوم للمؤمنين أميرا، ويقول لك إنا نهينا أن ندخل بيوتكن إلا بإذن افتأذنين في أن أدفن في بيتك مع صاحبي، قال عبد الله بن عمر: فبلغتها قوله فبكت حتى علا بكاءها، ثم قالت: نعم، وقالت: كنت أردته لنفسي ولأوثرن به اليوم على نفسي فأتيته فأخبرته؛ فحمد الله تعالى وقال: ما كان عندي شيء أهم من ذلك، ثم قال: إن المرأة أذنت لي، وهي ترى أني أعيش؛ فإذا أنا مت فاغسلني وكفني؛ فإذا حملتني فتقدم السّرير وقل لها هذا عبد الله عمر يستأذن على الباب فإن أذنت لي فادفني مع صاحبي؛ فإن أبت فأخرجني[1] إلى البقيع؛ فلما توفي رضي الله عنه غسله ابنه عبد الله رضي الله عنه، وكفنه في خمسة أثواب؛ فلما وضع على سريره تكنفه النّاس يدعون قبل أن يرفع.

[قول علي في عمر بن الخطاب] قال ابن عباس: فلم يرعني إلا رجل أخذ منكبي؛ فإذا علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ فترحم على عمر، وقال: ما خَلَّفْتُ أحدا أَحَبُّ إلى أن ألقى الله بمثل عمله [منك]، وأيْمُ الله إن كنت لأظن أن يجعلك الله مع صاحبيك، وحسبت أني كنت كثيرا أسمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ذهبت أنا وأبو بكر وعمر، ودخلت أنا وأبو بكر وعمر، وخرجت أنا وأبو بكر وعمر[2].

[وفاته ودفنه] فلما أخرجت جنازته تصدّى عثمان وعلي أيهما يصلي عليه؛ فقال عبد الرحمن بن عوف كلاكما يحب الأمر لنفسه، لستما في شيء من هذا، وإنما هو إلى صهيب؛ فإن عمر استخلفه ليصلي بالناس ثلاثا حتى يجتمع الناس على إمام؛ فصلى عليه صهيب.

وتقدم عبد الله فسلّم على عائشة رضي الله عنها، وقال: يستأذن /31و/ عمر بن الخطاب، قالت أدخلوه فأدخل فدفن في بيت النبي صلى الله عليه وسلم، وجعل رأسه عند حقوي أبي بكر رضي الله عنهما، ونزل في حفرته ابنه عبد الله

---

(1) صحيح البخاري- ص 650

(2) صحيح البخاري- كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم- الحديث رقم 3685- ص 646.

وعثمان بن عفان[1].

وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة، وقيل ستون سنة وقيل، وقيل غير ذلك، وكانت خلافته عشر سنين وستة أشهر وأربعة أيام، وقيل توفي في غرّة المحرّم سنة أربع وعشرين، وطعن قبل ذلك بثلاثة أيام، ومكث ثلاثا يصلي في ثيابه التي خرج فيها.

[رثاء زوجته عاتكة] وكانت الشورى بعده ثلاثة أيام، وقالت زوجته عاتكة بنت زيد بن عمر بن نفيل أخت سعيد بن زيد ترثيه:

عين جودي بعبرة ونحيب ... لا تملّي على الأمير[2] النجيب

فجعتني المنون بالفارس المعلم ... يوم الهياج والتثويب

عصمة الله[3] والمعين على الدهر ... وغيث المحروم[4] والمحروب

قل لأهل الضرّاء[5] والبؤس موتوا ... قد سقته المنون كأس شَعُوب

وقالت أيضا:

فَجَّعتني[6] فيروز لا درّ درّه ... بأبيض تالٍ للكتاب لمُنيبِ[7]

رؤوف على الأدنى غليظ على العدا ... أخي ثقة في النائبات نجيب[8]

متى ما يقل لا يُكْذِبُ القَوْلَ فِعْلُه ... سَريع إلى الخَيْرَاتِ غَيْر قَطوبِ

وعاتكة هذه كانت عند عبد الله بن أبي بكر الصديق رضي الله عنهم فمات عنها، قتل بسهم في غزوة الطائف؛ فتزوجها عمر بعده فقتل، ثم تزوجها الزبير بن العوام بعده فقتل؛ فكان علي رضي الله عنه يقول: من أراد الشهادة الحضارة

---

(1) قصة مقتل عمر رضي الله عنه وماحدث له إلى غاية دفنه منقولة عن البخاري- صحيح البخاري-- كتاب فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم- الحديث رقم 3700- ص 649-650.

(2) الإمام عند الطبري- تاريخ- ج5 ص71.

(3) الناس عند الطبري- ج5ص71.

(4) المتاب عند الطبري-ج5ص71.

(5) السرّاء عند الطبري- ج5ص71.

(6) فجعني عند الطبري- تاريخ- ج5 ص 71.

(7) عند الطبري منيب – تاريخ ج5 ص71.

(8) عند الطبري مجيب- تاريخ- ج5 ص71.

فليتزوج عاتكة.

[تفكير عمر في خليفته] وروي عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: بينما أمشي مع عمر رضي الله عنه يوما إذ تنفس نفسا /31ظ/ظننت أنه قد قضت أضلاعه؛ فقلت: سبحان الله والله ما أخرج هذا منك يا أمير المؤمنين إلا أمر عظيم؟ قال: ويحك يا ابن عباس، ما أدري كيف أصنع بأمة محمد صلى الله عليه وسلم، قلت: ولم وأنت بحمد الله فإن دان تضع ذلك مكان الثقة؟ قال: إني أراك تقول إن صاحبك أولى الناس بها، يعني علياً، قلت: أجل، والله لأقول ذلك في سابقته وعلمه وقرابته وصهره، قال: إنه كما ذكرت، ولكنه كثير الدعابة؛ فقلت: فعثمان، قال: والله لو فعلت لجعل بني أبي معيط على رقاب الناس يعملون فيهم بمعصية الله، والله لو فعلت لفعل، ولو فعل لفعلوا؛ فوثب الناس إليه فقتلوه؛ فقلت: فطلحة بن عبيد الله، قال: ولا كسيع[1] هو أزهى من ذلك، ما كان الله ليراني أوليه أمر أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وهو على ما هو عليه من الزهو، وقلت: فالزبير بن العوام، قال: إذا كان يظل يلاطم الناس في الصاع والمد، قلت: فسعد بن أبي وقاص، قال: ليس بصاحب ذلك، ذاك صاحب مقنب[2] يقاتل فيه، قلت: عبد الرحمن بن عوف، قال: نعم الرجل ذكرت، ولكنه ضعيف عن ذلك، والله يا ابن عباس لا يصلح لهذا الأمر إلا القوي في غير عنف، اللين في غير ضعف، الجواد في غير سرف، الممسك في غير بخل، قال ابن عباس: كان والله عمر ذلك.

[عماله على الأمصار] وتوفي عمر رضي الله عنه وعامله على الكوفة المغيرة بن شعبة، وعلى البصرة أبو موسى الأشعري، وعلى مصر عمرو بن العاص، وعلى حمص عمير بن سعد العنبري، وعلى دمشق معاوية بن أبي سفيان، وعلى البحرين عثمان بن أبي العاصي الثقفي[3].

---

(1) كسيع: كسع فلانا كسعا ضربه بيده أو برجله على دبره، ويقال كسع القوم بالسيف اتبع أدبارهم فضربهم به. المعجم الوسيط- ص 787.

(2) مقنب: جماعة من الفرسان والخيل دون المائة تجتمع للغارة.المعجم الوسيط- ص 761.

(3) قارن مع ما أورده تاريخ خليفة بن خياط-... – ص 88-89.

أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه

[نسبه]/32و/هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي الأموي ذو النورين، يلقى النبي صلى الله عليه وسلم في الأب الرابع عند عبد مناف، يكنى أبا عبد الله وأبا عمرو، كنيتان مشهورتان له، وأبو عمرو أشهرهما[1].

قيل إنه ولدت له رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم إبنا فسمّاه عبد الله واكتنى به فمات، ثم ولد له عمرو فاكتنى به إلى أن مات رحمه الله ورضي عنه، وقيل إنه كان يكنى أبا ليلى[2].

أمه أروى بنت كريز بن ربيعة بن حبيب بن عبد شمس بن عبد مناف، وأمها البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم[3].

[مولده وصفته] ولد في السنة السادسة بعد الفيل، وكان أبيض، وقيل أسمر، نحيف الجسم، ليس بالطويل ولا بالقصير، حسن الوجه، مشرق الأنف، رقيق البشرة، كبير اللحية عظيمها، عظيم الكراديس، بعيد ما بين المنكبين، كثير شعر الساعدين والساقين، وكان يصفر لحيته[4]، وقيل له ذو النورين لأنه لم يعلم واحدًا أرسل سترًا على ابنتي نبي غيره رضي الله عنه[5].

روي عن أسامة بن زيد قال: بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم بصحفة

---

(1) قارن مع ما أورده ابن سعد- الطبقات الكبرى- ج2 ص 78/السيوطي- تاريخ الخلفاء- ص 175.

(2) انظر ابن سعد- الطبقات الكبرى- ج2 ص 78/الطبري- تاريخ- ج5 ص 199.

(3) انظر ابن سعد- الطبقات الكبرى- ج2 ص 78/الطبري- تاريخ- ج5 ص 199-200.

(4) قارن مع ما أورده ابن سعد- الطبقات الكبرى- ج2 ص 468-469/الطبري- تاريخ- ج5 ص 199.

(5) الذهبي- الطبقات الكبرى- ج2 ص 470.

فيها لحم إلى عثمان رضي الله عنه؛ فدخلت عليه فإذا هو جالس مع رقية ما رأيت زوجا أحسن منهما؛ فجعلت انظر مرّة إلى عثمان رضي الله عنه ومرّة إلى رقية، فلما رجعت إلي رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: دخلت عليهما؟ قلت: نعم، قال: هل رأيت زوجا أحسن منهما؟ قلت: لا يا رسول الله؛ فقد جعلت مرّة انظر إلى رقية، ومرّة انظر إلى عثمان رضي الله عنهما[1].

[مبايعته بالخلافة] وبويع يوم السبت في غرّة المحرّم سنة أربع /32ظ/ وعشرين بعد دفن عمر بن الخطاب رضي الله عنه بثلاثة أيام، وذلك أن عمر رضي الله عنه لما توفي جمع المقداد أهل الشورى في بيت المِسْوَر بن مخرمة، ويقال في بيت المال، ويقال في حجرة عائشة رضي الله عنها بإذنها، ومعهم عبد الله بن عمر، وكان طلحة بن عبيد الله أحد الستة من أصحاب الشورى يومئذ غائبا فأمروا أبا طلحة الحجبي أن يحجبهم، فجاء عمرو بن العاص والمغيرة بن شعبة فجلسا بالباب فحصبهما[2] سعد وأقامهما، وقال: تريد[ان][3] أن تقولا حضرنا وكنا في الشورى؛ فتنافس القوم في الأمر، وكثر بينهم الكلام؛ فقال أبو طلحة: أنا كنت لأن تدفعوها أخوف مني لأن تنافسوها، والذي ذهب بنفس عمر لا أزيدكم على ثلاثة أيام التي أمرتم، ثم أجلس في بيتي فأنظر ما تصنعون.

قال عبد الرحمن بن عوف: أيكم يخرج نفسه منها وتقلدها على أن نوليها أفضلكم؛ فلم يجبه أحد؛ فقال: أنا أنخلع منها، قال عثمان رضي الله عنه: أنا أول من رضي؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: عبد الرحمن أمين في الأرض، أمين في السماء؛ فقال القوم: قد رضينا وعلي ساكت؛ فقال: ما تقول يا أبا الحسن؟ قال: أعطني[4] موثقا لتؤثرن الحق ولا تتبع الهوى، ولا تخص ذا رحم، ولا تألوا الأمة خيرا؛ فقال: أعطوني مواثيقكم على أن تكونوا معي على من بدل وتغير، وأن ترضوا من اختار، وعليّ ميثاق الله ألا أخصّ ذا رحم لرحمه، ولا آلوا المسلمين

---

(1) انظر السيوطي- تاريخ الخلفاء- ص 178.

(2) في الأصل فصحبهما، وما أثبتنا من الطبري، وحصبهما أي ضربهما بالحصى- تاريخ- ج5 ص79.

(3) زيادة يقتضيها سياق الكلام، وكذا عند الطبري- تاريخ- ج 5 ص79.

(4) في الأصل أعطيتني، وما أثبتنا من الطبري- تاريخ- ج5 ص79.

خيرا؛ فأخذ منهم ميثاقا وأعطاهم مثله؛ فخلا بعلي فقال له: أنت تقول إنك أحق من حضّ[1] بالأمر لقرابتك وسابقتك، وحسن أثرك في الدين ولم تبعد، ولكن أرأيت إن صرف عنك هذا الأمر من كنت ترى من هؤلاء الرهط أولى بالأمر؟ قال: عثمان، ثم خلا بعثمان قال له: أنت شيخ من بني عبد مناف وصهر رسول /33و/الله صلى الله عليه وسلم وابن عمته[2]، ولك فضل وسابقة؛ فأنت تقول أنا أحق بهذا الأمر؛ فلو صرف هذا الأمر عنك من كنت ترى من هؤلاء الرهط أحق به؟ قال: علي، ثم خلا بالزبير فقال له مثل ما قال لعلي وعثمان؛ فقال: عثمان، ثم خلا بسعد فقال له مثل ما قال لمن تقدم؛ فقال: عثمان.

[فلقي][3] عليٌ سعداً فقال له: «وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبا»[4]، أسألك برحم أبي[5] من رسول الله صلى الله عليه وسلم وبرحم عمّي حمزة منك أن تكون مع عبد الرحمن لعثمان ظهيرا عليّ فإني أدلي بما لا يدلي به عثمان.

ودبّ[6] عبد الرحمن بن عوف لياليه يلقى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن وافى المدينة من أمراء الأجناد وأشراف الناس يشاورهم؛ فلا يلقى من يقول إلا عثمان؛ فلما كانت الليلة التي يُستكمل في صبيحتها الأجل أتى منزل المِسْوَر بن مخرمة بعد هذه من[7] الليل فأيقظه، وقال له: أراك نائما، ولم أذق في هذه الليالي كبير غُمْضٍ؛ فانطلق فادع لي عليًا وعثمان، قال المسور: فقلت له: بأيهما أبدأ؟ فقال: بأيهما شئت، قال: فخرجت فأتيت عليًا وكان هواي فيه؛ فقلت له: أجب خالي؛ فقال: أبعثك معي إلى غيري؟ قلت: نعم إلى عثمان، قال: فبأينا

---

(1) عند الطبري حضر- تاريخ- ج5 ص79.
(2) عند الطبري عمه- تاريخ- ج5 ص79.
(3) في الأصل فأبلى، وما أثبتنا من الطبري- ج5 ص79.
(4) سورة النساء- الآية 1.
(5) ابني عند الطبري- تاريخ- ج5 ص79.
(6) دار عند الطبري- ج5 ص79.
(7) عند الطبري ابهيرار- تاريخ- ج5 ص 80، وابهار النهار أو الليل أي انتصف وابهار الليل علينا أي طال. المعجم الوسيط- ص 730.

أمرك أن تبدأ؟ فقلت: سألته فقال ابدأ بأيهما شئت؛ فبدأت بك لأن هواي فيك، قال: فخرج معي حتى [أتينا][1] المقاعد فجلس عليها.

ثم دخلت على عثمان رضي الله عنه فوجدته يوتر مع الفجر؛ فقلت له: أجب خالي، قال: أبعثك معي إلى غيري؟ فقلت: نعم إلى علي، قال: فبأينا أمرك أن تبدأ؟ قلت: قد سألته فقال: ابدأ بأيهما شئت، وهذا علي على المقاعد؛ فخرجنا حتى دخلنا جميعا على خالي وهو في القبلة يصلي؛ فانفرد بعلي طويلا، وهو لا يشك أنه صاحب الأمر.

/33ظ/ثم نهض وانفرد بعثمان فكان في مناجاته حتى فرق بينهما أذان الصبح، فلما صلى الصبح جمع الرهط، وبعث إلى من حضره من المهاجرين وأهل السابقة والفضل من الأنصار، وإلى أمراء الأجناد فاجتمعوا حتى غصّ بهم المجلس؛ فقال: أيها الناس إن الناس قد أحبّوا أن يلحق أهل الأمصار بأمصارهم وأحبّوا أن يعلموا من أميرهم، فقال سعيد بن زيد: إنا نراك لها أهلا؛ فقال: أشيروا لغير هذا؛ فقال عمار: إن أردت ألا يختلف المسلمون فبايع عليًا؛ فقال المقداد بن الأسود: صدق عمّار، إن بايعت عليًا قلنا سمعا وطاعة، وقال ابن أبي سرح: إن أردت أن لا يختلف قول فبايع عثمان؛ فقال عبد الله بن أبي ربيعة: صدق إن بايعت عثمان سمعنا وأطعنا؛ فشتم عمار ابن أبي سرح، وقال: متى كنت تنصح للمسلمين؟ فتكلم بنو هاشم وبنو أمية؛ فقال عمّار: أيها الناس إن الله تعالى أكرمنا بنبيه عليه السلام، وأعزّنا بدينه فأنى تصرفون هذا الأمر عن بيت نبيكم عليه السلام؛ فقال رجل من بني مخزوم: لقد عدوت طورك يا ابن سمية[2]، وما أنت وتأمير قريش لأنفسها.

وسمية ابنة خياط [كانت] أمة لأبي حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم أعتقه[3]، ونسب عمّار يأتي في ذكر علي إن شاء الله.

فقال سعد بن أبي وقاص: يا عبد الرحمن اقض ما أنت قاض قبل أن يفتتن

(1) الزيادة من الطبري- 84/5.

(2) في الأصل سمينة وهو تصحيف.

(3) ابن حجر العسقلاني- الإصابة- ج4 ص 327/ابن عبد البر- الاستيعاب- ج4 ص 324.

الناس؛ فقال عبد الرحمن: إني قد ناظرت وشاورت فلا تجعلن أيها الرهط لأنفسكم سبيلا؛ فدعا عليًا فقال: عليك عهد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسيرة الخليفتين من بعده، قال: أرجو أن أفعل وأعمل بمبلغ علمي وطاقتي، ثم دخل عثمان فقال له مثل ما قال لعلي، قال: نعم فبايعه، وقد أذن بصلاة العصر؛ فخرج فصلى بالناس، وقال علي: ليس هذا أولها، تظاهرتم علينا ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا /34و/تَصِفُونَ﴾[1]، والله ما وليت عثمان إلا ليرد الأمر إليك غدا، والله كل يوم في شأن؛ فقال عبد الرحمن: يا علي أتجعل على نفسك سبيلا؟ فإني قد نظرت، وقد شاورت الناس فإذا هم لا يعدلون بعثمان؛ فخرج علي وهو يقول: سيبلغ الكتاب أجله.

فانصرف عبد الرحمن بعثمان إلى بيت فاطمة بنت قيس فجلس، وجلس الناس معه ثم قدم طلحة في اليوم [الذي] بويع فيه لعثمان؛ فقيل له بايعوا[2] عثمان؛ فقال: أكل قريش راض به، قالوا: بعض[3]، فأتى عثمان فقال له: أنت على رأس أمرك إن أبيت رددتها؛ فقال: أتردها؟ قال: نعم قال: أكل الناس بايعوك؟ قال: [نعم، قال:] قد رضيت بما رضوا لا أرغب عما أجمعوا عليه فبايعه[4].

وروي أن عبد الرحمن حين اجتمع الناس خرج حتى جلس على المنبر؛ فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس بايعوني على سنة الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة صاحبيه وعلى من رضيت لكم، وإن وضعت إحدى يدي على الأخرى فذلك عليكم، قالوا: نعم؛ فنزل وأخذ بيد علي فبايع لعثمان؛ فتلكأ بعض القوم؛ فسلّ عبد الرحمن سيفه، ثم قال: والذي نفسي بيده لا يأبى أحد إلا ضربت الذي فيه عيناه؛ فتبادروا فبايعوا[5].

وروي أنه لما فرغ من دفن عمر رضي الله عنه اجتمع هؤلاء الرهط؛ فقال عبد الرحمن: اجعلوا أمركم إلى ثلاثة منكم، قال الزبير: قد جعلت أمري إلى علي،

---

(1) سورة يوسف- الآية 18.
(2) عند الطبري بايع- تاريخ- ج 5 ص81.
(3) عند الطبري نعم.تاريخ - ج5 ص81.
(4) أورد الطبري نفس الرواية- تاريخ- ج5 صص 79- 84.
(5) انظر الطبري- تاريخ- ج5 ص 84.

وقال طلحة: قد جعلت أمري إلى عثمان، وقال سعد: قد جعلت أمري إلى عبد الرحمن؛ فقال عبد الرحمن: أيكما تبرأ من هذا الأمر فيجعله إليه والله عليه والإسلام لينظرن أفضلكم في نفسه فأسكت الشيخان؛ فقال عبد الرحمن: أفتجعلونه إليّ والله على أن لا آلوا عن أفضلكم، قالوا: نعم؛ فأخذ بيد أحدهما، وهو علي؛ فقال: لك من قرابة رسول الله صلى الله عليه وسلم /34ظ/والقدم في الإسلام ما قد علمت؛ فالله عليك لئن أمرتك لتعدلن، ولئن أمرت عثمان لتسمعن ولتطيعن، ثم خلا بالآخر؛ فقال له مثل ذلك؛ فلما أخذ الميثاق قال: ارفع يدك يا عثمان فبايعه؛ فبايع له علي، وولج أهل الدار فبايعوه[1] ؛ فالله أعلم أي ذلك كان لأن هذه الرواية الأخيرة ذكرها البخاري في جامعه.

فأقام عثمان حتى حضر الحج؛ فأرسل عبد الرحمن بن عوف فأقام الحج للناس، ثم حجّ عثمان من بعد ذلك بالناس عشر سنين.

[فتوحاته وغزواته] وكانت في أيامه فتوحات وغزوات:

ففي سنة خمس وعشرين كان فتح بعض سابور من أرض العراق على يدي عثمان بن أبي العاص الثقفي رضي الله عنه[2].

وفيها كان فتح الأسكندرية المرة الأخيرة، والحصين من أرض مصر على يدي عمرو بن العاص رضي الله عنه؛ فقتل المقاتلة وسبى الذرية؛ فأمر عثمان رضي الله عنه بردّ السبي الذين سبوا من القرى إلى مواضعهم للعهد الذي كان لهم، ولم يصح عنده نقضهم[3].

[عمّاله على الأمصار] وفيها ولى عثمان رضي الله عنه عبد الله بن سعد بن أبي سرح مصر، وكان تركه عمر رضي الله عنه واليا على يد الصعيد، وعزل عمرو بن العاص فغضب عمرو من ذلك، وكان بدأ شرّ بينه وبين عثمان، واعتزل عمرو في ناحية فلسطين، وكان يأتي المدينة أحيانا، ويطعن في خلال ذلك على

---

(1) صحيح البخاري- ص 650-651.

(2) تم ذلك سنة 26هـ عند خليفة بن خياط- تاريخ- ص 91.

(3) ابن عبد البر- الاستيعاب- ج2 ص 504.

عثمان رضي الله عنه[1].

وفيها عزل سعد بن أبي وقاص عن الكوفة، وكان أقرّ عليها المغيرة بن أبي شعبة شيئا يسيرا ثم عزله، وولى سعدا ثم عزله، وولى الوليد بن عقبة بن أبي معيط، واسم معيط أبان بن أبي عمرو ذكوان بن أمية بن عبد شمس، وكان أخا عثمان رضي الله عنه لأمه، وفيه نزلت: **«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا [أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ]»**[2]، وفيه وفي علي بن أبي طالب نزلت: /35و/**«أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ»**[3].

فلما قدم الوليد [على] سعد، قال له سعد: والله ما أدري أكسبت بعدنا أم حمقنا بعدك؛ فقال: لا تجزعنّ أبا إسحاق فإنما هو الملك يتغدّاه قوم ويتعشّاه آخرون؛ فقال سعد: أراكم ستجعلونها ملكا، ثم أتاه ابن مسعود؛ فقال له: ما جاء بك؟ فقال: جئت أميرا؛ فقال ابن مسعود: ما أدري أصلحت بعدنا أم فسد الناس؟ وكان الوليد شريب خمر، صلّى بأهل الكوفة صلاة الصبح أربع ركعات، ثم التفت إليهم فقال: أزيدكم؟ فقال له عبد الله بن مسعود: ما زلنا معك في زيادة منذ اليوم، وكان شاعرا كريما وله خلق ومروءة؛ فحمده أهل الكوفة وقتا، ثم رفعوا عليه لعثمان رضي الله عنه فعزله عنهم[4]، وولى سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية، وحجّ بالناس عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه.

[فتح سابور] وفي سنة ست وعشرين كان فتح بقية سابور من أرض العراق، وافتتحها عثمان بن أبي العاص الثقفي، وغلب على كل قلعة فيها وربض، ويقال افتتحها صلحا صالحهم ثلاثمائة ألف وثلاثة آلاف[5]، وحج بالناس عثمان رضي الله عنه واعتمر في رجب فدخل مكة ليلا وطاف بالبيت وسعى بين الصفا والمروة قبل أن يصبح، ثم رجع إلى المدينة.

---

(1) نفسه- ج2 ص 504.

(2) سورة الحجرات- الآية 6.

(3) سورة السجدة- الآية 18.

(4) خبر الوليد بن عقبة منقول عن ابن عبد البر- كتاب الاستيعاب- ج3 صص 594-597.

(5) قارن مع تاريخ خليفة بن خياط- ص 91.

[توسيع المسجد الحرام] وفيها زاد عثمان رضي الله عنه في المسجد الحرام ووسّعه، وابتاع من قوم ديارهم، وأبى آخرون فهدم عليهم ديارهم ووضع الأثمان في بيت المال فصَيّحوا بعثمان فأمر [بـ]هم إلى الحبس، وقال: ما جرأكم على الله إلا حلمي، وقد فعل هذا بكم عمر فلم تصيحوا به؛ فكلمه فيهم عبد الله بن خالد بن أسيد فخلى سبيلهم(1).

[غزوة العبادلة وموقعة سبيطلة] وفي سنة سبع وعشرين كانت غزوة إفريقية غزاها عبد الله بن أبي /35ظ/سرح في آخر السنة، ومعه العبادلة؛ فلقيه جرجير في مائتي ألف، وكان مستقر سلطانه مدينة يقال لها قرطاجنة، وكان هرقل قد استخلفه؛ فخلع جرجير هرقل، وضرب الدنانير على وجهه، وكان سلطانه ما بين أطرابلس إلى طنجة؛ فقتل الله جرجير وانهزم أصحابه، وكان الذي ولي قتله فيما يزعمون عبد الله بن الزبير رضي الله عنه، وأقام ابن أبي سرح بسبيطلة، وبث السرايا وفرّقها فأصابوا غنائم كثيرة؛ فلما رأى ذلك رؤساء أهل إفريقية طلبوا إلى عبد الله بن سعد أن يأخذ منهم مالا على أن يخرج من بلادهم؛ فقبل منهم ذلك، وصالحوه على مائتي(2) ألف رطل من الذهب، وقيل على ألف ألف دينار وخمسمائة ألف دينار وعشرين ألف دينار، ورجع إلى مصر، ولم يول عليها أحدا، ولم يتخذ بها قيروانا، وقسم الغنائم بعد إخراج الخمس فبلغ سهم(3) الفارس ثلاثة آلاف دينار: للفرس(4) ألفا دينار ولفارسه ألف، وللراجل ألف دينار، وكان جيش عبد الله بن سعد عشرين ألفا(5).

وفيها ضرب عثمان على مجوس بها الجزية، دينارا على كل رجل.

وفيها كانت غزوة اصطخر الثانية وافتتاحها على يدي عثمان بن أبي العاص(6).

---

(1) انظر تاريخ الطبري- ج5 ص 92/ابن الأثير- الكامل- ص 372.

(2) في الأصل مائتا، والصواب ما أثبتنا.

(3) منهم في الأصل، وما أثبتنا من كتاب فتوح مصر وأخبارها- ص 313.

(4) للفارس في الأصل، وما أثبتنا من كتاب فتوح مصر وأخبارها- ص 313.

(5) النص المتعلق بفتح إفريقية مقتبس عن ابن عبد الحكم- فتوح مصر وأخبارها- ص 312-313.

(6) انظر ابن الأثير- الكامل- ص 374.

وفيها غزا معاوية قبرس في البحر ومعه أم حرام الأنصارية، كانت مع زوجها عبادة بن الصامت؛ فتوفيت فقبرها هنالك، يستشفى بترابها أهل قبرص، ويسمونه قبر المرأة الصالحة[1]، وحج بالناس عثمان بن عفان رضي الله عنه، وصلى بهم العيد.

وفي سنة ثمان وعشرين قدم عبد الله بن الزبير بفتح إفريقية بعثه عبد الله بن أبي سرح؛ فسار على راحلته من إفريقية إلى المدينة عشرين ليلة؛ فدخل على عثمان؛ فجعل يخبره بلقائهم العدو، وما كان في تلك الغزوة؛ فأعجب عثمان رضي الله عنه؛ فقال: هل تستطيع /36و/أن تخبر الناس بمثل هذا؟ قال: نعم؛ فأخذ بيده حتى انتهى به إلى المنبر، ثم قال اقصص عليهم ما أخبرتني به؛ فتلكأ عبد الله بَدِءًا؛ فأخذ الزبير حصباء وهمّ أن يحصبه بها، ثم تكلم كلاما أعجبهم؛ فكان الزبير يقول: إذا أراد أحدكم أن يتزوج المرأة فلينظر إلى أبيها وإلى أخيها؛ فلن[2] يلبث أن يرى رُبَيطَةً منها ببابه لما كان يرى من شبه ابنه عبد الله بأبي بكر الصديق رضي الله عنه[3].

[غزوة صورية] وفيها كانت غزوة صورية من أرض الروم، وفيها تزوج عثمان رضي الله عنه نائلة بنت الفرافصة الكلبية، وكانت من السماوة[4] على النصرانية قبل أن تدخل عليهم، ثم أسلمت قبل البناء[5] ؛ فلما أدخلت عليه، قال لها عثمان: إني شيخ كبير فلا تنكرين مني ذلك؛ فقالت: والله إني لمن نسوة أَحَبُّ الأزواج إليهن السيد الكهل مثلك، قال لها: أتقومين إلي أم أقوم إليك؟ فقالت: ما جئتك من أرض السماوة، وأنا أريد أن [أنثني][6] إلى عرض البيت؛ فقامت إليه؛ فقال: ضعي رداءك؛ فوضعته، قال: اخلعي درعك؛ فخلعته، ثم قال لها: حلّي مئزرك؛ فقالت له: أنت وذاك[7].

---

(1) انظر ابن الأثير- الكامل- ص 374-375.

(2) في الأصل فلم، وما أثبتنا من ابن عبد الحكم.

(3) الكلام منقول عن ابن عبد الحكم- فتوح مصر وأخبارها- ص 315.

(4) السماوة: وهي بادية بين الكوفة والشام.ياقوت الحموي- معجم البلدان- ج 3 ص 245.

(5) ابن الأثير- الكامل- ص 375.

(6) في الأصل تنعنّى، وما أثبتنا من كتاب التأريخ لابن حبيب.

(7) أورد عبد الملك بن حبيب نفس الخبر- كتاب التأريخ- ص 111.

[غزوة مدينة قبرص] وفيها سبيت مدينة قبرص، قال جبير بن نفير: فنظرت إلى أبي الدرداء، وهو يبكي؛ فقلت له ما يبكيك؟ وهو يوم أعزّ الله فيه الإسلام وأهله، وأذلّ الشرك وأهله؛ فضرب على مَنْكِبَيّ، وقال: ثكلتك أمك يا جبير، وما أهون الخلق على الله إذا تركوا أمره بينا[1]، هي أمة ظاهرة قاهرة في عزّ وملك، إذا تركوا أمر الله تعالى فصاروا إلى ما ترى: سلط الله عليهم السّبي[2] ؛ فأفقرهم[3] بعد الغنى[4].

وفي سنة تسع وعشرين كان افتتاح الجرف من أرض العراق، وفيها كانت غزوة قبرس الأخيرة علي يد معاوية.

وفيها ظهر الطعن على عثمان رضي الله /36ظ/عنه ونقص به، وتكاتب الناس بذلك.

[توسيع المسجد النبوي] وفيها وسّع عثمان مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ضاق على الناس فكلموه في توسيعه فوسعه فابتدأ عمله في شهر ربيع الأول، وكان يباشر عمله ويقوم على رجليه والعمال يعملون وربما قام في المسجد فبناه بالحجارة المنقوشة، وجعل عمده من حجارة فيها الرصاص، وسقفه بالسّاج[5]، وجعل طوله ستين ومائة ذراع وعرضه خمسين ومائة ذراع[6]، وجعل أبوابه ستة كما كانت على عهد عمر رضي الله عنه باب عاتكة ويليه باب مروان ويليه باب يلي قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويليه باب يقال له باب النبي صلى الله عليه وسلم، وبابين مؤخر المسجد[7].

[أحداث أخرى وقعت سنة 29هـ] وفيها رجم عثمان رضي الله عنه امرأة

---

(1) في الأصل بينما، وما أثبتنا من ابن حبيب.

(2) السباء عند عبد الملك بن حبيب.

(3) وأفقرهم عند ابن حبيب.

(4) ورد نفس النص عند عبد الملك بن حبيب- كتاب التأريخ- ص 111.

(5) السّاجُ: ضرب من الشجر يعظم جدًا، ويذهب طولا وعرضا، وله ورق كبير- المعجم الوسيط- ص 460.

(6) ورد نفس النص عند عبد الملك بن حبيب- كتاب التأريخ- ص 112.

(7) انظر ابن الأثير- الكامل- ص 376.

من جهينة[1]، وأتم الصلاة بمنى وعرفة فكلم في ذلك؛ فقال: إني اتخذت بمكة أهلا فصرت من أهلها[2].

وروي عن مالك رضي الله عنه أنه قال: إن عثمان بن عفان رضي الله عنه ولى زيداً بن ثابت بنيان جدار المسجد الذي يلي القبلة، وأعطاه مالا ينفقه؛ ففضل من ذلك المال مائة ألف درهم فوهبها له عثمان رضي الله عنه.

وفيها عزل أبا موسى الأشعري عن البصرة وعثمان بن أبي العاص عن فارس، وجمع ذلك أجمع لعبد الله بن عامر بن كريز[3]، ويقال فيها افتتحت أصبهان، افتتحها أبو موسى الأشعري رضي الله عنه، وقيل عبد الله بن عامر افتتح أطراف فارس كلها وعامة خراسان وأصبهان وحلوان وكرمان، وهو الذي شق نهر البصرة، ولم يزل واليا لعثمان عليها إلى أن قتل عثمان رضي الله عنه، وكان ابن خال عثمان، وكان يوم ولاه ابن أربع وعشرين سنة، وقيل ابن ست عشرة سنة[4].

وكان عزل أبا موسى الأشعري عن البصرة على يدي شبل بن معبد، وذلك /37و/أنه دخل على عثمان حين لم يكن عنده غير أموي؛ فقال: ما لكم يا معشر قريش؟ أما فيكم صغير تريدون أن ينبل أو فقير تريدون غناه أو خامل تريدون التنويه باسمه على ما أقطعتم هذا الأشعري العراق يأكلها خضما[5] ؛ فقال عثمان رضي الله عنه: ومن له؟ فأشاروا لعبد الله بن عامر فولاه حينئذ[6].

وفيها افتتحت جرجان على يدي سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس، وكان أبدا يقال ضرب بجرجان رجلا على حبل عاتقه؛ فأخرج السيف من مرفقه، وقيل فيها كان فتح إصطخر الثانية على يدي عبد الله بن عامر[7].

---

(1) لمزيد من التفصيل انظر عبد الملك بن حبيب- كتاب التأريخ- ص 112.

(2) انظر ابن الأثير- الكامل- ص 376.

(3) انظر تاريخ خليفة بن خياط- ص 92-93.

(4) خبر عبد الله منقول عن ابن عبد البر- الاستيعاب- ج2 ص 351-352.

(5) خضم: خضمه خضما قطعه وأكله بجميع فمه أو بأقصى أضراسه. المعجم الوسيط- ص 242.

(6) خبر عزل أبي موسى منقول عن ابن عبد البر- الاستيعاب- ج 2 ص 151.

(7) انظر تاريخ خليفة بن خياط- ص 94.

وفي سنة ثلاثين كانت غزوة طبرستان من أرض العراق غزاها سعيد بن العاص وهو أمير الكوفة، ويقال كان معه الحسن والحسين رضي الله عنهما، افتتحت صلحا على أن تؤدي ما يؤدي ما حولها[1].

[ضياع خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم] وفيها سقط خاتم رسول الله صلى الله عليه وسلم من يد عثمان رضي الله عنه في بئر أريس على ميلين من المدينة، وهذه البئر كانت في جنان عثمان؛ فجلس على حافتها مع بعض أصحابه؛ فجعل يحيل الخاتم من يده اليمنى إلى يده اليسرى؛ فسقط الخاتم في البئر، وكانت البئر من أقل الآبار ماء فما أدرك لها قعر من يومئذ؛ فبات عليها ثلاث ليال يمسح منها الماء الليل والنهار؛ فما يزيد الماء إلا كثرة، وكان قبل أن يقع الخاتم في البئر مات رجل من الخزرج؛ فلما وضع من موضع الجنائز، وتقدم الإمام ليصلي عليه تكلم، وهو في أكفانه، كلاما مفهوما: أبو بكر الصديق اللين في نفسه، القوي في أمر الله، صدق وصدق، عمر بن الخطاب القوي في بدنه، القوي في أمر الله، صدق وصدق، عثمان بن عفان، بئر أريس، [وما] بئر أريس؛ فلم يدر الناس ما بئر أريس حتى سقط فيها الخاتم، وكان خاتم /37ظ/رسول الله صلى الله عليه وسلم، صار من بعده إلى أبي بكر ثم إلى عمر ثم إلى عثمان؛ فحبس عثمان ذلك الجنان الذي سقط في بئره الخاتم، وإنما سميت هذه البئر بأريس لأنها نسبت إلى رجل من اليهود كانت له هذه البئر يسمى أريس؛ فيقال إن من يومئذ نقم الناس على عثمان رضي الله عنه[2].

وفيها افتتحت مرو، ويقال فيها افتتحت طبرستان.

[غزوات أخرى] وفي سنة إحدى وثلاثين كانت غزوة [ذي الصواري][3] في البحر، وهي قرية من المصيصة[4]، وفيها كانت غزوة وتدان من أرض الروم من

---

(1) لمزيد من التفاصيل انظر الكامل في التاريخ- ص 378.

(2) قارن مع النص الذي أورده عبد الملك بن حبيب- كتاب التأريخ- ص 112-113، وابن الأثير- الكامل- ص 379.

(3) غزوة الأواسين في الأصل، وما أثبتنا من ابن عبد الحكم- فتوح مصر- ص 321، والطبري- تاريخ- ج5 ص115.

(4) المصيصة: بالفتح ثم الكسر والتشديد وياء ساكنة، وهي مدينة على شاطئ جيحان من ثغور

ناحية المصيصة، وأمير الناس عبد الله بن أبي سرح، وفيها غزا عبد الله الأساود من أرض النوبة، وهادنهم الهدنة الباقية[1].

وفي سنة اثنتين وثلاثين كانت غزوة المضيق من أرض الروم، مضيق القسطنطينية أميرها معاوية بن أبي سفيان.

وفي سنة ثلاث وثلاثين غزا معاوية ملطية[2] وإفريقية وحصن[3] المرأة من أرض الروم[4]، وفيها قدم عبد الله بن عامر[5] والأحنف بن قيس إلى بلد خراسان فافتتحا المروين: مرو السامجان[6] [صلحا][7]، ومرو الرّود [بعد قتال شديد][8]، وفيها غزا ابن أبي سرح الحبشة[9].

[غزوة ذي الصواري] وفي سنة أربع وثلاثين كانت غزوة الصواري من أرض مصر، وكان أمير الناس عبد الله بن أبي سرح، وذلك أنه لما نزل ذا[10] الصواري في مائتي مركب ونيف أنزل نصف الناس مع بُسْر[11] [ابن أبي أرطأة][12] في البر بسرية ابن أرطأة، وواعد المسلمون الروم أن يلتقوا في البحر؛ فلما مضوا أتى آت إلى عبد الله بن سعد بن أبي سرح فقال: ما كنت فاعلا حين ينزل بك ابن هرقل في ألف مركب فافعله الساعة؛ فقام عبد الله بن سعد بين ظَهْرَانَيْ الناس فقال:

الشام بين أنطاكية وبلاد الروم تقارب طرسوس، والمصيصة أيضا قرية من قرى دمشق قرب بيت لِهيا.معجم البلدان- ج5 ص 144-145.

(1) انظر ابن عبد الحكم- فتوح مصر وأخبارها- ص 318.

(2) في الأصل مطلية وهو تصحيف.

(3) في الأصل عطر، وما أثبتنا من الطبري ج 5 ص133.

(4) انظر تاريخ خليفة بن خياط- ص 98.

(5) في الأصل عبد الله بن عباس، وما أثبتنا من الطبري- ج5 ص130.

(6) الشاهجان عند الطبري- تاريخ- ج5 ص 133.

(7) الزيادة من الطبري.

(8) في الأصل صلحا، وما أثبتنا من الطبري- تاريخ- ج5 ص 133.

(9) انظر تاريخ خليفة بن خياط- ص 98.

(10) ذلك في الأصل، وما أثبتنا من ابن عبد الحكم- فتوح مصر وأخبارها- ص 321.

(11) في الأصل بشر.

(12) الزيادة من ابن عبد الحكم.

قد بلغني أن قسطنطين بن هرقل[1] قد أقبل إليكم في ألف مركب فأشيروا عليّ؛ فما كلَّمه[2] رجل من المسلمين؛ فجلس قليلا /38و/لترجع إليهم أفئدتهم، ثم قام الثانية فكلمهم؛ فما كلمه أحد؛ فجلس، ثم قام الثالثة فكلمهم؛ فقال: لم يبق شيء فأشيروا عليّ؛ فقام رجل من أهل المدينة كان متطوعا مع عبد الله بن سعد فقال: أيها الأمير إن الله تعالى يقول: **«كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللهِ واللهُ مَعَ الصَّابِرِين»**[3]، فقال عبد الله: اركبوا بسم الله؛ فركبوا، وإنما في كل مركب نصف شحنته[4] ؛ فخرج النصف الآخر إلى البر مع بسر بن أرطأة؛ فلقوهم فاقتتلوا بالنبل والنشّاب، وتأخر ابن هرقل لئلا تصيبه الهزيمة، وجعلت القوارب تختلف إليه بالأخبار؛ فقال: ما فعلوا؟ قال: اقتتلوا بالنبل والنشاب؛ فقال: غلبت الروم، ثم أتوه فقال: ما فعلوا؟ قالوا: قد نفد النبل والنشاب، وهم يقتتلون بالحجارة، قال: قد غلبت الروم، ثم أتوه فقال: ما فعلوا؟ قالوا: نفدت الحجارة، وربطوا المراكب بعضها إلى بعض يقتتلون بالسيوف، قال: غُلبت الروم[5].

فاقتتلوا أشدّ قتال ما رئي قط، لم يكن إلا الضرب بالسيف والطعن بالخنجر، وصبر الفريقان جميعا حتى كان الظفر للمسلمين؛ فقتلوا من الروم ما لا يحصى حتى صارت أجسادهم كأمثال الجبال، ورجع من بقي منهم في أيام خالية[6] من الريح؛ فبعث الله عليهم ريحا غرّقتهم كلهم إلا قسطنطين نجا في مركبه فألقته الريح بصقلية؛ فسألوه عن أمره فأخبرهم؛ فقالوا: شمّتّ النصرانية وأفنيت رجالها، لو دخلت العرب علينا لم تجد[7] من يردهم؛ فقال: خرجنا مقتدرين فأصابنا هذا؛ فصنعوا له الحمام، ودخلوا عليه؛ فقال: ويلكم تذهب رجالكم وتقتلوا[8] ملككم؟

---

(1) هرقل عند ابن عبد الحكم، وهو خطأ لأن هرقل قد مات سنة 19هـ، والمسلمون محاصرون للأسكندرية. فتوح مصر وأخبارها- ص 321.

(2) في الأصل فكلمه، والتصويب من ابن عبد الحكم- فتوح مصر وأخبارها-ص 321.

(3) سورة البقرة- الآية 250.

(4) شحنة في الأصل، وما أثبتنا من ابن عبد الحكم- ص 321.

(5) النص منقول عن ابن عبد الحكم- فتوح مصر وأخبارها- ص 320-322.

(6) غالبة عند ابن عبد الحكم- ص 323.

(7) عند ابن عبد الحكم: نجد.

(8) تقتلون عند ابن عبد الحكم.

قالوا: كأنه غرق معهم، ثم قتلوه، وخلوا من كان معه في المركب[1].

ثم قدم ابن أبي سرح على عثمان رضي الله عنه، واستخلف على مصر السّائب بن هشام بن عمرو العامري فانتزى [عليه] محمد بن أبي/38ظ/حذيفة بن عتبة بن ربيعة فخلع السائب وتأمر على مصر، ورجع عبد الله بن أبي سرح من وفادته فمنعه ابن أبي حذيفة من دخول الفسطاط، فمضى إلى عسقلان؛ فأقام بها حتى قتل عثمان رضي الله عنه، وقيل بل أقام بالرملة حتى مات [فاراً][2] من الفتنة، ولم يبايع لعلي ولا لمعاوية، وكانت وفاته قبل اجتماع النّاس على معاوية سنة ست وثلاثين، وقيل سنة سبع وثلاثين[3].

[العمّال على الأمصار] وفيها أعني سنة أربع وثلاثين خرج إلى إفريقية معاوية بن حديج التجيبي؛ فافتتح قصورا عظيمة، وغنم غنائم هائلة، واتخذ قيروانا عند القرن؛ فلم يزل فيه حتى رجع إلى مصر، وكانت معه جماعة من المهاجرين والأنصار[4].

وفيها عزل عثمان رضي الله عنه سعيد بن العاص عن الكوفة، وولى الوليد بن عقبة؛ فمكث مدة، ثم شكاه أهل الكوفة فعزله، وردّ سعيدا؛ فقال بعض شعرائهم:

يَا وَيْلَنا قَدْ ذَهَبَ الوَلِيدُ وجاءنا من بعده سعيد
ينقص في الصاع ولا يزيد [فجوع الإماء والعبيد][5]

وقال بعض شعرائهم في ذلك أيضا:

فررت من الوليد إلى سعيد كأهل الحجر إذ جزعوا فباروا
بلينا من قريش كل عام أمير محدث أو مستشار
لنا نار نخوفها فنخشى وليس لهم فلا يخشون نار

فرده لأهل الكوفة، وكتبوا إلى عثمان لا حاجة لنا في سعيدك ولا في

---

(1) النص منقول عن ابن عبد الحكم- فتوح مصر وأخبارها- ص 320-323.
(2) الزيادة من ابن عبد البر.
(3) النص مقتبس حرفيا من ابن عبد البر- كتاب الاستيعاب- ج ص 369-370.
(4) النص مقتبس من ابن عبد الحكم- فتوح مصر- ص 327.
(5) الزيادة من الطبري، وقارن مع ما أورده هذا الأخير- تاريخ- ج5 ص 108-109.

وليدك، ورغبوا إليه أن يولي عليهم أبا موسى الأشعري فولاه فكان عليها إلى أن قتل عثمان، وكان في سعيد تجبر وغلظة وشدّة سلطان، وكان الوليد أسخى وأسنَّ /39و/منه وألين جانبا، ولما قتل عثمان لزم سعيد هذا بيته، واعتزل أيام الجمل وصفين؛ فلم يشهد شيئا من تلك الحروب، وكذلك الوليد نزل البصرة بعد قتل عثمان، ثم خرج إلى الرقة فنزلها، واعتزل عليا ومعاوية، ومات بها فقبره الآن بالرقة، وعقبه في ضيعة له[1].

[فتنة الأمصار ومقتل عثمان رضي الله عنه] وفي سنة خمس وثلاثين حصر عثمان رضي الله عنه، وذلك قبل هلال ذي القعدة بثلاث، وكان الذين قدموا عليه من مصر وحصروه ستمائة رجل، والذين قدموا عليه من الكوفة عمرو بن الحسن الخزاعي والأشتر النخعي، وهو ملك بن الحارث وعدي بن حاتم الطائي أصحاب علي رضي الله عنه، وشهدوا معه الجمل وصفين، ومن البصرة أكثم بن جبلة العبدي نحو من مائة، رجل هؤلاء كلهم قدموا لقتله، وكان الأمير على الجيش عبد الرحمن بن عديس البلوي، وكان ممن شهد الحديبية، وبايع النبي صلى الله عليه وسلم تحت الشجرة.

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: يخرج ناس يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، يقتلون بجبل لبنان والخليل بالخليل أو بجبل عند لبنان؛ فلما كانت الفتنة كان عبد الرحمن بن عديس ممن أخذ معاوية في الرهن؛ فسجنهم بفلسطين؛ فهربوا من السجن؛ فأدركوا بجبل الخليل ولبنان؛ فأدرك فارس عبد الرحمن بن عديس؛ فقال له: ويحك اتق الله في دمي؛ فإني من أصحاب الشجرة؛ فقال الشجر بالخليل ولبنان كثير فقتله[2].

وعطش عثمان رضي الله عنه في حصره حتى شرب ماء بئره، وكان قد اشترى بئر رومة بالعقيق بأربع مائة دينار من المزني فتصدق بها على المسلمين، وكان يصوم الدهر، وأراد الناس أن يقاتلوا معه فأبى، وقال: سنجتمع وإياهم عند الله

(1) قارن مع ما أورده ابن عبد البر- كتاب الاستيعاب- ج3 ص 597-598.

(2) انظر ابن حجر العسقلاني- الإصابة- ج2 ص 403-404/ابن عبد البر- الاستيعاب- ج2 ص 403.

تعالى، وسيرون بعدي /39ظ/أموراً[1] يتمنون أني عشت لهم، وقد عرفت أنهم خدعوا وغرّوا، والله لو لم أقتل لمت وما لي في الحياة مستمتع، لقد كبر[2] سني ورقّ عظمي وسلس بولي، وجاوزت سن[3] أهل بيتي، وهؤلاء القوم لا يريدون تركي، والله ما أرغب في إمارتهم، ولولا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله سيُقمِّصُك قميصا فإن راودوك على خلعه فلا تخلعه لهم، لجلست في منزلي ولتركتهم على إمارتهم، والله لو تركتهم[4] ما تركوني، اللهم فأظلمهم[5]، وشتّت أمرهم، وخالف بين كلمتهم[6]، وانتقم لي منهم؛ فكان كما قال[7].

وكان معه في الدار ممن يريد الدفع عنه عبد الله بن عمر وعبد الله بن سلام وعبد الله بن الزبير والحسن بن علي وأبو هريرة ومحمد بن حاطب وزيد بن ثابت ومروان بن الحكم في طائفة من الناس منهم المغيرة بن الأخنس، قتل يومئذ قبل قتل عثمان، رمي بسهم فمات[8].

قال أبو هريرة: قلت يا أمير المؤمنين الآن طاب الضراب، قتلوا منا رجلا، قال: عزمت عليك يا أبا هريرة إلا رميت سيفك إنما تراد نفسي، وسأقي المؤمنين نفسي، قال أبو هريرة: فرميت سيفي فلا أدري أين هو حتى الساعة[9].

فحصر رضي الله عنه تسعة وأربعين يوما، وقيل شهرين وعشرين يوما؛ فأشرف عليهم ذات يوم في حصره؛ فقال: السلام عليكم فما ردّ أحد عليه؛ فقال: أنشدكم الله هل تعلمون أني اشتريت بئر رومة من مالي، وجعلت فيه رشائي[10] كرشاء رجل من المسلمين؛ قيل نعم، قال فعلى ما تمنعوني أشرب من مائها، وأفطر

---

(1) حمل في الأصل.
(2) كبرت عند ابن حبيب.
(3) أسنان عند ابن حبيب.
(4) لو فعلت عند ابن حبيب.
(5) فاطلبهم عند ابن حبيب.
(6) كلمهم عند ابن حبيب.
(7) قارن مع ما أورده عبد الملك بن حبيب- كتاب التأريخ- ص 113-114.
(8) هذه الفقرة مقتبسة من كتاب الاستيعاب- ج3 ص 79.
(9) الكلام مقتبس من كتاب الاستيعاب- ج3 ص 79.
(10) الرشاء الحبل أو حبل الدلو ونحوها. المعجم الوسيط- ص 348.

على الماء الملح، ثم قال: أنشدكم الله هل تعلمون أني اشتريت كذا وكذا من أرض فزدته في المسجد؟ فهل علمتم أن أحدا منع أن يصلي فيه قبلي؟[1].

وكان أبو أيوب خالد بن يزيد الأنصاري يصلي بالناس في حصره، ثم صلى بهم سهل بن حنيف، وأقام للناس /40و/الحج عبد الله بن عباس رضي الله عنهم أجمعين، وكان ولاه الحج عثمان رضي الله عنه.

وكان أول من دخل عليه محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه في أربعة نفر منهم عمر بن الحسن الخزاعي؛ فأخذ محمد بلحيته؛ فقال له: دعها يا ابن أخي فوالله لقد كان أبوك يكرمها؛ فاستحى وخرج، ثم دخل رومان بن سرحان[2]، رجل أزرق قصير محدود، عداده في مراد، وهو من ذي أصبح، معه خنجر فاستقبله به، وقال: على أي دين أنت يا نعثل[3] ؟ والنعثل الشيخ الأحمق؛ فقال عثمان: لست بنعثل، ولكني عثمان بن عفان، وأنا على ملة إبراهيم حنيفا مسلما، وما أنا من المشركين، قال: كذبت وضربه على صدغه الأيسر فقتله فخرّ، وأدخلته امرأته نائلة بينها وبين ثيابها، وكانت امرأة جسيمة، ودخل رجل من أهل مصر معه السيف مصلتا؛ فقال: والله لأقطعنّ أنفه؛ فعالج امرأته فكشفت عن ذراعيها، وقبضت على السيف فقطع إبهامها؛ فقالت لغلام لعثمان يقال له رياح الرومي ومعه سيف عثمان: أعني على هذا وأخرجه عني؛ فضربه الغلام بالسيف فقتله[4]، وتمثل حين هجم عليه:

يبيتون أهل الحصن والحصن مغلق ... ويأتي الجبال في شواهقها الفل

واختلف فيمن باشر قتله؛ فقيل محمد بن أبي بكر ضربه بمِشْقَص[5]، وقيل بل

---

(1) النص مقتبس من ابن عبد البر- كتاب الاستيعاب- ج3 ص 75-76.

(2) انظر تاريخ خليفة بن خياط- ص 103، وعند الطبري وابن الأثير سودان بن حمران- تاريخ- ج5 ص 181/الكامل- ص 398.

(3) في الأصل النعثل، والصواب ما أثبتنا من الطبري، النعثل: الشيخ الأحمق.المعجم الوسيط- ص 933.

(4) هذه الفقرة مقتبسة من كتاب الاستيعاب- ج3 ص 77.

(5) المِشْقص: من النصال، الطويل العريض، وسهم ذو نصل عريض. المعجم الوسيط- ص 489.

حبسه محمد بن أبي بكر، وأشعره غيره، وقيل قتله سودان بن حمران، وقيل بل ولي قتله رومان المذكور، وقيل بل رومان آخر رجل من بني أسد بن خزيمة، وقيل إن محمد بن أبي بكر أخذ بلحيته فهزها وقال: ما أغنى عنك معاوية، وما أغنى عنك ابن أبي سرح، وما أغنى عنك ابن عامر؛ فقال له: يا ابن أخي أرسل لحيتي فوالله إنك لتجبذ في لحية كانت تعز على أبيك، وما كان أبوك يرضى مجلسك /40ظ/هذا مني؛ فيقال إنه حينئذ تركه وخرج عنه، ويقال إنه حينئذ أشار إلى من معه فطعنه أحدهم وقتله والله أعلم، ويقال إن قطرة أو قطرات من دمه سقطت على المصحف، وكان منشورا بين يديه على قوله تعالى: «فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللهُ [وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيم]»[1].

وروي عن كنانة مولى صفية رضي الله عنها قال: شهدت مقتل عثمان رضي الله عنه؛ فأخرج من الدار أمامي أربعة من شباب قريش مضرجين[2] بالدم محجولين[3] كانوا يدرأون عثمان رضي الله عنه، الحسن بن علي وعبد الله بن الزبير ومحمد بن حاطب رضي الله عنهم ومروان بن الحكم، قيل له هل ندى محمد بن أبي بكر بشيء من دمه؟ فقال: معاذ الله دخل عليه؛ فقال له عثمان رضي الله عنه: يا ابن أخي لست بصاحبي؛ فكلمه بكلام، وخرج ولم يند بشيء من دمه؛ فقيل لكنانة: من قتله؟ فقال: قتله رجل من أهل مصر يقال له جبلة بن الأيهم، ثم طاف بالمدينة ثلاثا يقول: أنا قاتل نعثل[4].

عن أبي جعفر الأنصاري قال: دخلت مع المصريين على عثمان فلما ضربوه خرجت أشتدّ حتى دخلت المسجد؛ فإذا رجل جالس في نحو عشرة عليه عمامة سوداء فقال: ويحك ما وراءك؟ قلت: قد والله فرغ من الرجل؛ فقال: تبا لكم آخر الدهر؛ فنظرت فإذا هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه[5].

وروى ابن الحكم أنه قال: أقبلت من إفريقية أنا ورجل من العرب من لخم،

---

(1) سورة البقرة- الآية 137.

(2) ملطخين عند ابن عبد البر- كتاب الاستيعاب- ج3 ص 78.

(3) محمولين عند ابن عبد البر.

(4) الكلام مقتبس من كتاب الاستيعاب- كتاب الاستيعاب- ج3 ص 78.

(5) الرواية مقتبسة من كتاب الاستيعاب- كتاب الاستيعاب- ج3 ص 79.

أو قال من جذام، حين أرسلني عبد الله بن سعد، قال: فسرنا حتى إذا كنا ببعض الطريق قرب الليل فقال لي صاحبي: هل لك إلى صديق لي ها هنا؟ قلت ما شئت، قال فعدل بي عن الطريق حتى أتى إلى دير، وإذا سلسلة معلقة فأخذ السلسلة فحركها، وكان أعلم مني؛ فأشرف علينا رجل؛ فلما رآنا فتح الباب /41و/فدخلنا؛ فلم يتكلم حتى طرح لي فراشا ولصاحبي مثله، ثم أقبل على صاحبي يكلمه بلسانه فراطنه حتى سؤت ظنا، ثم أقبل عليّ فقال: أي شيء قرابتك من خليفتهم؟ فقلت: ابن عمه، قال: هل أحد أقرب إليه منك؟ قلت: لا إلا أن يكون ولده، قال صاحب الأرض المقدسة أنت؟ قلت لا، قال: فإن استطعت أن يكون هو فافعل، ثم أريد أن أخبرك بشيء، وأخاف أن تضعف عنه، قال: قلت إليّ تقول هذا وأنا.

ثم أقبل على صاحبه فراطنه، ثم أقبل عليّ يسائلني عن مثل ذلك؛ فأجبته بمثل جوابي؛ فقال إن صاحبك مقتول، وإنا نجد أنه يلي هذا الأمر من بعده صاحب الأرض المقدسة؛ فإن استطعت أن تكون ذلك فافعل؛ فأصابني لذلك رحمة، فقال لي: قد قلت لك إني أخاف ضعفك عنه؛ فقلت وما لي لا يصيبني أو كما قال، وقد نعيت لي سيد المسلمين وأمير المؤمنين.

قال: ثم قدمت المدينة فأقمت شهرًا لا أذكر لعثمان رضي الله عنه شيئا من ذلك، ثم دخلت عليه، وهو في منزله على سرير، وفي يده مروحة؛ فحدثته بذلك؛ فلما انتهيت إلى ذكر القتل أمسكت وبكيت؛ فقال لي عثمان: إلا تحدثت فحدثته؛ فأخذ بطرف المروحة يعضها، واستلقى على ظهره، وأخذ بطرف عقبه يحركه حتى ندمت على إخباري إياه، ثم قال: صدقت سأخبرك عن ذلك، وذلك أنه لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم تبوك أعطى أصحابه سهما سهما وأعطاني سهمين؛ فظننت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم إنما أعطاني ذلك لما كان من نفقتي في تبوك؛ فأتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت: إنك أعطيتني سهمين وأعطيت أصحابي سهما فظننت أن ذلك لما كان من نفقتي؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لا ولكن أحببت أن يرى /41ظ/الناس مكانك مني ومنزلتك مني.

فأدبرت فلحقني عبد الرحمن بن عوف فقال: ماذا قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم؟ ما زال يتبعك بصره؛ فظننت أن قولي قد خالف رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فأمهلته حتى إذا خرج إلى الصلاة أتيته فقلت: يا رسول الله إن

عبد الرحمن بن عوف أخبرني بكذا وكذا، وأنا أتوب إلى الله عزّ وجلّ؛ فقال: لا ولكنك مقتول أو قاتل فكان المقتول[1].

[مدة خلافته ودفنه] وكانت خلافته رضي الله عنه اثنتي عشرة سنة إلا اثني عشر يوما، وقيل ثمانية عشر يوما، وقتل يوم الجمعة لثمانية عشر يوما خلون من ذي الحجة سنة خمس وثلاثين، وهو ابن تسعين سنة، وقيل ابن ثمان وثمانين، وصلى عليه جبير بن مطعم وخلفه حكيم بن حزام وأبو جهم بن حذيفة العدوي ونيار بن مكرم الأسلمي وامرأتان نائلة بنت الفرافصة وأم البنين بنت عيينة بن حصن الفزاري، ودفن في ثيابه بدمائه ولم يغسل، ونزل في حفرته نيار وأبو جهم وجبير، وكان حكيم وأم البنين ونائلة يدلونه عليهم حتى لحدوه، وذلك ليلة السبت بين المغرب والعشاء بموضع يقال له حشّ كَوْكب[2]، وكوكب رجل من الأنصار والحش البستان، كان عثمان رضي الله عنه قد اشتراه، وزاده في البقيع، وكان أول من دفن فيه.

وقال مالك بن أنس رضي الله عنه: وكان عثمان بن عفان رضي الله عنه يمر بحشّ كوكب فيقول: إنه سيدفن هاهنا رجل صالح، وقيل صلى عليه ابنه عمر، وقيل المسور بن مخرمة؛ فلما دفنوه غيبوا قبره رحمه الله ورضي عنه «وتفرقوا[3]، ولما فرغوا من دفنه سمعوا صوتا من ناحية القبر لا يرون شخصه يقرأ: **﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾**»[4].

[رثاء الشعراء له] وقال حسان بن ثابت الأنصاري:

---

(1) بشأن مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه قارن مع كل من الطبري- تاريخ- ج5 ص 163 وما بعدها/تاريخ خليفة بن خياط- ص 98 وما بعدها/ابن الأثير- الكامل- ص 391 وما بعدها.

(2) حشّ كوكب: الحشّ في اللغة البستان، موضع عند بقيع الغرقد، قال ياقوت اشتراه عثمان بن عفان وزاده في البقيع، ولما قتل ألقي فيه، ثم دفن إلى جنبه.معجم البلدان- ج2 ص 262.

(3) قارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج5 ص194 وما بعدها/تاريخ خليفة بن خياط- ص105/ابن الأثير- الكامل- ص398-399.

(4) سورة الأنعام- الآية 159.

/42و/ قتلتم ولي الله في جوف داره وجئتم بأمر جائر غير مهتدي

فلا ظفرت إيمان قوم تعاونوا على قتل عثمان الرشيد المسدِّدِ

وقال كعب بن مالك:

يا للرجال لأمر هاج لي حزنا لقد عجبت لمن يبكي على الدِّمَنِ

إني رأيت قتيل الدار مضطهداً عثمان يُهْدَى إلى الأجداث في كَفَنِ

يا قاتل الله قوما كان أمرهم قتل الإمام الزكي الطيب الردن

ما قتلوه على ذنب ألم به إلا الذي نطقوا زورا ولم يكن[1]

وقال كعب بن مالك أيضا:

عجبت لقوم أسلموا بعد عزّهم إمامهم للمكروهات وللغدر

فلوا أنهم سيموا أمن الضيم خطة لجادهم عثمان باليد والنصر

فما كان في دين الإله بخائن ولا كان في الأقسام بالضيق الصدر

ولا كان نكاثا لعهد محمد ولا تاركا للحق في النهي والأمر

فإن أبكه أعذر لفقدي عدله وما لي عنه من عزاء ولا صبر

وهل لامرئ يبكي لعظم مصيبة لفقد ابن عفان الخليفة من عذر

فلم أر يوما كان أعظم ميتا وأهتك منه للمحارم والستر

غداة أصيب المسلمون بخيرهم ومولاهم في حالة العسر واليسر

وقال أيمن بن حزيم بن فاتك الأسدي، وكانت له صحبة:

ضحوا بعثمان في شهر الحرام ضحى فأي ذبح حرام ويحهم ذبحوا

وأي سنة كفر سنّ أولهم وباب شرّ على سلطانهم فتحوا

ماذا أرادوا أضلّ الله سعيهم بسفك ذاك الدم الزكي الذي سفحوا[2]

[عماله على الأمصار] وقتل رحمة الله عليه ورضوانه، وعامله على مكة عبد الله بن /42ظ/الحضرمي، وعلى الطائف القاسم بن ربيعة الثقفي، وعلى صنعاء يعلى بن منية، وعلى البصرة عبد الله بن عامر بن كريز، وعلى الكوفة أبو موسى

---

(1) هذه الأبيات الشعرية مقتبسة من كتاب الاستيعاب- ج 3 ص 82.

(2) الأبيات الشعرية مقتبسة من كتاب الاستيعاب- ج3 ص 83.

الأشعري، وعلى الجَنَد عبد الله بن ربيعة بن المغيرة المخزومي، وعلى مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح، وعلى الشام معاوية بن أبي سفيان[1].



(1) قارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج5 ص 200-201/ وتاريخ خليفة بن خياط- ص 106/ وابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 400.

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

رضي الله عنه

[نسبه وإسلامه]: هو علي بن أبي طالب، واسم أبي طالب عبد مناف بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي الهاشمي[1]، يلقى النبي صلى الله عليه وسلم في الأب الثاني عند عبد المطلب، يكنى أبا الحسن وأبا الحسين وأبا تراب، ثلاث كنى مشهورات له، وأبو الحسن أشهرهن.

ولكنيته بأبي تراب قصة، وذلك أنه دخل على فاطمة رضي الله عنها؛ فكان بينهما شيء فخرج فاضطجع في المسجد؛ فدخل النبي صلى الله عليه وسلم عليها فقال: أين ابن عمك؟ قالت: كان بيني وبينه شيء فغاظني؛ فخرج فلم يقل عندي؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل: انظر أين هو علي؟ فجاء فقال: يا رسول الله هو في المسجد راقد؛ فوجد رداءه قد سقط عن ظهره، وخلص التراب إلى ظهره؛ فجلس يمسح عن ظهره ويقول: اجلس يا أبا تراب مرتين[2] ؛ فما كان لعلي رضي الله عنه اسم أحب إليه منه.

أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم بن عبد مناف، ولدته في جوف الكعبة، وهي أول هاشمية ولدت لهاشمي[3]، أسلمت وهاجرت إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وسمّت ولدها عليا حيدرة باسم أبيها، وهو من أسماء الأسد، وروي عنه رضي الله عنه أنه قال: أنا الذي سمّتني أمي حيدرة، ويروى أن بعض أهل النسب قال: هل تعرفون في الصحابة رجلا يقال له /43و/أسد بن عبد مناف بن شيبة بن عمرو بن المغيرة بن زيد؟ فقالوا: لا؛ فقال: إنه هاشمي؛ فلم يعرف حتى قال: هو علي بن أبي

---

(1) انظر ابن عبد البر- كتاب الاستيعاب- ج3 ص 29.

(2) البخاري- صحيح البخاري- كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ- باب مناقب علي- الحديث 3703- ص 651.

(3) الكلام مقتبس من كتاب الاستيعاب- ج3 ص 29.

طالب، ولقبه حيدرة، والحيدرة الأسد، وعبد مناف اسم أبي طالب، وشيبة اسم عبد المطلب، وعمرو اسم هاشم والمغيرة اسم عبد مناف، وزيد اسم قصي، ودفنت أم علي بالبقيع.

أسلم رضي الله عنه وهو ابن ثماني سنين، وقيل ابن خمس عشرة، وقيل هو أول من صلى مع النبي صلى الله عليه وسلم[1].

[مبايعته بالخلافة] بويع في المدينة في اليوم الذي مات فيه عثمان رضي الله عنهما، أتاه الأشتر واسمه مالك، وهو في بيته؛ فقال: هل تنتظرون أحداً؟ قم يا طلحة ويا زبير فبايعا؛ فإني رأيت الناس لا يعدلون بعلي أحداً؛ فقاما فبايعا، ثم خرجا من عند علي يقولان: قد بايعناه بأيدينا، ولم نبايعه بقلوبنا[2].

وروي عن مالك بن أنس رضي الله عنه أنه قال: بلغني أن عليا رضي الله عنه كان حين قتل عثمان رضي الله عنه في حائط له يقال له بئر سكن؛ فلما قتل عثمان رضي الله عنه جاء وجلس على المنبر، وقام معه المصريون، وبعث إلى طلحة والزبير؛ فلما أتيا شرع لهما أهل مصر الرماح؛ فقال علي: دعوا أخوي يبايعا؛ فقالا: نبايعك على أنه إن قام قائم يطلب دم عثمان قمنا معه؛ فقال: نعم والله لا ينتطح فيها عنزان؛ فبايعا مبايعة على ذلك، وبايع الناس عليا، وتخلف على بيعته سبعة نفر: سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر وصهيب وزيد بن ثابت ومحمد بن مسلمة وسلمة بن سلامة بن وقش[3] وأسامة بن زيد[4].

وقال محمد ابن الحنفية: كنت مع علي بن أبي طالب حين قتل عثمان رضي الله عنهما؛ فدخل منزله؛ فجاء إليه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا: إن هذا الرجل قد /43ظ/قتل، ولا بدّ للناس من إمام، ولا أحد أحقّ منك بهذا الأمر ولا أقدم سابقة؛ فقال: لا تفعلوا فإني [أكون][5] وزيرا خير لكم من أمير، قالوا: لا والله لا بد من أن نبايعك؛ فقال لهم: فإن كان لا بدّ من هذا ففي المسجد؛

---

(1) انظر ابن عبد البر- كتاب الاستيعاب- ج3 ص 28-30.

(2) قارن مع ما أورده عبد الملك بن حبيب- كتاب التأريخ- ص 114.

(3) سلمة بن وقش عند الطبري- تاريخ- ج5 ص 208.

(4) قارن مع ما أورده ابن الأثير- الكامل- ص 401-402.

(5) زيادة أضفناها ليستقيم المعنى.

فإن بيعتي لا تكون خفية، ولا تكون إلا عن رضى من المسلمين؛ فأتى المسجد؛ فبايعه المهاجرون والأنصار وسائر الناس[1].

فأرسل إلى الزبير وطلحة ليبايعا فتلكأ طلحة؛ فسلّ الأشتر سيفه، وقال: والله لتبايعن أو لأضربن عنقك؛ فقال طلحة: وأين المذهب؟ فبايعه هو والزبير، وقيل إن أول من بايعه طلحة، وكان مشلول الكف، فقال رجل عند مبايعته: إنا لله، أول يد بايعت أمير المؤمنين مشلولة، لا يتم هذا الأمر[2].

[صفته] وكان علي رضي الله عنه آدم شديد الأدمة، مائلا إلى القصر، عظيم العينين والبطن، أدعج العينين، حسن الوجه، أفطس الأنف، إذا نظر أقلع، عريض ما بين المنكبين، شثن[3] الكفين، أغير كأنّ عنقه إبريق فضة، لمنكبه مشاش[4] كمشاش السبع الضاري، رقيق الذراعين لا يتبين عضده من ساعده، قد أدمجت إدماجا، إذا مشى تكفأ، شديد الساعد واليدين، إن أمسك بذراع رجل بنفسه فلم يستطع أن يتنفس، إذا مشى إلى الحرب هرول، ثبت الجنان، قوي شجاع، منصور على من لقاه، وهو إلى السمر ما هي، أبيض الرأس واللحية، ذو صلع، ليس في رأسه شعر إلا من خلفه، إختضب بالحناء ثم تركه، لم يصارع أحدا إلا صرعه[5].

وكان أصغر ولد أبي طالب، كان أصغر من جعفر بعشر سنين، وكان جعفر أصغر من عقيل بعشر سنين، وكان عقيل أصغر من أبي طالب بعشر سنين[6].

[القاضي شريح بن الحارث] وقاضيه أبو أمية شريح بن الحارث الكندي، وكان شريح أدرك الجاهلية، ويعد في كبار التابعين، وكان قاضيا لعمر بن الخطاب رضي الله عنه، /44و/ولعثمان بن عفان رضي الله عنه على الكوفة، ولم يزل قاضيا بها إلى زمان الحجّاج، وكان أعلم الناس بالقضاء، وكان ذا فطنة وذكاء ومعرفة

---

(1) انظر الطبري- تاريخ- ج 5 ص 205/ابن الأثير- الكامل- ص 400.
(2) قارن مع ما أورده الطبري- تاريخ الأمم والرسل والملوك- ج5 ص 205 وما بعدها.
(3) شثن: الشثن هو الغليظ الخشن، يقال رجل شثن الأصابع. المعجم الوسيط- ص 472.
(4) المشاش: جمع مفرده مشاشة، وهي ما يبرز من عظم المنكب. المعجم الوسيط- ص 871.
(5) قارن مع ما أورده الطبري- ج6 ص 68/ابن الأثير- الكامل- ص 462.
(6) هذا الكلام مقتبس من كتاب الاستيعاب- ج3 ص 27.

وعقل ورزانة، وكان شاعرًا محسنًا، وله أشعار محدثة في معان حسان، وكان كوسجا سناطا[1] لا شعر في وجهه، وتوفي سنة سبع وثمانين، وهو ابن مائة سنة، ولي القضاء ستين سنة من زمن عمر رضي الله عنه إلى زمن عبد الملك بن مروان[2].

[حاجبه وكتّابه] وحاجبه أبو يزيد قنبر، وكاتبه سعيد [ابن نمران] الهمداني[3] وقيل عبيد الله بن [أبي][4] رافع[5].

نقش خاتمه: الله الملك الحق المبين، وقيل كان له أربعة خواتم تختم بها: أحدها يا قوة لغلبه، نقشه: لا إله إلا الله الملك الحق المبين، والآخر فيروز لبصره، نقشه: لا إله إلا الله الملك، والآخر حديد صيني لقوته، نقش خاتمه: العزة لله جميعا، والآخر عقيق لحرزه، نقشه: ثلاثة أسطر: ما شاء الله سطر، لا قوة إلا بالله سطر، أستغفر الله سطر.

بنوه: الحسن والحسين ومحسن وأم كلثوم الكبرى وزينب الكبرى وأمهم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم، ومحمد أمه خولة بنت إياس، وجعفر وهو ابن الحنفية، ويقال هي خولة بنت جعفر بن قيس، وعبد الله وأبو بكر أمهما ليلى بنت مسعود بن خالد النهشلي، وعمرو ورقية أمهما ثعلبة، كان خالد بن الوليد سباها في الردّة فاشتراها علي رضي الله عنه، ويحيى أمه أسماء بنت عميس، وهي أم محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وجعفر والعباس وعبد الله أمهم أم البنين بنت حزام، ورملة وأم الحسن وأمهما أم سعيد بنت عروة بن مسعود الثقفي، والقاسم وعثمان وأم كلثوم الصغرى وزينب الصغرى وإبراهيم وجمانة وميمونة /44ظ/وخديجة وفاطمة وأم الكرام ونفيسة وأم سلمة

---

(1) سناطا: سَنُطَ كان كوسجا لا لحية له أصلا، أو كان خفيف العارض فهو سناط. المعجم الوسيط- ص 454.

(2) الكلام عن شريح مقتبس حرفيا عن ابن عبد البر- كتاب الاستيعاب- ج2 ص 146-147.

(3) انظر ابن حجر العسقلاني- الإصابة- ج2 ص 111.

(4) الزيادة من تاريخ خليفة بن خياط- ص 121.

(5) انظر الجهشياري- كتاب الوزراء والكتاب- ص 23.

وأمامة لأمهات شتى[1].

[نماذج من بلاغته] وكان رضي الله عنه من الفصحاء البلغاء العلماء الجلة، جلس جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتذاكرون الحروف؛ فأجمعوا أن الألف أكثر دخولا في الكلام من سائر الحروف؛ فقال علي رضي الله عنه؛ فخطب على البديهة فقال: حمدت وعظمت من عظمت منته، وسبغت نعمته، وسبقت رحمته غضبه، وتمت كلمته، ونفذت مشيئته، وبلغت قضيته، حمدته حمد مقر بربوبيته، ومختضع لعبوديته، متنصل من خطيئته، معترف بتوحيده وصمديته، مؤمل من ربه مغفرة تنجيه يوم يشغل كل عن فصيلته وبنيه، ونستعينه ونسترشده ونستهديه، ونؤمن به، ونتوكل عليه.

شهدت تشهد مخلص مؤمن، وعظمته تعظيم مؤمن متيقن، ووحدته توحيد عبد مذعن، ليس له شريك في ملكه، ولم يكن له ولي في صنعه، جلَّ عن مشير ووزير وعون معين ونظير، علم فستر، ونظر فخبر، وملك فقهر، وعصي فغفر، وحكم فعدل، وسئل فبذل، وبعدله لجميع خلقه شمل، لم يزل ولا يزول، ليس كمثله شيء، وهو قبل كل شيء وبعد كل شيء، ربّ متفرد بعزته، متمكن بقدرته، متقدس بعلوه، متكبر بسموه، ليس يدركه بصر، ولا يحيط به نظر، قوي سميع عليم بديع بصير منيع حليم كريم رؤوف رحيم، عجز عن وصفه من يصفه، وضلّ عن نعته من يعرفه، قرب فبعد وبعد فقرب، مجيب دعوة من يدعوه ويرزقه ويحبوه، ذو لطف خفي وبطش قوي ورحمة موسعة وعقوبة موجعة، رحمته جنة عريضة، وعقوبته جحيم ممدودة موبقة.

/45و/وشهدت ببعث محمد عبده ورسوله وصفيه ونبيه وحبيبه وخليله، صليت عليه تصلية تحظيه وتزلفه وتعليه وتقربه وتدنيه، بعثه في عصر وحين فترة وكفر رحمة لعبيده ومنة لمزيده، ختم به نبوته، ووضح به حجته؛ فوعظ ونصح، وبلغ وكرم، رؤوف بكل مؤمن رحيم رضي، ولي زكي كريم، عليه رحمة وتسليم وبركة وتكريم من رب غفور رحيم.

---

(1) قارن مع ما أورده ابن سعد- الطبقات الكبرى- ج2 ص 54-55/الطبري- تاريخ- ج6 ص 68-69/ابن الأثير- الكامل- ص 462-463.

وصيتكم جميع من حضرني بوصية ربكم، وذكرتكم سنة نبيكم؛ فعليكم برهبة تسكن قلوبكم، وخشية تذري دموعكم، وتقية تنجيكم قبل يوم يذهلكم ويبلوكم، يوم يفوز فيه من ثقل وزن حسناته وخف وزن سيئاته، ولتكن مسألتكم وهلعكم مسألة ذل وخضوع وشكر وخشوع وتوبة ونزوع وندم ورجوع، وليغتنم كل مغتنم منكم صحته قبل سقمه، وشبيبته قبل هرمه، وفراغه قبل شغله، وغناه قبل فقره، وحضرته قبل سفره، من قبل كبر يغره، وهرم يقيده، ووجع يؤلمه فيمله طبيبه، ويعرض عنه حبيبه، وينقطع فعله، ويتغير عليه عقله، قبل قولهم هو موعود، وجسمه منهوك في نزع شديد، وحضور كل قريب وبعيد، قبل شخوص بصره، وطموح نظره، ورشح جبينه، وخطف عرنينه[1]، وسكون جنينه، وحزبت[2] نفسه، وحفر رمسه[3]، ويكت عرسه، ويتم ولده، وتفرّق عنه صديقه وعدوه، وقسم جمعه، وذهب بصره، ولقن ومدد، ووُجِه وجُرِّدَ، وغسل وعري، ونشف ومجي[4]، وبسط له وهيئ، ونشر عليه كفنه، وشدّ منه ذقنه، وقمص وعمم، وودع عليه، وحمل فوق سريره، وصلي عليه بتكبير، ونقل من دور مزخرفة وقصور مشيّدة وحصر منجدة؛ فجعل في ضريح /45ظ/ملحود، ضيق موصود، بلبن منضود، مسقف بجلمود، وهيل عليه عفره، وحثي عليه مدده، وتحقق حذره، ونسي خبره، ورجع عنه وليه وشقيقه وصفيه وشقيقه ونديمه ونسيبه وقريبه وحبيبه، فهو حشو قبر ورهين فقر، يسعى في جسمه دود قبره، ويسيل صديده على صدره ونحره، يسحق ترابه لحمه، وينشف دمه ويرم عظمه حتى يؤم محشره ونشره فينشر من قبره، وينفخ في صوره، ويدعى لحشره ونشوره؛ فثم بعثرت قبور، وحصلت سريرة صدور، وجيء بكل نبي وصديق وشهيد ونطيق، وقعد للفصل قدير بعيد، خبير بصير، فكم من زفرة تفنيه وحسرة

---

(1) العرنين: أول كل شيء، وهو ما صلب من عظم الأنف حيث يكون الشمم.المعجم الوسيط- ص 597.

(2) حزب الأمر حزبا اشتدّ، وحزب الأمر فلانا نابه واشتدّ عليه.المعجم الوسيط- ص 169.

(3) الرَّمْسُ: القبر مستويا مع وجه الأرض، والرمس التراب الذي يحثى على القبر. المعجم الوسيط- ص 372.

(4) مج الماء أو الشراب من فيه والمجاج ما تمجه من فيك ومجاج الفم ريقه. المعجم الوسيط- ص 854.

تقصيه في موقف مهيل ومشهد جليل بين يدي ملك عظيم، بكل صغيرة وكبيرة عليم، حينئذ يلجمه عرقه، ويحوزه قلقه، عبرته غير مرحومة، وصرخته غير مسموعة، وحجته غير مقبولة، تنشر صحيفته، وتبين جريرته حين نظر في سوء عمله، له في نصبه ورسله، وشهدت عينه بنظره ويده ببطشه ورجله بخطوه وفرجه بلمسه وجلده بمسه، ويهدده منكر ونكير، وكشف له من حيث يصير فسلسل جيده، وضيق وريده، وغلّ ملكه يده، وسيق يسحب وحده فورد جهنم بكرب وشدّة، وظل يعذب في حميم، ويسقى شربة من حميم تشوي وجهه وتسلخ جلده، وتضربه زبانيته بقمع من حديد يعود جلده بعد نضجه كجلد جديد، يستغيث فيعرض عنه خزنة جهنم، ويستصرخ فلم يكلم، ندم حين لم ينفعه ندمه، وتحسر حين زلت به قدمه، نعوذ برب قدير من شرّ كل مصير، ونسأله عفو من رضي عنه، ومغفرة من قبل منه، ولي مسألتي ومنجح طلبتي؛ فمن زحزح عن تعذيب ربه جعل /46و/في جنته بقربه، وخلد في قصور مشيدة، وملك حور عين وحفدة، وطيف عليه بكؤوس، وسكن حظيرة قدس في فردوس، ولبس خير ملبوس، وتقلب في نعيم، وسقي من تسنيم، وشرب من عين سلسبيل قد خرج بزنجبيل، وختم بمسك مستديم، ملك مستشعر بسرور، يشرب من خمور في روض مغدق ليس ينزف وليس يغور.

هذه منزلة من خشي ربه، وحذر قلبه، وترك عقوبة من عصى منشئه، وسولت له نفسه معصيته، لهو قول فصل وحكم عدل، قصص قصّ ووعظ نصّ، تنزيل من حكيم حميد، نزل به روح قدس منير من عند رب كريم على نبي مهد مهدي ورسول سيد زكي صلت عليه رسل سفرة ومكرمون بررة، وعذت برب عليم حكيم قدوس رحيم من شر عدو لعين رجيم، يتضرع متضرعكم، ونبتهل مبتهلكم، ونستغفر رب كل مربوب لي ولكم، وهذه الخطبة تعرف بالمؤنقة.

وجلس رجلان يتغديان مع أحدهما خمسة أرغفة ومع الآخر ثلاثة؛ فوضعوا بينهما الغداء، ومرّ بهما رجل فقعد فتغدى معهما؛ فلما فرغ دفع لهما ثمانية دراهم؛ فقال: خذا عوض ما أكلت لكما؛ فقال صاحب الخمسة الأرغفة لصاحب الثلاثة: خذ ثلاثة دراهم وآخذ خمسة؛ فقال: لا أرضى إلا بالنصف؛ فتحاكما إلى علي رضي الله عنه؛ فحكم لصاحب الخمسة بسبعة ولصاحب الثلاثة بدرهم واحد، والعلة في ذلك بينة لمن تأملها.

ولعلي رضي الله عنه تسع كلمات: ثلاث في المناجاة، وثلاث في الحكمة، وثلاث في الأدب؛ فأما المناجاة فقال: كفاني فخرا أن تكون لي ربا، وكفاني عزا أن أكون لك عبدا، وأنت كما أحب فاجعلني كما تحب، وأما الحكمة فقال: قيمة كل امرئ ما يحسنه، وما هلك امرؤ عرف قدر نفسه، والمرء تحت لسانه، وأما الأدب فقال: استغن عما شئت فأنت نظيره، /46ظ/وتفضل على ما شئت فأنت أميره، واضرع إلى ما شئت فأنت أسيره.

[علي رضي الله عنه وعمال عثمان] ولما بويع علي رضي الله عنه، وتمت له الخلافة تحدث بعزل[1] معاوية وسائر عمال عثمان؛ فقال المغيرة بن شعبة: إن لك حق الطاعة والنصيحة واجبة، أقرر معاوية على عمله وابن عامر وسائر العمال؛ فإذا أتتك طاعتهم وبيعة الجنود استبدلت وتركت؛ فقال له: فأنظر في ذلك؛ فلما كان من الغد أتاه، وقال له: إني أشرت عليك بالأمس بإبقاء معاوية والعمال، وقد رأيت من بعد ذلك أن الرأي ما رأيته من معاجلتهم حتى تعرف الطائع من غيره، واستقبل أمرك.

ثم خرج من عنده فتلقاه ابن عباس خارجا فدخل إلى علي فقال له: رأيت المغيرة خارجا من عندك ففيم جاءك؟ فقال: جاءني بالأمس بريث وديت[2]، وجاءني اليوم بريث وديت؛ فقال له: أما أمس فقد نصحك، وأما اليوم فقد غشّك، قال: فما الرأي؟ قال: كان الرأي أن تخرج حين قتل الرجل فتأتي مكة، وتدخل دارك، وتغلق بابك؛ فإن كانت العرب مائلة إليك لا تجد غيرك فتأتيك، وأما اليوم فإن القوم سيلزمونك شعبة من قتل عثمان رضي الله عنه، ويشهدون فيك على الناس، وأنا أشير عليك أن تبقي معاوية؛ فإن بايعك فعلي أن تقتلعه[3] من منزله؛ فقال: لا والله، لا أعطيته إلا السيف، ثم تمثل:

فما ميتة إن متها غير عاجز بعار إذا ما غالت النفس غولُها

فقلت يا أمير المؤمنين: أنت رجل شجاع، أما سمعت رسول الله صلى الله

---

(1) بعزلة في الأصل، وبعزله في م ون، ولعل الصواب ما أثبتنا.

(2) عند الطبري: جاءني أمس بذيّة وذيّة، وجاءني اليوم بذيّة وذيّة. تاريخ- ج5 ص 213.

(3) فعلي أن أقلعه عند الطبري- تاريخ- ج5 ص214.

عليه وسلم يقول: الحرب خدعة[1] ؛ فقال: بلى، قال ابن عباس[2]: قلت أما والله لأصدرنَّهم بعد ورد، ولأتركنهم ينظرون في [دبر][3] الأمور، ولا يدرون ما كان وجهها في غير نقص عليك ولا إثم؛ فقال: يا ابن عباس ليست من هناتك ولا من هنات معاوية في شيء، تشير عليّ، وإذا عصيتك فأطعني؛ فقلت: فأنا أفعل؛ فإن أيسر ما لك عندي الطاعة[4].

[علي بن أبي طالب ومعاوية] ووجّه علي /47و/رضي الله عنه جرير بن عبد الله البجلي إلى معاوية يأخذه بالبيعة له؛ فقال له: إن حولي من ترى من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار، ولكني اخترتك لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: خير ذي يمن [جرير] إيت معاوية فخذه بالبيعة؛ فقال جرير: والله يا أمير المؤمنين ما أدخرك من نصرتي شيئا، وما أطمع لك في معاوية[5] ؛ فقال علي رضي الله عنه: إنما قصدي بحجة أقيمها عليه؛ فلما أتاه جرير دافعه معاوية؛ فقال له جرير: إن المنافق لا يصلي حتى لا يجد من الصلاة بُدّاً، ولا أحسبك تبايع حتى لا تجد من المبايعة بُدّ؛ فقال معاوية: إنها ليست بخدعة الصبي عن اللبن، إنه أمر له ما بعده فأبلعني ريقي؛ فحبسه أشهرا يتحيّر، ويتردد في أمره؛ فقيل لمعاوية إن جريراً قد ردّ بصائر أهل الشام في أن عليا قتل عثمان، ولا بدّ لك من رجل يناقضه في ذلك ممن له صحبة ومنزلة، ولا نعلمه إلا شرحبيل بن السمط الكندي؛ فإنه عدو لجرير.

وكان شرحبيل أميرًا على حمص لمعاوية؛ فاستقدمه معاوية؛ فقدم عليه؛ فهيأ له رجالا يشهدون عنده أن عليا قتل عثمان، منهم بشر بن أرطأة ويزيد بن أسد،

---

(1) مسلم بن الحجاج- صحيح مسلم- كتاب الجهاد والسير- باب جواز الخداع في الحرب- الحديث رقم 1739- 1740- ص 878-879.

(2) قال يا ابن عباس في الأصل، وما أثبتنا وهو الصحيح من الطبري-214/5.

(3) أوائل في الأصل، وما أثبتنا من الطبري- تاريخ- ج5 ص214، وابن الأثير- الكامل- ص 403.

(4) النص مقتبس من المسعودي- مروج الذهب- ج2 ص 354-356/ وقارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج 5 ص 212-214/ابن الأثير- الكامل- ص 403.

(5) انظر ابن قتيبة الدينوري- الإمامة والسياسة- ص 79-80.

جدّ خالد بن عبد الله القسري، وأبو الأعوار السلمي، وهو عمرو بن سفيان، كان مع معاوية بصفين، وعليه مدار حروب معاوية يومئذ، وحابس بن سعد الطائي ومخارق بن الحرث الزبيدي وحمزة بن ماللك الهمداني، وكان معاوية قد أطاعهم على ذلك؛ فشهدوا عند شرحبيل أن عليا قتل عثمان؛ فلقي جريرا مناظرة؛ فأبى أن يرجع شرحبيل، وقال له: قد صحّ عندي أن عليا قتل عثمان، ثم خرج في مدائن الشام يخبر بذلك، وندب إلى الطلب بدم عثمان.

واستأذن الأشعث بن قيس عليًا رضي الله عنه في الكتب إلى شرحبيل بن السمط؛ فأذن له علي بن أبي طالب؛ فأملى عليه: أما بعد، فإنك رجل من أهل اليمن، هاجرت إلى الكوفة، ثم انتقلت إلى الشام فكنت /47ظ/بها كما أحب الله لك، حتى إذا قتل عثمان، وبايع الناس عليا، هيأ لك معاوية رجالا ليس في أيديهم إلا الظن والهوى؛ فشهدوا أن عليا قتل عثمان، قلت الظن، وحكمت على الغائب، ولم ترض حتى دعوت أهل الشام إلى غيب أمر قد أعيا من شهده؛ فكنت رأس الخطيئة ومفتاح الجاهلية، وأعجب من ذلك مخالفتك المهاجرين والأنصار ورضاك بمعاوية؛ فلم ترض بمن هو خير منك، ولم ترغب عن من أنت خير منه، لم تدرك العيان ولا في يدك يقين الخبر.

فأجاب شرحبيل بكتاب أملاه عليه معاوية: أما بعد فقد جاء كتابك وأنت تذكر فيه ما ذكرت، ولعمري ما العراق عليّ بعار، ولا الشام لي بجار؛ فأما قولي إن عليا قتل عثمان؛ فإني أخذت ذلك عن أهل الرضا، ولا يقال للشاهد من أين علمت، وأما المهاجرون والأنصار فلهم ما في أيديهم من بيعة علي، ولنا ما في أيدينا من بيعة معاوية، وليسا سواء لولا حدث علي في عثمان، وأما خذل أهل العراق معاوية؛ فقد خذل سوادهم من أهل الشام؛ فقد فعلت فلم آلهم خيرا.

وكتب علي رضي الله عنه إلى جرير: إذا أتاك كتابي هذا فاحمل معاوية على الفصل، وخيّره بين حرب وسلم؛ فإن اختار الحرب فانبذ إليه، وإن اختار السلم فخذ البيعة عليه؛ فدعا معاوية أهل ثقاته واستشارهم؛ فقال عتبة بن أبي سفيان: استعن على هذا الأمر بعمرو بن العاص وأرضه فإنه من قد علمت، وقد اعتزل

عثمان، وهو لأمرك أشدّ اعتزالا إلا أن ترضيه[1].

فكتب معاوية إلى عمرو بن العاص وهو بفلسطين: أما بعد؛ فقد كان من أمر علي وطلحة والزبير ما قد بلغك، وقد قدم عليَّ جرير بن عبد الله في بيعة علي، وقد حبست نفسي عليك؛ فأقدم على بركة الله[2] ؛ فقدم عمرو على معاوية، وعرف حاجته إليه فباعده، وكايد كل واحد منهما صاحبه؛ فقال عمرو لمعاوية: أعطني /48و/ مصر؛ فتلكأ عليه معاوية، وقال: إن مصر كالشام، قال: بلى ولكنها إنما تكون لي إذ كانت لك، وإنما تكون لك إذا غلبت عليا على العراق، وقد بعث أهلها بطاعتهم إلى علي؛ فدخل عتبة بن أبي سفيان فقال: يا معاوية أما ترضى أن تشتري عمرا بمصر إن هي خلصت لك؟ ليتك لا تغلب على الشام[3].

ثم إن معاوية ناظر عمرًا؛ فطالت المناظرة بينهما، وألح عليه جرير؛ فقال له معاوية: ألقاك بالفصل في أول مجلس إن شاء الله، ثم كتب بمصر لعمرو طعمة، وكتب عليه ولا ينقض شرط طاعة؛ فقال عمرو: يا غلام أكتب ولا تنقض طاعة شرطا؛ فلما اجتمع له أمره برفع عقيرته ينشد ليسمع جرير:

تطاول ليلي واعترتني وساوسي ... لآت أتى بالترهات البسابس

أتاني جرير والحوادث جمّة ... بتلك التي فيها اجتراع المعاطس

أكابده والسيف بيني وبينه ... ولست لأثواب الدّني بلابس

إن الشام أعطت طاعة يمنية ... تواصفها أشياخها في المجالس

فإن تفعلوا أصدم عليا بجبهة ... تفتّ عليه كل رطب ويابس

وإني لأرجو خير ما نال نائل ... وما أنا من تلك العراق بآيس

وكتب إلي علي رضي الله عنه: بسم الله الرحمن الرحيم؛ من معاوية بن صخر إلى علي بن أبي طالب، أما بعد فلعمري لو بايعك القوم الذين بايعوك وأنت بريء من دم عثمان كنت كأبي بكر وعمر وعثمان رحمة الله عليهم، ولكنك أغريت بعثمان المهاجرين، وخذلت عليه الأنصار؛ فأطاعك الجاهل، وقوي بك الضعيف،

---

(1) قارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج5 ص 293-294/ابن الأثير- الكامل- ص 427.

(2) انظر ابن قتيبة الدينوري أبو محمد عبد الله بن مسلم- الإمامة والسياسة- تحقيق خليل المنصور- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1418هـ- 1997م- ص 81.

(3) انظر كتاب الإمامة والسياسة- ص 82- 83.

وقد أبى أهل الشام إلا قتالك حتى تدفع إليهم قتلة عثمان، فإن فعلت كانت شورى بين المسلمين، ولعمري ما حجتك علي كحجتك على طلحة والزبير لأنهما بايعاك ولم أبايعك، وما حجتك على أهل الشام كحجتك على أهل البصرة، /48ظ/لأن أهل البصرة أطاعوك، ولم يطعك أهل الشام، وأما شرفك في الإسلام وقرابتك من النبي عليه السلام، وموضعك من قريش فلست أدفعه[1]، ثم كتب إليه في آخر الكتاب شعر كعب بن جعيل[2]، وهو هذا:

أرى الشام تكره أهل العراق	وأهل العراق لهم كارهونا
وكلا لصاحبه مبغضا	يرى كل ما كان من ذاك دينا
إذا ما رمونا رميناهم	ودناهم مثل ما يقرضونا
فقالوا علي إمام لنا	فقلنا رضينا ابن هند رضينا
وقالوا نرى أن تدين لنا	فقلنا ألا لا نرى أو ندينا
ومن دون ذلك خرط القتاد	وضرب وطعن يقرّ العيونا

فكتب إليه علي بن أبي طالب جوابه: بسم الله الرحمن الرحيم، من علي بن أبي طالب إلى معاوية بن صخر، أما بعد فإنه أتاني منك كتاب امرئ ليس له نظر يهديه، ولا قائد يرشده، دعاه الهوى فأجابه، وقاده فاتبعه، زعمت أن ما أفسد عليك بيعتي إلا خطيئتي في عثمان، ولعمري ما كنت إلا رجلا من المهاجرين، أوردت كما أوردوا، وأصدرت كما أصدروا، وما كان الله ليجمعهم على ضلال، ولا ليضربهم بالعمى، وبعد فما أنت وعثمان؟ إنما أنت رجل من بني أمية، وبنو عثمان أولى بمطالبة دمه، فإن زعمت أنك أقوى على ذلك فادخل فيما دخل فيه المسلمون، ثم حاكم القوم إليّ، وأما تمييزك بينك وبين طلحة والزبير، و[بين][3] أهل الشام وأهل البصرة فلعمري ما الأمر فيما هنالك إلا سواء، لأنها بيعة شاملة لا

---

(1) أورد ابن قتيبة نص الكتاب مع بعض الاختلاف- كتاب الإمامة والسياسة- ص 85-86.

(2) هو كعب بن جُعَيْل بن عُمَيْر بن قُمَير بن عُجْرة بن عوف بن بكر بن حبيب بن عمرو بن غَنْم بن تغلب الشاعر، كان في زمن معاوية وهو شاعره، وشاعر أهل الشام يمدحهم ويرد عنهم. ابن الكلبي- جمهرة النسب- ص 572/ابن حزم الأندلسي أبو محمد علي بن أحمد- جمهرة أنساب العرب- دار الكتب العلمية- بيروت- ط3- 1424هـ- 2003م- ص 306.

(3) الزيادة من ابن قتيبة الدينوري.

يستثنى فيها الخيار، ولا يستأنف فيها النظر، وأما ما ذكرت من شرفي في الإسلام، وقرابتي من النبي صلى الله عليه وسلم، وموضعي من قريش فلعمري لو استطعت أن تدفعه لدفعته[1].

ثم دعا النجاشي أحد بني الحرث بن كعب /49و/فقال: إن جعيل شاعر أهل الشام، وأنت شاعر أهل العراق فأجب الرجل؛ فقال: يا أمير المؤمنين أسمعني قوله؛ فقال: إذن أسمعك شعر شاعر؛ فقال النجاشي يجيبه:

دعن يا معاوي ما لن يكونا فقد حقق الله ما تحذرونا

أتاكم علي بأهل العراق وأهل الحجاز فما تصنعونا

وترك بعد هذا من القول كما ترك ما في آخر شعر كعب بن جعيل المتقدم، وكعب بن جعيل هذا كوفي جلده علي رضي الله عنه في الخمر، وهو القائل:

جلدوني ثم قالوا قدر قدر الله لهم شرّ القدر

وكان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ممن قعد ولزم بيته في الفتنة، وأمر أهله ألا يخبروه من أخبار الناس بشيء حتى تجتمع الأمة على إمام؛ فطمع معاوية فيه وفي عبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة، وكانوا ممن تخلف عن بيعة علي؛ فكتب إليهم يدعوهم إلى عونه على الطلب بدم عثمان، ويقول لهم إنهم كانوا يكفرون ما أتوه من قتله وخذلانه إلا بذلك، ويقول: إن قاتله وخاذله سواء في نثر ونظم، وكتب به إليهم؛ فأجابه كل واحد منهم يردّ عليه ما جاء به من ذلك، وينكر عليه مقالته، ويعرف أنه ليس بأهل لما يطلبه[2]، وكان في جواب سعد له:

معاوي داؤك الدّاء العيالى وليس لما تجيء به دواء

أيدعوني في أبو حسن علي فلم أردد عليه بما يشاء

فقلت له أعطني سيفا بصيرا تميز به العداوة والولاء

فإن الشرّ أصغره كبير وإن الظهر تثقله الدماء

أتطمع في الذي أعيى عليا على ما قد طمعت به العفاء[3]

---

(1) أورد ابن قتيبة نص الكتاب مع بعض الاختلاف- الإمامة والسياسة- ص 86.

(2) أورد ابن قتيبة الكتب المتبادلة بين معاوية وكل من سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن عمر ومحمد بن مسلمة الأنصاري رضي الله عنهم،- انظر كتاب الإمامة والسياسة- ص 84-85.

(3) العفاء: الزوال والهلاك، يقال على الدنيا العفاء. المعجم الوسيط- ص 612.

لـيوم مـنـاك خيـر مـنـك حـيـا   ومـيـتـا أنـت للمـرء الفـداء

/49ظ/ فأمـا أمـر عـثـمان فدعـه   فـإن الـرأي أذهـبـه الـبـلاء

[بداية الفتنة الكبرى] ثم إن الزبير وطلحة رضي الله عنهما استأذنا عليا رضي الله عنه في العمرة؛ فقال لهما: ولعلكما تريدان البصرة أو الشام؛ فأقسما أنهما لا يريدان غير مكة، وكانت عائشة رضي الله عنها قد خرجت من مكة تريد المدينة بعد مقتل عثمان؛ فلقيها رجل من أخوالها في الطريق فقالت له: ما وراءك؟ فقال لها: قتل عثمان، واجتمع الناس على علي، قالت: ما أظنّ ذلك، ثم قالت: ردّوني؛ فانصرفت إلى مكة راجعة[1].

ووقع اتفاقها مع الزبير وطلحة وسعيد بن العاص والوليد بن عقبة ويعلى بن أمية وسائر بني أمية أن يخرجوا إلى الشام؛ فصدّهم ابن عامر، وقال: إن به معاوية ولا ينقاد إليكم، ولكن البصرة؛ فأزمعوا على البصرة؛ فخرجوا إليها مع من تبعهم، وأخذوا على ذات عرق فقدموا البصرة، وكان واليها من قبل علي عثمان بن حنيف الأنصاري؛ فأخرجه طلحة والزبير[2].

[موقعة الجمل] وخرج علي من المدينة إلى الكوفة في آخر شهر ربيع الآخر سنة ست وثلاثين؛ فأخذ على [ذي قار][3]؛ فخرج مع علي من المدينة ستمائة، وخرج معه من طيء ستمائة، واتبعه ناس حتى انتهى إلى ذي قار؛ فخرج إليه أهل الكوفة، ثم سار منها إلى البصرة؛ فالتقوهم طلحة والزبير وعائشة رضي الله عنهم؛ فاقتتلوا قتالا شديدًا، وذلك في جمادى الآخرة حتى ظهر علي، وقتل طلحة وأخوه عبد الرحمن والزبير، وقتل محمد بن طلحة، وذلك يوم الجمل[4]، وفي محمد هذا قال علي ذلك اليوم: لا تقتلوا صاحب البرنس الأسود فإنه أخرج وهو كاره، ومرّ به علي رضي الله عنه، وهو مقتول فقال: قتل هذا برّه بأبيه، يعني محمد بن طلحة بن

---

(1) انظر الطبري- تاريخ- ج5 ص 221.

(2) انظر الطبري- تاريخ- ج5 ص 220-221.

(3) في الأصل، والصواب ما أثبتنا، وذي قار ماء لبكر بن وائل قريب من الكوفة، بينها وبين واسط. ياقوت الحموي- معجم البلدان- ج 4 ص 293.

(4) لمزيد من التفاصيل عن وقعة الجمل انظر الطبري- تاريخ- ج5 ص 258 وما بعدها/تاريخ خليفة بن خياط- ص 108 وما بعدها/ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 405 وما بعدها.

عبد الله، وكان يقال له: السجاد، قال ملك رضي الله عنه: بلغني أن طلحة بن عبد الله وابنه محمد رضي الله عنهما قتلا يوم الجمل، فاختصموا في ميراثهما؛ فلم يورث واحد منهما من صاحبه شيئا[1].

وقتل /50و/الزبير رضي الله عنه، قتله عمرو بن جرموز، وكان قد تنحى عن القتال، وجاء عمرو يستأذن على علي؛ فقال علي رضي الله عنه: ليدخل النار[2]، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: لكل نبي حواري، وإن حواري الزبير[3].

وكتب مصعب بن الزبير إلى أخيه عبد الله: قد حبست ابن جرموز قاتل الزبير؛ فكتب إليه: بئس ما صنعت، ما كنت لأقتل بالزبير أعرابيا من بني تميم، خلّ سبيله؛ فخلى سبيله؛ فخرج إلى السرى فدفع على نفسه رحًى فقتل نفسه.

وكانت وقعة الجمل يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخرة سنة ست وثلاثين، وكان الجمل يُسمّى عسكرًا، كان يعلى بن أمية اشتراه بثمانين دينارا، وقيل بمائتين، وحمل عليه عائشة رضي الله عنها، وكان يعلى بن أمية هذا على الجند؛ فبلغه قتل عثمان؛ فأقبل لينصره فسقط عن بعيره في الطريق فانكسرت فخذه؛ فقدم مكة بعد انقضاء الحج فخرج إلى المسجد، وهو كسير على سرير، واستشرف إليه الناس واجتمعوا؛ فقال: من خرج يطلب دم عثمان فعلي جهازه؛ فذكر أنه أعان الزبير بأربعمائة ألف، وحمل سبعين رجلا من قريش، وحمل عائشة رضي الله عنها على الجمل المذكور، وشهد معها الجمل، ثم شهد بعد ذلك صفين مع علي، وقتل بصفين.

وكان شيخا معروفا بالسخاء، وكان أبو بكر رضي الله عنه استعمله على بلاد حلوان في الردّة، ثم عمل لعمر رضي الله عنه على بعض اليمن فحمي بنفسه حمى فبلغ بذلك عمر؛ فأمره أن يمشي على رجليه إلى المدينة؛ فمشى خمسة أيام أو ستة

---

(1) انظر ابن عبد البر- كتاب الاستيعاب- ج3 ص 330-331.

(2) انظر الطبري- تاريخ- ج5 ص 277/ابن عبد البر- كتاب الاستيعاب- ج1 ص564/ابن الأثير- الكامل- ص 417.

(3) صحيح البخاري- كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ- باب مناقب الزبير- الحديث رقم 3719- ص 653.

إلى صعدة، وبلغه موت عمر؛ فركب وقدم المدينة على عثمان رضي الله عنهم، واستعمله على صنعاء، ثم قدم وافدا على عثمان رضي الله عنه [فمرّ عليّ على] باب عثمان فرأى بغلة جوفاء عظيمة؛ فقال: لمن هذه البغلة؟ فقالوا ليعلى، /50ظ/قال: ليعلٌ والله، وكان عظيم الشأن عند عثمان رضي الله عنه، وله يقول الشاعر:

إذا ما دعى يعلى وزيد بن ثابت ... لأمر ينوب الناس أوالخطوب[1]

وقتل يوم الجمل بشر كثير من قريش وغيرهم لم يحصوا.

وذكر المسعودي أنه قتل يوم الجمل وأهل الجمل وأهل البصرة وغيرهم ثلاثة عشر ألف رجل، من أصحاب علي خمسة آلاف[2]، ونادى مناد عليّ ذلك اليوم: لا يقتل أسير، ولا يجهز على جريح، ومن أغلق بابه فهو آمن، ومن طرح السلاح فهو آمن[3].

[علي بن أبي طالب بالكوفة] ورجعت عائشة إلى رضي الله عنها إلى المدينة، وأقام علي بالبصرة خمسة عشر يوما، وسار إلى الكوفة، وخلف على البصرة عبد الله بن عباس رضي الله عنهما، وكان خلف على المدينة سهل بن حنيف الأنصاري، فكتب إليه أن يقدم عليه، وولى على المدينة أبا حسين المازني؛ فقدم عليه، ثم شهد معه صفين[4].

فقدم علي الكوفة وأقام بها، وولى ولاته وكتب إلى البلدان يخبرهم بما فتح الله عليه، ويرغبهم في الجماعة والطاعة، واتصلت بيعة علي بالكوفة وغيرها من الأمصار، وكانت الكوفة أسرعها إجابة إلى بيعته، وقدم بيعته إليها يزيد بن عاصم، وأخذ له البيعة على أهلها أبو موسى الأشعري حين تكاثر الناس عليه، وكان عاملا عليها لعثمان، ثم خرج علي رضي الله عنه إلى صفين، وولى الكوفة أبا موسى

---

(1) الكلام عن يعلى بن أمية مقتبس حرفيا عن ابن عبد البر- كتاب الاستيعاب- ج3 ص 624-627.

(2) يقول المسعودي في كتابه: الذي قتل من أصحاب علي في ذلك اليوم خمسة آلاف نفس، ومن أصحاب الجمل وغيرهم من أهل البصرة وغيرهم ثلاثة عشر ألفا، وقيل غير ذلك. مروج الذهب- ج3 ص 371.

(3) انظر الطبري- تاريخ- ج5 ص 281.

(4) لمزيد من التفاصيل انظر الطبري- تاريخ- ج5 ص 281 وما بعدها.

البدري، وخرج معاوية مع أهل الشام.

[موقعة صفين] قال ابن قتيبة: سار معاوية في ثلاث وثمانين ألفا حتى نزل صفين، فسبق إلى سهولة الأرض وسعة المناخ وقرب الفرات[1]، وبنى قصرًا لبيت ماله، وكتب إلى علي يخبره بمسيره؛ فسار علي رضي الله عنه من الكوفة في مائة ألف وتسعين ألفا حتى نزل صفين؛ فبعث معاوية إلى الأعور السلمي بمن معه ليحول بين علي وبين الفرات.

/51و/وأن أهل العراق لما نزلوا بعثوا غلمانهم ليستقوا لهم من الفرات؛ فحالت بينهم وبين الماء خيل معاوية؛ فانصرفوا؛ فسار الناس إلى علي رضي الله عنه فأخبروه؛ فقال علي للأشعث: اذهب إلى معاوية فقل له: إن الذي جئنا إليه غير الماء، ولو سبقنا إليه لم نحل بينك وبينه؛ فإن شئت خليت عن الماء، وإن شئت تأخرنا عنه، ونترك ما جئنا إليه؛ فانطلق الأشعث حتى أتى معاوية فأعلمه؛ فقال معاوية لأصحابه: ما ترون؟ فقال رجل: نرى أن نقتلهم عطشا كما قتلوا عثمان ظلما؛ فقال عمرو بن العاص: يا معاوية عليا يظمأ وفي يده أعنة الخيل، وهو ينظر إلى الفرات حتى يشرب أو يموت؛ فخل عن القوم يشربوا؛ فقال معاوية: هذا والله أول الظفر، لا سقاني الله من حوض الرسول عليه السلام إن شربوا منه حتى يغلبوني عليه؛ فقال عمرو: هذا أول الجور، أما تعلم أن فيهم العبد والضعيف ومن لا ذنب له، لقد شجعت الجبان، وحملت من لا يريد قتالك على قتالك.

ولما غلب معاوية على الماء اغتم علي لما فيه الناس من العطش؛ فخرج ليلا والناس يبكون بعضهم لبعض مخافة أن يغلب أهل الشام على الماء؛ فقال الأشعث: يا أمير المؤمنين أيمنعنا القوم الماء وأنت فينا ومعنا السيوف؟ خلّ بيننا وبين القوم؛ فوالله لا أرجع إليك حتى أرده أو أموت دونه، وأمر الأشتر أن يعلو الفرات في الخيل حتى آمره بأمري؛ فقال علي رضي الله عنه: ذلك إليك.

فانصرف الأشتر، ونادى في الناس من كان يريد الماء فميعاده الصبح؛ فإني

---

(1) قال ابن قتيبة الدينوري: ثم سار معاوية في ثلاثة آلاف وثمانين ألفا حتى نزل بصفين، وذلك في نصف محرم، وسبق إلى سهولة الأرض وسعة المناخ، وقرب الفرات. الإمامة والسياسة- ص 87.

ناهض إلى الماء؛ فأجابه بشر؛ فتقدم الأشعث في الرجّالة والأشتر في الخيل حتى وقفوا على الفرات؛ فلم يزل الأشعث يمضي حتى خالط القوم، ثم حسر رأسه، ونادى: أنا الأشعث، خلّوا عن الماء؛ فقال أبو/51ظ/الأعور: أما والله حتى تأخذنا وإياكم السيوف؛ فقال: أظنها واقعة قد دنت منا ومنكم، وبعث الأشعث إلى الأشتر أن أقحم الخيل فأقحمها الأشتر حتى وضعت سنابكها[1] في الفرات، وحمل الأشعث في الرجّالة؛ فأخذ القوم السيوف؛ فانكشف أبو الأعور وأصحابه، وبعث الأشتر إلى علي رضي الله عنه: هلّم أمير المؤمنين؛ فقد غلب الله على الفرات؛ فلما غلب أهل العراق، وشمت عمرو بن العاص بمعاوية، وقال: ما ظنك إن منعك علي من الماء كما منعته أمس؟ أتراك صارفهم كما صرفك؟ قال معاوية: دع عنك ما مضى، قال: ظنّي أن عليا لا يستحلّ منك ما استحللت منه فإن الذي جاء له غير الماء.

فمكث الناس أمام صفين [أربعين ليلة] يغدون للقتال ويروحون؛ فأما القتال الذي كان فيه الفناء فثلاثة أيام[2]، وأعظمها اليوم الذي قتل فيه عمار، وهو اليوم الذي كان فيه البلاء العظيم.

[مقتل عمار بن ياسر] قال أبو عبد الرحمن السلمي، واسمه عبد الله بن حبيب: شهدنا مع علي صفين؛ فرأيت عمار بن ياسر شيخا آدم طوالا والحرب في يده، ويده ترعد؛ فقال: قد قاتلت بهذه الراية، يعني راية علي رضي الله عنه مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث مرات، وهذه الرابعة، ثم لا يأخذ في ناحية ولا واد من أودية صفين إلا رأيت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يتبعونه كأنه علم لهم، وسمعت عمارا يقول يومئذ لهاشم بن عتبة بن أبي وقاص، وكان هاشم على الرجّالة، وهو ابن أخي سعيد بن أبي وقاص: تقدّم الجنة تحت الأبارقة[3]، اليوم ألقى الأحبة، محمدا وحزبه[4]، والله لو هزمونا حتى يبلغوا بنا

---

(1) السنبك طرف الحافر. المعجم الوسيط- ص 453.

(2) الحديث عما وقع عند نهر الفرات مقتبس من كتاب الإمامة والسياسة- ص 88-89.

(3) عند الطبري: الجنة تحت ظلال السيوف- تاريخ- ج5 ص 324.

(4) قارن مع ما أورده الطبري- نفسه- ج5 ص 323 وما بعدها، وابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 436-437.

شعاب[1] هجر لعلمنا أنّا على الحق، وأنّهم على الباطل، ثم قال:

نحن ضربناكم على تنزيله   واليوم نضربكم على تأويله
ضربا يزيل الهام عن مقيله   ويذهل الخليل عن خليله
/52و/ويرجع الحق إلى سبيله

قال فلم أرَ أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قتلوا في موطن ما قتلوا يومئذ، ثم حمل عمّار فحمل عليه ابن جزء[2] السكسكي وأبو العادية[3] يسار بن سبع الجهيني، ويقال المزني، وكانت له صحبة، وكان يفرط في حبّ عثمان رضي الله عنه، طعنه أبو العادية واحتزّ رأسه ابن جزء؛ فدفنه علي في ثيابه ولم يغسله، وروى أهل الكوفة أنه صلى عليه، وهو مذهبهم في الشهداء، أنهم لا يغسلون ولكن يصلي عليهم، وكان سنّ عمار رضي الله عنه يومئذ ثلاثا وتسعين سنة، وقيل غير ذلك[4].

وهو عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن الحصين، ويقال ابن الوديم بن ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر بن نام بن عنس بن ملك بن أدد بن زيد العنسي المذحجي، أمه سمية بنت خياط، وقد تقدم ذكرها.

هاجر عمار إلى الحبشة، وصلى القبلتين، وهو من المهاجرين الأولين، وعذّب في الله عزّ وجلّ فأعطاهم ما أرادوا منه بلسانه، واطمأن بالإيمان قلبه؛ فنزلت فيه: "**إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ**"[5]، وشهد بدرًا والمشاهد كلها، وأبلى ببدر بلاء حسنا، ثم شهد اليمامة فأبلى فيها أيضا، وفيها قطعت أذنه، وذكر عنه أنه قال: كنت تربا[6] لرسول الله صلى الله عليه وسلم في سنه، لم يكن أحد أقرب به سنا[7].

---

(1) سعفات عند الطبري- تاريخ- ج5 ص 324.

(2) عند ابن الأثير حوى، وعند المسعودي ابن جون- الكامل- ص 436/مروج الذهب-ج2 ص 381.

(3) أبو الغازية وأبو الغارية في الكامل- ص436/أبو العادية العاملي عند المسعودي- ج 2 ص 381.

(4) استشهاد عمار مقتبس حرفيا عن ابن عبد البر- كتاب الاستيعاب- ج 2 ص472-474.

(5) سورة النحل- الآية 106.

(6) الترب المماثل في السن. المعجم الوسيط- ص 83.

(7) انظر الإصابة- ج 2 ص505/الاستيعاب- ج2 ص 469-471.

وقال عبد الرحمن بن أبزى مولى خزاعة، وكانت له صحبة: شهدت مع علي رضي الله عنه صفين في ثمانمائة ممن بايع بيعة الرضوان، قتل منا ثلاثة وستون منهم عمار بن ياسر[1]، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: تقتل عمّار الفئة الباغية[2].

[رجع إلى موقعة صفين] وكان بصفين على الرجّالة هاشم بن عتبة بن أبي وقاص ابن أخي سعد بن أبي وقاص، وبيده راية علي رضي الله عنه، أسلم يوم الفتح، /52ظ/وكان يعرف بالمرقال؛ فأبلى بلاء مذكورا، وهو القائل:

أعـــور يبغـــي أهلـــه محـــلاً ... قـــد عَـــالجَ الحـــياة حتـــى مـــلاً

لا بُـــدّ أن يَفُـــلّ ويفُـــلاً ... [يـــتلهم بـــذي الكعـــوب تـــلاً][3]

وقطعت رجله يومئذ؛ فجعل يقاتل من دنا منه وهو بارك، وهو يقول: الفحل يحمي شوله معقولا، وقاتل حتى مات رحمه الله، وشهد مع علي الجمل أيضا، وفيه يقول أبو الطفيل عامر بن واثلة[4]:

يـــا هاشـــم الخيـــر جـــزيت الجنّـــه ... قـــاتلت والله عـــدو الســـنّه

افرح بما فزت به من منّه[5]

وكان بصفين على رجّالة علي رضي الله عنه أيضا عبد الله بن بديل بن ورقاء بن عبد العزيز بن ربيعة الخزاعي؛ فقام يوما بصفين في أصحابه؛ فخطب

---

(1) انظر الاستيعاب- ج2 ص 471.

(2) صحيح البخاري- كتاب الجهاد والسير- باب مسح الغبار عن الناس في السبيل- الحديث رقم 2812- ص 497.

(3) الشطر الثاني ساقط في الأصل وما أثبتنا من ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 436- ص 438، ووردت الأبيات بشكل مختلف عند المسعودي الذي قال:

قد أكثر القوم وما أقلاّ ... أعور يبغي أهله محلا

قد عالج الحياة حتى ملاّ ... لا بدّ أن يفلّ أو يُفَلاّ

أشلّهم بذي الكعوب شَلاّ. مروج الذهب- ج 2 ص382-383.

(4) كتب في الهامش: عامر بن واثلة، وهو آخر من مات من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال ابن حجر: قال مسلم: مات سنة مائة، وهو آخر من مات من الصحابة- الإصابة- ج 4 ص 113.

(5) انظر كتاب الاستيعاب- ج3 ص 585-586.

فحمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قال: ألا إن معاوية ادعى ما ليس له، ونازع الأمر أهله ومن ليس مثله، وجادل بالباطل ليدحض به الحق، و[صال][1] عليكم بالأعراب والأحزاب، وزيّن لهم الضلالة، و[زرع][2] في قلوبهم حب الفتنة، ولبّس عليهم الأمر، وأنتم والله على الحق، على نور من ربكم وبرهان مبين؛ فقاتلوا الطغاة البغاة[3]، "**قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ، وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ، وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ**"[4] ؛ قاتلوا الفئة الباغية الذين نازعوا الأمر أهله، وقد قاتلتموهم مع النبي صلى الله عليه وسلم؛ فالله ما هم في هذه بأزكى ولا أتقى ولا أبر، قوموا إلى عدو الله وعدوكم رحمكم الله[5]، وكان عليه درعان وسيفان، وكان يضرب أهل الشام ويقول:

لم يبق إلا الصبر والتوكل ... ثم التمشي في الرعيل الأول

مَشْيَ الجمال في حياض المنهل ... والله يقضي ما يشاء ويفعل[6]

/53و/فلم يزل يضرب بسيفه حتى انتهى إلى معاوية؛ فأزاله عن موضعه، وأزال أصحابه الذين كانوا معه، وكان مع معاوية يومئذ عبد الله بن عامر بن كريز واقفا؛ فأقبل أصحاب معاوية على أبي بديل يرمونه بالحجارة حتى أثخنوه، وقتل رحمه الله؛ فأقبل عليه معاوية وعبد الله بن عامر معه؛ فألقى عليه عبد الله بن عامر عمامته، غطى بها وجهه، وترحم عليه؛ فقال معاوية: اكشفوا عن وجهه فقد وهبناه لك ففعلوا، قال معاوية: هذا والله كبش القوم، اللهم الظفر بالأشتر والأشعث بن قيس، والله ما مثل هذا إلا كما قال الشاعر:

---

(1) في الأصل صار، وما أثبتنا من كتاب الاستيعاب، ومن الطبري- تاريخ- ج5 ص 310، والكامل- ص 433.

(2) في الأصل نزع ما، وما أثبتنا وهو الصواب من كتاب الاستيعاب.

(3) في الأصل البغاة، وما أثبتنا من كتاب الاستيعاب والكامل- ص 433.

(4) سورة التوبة- الآية 14.

(5) الكلام مقتبس حرفيا عن ابن عبد البر- كتاب الاستيعاب- ج2 ص 260-261.

(6) أورد المسعودي هذه الأبيات بشكل مختلف فقال:

لم يبق إلا الصبر والتوكل ... وأخذك الترس وسيف مصقل

ثم التمشي في الرعيل الأول

مروج الذهب- ج 2 ص 384.

أخو الحرب إن عضت به الحرب عضها[2] وإن شمرت يوما به الحرب شمّرا[1]

كليث هزبر[4] كان يحمي ذماره[5] رمته المنايا قصدها فتفطرا[3]

ثم قال معاوية: مع أن نساء خزاعة لو قدرت أن تقاتلني فضلا عن رجالها لفعلت[6].

وعبد الله بن بديل هذا أسلم مع أبيه قبل الفتح، وكان سيد خزاعة، وهو الذي صالح أصبهان مع عبد الله بن عامر بن كريز، وكان على مقدمته، وذلك في زمان عثمان رضي الله عنه[7].

وكان قيس بن [المكشوح] أبو شداد[8] يومئذ صاحب راية بجيلة[9]، وكانت فيه نجدة وبسالة، وذلك أن بجيلة قالت له: يا شداد خذ اليوم رايتنا؛ فقال غيري خير لكم، قالوا: ما نريد غيرك، قال: فوالله لئن أعطيتمونيها لأنتهين بكم دون صاحب الترس المذهب، قال: وعلى رأس معاوية رجل قائم معه ترس مذهب يستر به معاوية من الشمس؛ فقالوا: اصنع ما شئت؛ فأخذ الراية، ثم زحف فجعل يطاعنهم حتى انتهى إلى صاحب الترس المذهب، وكان في خيل عظيمة فاقتتل الناس هنالك قتالا شديدا، وكان على خيل معاوية عبد الرحمن /53ظ/بن خالد بن الوليد فشدّ أبو

---

(1) قارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج5 ص 310-311/ابن الأثير- الكامل- ص 434.

(2) عضها ساقطة عند ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 434.

(3) عند المسعودي فتقطرا. مروج الذهب- ج 2 ص 388.

(4) الهزبر الأسد الكاسر، والهزبر الضخم الصلب. المعجم الوسيط- ص 984.

(5) الذِّمارُ: ما ينبغي حياطته والذود عنه كالأهل والعرض، ويقال هو حامي الذمار.المعجم الوسيط- ص 315.

(6) الكلام مقتبس حرفيا عن ابن عبد البر- كتاب الاستيعاب- ج2 ص 259-260/وقارن مع ما أورده المسعودي- ج 2 ص 387-388.

(7) انظر كتاب الاستيعاب- ج2 ص 259.

(8) في الأصل بن الكوسج، والصحيح ما أثبتنا من كتاب الاستيعاب- ج3 ص 235، وكذا عند الطبري الذي قال: هو قيس بن مكشوح بن هلال بن الحارث بن عمرو بن جابر بن علي بن أسلم بن أحمس بن الغوث، وقال ابن الأثير هو أبو شداد قيس بن هبيرة الأحمسي وهو قيس بن مكشوح، ومكشوح لقب. تاريخ- ج 5 ص 316/الكامل- ص 435.

(9) بجيلة: وينسبون إلى بجلة بنت هناءة بن مالك بن فهم الأزدي، وأبوهم مالك بن ثعلبة بن بهثة. ابن السائب الكلبي- جمهرة النسب- ص 406-407.

شداد بسيفه نحو صاحب الترس؛ فعارضه دونه رومي لمعاوية؛ فضرب قدم أبي شداد فقطعها، وضربه قيس فقتله، وأشرعت إليه الرماح؛ فقتل رحمه الله[1].

وكان على خيل معاوية يومئذ بصفين عبيد الله بن عمر بن الخطاب، وقيل لعلي هذا عبيد الله بن عمر عليه جبّة خزّ وفي يده سواك، [وهو] يقول: سيعلم علي غدا إذا التقينا؛ فقال علي: دعوه؛ فإنما دمه دم عصفورة؛ فخرج عبيد الله بن عمر في اليوم الذي قتل فيه، وجعل امرأتين له بحيث تنظران إلى فعله، وهما أسماء بنت عطارد بن الحاجب التميمي وبحرية بنت هانيء بن قبيصة الشيباني؛ فلما برز شدّت عليه ربيعة فتثبت بينهم فقتلوه، وكان على ربيعة يومئذ زياد بن خصيفة التميمي؛ فسقط عبيد الله ميتا قرب فسطاط زياد بن خصيفة ناحية منه، وبقي طنب[2] من طنب الفسطاط لا وتد له؛ فجرّوا عبيد الله بن عمر [إلى الفسطاط]، وشدّوا الطنب برجله ربطا[3]، وأقبلت امرأتاه حتى وقفتا عليه؛ فبكتا وصاحتا عليه؛ فخرج زياد بن خصيفة فقيل له: هذه بحرية بنت هانيء بن قبيصة؛ فقال: ما حاجتك يا ابنة أخي؟ فقالت: زوجي تدفعه إليّ، قال: نعم؛ فخُذيه، وجيء ببغل فحملته عليه؛ فذكروا أن يديه ورجليه خطتا الأرض من فوق البغل[4]، وقيل إن الذي قتله محرز بن فلان أحد بني تيم الله بن ثعلبة بن ربيعة[5]، وسلب سيفه عمر ذي الوشاح فاشتراه معاوية بعد ذلك، وبعث به إلى عبد الله بن عمر، وكان عبيد الله بن عمر ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكان من أنجاد قريش وفرسانهم، وهو القائل:

أنا عبيد الله ينميني عمر خير قريش من مضى ومن عبر

---

(1) الخبر مقتبس حرفيا عن ابن عبد البر- كتاب الاستيعاب- ج3 ص 236-237، وقارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج 5 ص 316/ وما أورده ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 435.

(2) الطنب: حبل يشد به الخباء والسرادق ونحوهما. المعجم الوسيط- ص 567.

(3) شدّا في كتاب الاستيعاب.

(4) قارن مع ما أورده المسعودي- مروج الذهب- ج 2 ص 385-386.

(5) عند الطبري محرز بن الصحصح من بني عائش بن مالك بن تيم الله بن ثعلبة، وعند ابن الأثير: محرز بن الصحصح من تيم الله بن ثعلبة من أهل البصرة. تاريخ- ج5 ص 322-323/الكامل في التاريخ- ص 436.

حاشى[1] نبي الله والشيخ الأغر [قد أبطأت في نصر عثمان مضر
والربعيون فلا أسقوا المطر][2]

[عدة من قتل في الموقعتين] وكانت صفين في شهر ربيع الآخر /54و/سنة سبع وثلاثين، وقال المسعودي: كان المقام بصفين مائة يوم وعشرة أيام، قال: وقتل بصفين سبعون ألفا: خمسة وأربعون ألفا من أهل الشام، وخمسة وعشرون ألفا من أهل العراق، وقتل من الصحابة ممن كان مع علي جماعة رضي الله عن الجميع بمنه[3].

وروي عن ضمرة بنت ربيعة عن أبن شوذب قال: قتل يوم الجمل عشرون ألفا، وقطع يوم صفين أربعون ألفا قصبة؛ فوضعت على كل قتيل قصبة، ولم تحصى قتلى أهل صفين حين قام قائم الظهيرة، وافترقوا حين تجوف الليل، وكفوا بعد ذلك ثلاث سنين حتى قتل علي رضي الله عنه، ثم اجتمعوا على معاوية في سنة أربعين ببيت المقدس.

وروي عن ابن ميسرة عمرو بن شرحبيل، وكان من أفضل أصحاب عبد الله، قال: رأيت في النوم كأني دخلت الجنة فرأيت قبابا مضروبة؛ فقلت: لمن هذه القباب؟؛ فقيل لذي الكلاع الحميري، واسمه يسفع، ويكنى شرحبيل ولحوشب.

وكان ممن قتل مع معاوية بصفين، قلت: فأين عمّار وأصحابه؟ قيل لي: أمامك، قال: قلت وكيف وقد قتل بعضهم بعضا؟ قال: إنهم لقوا الله عزّ وجلّ فوجدوه واسع المغفرة.

وفي سنة ثمان وثلاثين بعث علي عبد الله بن العباس بن عبد المطلب[4]

---

(1) عند المسعودي: غير. مروج الذهب ومعادن الجوهر- ج 2 ص 380.

(2) الكلام عن عبيد الله بن عمر منقول حرفيا عن ابن عبد البر- كتاب الاستيعاب- ج2 ص 423 -425، وتتمة الشعر من المسعودي- مروج الذهب- ج 2 ص 380.

(3) الكلام مقتبس عن المسعودي الذي حدّد عدد من قتل من الصحابة بخمسة وعشرين رجلاً. مروج الذهب- ج2 ص 352.

(4) قال ابن الأثير: واختلف فيمن حج بالناس هذه السنة أي سنة 39هـ؛ فقيل حج بالناس عبيد الله بن عباس من قبل عليّ، وقيل بل حج بالناس عبد الله أخوه، وذلك باطل؛ فإن عبد الله بن عباس لم يحج في خلافة علي، وإنما كان هذه السنة على الحج عبيد الله بن عباس. الكامل- ص 457.

ليقيم الحج للناس[1]، وبعث معاوية يزيد بن شجرة[2] الرهاوي ليقيم الحج؛ فاجتمعا؛ فسأل كل واحد منهما صاحبه أن يسلم له فأبى، واصطلحا على أن يصلي بالناس شيبة بن عثمان بن أبي طلحة الجمحي[3].

[التقاء الحكمين] وفيها التقى الحكمان عمرو بن العاص وأبو موسى الأشعري عبد الله بن قيس بأرض البلقاء، وقيل بدومة الجندل، وهو على عشرة أميال من دمشق، مع كل واحد منهما أربعمائة رجل من أصحابه، بعث عمرا معاوية، وبعث أبا موسى علي رضي الله عنه، ومع أصحاب /54ظ/أبي موسى عبد الله بن عباس رضي الله عنه؛ فجعل عمرو يقدم أبا موسى، ويقول له: إنك صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنت أسنّ منّي؛ فتكلم ثم أتكلم بعدك، ثم قال له: خبّرني ما رأيك؟

قال أبو موسى: أرى أن يخلع هذان الرجلان عليٌّ ومعاوية، ويجعل الأمر شورى بين المسلمين؛ فاختاروا لأنفسكم؛ فقال عمرو: إن الرأي ما رأيت؛ فقم فتكلم، فلما ذهب للتكلم قال له عبد الله بن عباس: ويحك يا أبا موسى، والله لأظنه قد خدعك، إن كنتما اتفقتما على أمر فقدمه يتكلم قبلك؛ فإن عمرا رجل غدر؛ فقال أبو موسى: إنا نظرنا في أمر هذه الأمة فلم نر أصلح لها من أن نخلع عليا ومعاوية، وتستقبل الأمة أمرها فيولوا من أحبّوا، وإني قد خلعت عليا ومعاوية؛ فاستقبلوا أمركم وولّوا من رأيتموه، ثم تنحى؛ فقام عمرو مقامه فحمد الله وأثنى عليه، وقال: إن هذا قد قال ما قال وما سمعتم، وخلع صاحبه، وأنا أخلع صاحبه كما خلعه، وأثبت صاحبي معاوية فإنه ولي عهد عثمان، والطالب بدمه، وأحق الناس بمقامه؛ فقال له أبو موسى: ويلك لا وفقك الله، غدرت وفجرت، إنما مثلك "كَمَثَلِ الْكَلْبِ

---

(1) يقول الطبري وابن الأثير: وحج بالناس في هذه السنة أي سنة 38هـ قثم بن العباس من قبل علي عليه السلام، وكان قثم يومئذ عامل عليّ على مكة. تاريخ- ج6 ص 55/ الكامل في التاريخ- ص 456.

(2) الكامل في التاريخ- ص 457.

(3) وقيل إن الذي حج من جانب علي قُثَم بن العباس. انظر تاريخ خليفة بن خياط- ص 119 /الكامل في التاريخ- ص 457.

إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ"[1] ؛ فقال عمرو: إنما مثلك "كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا"[2] [3].

فأبى علي أن يرجع إلى ما حكم به الحكمان؛ فاعتزلت حينئذ طائفة من الناس، وخرجوا عليه، وفيهم البرك[4]، وهو الحجّاج بن [عبد الله][5]، أحد بني صريم، وهو أول من قال: لا حكم إلا لله؛ فجارهم حتى حارب أهل النهروان.

[مناظرة عبد الله بن عباس للخوارج] وذكر أن عليا رضي الله عنه وجّه عبد الله بن عباس رضي الله عنه ليناظرهم؛ فقال لهم: ما الذي نقمتم على أمير المؤمنين؟؛ فقالوا: قد كان للمؤمنين أمير فلما حكم في دين الله خرج من الإمرة؛ فليثبت بعد إقراره بالكفر تعدله؛ فقال ابن عباس رضي الله عنه: ما ينبغي لمؤمن لم /55و/يشب إيمانه بشك أو يقر على نفسه بالكفر أن يكفر، قالوا: إنه قد حكم، قال: إن الله عزّ وجلّ قد أمر بالتحكيم في قتل صيدٍ صيد في الحرم؛ فقال عزّ وجلّ: "يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُم"[6] ؛ فكيف في إمامة قد أشكلت على المسلمين؛ فقالوا: إنه قد حكم عليه فلم يرض، قال: إن الحكومة كالإمامة، ومتى فسق الإمام وجب معصيته، وكذلك الحكمان لما خالفا نبذت أقاويلهما؛ فقال بعضهم لبعض: لا تجعلوا احتجاج قريش عليكم حجّة؛ فإن هذا من القوم الذين قال الله عزّ وجلّ: «بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ»[7] [8].

---

(1) سورة الأعراف- الآية 176.

(2) سورة الجمعة- الآية 5.

(3) قارن مع ما ورد عند الطبري- تاريخ- ج6 ص 16، وابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 443-444.

(4) في الأصل الترك وهو تصحيف، والبرك بن عبد الله التميمي الصريمي، وقيل اسم البرك الحجاج، وهو الذي اشترط بقتل معاوية فضربه فجرحه، ويقال إنه أول من حكّم.ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 460/ابن السائب الكلبي- جمهرة النسب- ص 236/ابن حزم- جمهرة أنساب العرب- ص 218.

(5) في الأصل يزيد، وما أثبتنا من ابن السائب الكلبي- جمهرة النسب- ص 236.

(6) سورة المائدة- الآية 95.

(7) سورة الزخرف- الآية 58.

(8) قارن مع ما أورده ابن الأثير- الكامل- ص 442.

وفي سنة أربعين من الهجرة جرت مهادنة بين علي ومعاوية رضي الله عنهما على أن يكون العراق لعلي والشام لمعاوية، ولا يدخل أحد منهما على صاحبه في شيء من عمله(1).

وفيها بعث معاوية بسر(2) بن أرطأة العامري إلى اليمن، وعليها عبيد الله(3) بن عباس لعلي رضي الله عنه؛ فتنحى عبيد الله(4)، وأقام بسر عليها؛ فبعث علي حارثة بن قدامة السعدي، وهرب بسر، ورجع عبيد الله بن عباس فلم يزل حتى قتل علي رضي الله عنه(5).

[مقتل علي ومدة خلافته] وفيها قتل علي رضي الله عنه في شهر رمضان، ليلة الجمعة سبع عشرة، وقيل ليلة إحدى وعشرين، ضربه عبد الرحمن بن ملجم لعنه الله بسيف كان سمّه بالسمّ(6).

وكانت خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر، وتوفي وهو ابن ثلاث وستين سنة، وقيل غير ذلك، وصلى عليه ابنه الحسن رضي الله عنهما، وكبّر عليه أربعا، ودفن بالكوفة ليلا، وأغبى على قبره وقيل قبره في غربي المسجد عند السارية الحمراء، وقيل غير ذلك، والله أعلم(7).

وذكر أن عليا رضي الله عنه خرج إلى صلاة الفجر؛ فأقبل الأوز يصحن في وجهه فطردهن عنه؛ فقال: ذروهن فإنهن نوائح؛ فضربه عبد الرحمن بن ملجم فقيل: يا أمير المؤمنين خلّ بيننا وبين مراد فلا تقوم لهم ثاغية ولا راغية(8) /55ظ/ أبدا، قال: لا، ولكن احبسوا الرجل فإذا مت فاقتلوه، وإن أعش فالجروح قصاص؛

---

(1) انظر الطبري- تاريخ- ج6 ص 70.

(2) في الأصل بشر، وما أثبتنا من الطبري. تاريخ- ج6 ص 70/تاريخ خليفة بن خياط- ص 121.

(3) في الأصل عبد الله، وما أثبتنا من الطبري.

(4) في الأصل عبد الله.

(5) انظر الطبري- تاريخ- ج6 ص70/تاريخ خليفة بن خياط- ص 121.

(6) انظر الطبري- تاريخ- ج6 ص 62/تاريخ خليفة بن خياط- ص 120.

(7) انظر المسعودي- مروج الذهب- ج2 ص 349.

(8) الثاغية: يقال: ما له ثاغية ولا راغية، أي ما له شاة ولا بعير. المعجم الوسيط- ص 97.

فخطب[1] الناس فقال: قد فارقكم رجل لم يسبقه أحد من الأولين، ولا يدركه أحد من الآخرين، من كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعطيه الراية، ثم يخرج فلا يرجع حتى يفتح الله على يديه، جبريل عن يمينه، وميكائيل عن شماله، يقتلان معه، ولم يترك دينارا ولا درهما إلا حلي سيفه، وسبعمائة درهم حبّسها، فضلت من عطائه ليبتاع بها خادما[2].

وكان ابن ملجم حليفا لمراد وعداده فيهم، وأصله من حمير تجوبي، قال الزبير بن بكار: تجوب رجل من حمير كان أصاب دما في قومه فلجأ إلى مراد؛ فقال: جئت إليكم أجوب البلاد؛ فقيل له: أنت تجوب فسمي به، وهم اليوم من مراد، وهم رهط ابن ملجم[3].

[التآمر على قتل علي رضي الله عنه] وكان سبب قتل ابن ملجم عليا رضي الله عنه أنه لما تعاقد الخوارج على قتل علي رضي الله عنه وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان، وخرج منهم ثلاثة نفر لذلك، وكان عبد الرحمن بن ملجم هو الذي اشترط قتل علي رضي الله عنه، وكان رجلا فاتكا؛ فدخل الكوفة عازما على ذلك، واشترى آنذاك سيفا بألف، وسقاه السمّ فيما زعموا حتى لفظه، فأوتي علي؛ فقيل له إن ابن ملجم يسمّ سيفه، ويقول إنه سيقتلك به فتكة تتحدث بها العرب؛ فبعث فيه، وقال له: لِمَ تسمّ سيفك؟ فقال: لعدوي وعدوك؛ فخلّى[4] عنه، وقال: ما قتلني بعد، وكان في خلال ذلك يأتي عليا ويسأله ويستحمله فيحمله علي، ثم يقول هذا البيت، وهو لعمرو بن معد كرب من قصيدة:

أريد حياته ويريد قتلي   عذيرك من خليلك من مراد

أما إن هذا قاتلي، قيل: فما يمنعك منه، قال: إنه لم يقتلني بعد؛ فلم يزل عبد الرحمن على ذلك إلى أن وقعت عينه على امرأة من بني عجل بن لجيم يقال لها قطام، /56و/كانت ترى رأي الخوارج، وكانت امرأة رائعة جميلة فأعجبته؛ ووقعت في نفسه فخطبها؛ فقالت: قد آليت ألا أتزوج إلا على مهر لا أريد سواه،

---

(1) الحسن بن علي رضي الله عنهما.

(2) انظر المسعودي- مروج الذهب- ج2 ص 414.

(3) الكلام مقتبس من كتاب الاستيعاب- ج3 ص 56.

(4) في الأصل فخلّ.

قال: وما هو؟ قالت: ثلاثة آلاف وقتل علي بن أبي طالب، وكان علي رضي الله عنه قد قتل أباها وإخوتها بالنهروان؛ فقال: والله قد قصدت لقتل علي والفتك به، وما أقدمني إلى هذا المصر غير ذلك، ولكني لما رأيتك آثرت تزويجك؛ فقالت: ليس إلا الذي قلت لك؛ فقال لها: وما يغنيك أو يغنيني منك قتل علي، وأنا أعلم أني إن قتلته لم أفت؟ فقالت: إن قتلته ونجوت فهو الذي أردت، تبلغ شفاء نفسي ويهنئك العيش معي، وإن قتلت فما عند الله خير من الدنيا وما فيها؛ فقال لها: لك ما اشترطت، فقالت له: سألتمس من يشدّ ظهرك؛ فبعثت إلى ابن عم لها يدعى وردان بن مجالد فأجابها.

ولقي ابن ملجم شبيب بن بحرة الأشجعي؛ فقال: يا شبيب هل لك في شرف الدنيا والآخرة؟ قال وما هو؟ قال: تساعدني في قتل علي بن أبي طالب، قال: ثكلتك أمك، لقد جئت شيئا إدًا، كيف تقدر على ذلك؟ قال: إنه رجل لا حرس له، ويخرج إلى المسجد منفردا دون من يحرسه؛ فنكمن له في المسجد؛ فإذا خرج إلى المسجد يصلي قتلناه؛ فإن نجونا نجونا، وإن قتلنا سعدنا بالذكر في الدنيا وبالجنة في الآخرة، قال: ويلك إن عليا ذو سابقة في الإسلام مع النبي صلى الله عليه وسلم ما تنشرح نفسي لقتله، قال: ويلك إنه حكّم الرجال في دين الله، وقتل إخواننا الصالحين؛ فنقتله ببعض من قتل؛ فلا تشكن في دينك فأجابه؛ فأقبلا حتى دخلا على قَطَام، وهي معتكفة في المسجد الأعظم في قبة ضربتها لنفسها فدعت لهم، وأخذوا أسيافهم، وجلسوا قبالة السدّة التي يخرج منها علي رضي الله عنه ورحمه إلى صلاة /56ظ/الصبح فبدره شبيب فضربه فأخطأه، وضربه عبد الرحمن بن ملجم على رأسه، وقال: الحكم لله يا علي لا لك ولا لأصحابك؛ فقال علي: فزت ورب الكعبة، لا يفوتنكم الكلب؛ فشدّ الناس عليه من كل جانب؛ فأخذوه[1].

[ما قيل من الشعر بعد قتله] وفي ذلك يقول عمران بن حطان السدوسي الخارجي لعنه الله:

يا ضربة من تقي ما أراد بها ... إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

---

(1) الكلام مقتبس من كتاب الاستيعاب- ج3 ص 57-62، وقارن مع ما أورده الطبري- تاريخ ج 6 ص 62-64، وابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 460-461.

إنـــي لأذكـــره حيـــنا فأحـــسبه / أوفـــى البـــرية عـــند الله ميـــزانا[1]

لله درّ المـرادي الـذي سـفكت كفّـاه / مهجـــة شـــرّ الخلـــق إنـــسانا

أمـــسى عـــشية عـــشاه بـــضربته / ممـــا جـــناه مـــن الآثـــام عـــريانا

فقال أبو بكر بن حماد شهر بالتاهرتي[2] رحمه الله معارضًا له:

قـــل لابـــن ملجـــم الأقـــدار غالـبة / هـــدمت ويلـــك للإســـلام أركانـــا

قتلت أفضل مـن يمشي على قـدم / وأول[3] الـــناس إســـلاما وإيمانـــا

وأعلـم الـناس بالقـرآن ثـم بمـا / ســـنّ الرســـول لـــنا شـــرعا وتبـيانا

صـــهر النبـــي ومـــولاه[4] وناصـــره / أضـــحت مناقـــبه نـــورا وبـــرهانا

وكـــان مـــنه علـــى رغـــم الحـسود لـــه / ما كان[5] هرون من موسى بن عمرانا

وكان في الحرب سيفا صارما ذكرا / ليـــثا إذا لقـــي الأقـــران أقـــرانا[6]

ذكـــرت قاتلـــه والدمـــع مـــنحدر / فقلت سبحان ربّ الناس[7] سبحانا

---

(1) ابن عبد البر- الاستيعاب- ج3 ص 62.

(2) عند ابن الأثير: بكر بن حماد الباهرتي، وهو تصحيف. الكامل في التاريخ- ص 462، ولم يذكر المسعودي اسمه، وهو أبو عبد الرحمن بكر بن حماد بن سمك بن سهر بن أبي إسماعيل الزناتي التاهرتي، سمع بإفريقية من سحنون وغيره، ثم رحل إلى البصرة سنة 217هـ، وكان ثقة عالمًا بالحديث ورجاله، شاعرًا فصيحًا، وله شعر كثير في الزهد والمواعظ وذكر الموت وهوله، وكانت وفاته سنة 296هـ بجوفي مدينة تيهرت، وبها كان مولده. المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد- كتاب رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية- تحقيق بشير البكوش- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط2- 1414هـ-1994م- ص21-22/الدباغ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الأنصاري- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان- تحقيق عبد المجيد خيالي- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1426هـ-2005م- ص155-156/ابن عذاري المراكشي- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- تحقيق ومراجعة ج. س. كولان وإ. ليفي بروفنسال- دار الثقافة- بيروت- ط2- 1400هـ- 1980م- ج1 ص153-154.

(3) أعظم عند ابن الأثير- الكامل- ص 462.

(4) مولانا في الأصل، وما أثبتنا من الكامل- ص 462.

(5) مكان عند ابن الأثير.

(6) البيت السادس ساقط عند ابن الأثير.

(7) العرش عند ابن الأثير.

إنـي لأحـسبه مـا كـان مـن بـشر[1] يخشى المعـاد ولكـن كـان شـيطانا[2]
أشـقى مُـرادٍ إذا عـدت قـبائلها وأخسر الناس عند الله خـسرانا[3]
قد كان يخبرهم أن سوف يخضّها[4] قـبل المنـية أزمانـا وأزمانـا
فـلا عفـا الله عـنه مـا تحملـه[5] ولا سقى قبر عمران بـن حطانـا
لقـوله فـي شـقي ظـل مجتـرما ونـال مـا نالـه ظلمـا وعـدوانا[6]
يـا ضـربة مـن تقـي[7] مـا أراد بهـا إلا ليـبلغ مـن ذي العـرش رضـوانا
بـل ضـربة مـن شـقي[8] أوردتـه لظـى مخلـدا قـد أتـى الـرحمن غـضبانا[9]
كأنـه لـم يـرد قـصدا بـضربته إلا ليـصلى عـذاب الخلـد نيـرانا[10]

ومما قيل في ابن ملجم وقطام لعنهما الله[11]:

فلـم أر مهـرا سـاقه ذو سـماحة كمهـر قطـام مـن فـصيح وأعجَـمِ
ثلاثـة آلاف وعـبد وقيـنة وضـرب علـيّ بالحُـسام المُـسَمَّمِ
فـلا مهـر أغلـى مـن علـيّ وإن عـلا ولا فتك إلا دون فتك ابن ملجم[12]

---

(1) أنس عند ابن الأثير.
(2) الشطر الثاني عند ابن الأثير مختلف، وهو: كلا ولكنه قد كان شيطانا.
(3) ميزانا عند ابن عبد البر، والبيت ساقط عند ابن الأثير.
(4) عند ابن الأثير: قد كان يخبرهم [هذا] بمقتله.
(5) عند ابن الأثير: فلا عفا الله عنه سوء فعلته.
(6) البيت ساقط عند ابن الأثير.
(7) شقي عند ابن الأثير.
(8) غوي عند ابن الأثير.
(9) الشطر الثاني عند ابن عبد البر وابن الأثير مختلف: وسوف يلقى بها الرحمن غضبانا.
(10) الأبيات الشعرية مقتبسة من ابن عبد البر- كتاب الاستيعاب- ج 3 ص62-63، وقارن مع ما أورده ابن الأثير- الكامل- ص 462، وأوردها المسعودي دون ذكر صاحبها- مروج الذهب- ج2 ص 415-416.
(11) قائل هذه الأبيات هو ابن أبي مياس المرادي- الطبري- تاريخ- ج6 ص 67.
(12) الأبيات الشعرية مقتبسة من كتاب الاستيعاب- ج3 ص 65، وورد الشطر الثاني عند الطبري كما يلي: ولا قتل إلا دون قتل ابن ملجم. تاريخ- ج6 ص 67.

[بيعة الحسن بن علي]

وبويع الحسن بن علي رضي الله عنهما بالكوفة، وبويع لمعاوية بالشام، وخرج معاوية نحو الكوفة لقتاله، وخرج الحسن رضي الله عنه يريده؛ فالتقيا بمسكن[1] من أرض الكوفة؛ فاستقبله الحسن بكتائب أمثال الجبال؛ فقال عمرو بن العاص: إني لأرى كتائب لا تولي حتى تقتل أقرانها؛ فقال له معاوية: أي عمرو، إن قتل هؤلاء هؤلاء وهؤلاء هؤلاء، من لي بأمور المسلمين؟ من لي بنسائهم؟ من لي [بذراريهم]؟[2]

فبعث إليه رجلين من قريش من بني عبد شمس: عبد الرحمن بن سمرة وعبد الله بن عامر بن كريز، وكلاهما له صحبة، أما عبد الرحمن فأسلم يوم فتح مكة، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أحاديث[3]، وأما عبد الله فولد على عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وأوتي به إليه وهو صغير؛ فقال: هذا شبهنا، وكانت جدّته أم أبيه البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب عمّة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فجعل صلى الله عليه وسلم يتفل عليه و[يعوذه][4] ؛ فجعل عبد الله يتسوغ /57ظ/ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: إنه المستقي؛ فكان لا يعالج أرضا إلا ظهر له الماء، يكنى أبا محمد[5].

فقال لهما معاوية: اذهبا إلى هذا الرجل فاعرضا عليه، وقولا له، واطلبا إليه؛ فأتياه فدخلا عليه، وتكلما فقالا له، وطلبا له، فكره الحسن سفك الدماء؛ فتخلّى عن حقه لمعاوية، وانخلع وبايع لمعاوية، ودخل معه الكوفة، وعاش متخليا عن الدنيا إلى أن مات رحمه الله ورضي عنه سنة ثمان وأربعين، وصلى عليه

---

(1) مسكن: بالفتح ثم السكون وكسر الكاف موضع قريب من أوانا على نهر دجيل عند دير الجاثليق. ياقوت الحموي- معجم البلدان- ج5 ص 127.

(2) في الأصل بضيعتهم، وما أثبتنا من شمس الدين الذهبي- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام- عهد معاوية بن أبي سفيان- ص 38.

(3) انظر كتاب الإصابة- ج 2 ص393/كتاب الاستيعاب- ج2 ص 394.

(4) في الأصل يمدوه، وما أثبتنا من كتاب الاستيعاب.

(5) انظر كتاب الاستيعاب- ج 2 ص351.

سعيد بن العاص بأمر الحسين بن علي رضي الله عنه، وكان أمير المدينة[1].

وذلك أنه لما مات الحسن أخذت بنو هاشم السلاح، وأخذت بنو أمية السلاح؛ فقالت بنو هاشم: لا يصلي عليه إلا صاحبنا، وقالت بنو أمية: صاحبنا؛ فلما وضعت الجنازة، قال الحسين رضي الله عنه لسعيد: تقدم فلولا أنها سنة ما قدمتك[2].

وكان على مقدمته يومئذ قيس بن سعد بن عبادة الأنصاري، ومعه خمسة آلاف، [قد حلقوا رؤوسهم][3] بعدما مات علي رضي الله عنه، وتبايعوا على الموت؛ فلما دخل الحسن في بيعة معاوية أبى قيس أن يدخل، وخرج عن عسكره، وغضب على الحسن، ويدر منه [فيه] قول خشن أخرجه الغضب؛ فاجتمع إليه قومه، وقال لأصحابه: ما شئتم، إن شئتم جالدت[4] بكم أبدا حتى يموت الأعجل [منّا]، وإن شئتم أخذت لكم أمانا؛ فقالوا: خذ لنا أمانا؛ فأخذ لهم أن لهم كذا وكذا، وأن لا يعاقبوا بشيء، وأنه رجل منهم، ولم يأخذ لنفسه شيئا.

وقيل إن الحسن رضي الله عنه أخذ لهم الأمان على حكمهم، والتزم لهم معاوية الوفاء بما اشترطوه؛ فبايعوه جميعا إلا جثيمة الضبي فقال معاوية: قد بايع الناس إلا جثيمة، دعوا جثيمة جانبا[5].

[معاوية وولاية مصر] وكان قيس مع علي رضي الله عنه في الجمل وصفين والنهروان هو /58و/وقومه، ولم يفارقه حتى قتل علي رضي الله عنه، وكان علي ولاه مصر فضاق به معاوية، وأعجزته فيه الحيلة؛ فكايده فيه عليا؛ فكان معاوية يقول: لا تسبّوا قيسا فإنه معنا؛ ففطن علي لمكيدته فلم يزل به الأشعث وأهل

---

(1) انظر كتاب الاستيعاب- ج1 صص 368-373/كتاب الإصابة- ج1 ص 329-330/أبو الحسن الروحي- بلغة الظرفاء في تاريخ الخلفاء- تحقيق عماد أحمد هلال ومحمد حسني عبد الرحمن وسعاد محمود عبد الستار- وزارة الأوقاف المصرية- القاهرة- 1424هـ-2003م- ص 136-137.

(2) انظر كتاب الاستيعاب- ج1 ص 373.

(3) ساقط في الأصل، وما أضفناه من ابن عبد البر.

(4) جالد: جالده بالسيف ونحوه مجالدة وجلادا ضاربه به، وفي المثل: لولا جلادي غنم تلادي، أي لولا مدافعتي عن مالي سلب مني وأخذ. المعجم الوسيط- ص 129.

(5) أورد ابن عبد البر نفس الكلام-كتاب الاستيعاب- ج3 ص 218-220.

الكوفة حتى عزل قيسًا، وذلك الذي أراد معاوية [1].

وبعث الأشتر أميرًا على مصر؛ فسار حتى بلغ قلزم؛ فشرب شربة عسل فكان فيها حتفه؛ فقال عمرو بن العاص: إن لله جنودًا من عسل[2] ؛ فبعث محمد بن أبي بكر، وتقدم إليه أن لا يعرض لمعاوية ابن خديج، وأصحابه كانوا قد نزلوا للحيلة، وتنحوا عن علي رضي الله عنه ومعاوية بعد صفين؛ فبعث لهم محمد بن أبي بكر، ورحل قيس بن سعد حتى أتى المدينة فولعت به بنو أمية؛ فخرج حتى أتى عليا فكان معه؛ فكتب معاوية إلى مروان: ماذا ضيعتم؟ لأن تكونوا أمددتم عليا بثلاثين ألفا أحب إليّ مما صنعتم من إخراجكم قيسا إليه.

وكتب ابن خديج وأصحابه إلى معاوية: ابعث إلينا رجلا؛ فبعث إليهم عمرو بن العاص؛ فدخل مصر؛ فلجأ محمد بن أبي بكر إلى عجوز كانت صديقة لعائشة رضي الله عنها، ثم خرج من عندها فطلبوه؛ فلم تقرّ لهم العجوز به؛ فأخذوا إبنا لها فأقرّ؛ فطلبوه فأدركوه فقتلوه، وأدخلوه في جيفة حمار، وحرقوه بالنار؛ فقالت أخته عائشة رضي الله عنها: لا أكلت شواء أبدا[3].

وقدم عمرو بن العاص على معاوية بعد فتحه مصر؛ فعمل معاوية طعاما؛ فبدأ بعمرو وأهل مصر فغدّاهم، ثم خرج أهل مصر، وحبس عمرا عنده، ثم أدخل أهل الشام فتغدّوا؛ فلما فرغوا من الغداء قالوا: يا أبا عبد الله بايع، قال: نعم على أن لي عشرها، يعني مصرا فبايعه على أن له ولاية مصر ما كان حيًّا.

ثم لزم قيس المدينة، وأقبل على العبادة حتى مات /58ظ/بها سنة ستين،

---

(1) انظر كتاب الاستيعاب- ج3 ص 218/ابن تغري بردي- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة- تحقيق محمد حسين شمس الدين- دار الكتب العلمية- بيروت-ط1- 1413هـ-1992م- ج1 ص 130-132.

(2) انظر ابن تغري بردي- النجوم الزاهرة- ج1 ص 136-137/جلال الدين السيوطي- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة- تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت-ط1- 1425هـ-2004م- ج1 ص 450.

(3) قارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج6 ص 37-38/وابن عبد البر- كتاب الاستيعاب- ج3 ص 328-329/والسيوطي- حسن المحاضرة- ج1 ص 450-451/ابن تغري بردي- النجوم الزاهرة- ج1 ص 143-145.

وقيل سنة تسع وخمسين في آخر خلافة معاوية[1].

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر، والحسن بن علي رضي الله عنه إلى جنبه، وهو يقبل[2] على المسلمين مرة وعليه أخرى[3]، ويقول: إن ابني هذا سيد، ولعلّ الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين[4] من المسلمين[5] ؛ فكان كذلك، وكانت مدّة خلافته ستة أشهر.

وروى سفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: الخلافة بعدي ثلاثون سنة، ثم يكون ملكا[6].



(1) الكلام مقتبس من ابن عبد البر- كتاب الاستيعاب- ج3 ص 218-219.

(2) "ينظر" في لفظ الحديث.

(3) في الحديث "إليه مرة".

(4) كلمة عظيمتين غير موجودة في الحديث.

(5) صحيح البخاري- كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ- باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما- الحديث رقم 3746- ص 656

(6) محمد بن حبان أبو حاتم التميمي البستي- صحيح ابن حبان- تحقيق شعيب الأرناؤوط- مؤسسة الرسالة- بيروت- ط2- 1414هـ-1993م- حديث رقم 6943-وقال إسناده حسن- ج 15 ص 392.

خبر معاوية رحمه الله

[نسبه]: هو معاوية بن أبي سفيان، واسم أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي القرشي الأموي، [وفيه][1] يجتمع نسبه مع نسب رسول الله صلى الله عليه وسلم، يكنى أبا عبد الرحمن[2]، ولقبه الناصر للحق، وهو الثاني من أمراء بني أمية لأن عثمان بن عفان رضي الله عنه أولهم لكنا أثبتناه مع الخلفاء الراشدين المهديين رضي الله عنهم أجمعين.

أمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف[3]، وكانت قبل أبي سفيان تحت [حفص][4] بن المغيرة[5]، و[حفص][6] هذا ابن المغيرة بن عبد الله، وقيل عمرو بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن كعب بن لؤي من جلة قريش ومركز نائها، وكان [حفص] اتخذ منزلا للضيفان في داره، فخرج يوما من منزل الضيفان، وترك هنداً نائمة فيه؛ فانصرف راجعا إلى منزله فلقي بعض أضيافه خارجا من منزل الضيافة لما لم يجد [حفص] فردّه وأنزله، ودخل على هند فوجدها نائمة كما تركها؛ فركضها برجله؛ فاستيقظت فزعة؛ فقال لها: من الذي خرج من عندك آنفا؟ فقالت له: والله ما رأيت غيرك منذ /59و/خرجت حتى أنبهتني؛ فقال لها: حبلك على غاربك؛ فالحقي بأبيك؛ فأتت أباها باكية فأخبرته الخبر؛ فقال لها: يا بنية إن يكن

---

(1) إضافة يقتضيها سياق الكلام.

(2) انظر الطبري- تاريخ- ج6 ص 168.

(3) انظر الطبري- تاريخ- ج6 ص 168.

(4) في الأصل الفاكه، والصحيح أن الذي تزوج هنداً هو حفص بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم، وأنجب منها أبان بن حفص أخي معاوية لأمه. انظر ابن سعد- الطبقات الكبرى- ج6 ص 175/ابن حزم- جمهرة أنساب العرب- ص 76-77/الذهبي- تاريخ الإسلام- عهد الخلفاء الراشدين- ص 298.

(5) هو الفاكه بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم. ابن السائب الكلبي- جمهرة النسب- ص 85-86/ابن حزم- جمهرة أنساب العرب- ص 144.

(6) في الأصل الفاكه.

الشيطان غرّك والصبوة فعرفني لأدسنّ إليه من يقتله، وينكتم الخبر لئلا تكون سُبّة في العرب، وإن كنت بريئة حاكمناه إلى الكاهن؛ فقالت له: حاكمه فوحقك ما أتيت عارًا ولا آتيه.

فسار هو وناس معه ومعهم [حفص] إلى سطيح كاهن العرب؛ فلما كان في بعض الطريق رأى عتبة ابنته تبكي؛ فقال لها: ما لك؟ أخشيت الفضيحة؟ فقالت: لا والله يا أبت ولكني قلت هذا كاهن العرب بشر مثلنا، والبشر غير معصومين من الخطأ؛ فربما أخطأ عليّ، ونسبت الفاحشة إليّ؛ فقال: إني سأخبئ له خبيئة وأختبره بها؛ فإن هو صدق فيها كان في غيرها أصدق؛ فلما قربوا من منزله صفر لفرسه؛ فأدلى فأدخل حبة برّ في إحليله، ثم ردّ إحليله؛ فلما دخلوا على سطيح أنزلهم وذبح لهم؛ فقال عتبة: يا سطيح قد خبأنا لك شيئا، فما هو؟ قال: ثمرة في كمرة؛ فقال له: عسى أبين من هذا؟ قال: حبة بُر في إحليل مهر، قال: صدقت.

ثم جاؤوا بهند في جملة نساء ملفعات[1] ؛ فقالوا له: انظر في شأن هذه المرأة؛ فتصفح وجوههن، ثم ضرب بيده على هند، وقال لها: قومي غير دنية ولا زانية، وستلدين ملكا يسمى معاوية؛ فقاموا عنه منصرفين؛ فمدّ [حفص] إليها يده ليردفها وراءه فجذبت يدها منه، وقالت له: إليك عني؛ فوالله لا كان منك أبدًا؛ فانحازت منه؛ فتزوجها أبو سفيان صخر بن حرب؛ فولدت له معاوية[2] ؛ فمشى يوما وهو غلام مع أمه هند فعثر؛ فقالت له: قم لا رفعك الله وأعرابي ينظر إليه؛ فقال: لم تقولين له هذا؛ فوالله إني لأظنه سيسود قومه؛ فقالت: لا رفعه الله إن لم يسد إلا قومه[3].

وكان أبو سفيان رئيس /59ظ/قريش قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم، وله يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: كل الصيد في جوف الفرا[4]، والفرا

(1) لفَّع: الشيب رأسه شمله، والتفع بالثوب اشتمل به حتى يجلل جسده، واللِّفاعُ ما يجلل به الجسد كله، كساء كان أو غيره. المعجم الوسيط- ص 832.

(2) أورد ابن عساكر نفس القصة- تاريخ دمشق- ج70 ص 168-169.

(3) انظر ابن حجر العسقلاني- الإصابة- ج3 ص 412.

(4) الفرأ: حمار الوحش، يقال في مثل: كل الصيد في جوف الفرأ بتسهيل الهمزة، كله دونه، ويضرب لمن يفضل على أقوام، ولما يغني عن غيره. المعجم الوسيط- ص 678.

مقصور، وهو حمار الوحش.

وكان حرب بن أمية رئيس قريش يوم الفجّار، وكان العرب إذا ركبوا في قومهم من بني أمية قدموا في المراكب، وأخليت لهم صدور المجالس، وكان أبو سفيان صاحب العير يوم بدر، وصاحب الجيش يوم أحد وفي يوم الخندق، وإليه كانت تنظر قريش يوم فتح مكة، وجعل له رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه من دخل داره فهو آمن[1]، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يفرش فراشا في بيته في وقت خلافته فلا يجلس عليه إلا العباس وأبو سفيان، ويقول: هذا عمّ رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا شيخ قريش.

أسلم معاوية وهو ابن ثماني عشرة سنة عام القضية[2].

[بيعته وصفته] بويع في شوال سنة [إحدى] أربعين[3] في بيت المقدس، وكان أبيض، طويلا ضخما، عظيم البطن، يُخضِّب بالحنّاء والكتم، إذا ضحك تقلصت شفته العليا[4].

[وزراءه] كاتبه [عبيد الله بن أوس][5] الغسّاني، وحاجبه صفوان وزيد وأبو أيوب، وصاحب شرطته يزيد بن الحر المخزومي ثم قيس بن حمزة الهمداني[6].

---

(1) انظر سيرة ابن هشام- ص 545.

(2) انظر كتاب الاستيعاب- ج3 ص 375، وحكى الواقدي أنه أسلم بعد الحديبية وكتم إسلامه حتى أظهره عام الفتح- الإصابة- ج3 ص 412، وقال الذهبي: أسلم قبل أبيه في عمرة القضاء- تاريخ الإسلام- عهد معاوية- ص 308.

(3) ساقطة في الأصل، وما أضفنا من المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 3/الطبري- تاريخ- ج 6 ص 165 وقال في جمادى الأولى. السيوطي- تاريخ الخلفاء- ص 234-235، وقال غيره بويع له في ذي الحجة سنة 40هـ. أبو الحسن الروحي- بلغة الظرفاء في تاريخ الخلفاء- ص 138.

(4) انظر الذهبي- تاريخ الإسلام- عهد معاوية بن أبي سفيان- ص 308/ السيوطي- تاريخ الخلفاء- ص 234.

(5) عتبة بن أبي أويس في الأصل وفي بقية النسخ، وما أثبتنا من الجهشياري أبي عبد الله محمد بن عبدوس- كتاب الوزراء والكتاب- تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ شلبي- مطبعة مصطفى البابي الحلبي- القاهرة- ط2- 1401هـ- 1981م- ص 24/وهو عبيد في تاريخ خليفة- ص 141.

(6) انظر تاريخ خليفة بن خياط- ص 141.

وقاضيه: فضالة بن عبيد الأنصاري، استقضاه في خروجه إلى صفين، وذلك أن أبا الدرداء رضي الله عنه لما حضرته الوفاة قال له معاوية: من ترى لهذا الأمر؟ يعني القضاء؛ فقال: فضالة بن عبيد؛ فلما مات أرسل إلى فضالة وولاه القضاء، وقال له: أما إني لم أحبك، ولكني استترت بك من النار؛ [فسكن دمشق][1] وابتنى بها دارًا، وكان شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدًا، وهي أول مشاهده؛ ثم شهد المشاهد كلها، وتوفي في خلافة معاوية سنة ثلاث وخمسين؛ فحمل معاوية سريره، وقال لابنه عبد الله: أعني يا بني فإنك لا تحمل بعده مثله [أبدا][2].

نقش خاتمه: لا قوة إلا بالله.

/60و/بنوه عبد الرحمن لأم ولد لا عقب له، وعبد الله ويزيد وهند ورملة وصفية؛ فيزيد هو الذي ولي الخلافة بعد أبيه معاوية، وأما عبد الله فكان ضعيفا، وكان أكبر من يزيد، ولا عقب له من الذكور، أمه فاختة بنت قرظة بن حبيب بن عبد شمس، وكانت له ابنة اسمها عاتكة[3]، تزوجها يزيد بن عبد الملك، وفيها قال الشاعر:

يا بنت عاتكة التي أتغزل ... حذرا العدى وبه الفؤاد موكلُ
إني لأمنحك الصدود وإنني ... قسما إليك مع الصدود لأميَلُ
ولقد نزلت من الفؤاد بمنزل ... ما كان قبلك والأمانة ينزل
أعرضت عنك وما صددت لبغضة ... أخشى مقالة كاشح لا يفعل[4]

[أخلاق معاوية ومكانته] وكانت لمعاوية رحمه الله أخلاقا كريمة وعلوم جسيمة وسياسة غريبة وأحكام شاذة عجيبة، قال قبيصة بن [جابر][5] الأسدي: صحبت عمر بن الخطاب رضي الله عنه فما رأيت أحدًا أفقه في كتاب الله ولا

---

(1) الزيادة من ابن عبد البر.

(2) الكلام مقتبس حرفيا من ابن عبد البر- الاستيعاب- ج3 ص 192-193.

(3) قارن مع ما أورده الطبري- ج6 ص 168/ابن الأثير- الكامل- ص 499/أبو الحسن الروحي- بلغة الظرفاء- ص 139.

(4) الذهبي- تاريخ الإسلام- ج1 ص 791.

(5) قبيصة بن عامر في الأصل، وما أثبتنا من الذهبي- تاريخ الإسلام- عهد معاوية- ص95، وانظر السيوطي- تاريخ الخلفاء- ص234.

أحسن مداراة[1] منه، وصحبت طلحة بن عبيد الله[2] فما رأيت أحدًا أعطى لجزيل مال عن غير مسألة منه، وصحبت عمرو بن العاص فما رأيت أحدا [أنصع][3] طرفا، ولا أتم ظرفا منه، وصحبت معاوية فما رأيت أحدا أكثر حلما، ولا أبعد أناة، ولا أكبر سؤددا، ولا ألين مخرجا في أمرٍ منه[4].

وله يقول عبد الله بن معمر بن عثمان التميمي أبي البصر، وكان ممن صحب النبي صلى الله عليه وسلم:

إذا أنــت لــم تــرخ الإزار تكــرما ... على الكلمة العوراء من كل جانب

فمــن ذا الـذي تـرجو لحقـن دمائـنا ... ومن ذا الذي ترجو لحمل النوائب

ولما دخل الفيل دمشق حشر الناس لرؤيته، وصعد معاوية إلى علية كانت في قصره؛ فاطلع على جارية من جواريه، وهي مع رجل في حجرة من حجر القصر /60ظ/فأسرع إليها، وقال للرجل: ما حملك على ما صنعت؟ فقال: حلمك يا أمير المؤمنين؛ فقال له معاوية: استرها إن عفوت عنك، قال: نعم؛ فخلى سبيله، وهذا من الحلم العظيم أن يطلب الستر من الجاني، وقال الشاعر في مثل ذلك:

إذا مرضــنا أتيــناكم نعــودكم ... وتذنــبون فنأتــيكم ونعــتذر

ودعا النبي صلى الله عليه وسلم لمعاوية؛ فقال: اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الكِتَابَ وَالحِسَابَ وَقِهِ العَذَابَ[5]، وناوله النبي صلى الله عليه وسلم سهما؛ فقال: يا معاوية خذ هذا السهم حتى تلقاني به في الجنة، وكان ردفه ذات يوم على دابة فقال: ما يليني منك يا معاوية؟ فقال: بطني يا رسول الله؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اللهم املأه علما وحلما[6].

---

(1) في الأصل مدارسة، وما أثبتنا من الذهبي.

(2) في الأصل عبد الله، وما أثبتنا من الذهبي.

(3) في الأصل لتصح، وما أثبتنا من الذهبي.

(4) قارن مع ما أورده الذهبي- تاريخ الإسلام- عهد معاوية- ص 95/ نفسه- ص 315/ والسيوطي- تاريخ الخلفاء- ص 234.

(5) الذهبي- تاريخ الإسلام- عهد معاوية- ص 309، وجاء في الهامش: حسّنه الترمذي في المناقب- ص 384، وأخرجه أحمد في المسند- ج4 ص 216.

(6) انظر الذهبي- تاريخ الإسلام- عهد معاوية- ص 310.

وروي عن عوف بن مالك الأشجعي وكانت له صحبة[1]، قال: كنت قائلا في كنيسة في دار يوحنا، وهي يومئذ مسجد يصلى فيه؛ فنبهت من نومي، وإذا معي في البيت أسد يمشي إليّ فقُمْتُ فزعا؛ فقال لي الأسد: إنما أرسلت إليك برسالة لتبلغها؛ فقلت: من أرسلك؟ قال: أرسلني ربك لأن تعلم معاوية الرجال أنه من أهل الجنة، قال: قلت: ومن معاوية الرجال؟ قال: ابن أبي سفيان.

ولما ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه عتب عليه لحداثة سنّه؛ فقال: تلومونني وأنا سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: اللهم اجعله هاديا مهديا واهده[2].

وروي عن ابن عمر رضي الله عنه أنه قال: ما رأيت أحدًا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أسود من معاوية، قالوا: أولا أبو بكر؟، قال: أبو بكر والله كان خيرًا منه، ولهو كان أسود منه؛ فقيل له: ولا عمر؟ فقال: عمر والله كان خيرًا منه، ولهو كان أسود؛ فقيل: ولا عثمان؟ [قال:] رحمة الله على عثمان إن كان لسيدًا، وكان أسود منه[3]، وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذا نظر إلى معاوية قال: هذا كسرى العرب[4].

[معاوية والمسور بن مخرمة] ووفد على معاوية المسور بن مخرمة بن نوفل القرشي، وكانت /61و/له صحبة، قال: فلما دخلت عليه سلمت، قال: فما فعل طعنك على الأمراء يا مِسْوَر؟ قال: قلت يا أمير المؤمنين أرفضنا[5] من هذا، وأحسن فيما قدمنا إليه، قال: لتكلمني بذات نفسك، قال: فلم أدع شيئا عيبته به إلا خبّرته به؛ فقال: لا تبرأ من الذنوب يا مسور، فهل لك ذنوب تخاف أن تهلكك إن لم يغفر الله

---

(1) انظر ابن عبد البر- الاستيعاب- ج3 ص 131.

(2) زاد "واهد به"، رواه الترمذي عن الذهلي عن أبي مسهر، وقال: حسن غريب- الذهبي- تاريخ الإسلام- عهد معاوية- ص 309-310.

(3) انظر الذهبي- تاريخ الإسلام- عهد معاوية- ص 313.

(4) الذهبي- تاريخ الإسلام- عهد معاوية- ص 311/ابن كثير أبو الفدا إسماعيل- البداية والنهاية- تحقيق عبد الرحمن اللادقي ومحمد غازي بيضون- دار المعرفة- بيروت- ط3- 1418هـ-1998م- ج8 ص 520.

(5) دعنا عند ابن حبيب.

لك؟ قال: نعم، قال: ما حملك أن ترجو المغفرة مني؟ فوالله لما إلي من إصلاح بين الناس، وإقامة الحدود، والجهاد في سبيل الله والأمور العظام التي يحصيها والتي لا يحصيها أكثر مسائلي، والله إني لعلى دين يقبل الله فيه الحسنات، ويعفو عن السيئات، ومع ذلك والله ما كنت لأخير بين الله وبين غيره إلا اخترت الله على ما سواه، قال المسور: ففكرت حين قال لي ما قال، فوجدته قد خصمني؛ فكان المسور إذا ذكره بعد ذلك دعا له بخير[1].

وكان إذا لقي الحسن بن علي يقول: مرحبا وأهلا بابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويأمر له بثلاثمائة ألف، وكان يلقى ابن الزبير فيقول له: مرحبا بابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن حواريه، ويأمر له بمائة ألف.

[معاوية وعائشة بنت عثمان رضي الله عنه] ولما دخل المدينة دخل دار عثمان رضي الله عنه ومعه الحسن والحسين رضي الله عنهما فسلم على أهلها؛ فصاحت عائشة بنت عثمان: وأبتاه[2] وا ثأر [والداه][3] ؛ فقال لها معاوية: إن الناس قد أعطونا سلطانا وأعطيناهم [أمانًا][4]، وأظهرنا لهم حلما تحت غضب، وأظهروا لنا طاعة تحتها حقد؛ فبعناهم هذا وباعوا لنا ذلك؛ فإن أعطيناهم غير ما اشتروا أشحبوا[5] بما قبلهم[6]، ومع كل إنسان [منهم] سيف، وهو يرى مكان حقه[7]، وإن نكثنا بهم نكثوا بنا، ولا ندري الدائرة لنا أم علينا، ولأن تكوني ابنة عمّ أمير المؤمنين خير من أن تكوني أمة من إماء المسلمين[8].

[معاوية وعدي بن حاتم الطائي] ودخل عليه يوما عدي بن حاتم الطائي وكانت له صحبة؛ فقال له معاوية: ما فعلت الطرفات يعني أولاده؟، قال: قتلوا مع

---

(1) قارن مع النص الذي أورده عبد الملك بن حبيب- كتاب التأريخ- ص 125.

(2) ابتاه في الأصل، وما أثبتنا من ابن حبيب.

(3) واثأراه في الأصل، وما أضفناه من ابن حبيب.

(4) الزيادة من ابن حبيب.

(5) شحّوا عند ابن حبيب.

(6) بحقهم عند ابن حبيب.

(7) شيعته عند ابن حبيب.

(8) قارن مع ما أورده عبد الملك بن حبيب- كتاب التأريخ- ص 119-120.

علي رضي الله عنه، قال: ما أنصفك علي، قتل /61ظ/أولادك وبقي أولاده، قال عدي: أنا أنصفت عليا إذ قتل وبقيت بعده؛ فقال معاوية: أما إنه قد بقيت قطرة من دم عثمان لا يمحوها إلا دم شريف من أشراف اليمن؛ فقال له عدي: والله إن قلوبنا التي أبغضناك بها في صدورنا، وأن أسيافنا التي قاتلناك بها لعلى عواتقنا، ولئن أبديت لنا من الغدر مِتراً لنمدنّ إليك من الشرّ شبراً؛ فإن حزّ الحلقوم وحشرجة الحيزوم[1] لأهون علينا من أن نسمع المساءة في علي رضي الله عنه؛ فسلم السيف يا معاوية يسلم عنك؛ فقال معاوية: هذه كلمات حكم فأثبتوها وقيدوها، ثم أقبل على عدي يحادثه، وكأنه ما خاطبه بسوء[2].

[معاوية وسعد بن أبي وقاص] وقدم عليه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه؛ فقال له معاوية: أين كنت في هذا الأمر؟ فقال: إنما مثلنا ومثلكم كمثل ركب يسيرون فأصابتهم ظلمة فقالوا: أخّ أخّ؛ فقال معاوية: ما في كتاب الله أخّ أخّ، ولكن في كتاب الله "**وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ**"[3] ؛ فبايعه، وما سأله شيئا إلا أعطاه إياه[4].

[معاوية والأحنف بن قيس] وقدم عليه الأحنف بن قيس واسمه الضحاك، وقيل صخر، يكنى أبا بحر، والحتات بن يزيد المجاشعي واسمه عامر، وله صحبة، وفد على النبي صلى الله عليه وسلم سنة تسع فأسلم، وكان مع عائشة رضي الله عنها في خروجها إلى البصرة في نفر من أهل العراق؛ فقال معاوية: يا أحنف أنت الشاهر علينا سيفك يوم صفين، والمخذل عن عائشة أم المؤمنين؛ فقال له الأحنف: توقنا بما مضى لنا، ولا تردّ الأمور على أدبارها؛ فإن القلوب التي أبغضناك بها بين جوانحنا، والسيوف التي قتلناك بها على عواتقنا، وأنت والله لا تأتي لنا شبرًا من

---

(1) الحيزوم: الصدر أو وسطه. المعجم الوسيط- ص 171.

(2) ورد النص عند المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 4-5.

(3) سورة الحجرات- الآية 9.

(4) قال ابن عبد البر: كان سعد ممن قعد، ولزم بيته في الفتنة، وقال ابن حجر: واعتزل الفتنة، وقال الذهبي: وسعد كان ممن اعتزل عليا ومعاوية- الاستيعاب- ج2 ص 22/الإصابة- ج2 ص 31/تاريخ الإسلام- عهد معاوية- ص 219.

غدر إلا مددنا إليك ذراعا من شرّ، ولئن شئت بعد ذلك لتستصفين كدر قلوبنا بفضل حلمك؛ فقال: أفعل؛ فأعطاهم وحباهم وأرضاهم.

[وصف علي بن أبي طالب عند معاوية] وقال يومًا لضرار[1]: صف لي عليا؛ فقال: أعفني يا أمير المؤمنين، /62و/قال: لتصفه؛ فقال: أما إذ لا بدّ وصفه؛ فكان والله بعيد المدى، شديد القوى، يقول فضلا، ويحكم عدلا، ينفجر[2] العلم من جوانبه، وتنطق الحكمة من نواحيه، يستوحش من الدنيا وزهرتها، ويأنس بالليل ووحشته، وكان غزير العبرة، طويل الفكرة، يقلب كفه، ويخاطب نفسه، يعجبه من اللباس ما قصر، ومن الطعام ما خشن، كان فينا كأحدنا، يجيبنا إذا سألناه، وينبئنا إذا استنبأناه، ونحن والله مع تقريبه إيانا وقربه منا لا نكاد نكلمه هيبة له، يعظم أهل الدين، ويقرّب المساكين، لا يطمع القوي في باطله، ولا ييأس الضعيف عن عدله، وأشهد لقد رأيته [في] بعض مواقفه، وقد أرخى الليل سدوله، وغربت نجومه، وقد مثل في محرابه قابضا على لحيته، يتململ تململ السليم، ويبكي بكاء الحزين، ويقول: يا دنيا غرّي غيري، إليّ تعرّضت أم إليّ تشوقت؟ هيهات قد بايتتك ثلاثا لا رجعة فيها؛ فعمرك قصير وخطرك صقير[3]، آه من قلة الزاد وبعد السفر ووحشة الطريق[4]؛ فبكي معاوية، وقال: يرحمك الله أبا الحسن، كان والله كذلك؛ فكيف حزنك عليه يا ضرار؟ قال: حزن من ذبح ولدها في حجرها[5].

وكان معاوية يكتب فيما ينزل به ليسأل له علي بن أبي طالب رضي الله عنه عن ذلك؛ فلما بلغ قتله قال: ذهب الفقه والعلم بموت ابن أبي طالب؛ فقال له عتبة أخوه: لا يسمع هذا منك أهل الشام، قال دعني منك.

[رجل من العامة ينتقد معاوية] وصعد المنبر يوم الجمعة فقال: أيها الناس

---

(1) ضرار: هو ضرار بن ضمرة، وكان من خواص علي رضي الله عنه. المسعودي- مروج الذهب- ج2 ص 421.

(2) يتفجر عند المسعودي.

(3) صقير: صقرت الشمس صقرا اشتد حرّها والصَّقْرَةُ شدة وقع الشمس وحرّها. المعجم الوسيط- ص 518.

(4) قارن مع النص الذي أورده المسعودي- مروج الذهب- ج2 ص 421

(5) انظر المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 16.

إن المال مالنا، والفيء فيئنا؛ فمن شئنا أعطيناه، ومن شئنا منعناه؛ فلم يجبه أحد؛ فلما كانت الجمعة الثانية قال مثل ذلك؛ فلم يجبه أحد؛ فلما كانت الجمعة الثالثة قال مثل مقالته؛ فقال له رجل ممن حضر المجلس: كلاً يا أمير المؤمنين، بل المال مالنا والفيء فيئنا، ومن حال بيننا وبينه حاكمناه إلى الله بأسيافنا؛ فنزل معاوية فأرسل إلى الرجل فأدخل عليه؛ فقال القوم: /62ظ/هلك الرجل، ثم فتح معاوية الأبواب؛ فدخل الناس عليه فوجدوا الرجل معه على السرير؛ فقال معاوية: إن هذا أحياني أحياه [الله]، سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: "ستكون أئمة من بعدي يقولون ولا يرد عليهم يتقايمون في النار تقايم القردة"[1]، إني تكلمت أول جمعة فلم يرد عليّ أحد فخشيت أن أكون منهم، ثم تكلمت الجمعة الثانية فلم يرد عليّ أحد؛ فقلت في نفسي إني من القوم، ثم تكلمت في هذه الجمعة فقام هذا الرجل فردّ عليّ فأحياني أحياه الله؛ فرجوت أن يخرجني الله منهم؛ فأعطاه وأجازه[2].

[معاوية وصعصعة بن صوحان العبدي] ودخل عليه صعصعة بن صوحان العبدي وعنده وجوه الناس، وكان يبلغه عنه فصاحته؛ فقال له معاوية: ممن الرجل؟ فقال: من نزار؛ فقال: وما نزار؟ قال: كان إذا غزا احترش، وإذا انصرف انكمش، قال: فمن أي ولده أنت؟ قال: من ربيعة، قال: وما ربيعة؟ قال: كان يغزو بالخيل ويغير بالليل ويجود بالنَيل، قال: فمن أي ولده أنت؟ قال: من أسد، قال: وما أسد؟ قال: إذا طلب أفضى، وإذا أدرك أرضى، وإذا آب أقضى، قال: فمن أي ولده أنت؟، قال: من جديلة، قال: وما جديلة، قال: كان يطيل النجاد ويعد الجياد ويجيد الجلاد، قال: فمن أي ولده أنت؟ قال: من دعمي، قال: وما دعمي؟ قال: كان نارا ساطعا وشرًا قاطعا وخيرًا نافعا، قال: فمن أي ولده أنت؟ قال: من أفصَى، قال: وما أفصَى؟ قال: كان ينزل القارات، ويكثر الغارات، ويحمي الجارات، قال: فمن أي ولده أنت؟ قال: من عبد القيس، قال: وما عبد القيس؟ قال: أبطال ذادة، جحاجحة سادة، صناديد قادة، قال: فمن أي ولده أنت؟ قال: من أفصى، قال: وما أفصى؟ قال: كانت

---

(1) المناوي عبد الرؤوف- فيض القدير شرح الجامع الصغير- تعليق ماجد الحموي- المكتبة التجارية الكبرى- مصر- ط1- 1365هـ- الحديث رقم 4676- ج4 ص 100، وقال الذهبي حديث حسن.

(2) الذهبي- تاريخ الإسلام- عهد معاوية- ص 314، وقال هذا حديث حسن.

رحَاحُه مشرعة، وقدوره مترعة، وجفانه مفرعة، قال: فمن أي ولده أنت؟ قال: من بكير، قال: وما بكير؟ قال: كان يباشر القتال ويعانق الأبطال ويبدد الأموال، قال: فمن أي ولده أنت؟ قال: من عجل، قال: وما عجل؟ قال: الليوث الضراغمة الملوك الضماقمة القروم القشاعمة، قال: فمن أي ولده أنت؟ قال: من كعب، قال: وما كعب؟ /63و/قال: كان يسعر الحرب، ويجيد الضرب، ويكشف الكرب، قال: فمن أي ولده أنت؟ قال: من مالك، قال: وما مالك؟ قال: هو الهمام القمقام.

قال معاوية: والله ما تركت لهذا الحي من قريش شيئا، قال: بلى تركت أكثره وأكثره، قال: تركت لهم الوبر والمدر والأبيض والأصفر والصفا والمشعر والقبة والفخر والسّرير والمنبر والملك إلى المحشر[1]، قال: أما والله لقد كان يسوءني أن أراك خطيبًا، قال: أنا والله لقد كان يسوءني أني أراك أميرًا تتصرف في الأحوال، ولا تقضي في الأموال؛ فقال معاوية: إن الأرض لله وأنا خليفة الله فما أخذت من مال الله فهو لي، وما تركت منه كان جائزا لي؛ فقال صعصعة:

تمنيك نفسك مالا يكون جهلا معاوي لا تأثم

فقال معاوية: يا صعصعة تعلمت الكلام، قال: العلم بالتعلم، ومن لا يتعلم يجهل؛ فقال معاوية: ما أحوجك إلى أن نذيقك وبال أمرك، قال: ليس ذلك لك، ذلك بيد الله لا يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها، قال: ومن يحول بيني وبينك؟ قال: الذي يحول بين المرء وقلبه، قال: اتسع بطنك للكلام كما اتسع بطن البعير الشعير، قال: اتسع بطن من لا يشبع[2]، ثم خرج؛ فبعث إليه ورده، ووصله وأكرمه.

تفسير قوله ينزل القارات، هو جمع قارة، وهو الجبل الصغير.

ودخل عليه يوما أيضا؛ فقال معاوية: إن الله وله الحمد قد أكرم خلفاءه بأفضل الكرامة، وأنقذهم من النار، وأوجب لهم الجنة، وجعل أهل الشام أنصارهم؛ فهم المنصورون على عدوهم، الذابون عن حرم الله، الآخذون بحيفه، ثم سكت؛ فقام صعصعة [فقال]: تكلمت يا أمير المؤمنين وأبلغت، ولم تقصر فيما قلت وأردت، وليس الأمر كما وصفت، أنى يكون خليفة خليفة؟ من أضرّ الناس قهرا،

---

(1) قارن مع ما أورده المسعودي- مروج الذهب- ج 3 ص 39-40.

(2) قارن مع النص الذي أورده المسعودي- مروج الذهب- ج 3 ص 41-43.

واجتذبهم مكرا، وملكهم جرءًا، ثم دانهم لغير العول، واستأثر دونهم بالفضل، واستولى عليهم بأسباب /63ظ/الجهل؛ فأما إطراؤك لأهل الشام؛ فإني لا أعلم قوما أطوع للمخلوق في معصية الله منهم، ملكت رقابهم وأبدانهم وقلوبهم بالمال؛ فإن تدرّه عليهم يتبعوك، وإن تمنعهم منه يخذلوك؛ فقال معاوية: أما والله لولا أني لم أتجرّع قط جرعة غيظ أفضل من الحلم ما عدت لمثل هذه المقالة أبدا[1].

[معاوية وجارية بن قدامة] ودخل عليه يوما [جارية][2] بن قدامة السعدي، وهو عمّ الأحنف بن قيس، وله صحبة[3]، ومع معاوية على السرير برد الأحنف بن قيس والحتات المجاشعي؛ فقال له معاوية: من أنت؟ قال: جارية بن قدامة، قال: وكان قليلا؛ فقال له: وما عسيت أن تكون؟ هل أنت إلا نحلة؟ فقال: لا تفعل يا أمير المؤمنين، شبهتني بها، حادة اللسعة حلوة البصاق، والله ما معاوية إلا كلبة تعاوي الكلاب، وما أمية إلا تصغير أمة؛ فقال معاوية: لا تفعل، قال: إنك فعلت وفعلت، قال: أدن واجلس معي على السرير، قال: لا، قال: ولِمَ؟ قال: رأيت هذين قد أماطاك عن مجلسك؛ فلم أكن لأشكرهما، قال: أدن لأسارك؛ فقال: إني قد اشتريت من هذين دينهما، قال: ومني فاشتر يا أمير المؤمنين، قال: لا تجهر به[4].

[معاوية والحسن بن علي] وتكلم الحسن بن علي رضي الله عنه عند معاوية فزجره معاوية؛ فاحتدّ الحسن، وقال: أيا من تزجر وأنا ابن محضها ولبابها ونصلها ونصائها، غير خوار العنان، ولا كليل اللسان، ولا عشوب الحسب، ولا لثيم النسب؛ فقال له معاوية: إن نفس الرجل أقرب إليه، وخلقه أغلب عليه من جدّه وأبويه، وإنك كنت أمس بالعراق يوطأ عقبك ويؤتمن أمرك، حولك مائة ألف سيف يغمرها رضاك ويسلمها غضبك؛ فتركت ذلك إما ضعفا عنه فأنت اليوم أضعف، وإما زهدا

---

(1) قارن مع النص الذي أورده المسعودي- مروج الذهب- ج 3 ص 40-41.

(2) في الأصل حارثة، والصحيح ما أثبتنا، وهو جارية بن قدامة بن زهير بن الحصين بن زراح بن أسعد بن بجير بن ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم التميمي السعدي- ابن سعد- الطبقات الكبرى- ج5 ص 141/ابن حجر- الإصابة- ج1 ص 219/اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب- تاريخ اليعقوبي- دار صادر- بيروت- د. ت- ج 2 ص 198.

(3) انظر ابن عبد البر- الاستيعاب- ج1 ص 247-248.

(4) قارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج6 ص 117-118.

فيه فأنت اليوم أحق أن تزهد فلا يوردك لسانك موردا يقل فيه إخوانك وأخدانك؛ فقال الحسن: يا معاوية فينا نزلت النبوة فأين تذهب خلافة النبوة عنا؟ أما يرضيك وقد تركناها لك حتى /64و/تريد أن تذكرها أيضا؟؛ فقال معاوية: يا حسن إن الله جعل النبوءة باختيار منه، والخلافة باختيار من عبيده، وقد تنقلب في أحياء قريش، فلم يجد الناس بهم حاجة إليكم، ثم وليتموها فلم يجتمعوا عليكم، فإياك والتعلق بذنب أمر قد عصاك رأسه.

ولما بلغه وفاة الحسن رضي الله عنه خطب ووجهه يتهلل؛ فقال: إن هذا الموت حتم على الخلق جميعا، لا يؤخره حذر ولا يقدمه غدر، وقد يموت الصحيح ويعيش الجريح، وأنتم تظنون ظنونا وتقولون فنونا، وأيم الله ما هو إلا أمر الله يميت إذا شاء، ألا وإن الحسن بن أبي تراب شرب لقحة حمراء فظلت صفراء، والريح سموم والماء حميم على غير طعام ولا إدام؛ فخرج جوفه فأخلف دما حتى مات، وكفينا أمره، وعلى ذلك فلا يقول أحد فيه سوءا ولا يقبر منه شيئا، فإن القبور تميت الأضغان، وتنسي الأحقاد، وتقول للشامت: مهلا مهلا، إن له اليوم، ولك غدا، ثم نزل.

[معاوية وكثير بن شهاب] وولى معاوية كثير بن شهاب خراسان؛ فاحتاز مالا كثيرًا، ثم هرب فاستتر عند هاني بن عروة المرادي؛ فبلغ معاوية؛ فنذر دم هاني؛ فخرج هاني فكان في جوار معاوية، ثم حضر مجلسه وهو لا يعرفه؛ فلما نهض الناس ثبت مكانه؛ فسأله معاوية عن أمره؛ فقال له: أنا هاني بن عروة؛ فقال: إن هذا اليوم يوم يقول فيه أبوك:

أُرَجِّلُ جمتي وأجرّ ذيلي	وتحمل كمتي ابن كهيت
أأمشي في سراة بني عطيف	إذا ما سامني ضيم آليت

فقال له هاني: أنا اليوم أعزّ مني ذلك اليوم، قال له: لم ذلك؟ قال: بالإسلام يا أمير المؤمنين، قال له: أين كثير بن شهاب؟، قال: عندي في عسكرك؛ فقال له معاوية: أنظر إلى ما أجبتنا به؛ فخذ منه بعضا وسوغه بعضا.

[معاوية ووائل بن حجر الحضرمي] وقدم عليه وائل بن حجر بن ربيعة الحضرمي فأجازه، ولم يؤاخذه بشيء، وكان تقدم له عنه، وذلك أن وائلا قدم على

رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان قيلا[1] من أقيال حضرموت، وكان أبوه من ملوكهم، ويقال إنه بشّر به رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه قبل قدومه؛ فقال: يأتيكم وائل بن حجر من أرض بعيدة من حضرموت طائعا راغبا في الله عزّ وجلّ ورسوله، وهو بقية أبناء الملوك؛ فلما دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم رحّب به وأدناه من نفسه، وقرّب مجلسه، وبسط له رداءه فأجلسه مع نفسه على مقعده، وقال: اللهم بارك في وائل وولده، واستعمله النبي صلى الله عليه وسلم على الأقيال من حضرموت، وكتب معه ثلاثة كتب، [منها كتاب][2] إلى المهاجرين من أمية وكتاب إلى الأقيال والعباهلة، وأقطعه أرضا؛ فأرسل معه معاوية بن أبي سفيان؛ فسار معاوية راجلا ووائل راكبا على ناقته؛ فشكى إليه معاوية من الرمضاء؛ فقال له: [انتعل][3] ظِلّ الناقة؛ فقال له معاوية: وما يغني ذلك عني، لو جعلتني ردفا؛ فقال له وائل: أسكت فلست من أرداف الملوك.

ثم عاش وائل بن حجر حتى ولي معاوية الخلافة؛ فدخل عليه وائل فعرفه وذكره بذلك، ورحّب به وأجازه لوفوده عليه؛ فأبى من قبول جائزته وحبائه، وأراد أن يرزقه فأبى من ذلك، وقال: يأخذه من هو أولى به مني فإني في غنى عنه.

وكان وائل بن حجر زاجرا حسن الزجر؛ خرج يوما من عند زياد بالكوفة، وأميرها المغيرة؛ فرأى غرابا ينعق؛ فرجع إلى دار زياد؛ فقال: يا أبا المغيرة هذا غراب يرحلك من هاهنا إلى خير؛ فقدم رسول معاوية إلى زياد من يومه أن يسير إلى البصرة واليا[4].

[معاوية وعبد الله بن جعفر] وقال معاوية يوما لعمرو بن العاص: أمض بنا إلى هذا الذي قد تشاغل باللهو وسعى في هدم مروءته لنعيب عليه فعله، /65و/يريد عبد الله بن جعفر بن أبي طالب؛ فدخل وعنده سائب خاثر، وهو سائب بن يسار،

---

(1) القيل: من ملوك اليمن في الجاهلية دون الملك الأعظم. المعجم الوسيط- ص 767.

(2) الزيادة من الاستيعاب.

(3) في الأصل انتقل إلي، وما أثبتنا من الاستيعاب- ج3 ص 605/الذهبي- تاريخ الإسلام- عهد معاوية- ص 129.

(4) قصة وائل مقتبسة حرفيا من ابن عبد البر- الاستيعاب- ج3 ص 605-606، وقارن مع ابن حجر- الإصابة- ج3 ص 592، والذهبي- تاريخ الإسلام- عهد معاوية- ص 128-129.

وخاثر لقب له يكنى أبا جعفر، وهو مولى لبني ليث اشترى ولادة عبد الله بن جعفر هذا، وهو يلقي على جواري لعبد الله؛ فأمر عبد الله بتنحية الجواري لدخول معاوية، وثبت سائب خاثر، وتنحى عبد الله عن سريره لمعاوية؛ فرفع معاوية عمرًا فأجلسه إلى جانبه، ثم قال لعبد الله: أعد ما كنت فيه؛ فأمر بالكراسي فألقيت، وأخرج الجواري فتغنى سائب خاثر بقول قيس بن الحكيم:

ديار التي كانت ونحن على منى ... تحلّ بنا لولا نجاء الركائب

ومثلك قد أصبيت ليست بجارة ... ولا كنّة ولا حليلة صاحب

وردّ الجواري عليه فحرّك معاوية يديه، وتحرّك في مجلسه، ثم مدّ رجليه فجعل يضرب بهما وجه السرير؛ فقال عمرو: آتيه فإن الذي أتاه أحسن منك حالا وأقل حركة؛ فقال معاوية: أسكت لا أبا لك فإن كل كريم طروب[1].

[معاوية وابنه يزيد] وغضب معاوية في بعض الأمر على ابنه يزيد؛ فشاور جلساءه في أمره؛ فأشاروا عليه بإقصائه تأديبًا له، والأحنف ساكت؛ فقال له معاوية: ما تقول يا أبا بحر؟ فقال: يا أمير المؤمنين، [ثمار] قلوبنا وعماد ظهورنا ونحن لهم سماء ظليلة وأرض ذليلة، [وبهم نصول على كل جليلة][2] إن سألوا فأعطهم، وإن غضبوا فأرضهم، ولا تكن عليهم ثقلا فيستثقلوا حياتك ويتمنوا وفاتك؛ فقال معاوية: لله درّك يا أبا بحر، كان في قلبي على يزيد ما فيه، وقد رضيت عنه، وبعث إليه بمائة ألف درهم؛ فبعث به يزيد إلى الأحنف[3].

[كرم سعيد بن العاص] ولما اجتمع الناس إلى معاوية، وكمل له الأمر ولى سعيد بن العاص المدينة ثم عزله، وولاها مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، وكان يعاقب بينهما في أعمال المدينة، وكان سعيد بن العاص من /65ظ/سادات قريش، وفيه يقول الحطيئة:

سعيد وما يفعل سعيد فإنه ... كريم فلاة في الرباط تجيب

سعيد فلا يغررك قلة لحمه ... تجرد عنه اللحم فهو صليب

---

(1) قارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج6 ص 173.

(2) الزيادة من ابن حبيب- كتاب التأريخ- ص 121.

(3) قارن مع النص الذي أورده ابن حبيب- كتاب التأريخ- ص 121.

وفيه يقول الفرزدق أيضا:

ترى الغرّ الجحاجح[1] من قريش إذا ما الأمر في الحدثان غالا

قياما ينظرون إلى سعيد كأنهم يرون به هلالا

وكان يقال لسعيد عكة من عسل، وكان كريما إذا سأله سائل، ولم يكن عنده ما يعطيه كتب له بما يريد أن يعطيه إلى أيام يسيرة[2].

وذكر الزبير [ابن بكار][3] قال: لما عزل معاوية سعيد بن العاص عن المدينة انصرف عن المسجد وحده فرأى رجلا صعلوكا من صعاليك قريش قد تبعه حتى بلغ منزله؛ فلما بلغ قال له: يا بني ألك حاجة؟ قال: لا ولكني رأيتك وحدك فوصلت جناحك، قال له: وصلك الله يا ابن أخي؛ فالتمس مالا يهبه له فلم يحضره؛ فقال له: أطلب لي دواة وجلدا، وادع لي مولاي فلانا فأتى بذلك؛ فكتب له بعشرين ألف درهم دينا عليه، وأشهد على ذلك مولاه، وقال له: إذا جاءت غلتنا دفعنا ذلك إليك؛ فمات في تلك السنة، وهي سنة تسع وخمسين؛ فأتى بالكتاب إلى ابنه عمرو، وفيه شهادة مولاه؛ فقال له: يا هذا إني أعرف الخط، وأنكر أن يكون لمثلك مثل هذا المال عليه؛ فدعا مولاه؛ فقال: أتعرف هذا؟ قال: نعم؛ فدفع إليه عشرين ألف درهم[4].

وكان لسعيد بن العاص سبعة بنين عمرو هذا، وهو المعروف بالأشدق، وقتله عبد الملك بن مروان، ويأتي خبره عند ذكر عبد الملك إن شاء الله، ومحمد وعبد الله ويحيى وعثمان وعنبسة وأبان[5].

وروي عن محمد بن الحسن أنه قال: باع أبو حذيفة داره؛ فلما أرادوا أن يشتروا عليه قال: بكم تشترون مني جوار سعيد بن العاص، وكان جاره؛ فقالوا: سبحان الله، هل رأيت أحدا يشتري جوارًا أو يبيعه؟ قال: أولا يشترى جوار من [إن]

---

(1) الجحجاح السيد السمح الكريم، جمعه جحاجيح وجحاجحة. المعجم الوسيط- ص 107.

(2) انظر ابن عبد البر- الاستيعاب- ج2 ص 9-10/ابن حجر- الإصابة- ج2 ص 45-46 /الذهبي- تاريخ الإسلام- عهد معاوية- ص 226.

(3) الزيادة من الذهبي- تاريخ الإسلام- عهد معاوية- ص 230.

(4) انظر ابن عبد البر- الاستيعاب- ج2 ص 11.

(5) نفسه- ج2 ص 11.

أسأت إليه أحسن إليّ، وإن سألت أعطاني، لا حاجة لي ببيعكم، ردّوا عليّ داري؛ فبلغ ذلك سعيد بن العاص؛ فبعث إليه بمائة ألف درهم.

وكان مولد سعيد بن العاص عام الهجرة، وقيل سنة أحد، وقتل أبوه العاص بن سعيد يوم بدر كافرًا، قتله علي بن أبي طالب رضي الله عنه مبارزة، وقال عمر بن الخطاب لسعيد بن العاص: لم أقتل أباك إنما قتلت خالي العاص بن هشام، وما لي أن أكون أعتذر من قتل مشرك؛ فقال له سعيد: لو قتلته كنت على الحق، وكان على الباطل؛ فتعجب عمر من قوله، وقال: قريش أفضل الناس أحلاما[1].

[أصحاب الفتوح من الخلفاء] وكان أحد أصحاب الفتوح بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأصحاب الفتوح من الخلفاء بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم، ثم معاوية ثم الوليد بن عبد الملك ثم سليمان بن عبد الملك، ثم أبو جعفر المنصور ثم عبد الله المأمون.

[فتوحات عقبة بن نافع] فتح معاوية رحمه الله جميع بلاد النوبة إلى بلاد السودان، وحاصر القسطنطينية، وكان ولي إفريقية عقبة بن نافع بن عبد قيس الفهري، ولاه عمرو بن العاص إياها، وهو على مصر، وكان ابن خالته، وذلك في سنة إحدى وأربعين؛ فانتهى عقبة إلى لواتة ومزاتة فأطاعوه، ثم كفروا فغزاهم في سنته فقتل وسبى، وافتتح في سنة اثنتين وأربعين غدامس؛ فقتل وسبى[2].

وفيها كان فتح سجستان[3] وكابل على يدي عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب بن عبد شمس، وكان معه في تلك الغزاة الحسن بن [أبي] الحسن البصري[4] والمهلب بن أبي صفرة وقطري بن الفجاءة[5].

وفي سنة ثلاث وأربعين افتتح عقبة بن نافع ودّان، وهي من حيز برقة،

---

(1) أورد ابن عبد البر نفس الرواية- الاستيعاب- ج2 ص 9، وانظر ابن حجر- الإصابة- ج2 ص 45.

(2)الكلام مقتبس من الاستيعاب-ج3 ص108-109، وانظر تاريخ خليفة بن خياط- ص124 /الكامل في التاريخ- ص469.

(3) حدد خليفة بن خياط تاريخ فتحها بسنة 42هـ- تاريخ- ص 125.

(4) في الأصل البصرة.

(5) انظر تاريخ خليفة بن خياط- ص 125.

وكورًا من كور السودان[1]، /66ظ/وفيها مات عمرو بمصر يوم الفطر[2]، وهو ابن تسعين سنة، ودفن بالمقطم[3].

[خطبة عتبة عقب توليه مصر] وفيها ولى معاوية أخاه عتبة بن أبي سفيان، وكان فصيحا خطيبا، يقال إنه لم يكن في بني أمية أخطب منه، وخطب يوما أهل مصر، وهو وال عليها؛ فقال: يا أهل مصر خَفَّ على ألسنتكم مدح الحق ولا تأتونه، وذم الباطل وأنتم تفعلونه كالحمار يحمل أسفارا، [يثقله] حملها ولا ينفعه علمها، وإني لا أداوي داءكم إلا بالسيف، ولا أبلغ السيف ما كفاني السوط، ولا أبلغ السوط ما صلحتم [بـ]الدرّة[4]، وأبطئ عن الأولى إن لم تسرعوا إلى الآخرة؛ فالزموا ما [ألزمكم][5] الله لنا تستوجبون ما فرض الله لكم [علينا][6]، وهذا يوم ليس فيه عقاب ولا بعده عتاب؛ فأقام واليا عليها سنة، وتوفي بها[7].

[مواقف أثناء حجّ معاوية] وحجّ معاوية فطاف يوما بالبيت ومعه جنده؛ فزحموا السائب بن صيفي بن عائذ بن عبد الله بن عمر بن عبد الله بن عمر بن مخزوم فسقط؛ فوقف عليه معاوية فقال: ارفعوا الشيخ؛ فلما قام قال: ما هذا يا معاوية؟ تصرعوننا حول البيت، أما والله لقد أردت أن أتزوج أمك؛ فقال معاوية: ليتك فعلت؛ فجاءت بمثل [أبي] السائب[8].

وكان أوصى بأبان بن عثمان بن عفان حين خرج إلى الحجّ؛ فلما قدم سأل أبان عن مروان فقال: أساء أذني وباعد مجلسي؛ فقال: تقول ذلك في وجهه، قال:

---

(1) الكلام مقتبس من الاستيعاب- ج3 ص 108-109، وقارن مع ما أورده تاريخ خليفة بن خياط- ص 125/ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 469.

(2) انظر تاريخ خليفة بن خياط- ص 125.

(3) المعظم في الأصل، والصحيح ما أثبتنا، والمقطم جبل في شرقي القاهرة. المعجم الوسيط- ص747.

(4) في الأصل على الدرّة، وما أثبتنا من الاستيعاب.

(5) لزمكم في الأصل، وما أثبتنا من الاستيعاب.

(6) ساقطة في الأصل، والزيادة من الاستيعاب.

(7) الكلام مقتبس حرفيا من الاستيعاب- ج 3 ص 121-122.

(8)الكلام مقتبس حرفيا من الاستيعاب- ج 2 ص 99، وقارن مع ابن حجر- الإصابة- ج2 ص 10.

نعم؛ فلما أخذ معاوية مجلسه وعنده مروان قال لأبان: كيف رأيت أبا عبد الملك؟ قال: قرّب مجلسي وأحسن أذني؛ فلما قام مروان قال: ألم تقل في مروان غير هذا، قال: بلى ولكن ميزت بين حلمك وجهله؛ فرأيت أن أحمل حلمك أحب إلى من أن أتعرّض إلى جهله؛ فسُرّ بذلك معاوية وجزاه خيرًا، ولم يزل يشكر قوله.

[معاوية وعامر بن واثلة] وذكر أنه لم يكن أحد أحب إلى معاوية أن يلقاه من أبي الطفيل عامر بن واثلة الكناني، وكان فارس أهل صفين وشاعرهم، وكان من أخصّ الناس لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ فقدم أبو الطفيل الشام يزور ابن أخ له كان من رجال معاوية؛ فأخبر معاوية بقدومه؛ فأرسل إليه فأتاه، وهو شيخ كبير؛ فلما دخل /67و/عليه، قال له معاوية: أنت أبو الطفيل عامر بن واثلة؟، قال: نعم، قال معاوية: أكنت فيمن قتل أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه؟، قال: لا ولكني ممن شهده فلم ينصره، قال له معاوية: ولِمَ؟ قال أبو الطفيل: لم تنصره المهاجرون والأنصار؛ فقال معاوية: أما والله إن نصرته كانت عليك وعليهم حقا واجبا وفرضا لازما فإذ ضيعتموه وتركتموه فقد فعل الله بكم ما أنتم أهله، وأصاركم إلى ما رأيتم، قال أبو الطفيل: فما منعك أنت يا أمير المؤمنين إذ تربصت به ريب المنون ومعك أهل الشام؟ قال معاوية: أما ترى طلبي له نصرة؛ فضحك أبو الطفيل وقال: بلى ولكني وإياك كما قال عبيد بن الأبرص:

لا أعرفنك[2] بعد الموت تندُبُني وفي حياتي ما زودتني زادا[1]

ودخل مروان بن الحكم وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحكم؛ فلما جلسوا نظر إليهم معاوية، ثم قال لهم: أتعرفون هذا الشيخ؟ فقالوا: لا؛ فقال معاوية: هذا خليل علي بن أبي طالب وفارس أهل صفين وشاعر أهل العراق، هذا أبو الطفيل عامر بن واثلة؛ فقال سعيد بن العاص: قد عرفناه يا أمير المؤمنين؛ فما يمنعك منه؟ وشتمه القوم فزجرهم معاوية، وقال: مهلا، فرُبَّ يوم ارتفع عن السباب قد ضقتم ذرعا، ثم قال: أتعرف هؤلاء يا أبا الطفيل؟ فقال: ما أنكرتهم من سوء ولا

---

(1) قارن مع ما أورده ابن عبد البر- الاستيعاب- ج2 ص 117-118/المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 16.

(2) عند ابن عبد البر والمسعودي: لا ألفينك.

أعرفهم بخير، ولقد نبشوا دفيننا، [وأنشد:]

فـإن تكـن العـداوة أكمـنت فـيهم ... فـشرّ عـداوة المـرء السـبّاب

فقال معاوية: يا أبا الطفيل: ما أبقى لك الدهر من حبّ علي؟ قال: حبّ أم موسى لموسى، وأشكو إلى الله التقصير؛ فضحك وقال: لكن هؤلاء أخوالك، لو سُئلوا عني ما قالوا هذا، قالوا: أجل لا نقول الباطل؛ فجهزه معاوية وألحقه بالكوفة[1]، وسكنها وكان من أهل مكة، ثم رجع إلى مكة فمات بها، وهو آخر من مات ممن رأى النبي صلى الله عليه وسلم[2].

[قصة حُجر بن عدي وأصحابه] وفي سنة خمسين كتب زياد من البصرة أن حُجر بن عدي بن الأدبر الكندي يجتمع إليه نفر بالكوفة يظهرون الطعن عليك؛ فراجعه معاوية أن صفدهم في الحديد، وابعث بهم إلينا؛ فبعث بهم إليه في ثلاثة عشر[3] /67ظ/رجلا، وكان وفد على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وشهد الجمل وصفين مع علي رضي الله عنه؛ فلما صاروا على أميال من الكوفة أنشأت بنت حُجر[4] تقول:

تـرفّع أيهـا القمـر المنيـر ... لعلـك أن[5] تـرى حجـرا يسـير

يسـير إلـى معاويـة بـن حـرب ... ليقـتله كـذا زعـم الأميـر[6]

ويـصلبه علـى بـاب دمـشق ... وتأكـل مـن محاسـنه النسـور[7]

---

(1) ورد نفس النص عند ابن قتيبة الدينوري- الإمامة والسياسة- ص155-156/ابن عبد البر- الاستيعاب- ج2 ص117-118.

(2) انظر ابن عبد البر- الاستيعاب- ج2 ص 115-118/ابن حجر- الإصابة- ج2 ص 113.

(3) انظر تاريخ اليعقوبي- دار صادر- بيروت- د. ت- ص 230-231، والمسعودي- مروج الذهب- ج3 ص3، وقال ابن عبد البر وابن حجر: اثني عشر في الاستيعاب والإصابة 1-355-1/313.

(4) قائلة الأبيات عند الطبري وابن الأثير هي هند ابنة زيد بن مخرمة الأنصارية. تاريخ- ج 6 ص 140/الكامل في التاريخ- ص 488.

(5) عند ابن سعد: ترفع هل- الطبقات الكبرى- ج4 ص 433، وتبصر هل عند الطبري- تاريخ- ج6 ص 140، وابن الأثير- الكامل- ص 488.

(6) عند ابن سعد الخبير- نفسه- ج4 ص 433.

(7) البيت ساقط عند الطبري- تاريخ- ج6 ص 140، وابن الأثير- الكامل- ص 488.

تجبــرت الجبابــر[1] بعــد حجــر وطــاب لهــا الخَوَرْنَــقُ والــسّديرُ
ألا يــا حُجــر حُجــر بــن عــدي تلقــتك الــسلامة والــسُّرور
أخــاف علــيك مــا أردى عــديا وشــيخا فــي دمــشق لــه زئيــر
ألا يــا لــيت حجــرا مــات مــوتا ولــم ينحــر كمــا نحــر البعيــر[2]
فــإن تهلــك فكــل عمــيد[3] قــوم إلــى هلــك مــن الدنــيا يــصير[4]

فلما وصل إلى مرج عذراء[5] على اثني عشر ميلا من دمشق تقدم البريد بأخبارهم إلى معاوية؛ فوجّه رجلا أعور؛ فلما أشرف على حجر وأصحابه قال رجل منهم: إن صدق الزَّجر فإنه سيقتل منا النصف، ويسلم النصف؛ فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: ألا ترون الرجل المقبل مصابًا بإحدى عينيه؛ فلما وصل إليهم قال لحجر: إن أمير المؤمنين أمرني بقتلك يا رأس الضلال ومعدن الكفر والطغيان، والمتولي لأبي تراب، وقتل أصحابك إلا أن ترجعوا عن كفركم، وتلعنوا صاحبكم وتتبرؤوا[6] منه؛ فقال حجر وبعض من كان معه: إن الصبر على حدّ السيوف لأيسر علينا مما تدعوننا إليه، ثم القدوم على الله تعالى وعلى نبيه عليه السلام أحبّ إلينا من دخول النار، وأناب[7] نصف من كان معه إلى البراءة من علي؛ فلما قُدِّم حجر للقتل قال: دعوني أصلي ركعتين فتوضأ وصلى ثم انصرف، وقال: والله ما صليت قط صلاة أقصر من هذه، ولولا أن تظنوا بي أني أجزع من الموت لأحببت أن أصلي غيرها؛ فلما سلّ عليه السيف ارتعدت فرائصه؛ /68و/فقالوا له: أجزعا من الموت؟ فقال: وكيف لا أجزع و[إني لـ]أرى سيفا مشهورا، وكفنا منشورا، وقبرا محفورا، ولست أدري إلى الجنة يؤديني ذلك أم إلى النار؛ فقتل وألحق به من وافقه

---

(1) عند المسعودي تخيرت الخبائر- نفسه- ص 3.
(2) البيت ساقط عند الطبري- تاريخ- ج6 ص 140، وابن الأثير- الكامل- ص 488.
(3) زعيم عند الطبري-تاريخ- ج6 ص 140، وابن الأثير- الكامل- ص 488.
(4) ترتيب الشطر الثاني من هذا البيت مختلف عند الطبري وابن الأثير، وهو كما يلي: من الدنيا إلى هلك يصير. تاريخ- ج 6 ص 140/الكامل في التاريخ- ص 488.
(5) مرج عذراء: عذراء بالفتح ثم السكون قرية بغوطة دمشق من إقليم خولان معروفة، وإليها ينسب مرج، وبها قتل حُجر بن عدي الكندي وبها قبره- معجم البلدان- ج4 ص 91.
(6) تتبرؤون في الأصل، وما أثبتنا من المسعودي.
(7) أجاب عند المسعودي.

من أصحابه[1].

فقالت عائشة رضي الله عنها لمعاوية: أين كان حلمك يا معاوية عن حُجر بن عدي مع زهده وعبادته؟ فقال: يا أم المؤمنين لم يحضرني رجل رشيد[2].

وكان [عمرو بن الحَمِق][3] الخزاعي يجتمع إلى حُجر بن عدي ويعينه؛ فهرب حينئذ إلى الموصل، ودخل غارًا فنهشته حيّة فقتلته؛ فبعث إلى الغار في طلبه؛ فوجده ميتا؛ فأخذ عامل الموصل رأسه وحمله إلى زياد؛ فبعث به زياد إلى معاوية، وكان أول رأس حمل في الإسلام من بلد إلى بلد، وقيل بل قتله عبد الرحمن بن عثمان الثقفي عمّ عبد الرحمن بن أم الحكم، وعمر هذا صحب النبي صلى الله عليه وسلم، وروى عنه أحاديث، وروى أنه سقى النبي صلى الله عليه وسلم؛ فقال: اللهم أمتعه شبابه؛ فمرت به ثمانون سنة لم تر شعرة بيضاء في لحيته، وكان موته سنة خمسين[4].

[بناء عقبة للقيروان] وقيل في هذه السنة وجّه معاوية عقبة بن نافع إلى إفريقية؛ فاختط القيروان وأقام بها ثلاث سنين[5]، ويروى أنه لما افتتح إفريقية انصرف إلى القيروان؛ فلم يعجب بالقيروان الذي كان معاوية بن حديج بناه قبله، وذلك عند جبل يقال له القرن؛ فركب والناس معه حتى أتى موضع القيروان اليوم،

---

(1) أورد كل من ابن سعد والمسعودي رواية مقتل حجر مع بعض الاختلاف- الطبقات الكبرى- ج4 ص 431-433/مروج الذهب- ج3 ص 3-4، وقارن مع ما أورده ابن عبد البر- الاستيعاب- ج1 ص 355-356/ابن حجر- الإصابة- ج1 ص 313/اليعقوبي- تاريخ اليعقوبي- ص 230-231.

(2) قارن مع ما أورده ابن عبد البر- الاستيعاب- ج1 ص 355-358/ابن حجر- الإصابة- ج1 ص 313-314.

(3) في الأصل عمر بن الحسن وهو تصحيف، وما أثبتنا من ابن عبد البر- الاستيعاب- ج2 ص 516-517/ابن حجر- الإصابة- ج2 ص 526/الذهبي- تاريخ الإسلام-87-88.

(4) ابن حجر- الإصابة- ج 2 ص 526/ابن عبد البر- الاستيعاب- ج2 ص 516-517/الذهبي- تاريخ الإسلام- عهد معاوية- ص 87-89.

(5) يقول ابن عذاري: وفي سنة 51هـ شرع عقبة في بناء القيروان،...وعزل عن إفريقية سنة 55هـ، بمعنى أنه أقام بإفريقية خمس سنوات- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- ج1 ص20-21.

ووقف عليه، وكان واديًا كثير الأشجار كثير القطف[1] تأوي إليه الوحوش والسباع والهوام، ثم نادى بأعلى صوته: يا أهل الوادي ارتحلوا فإنا نازلون، نادى بذلك ثلاثة أيام؛ فلما كان في اليوم الثالث وقف على رأس الوادي حين أصبح؛ فجعلت الحيات تنساب والعقارب والسباع والوحوش وغيرها مما لا يعرف من الدواب ذاهبة، وهم قيام ينظرون إليها من حين أصبحوا حتى إلى مغرب الشمس، وحتى لم يروا شيئا منها في الوادي، عند ذلك ركز رمحه، وقال: هذا /68ظ/قيروانكم؛ فيروى أن أهل القيروان أقاموا بعد ذلك أربعين سنة، ولو التمست حيّة أو عقرب بألف دينار ما وجدت[2].

فيروى أنه أقام في وجهته هذه بمكان اسمه اليوم فارس، ولم يكن به ماء فأصابهم عطش أَشْفَى منه عقبة وأصحابه على الموت فصلى عقبة ركعتين ودعا الله عزّ وجلّ فجعل فرس عقبة يبحث بيديه في الأرض حتى كشف عن صفاة؛ فانفجر منها الماء فجعل الفرس يمص ذلك الماء فأبصره عقبة فنادى في الناس احتفروا؛ فاحتفروا سبعين موضعا[3] فشربوا وسقوا فسمي ذلك ماء فرس[4]، وقتل عقبة رحمه الله سنة ثلاث وستين بعد أن غزا السوس الأقصا أو في العام الذي يليه، قتله [كسيلة بن لمزم الأوربي][5]، وولد عقبة في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم[6].

[غزوة الهند] وفيها أعني سنة خمسين كتب معاوية إلى زياد: أنظر رجلا

---

(1) القطف: جنس من النبات من الفصيلة الرمرامية، تعلفه الماشية، ينمو في الأرض المالحة. المعجم الوسيط- ص 747.

(2) ورد نفس النص عند ابن عبد الحكم- فتوح مصر وأخبارها- ص 332-333، وانظر مجهول- مفاخر البربر- دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية- دار أبي رقراق للطباعة والنشر- الرباط- ط1- 2005م- ص 193.

(3) حسيا عند ابن عبد الحكم- فتوح مصر وأخبارها- ص 332.

(4) ورد نفس النص عند ابن عبد الحكم- نفس المصدر- ص 331-332.

(5) في الأصل زهير بن قيس البلوي، والصحيح ما أثبتنا لأن زهير بن قيس البلوي كان من استخلفه عقبة على القيروان، ثم ولي مكانه بعد مقتله، وهو الذي قتل كسيلة وانتقم لعقبة- مجهول- مفاخر البربر- ص 194.

(6) ابن عبد البر- الاستيعاب- ج3 ص 108.

يصلح لثغر الهند فوجّهه [إليه]، وذلك بعد قتل عبد الله بن سَوّار؛ فوجّه زياد [سنان] بن سلمة[1] بن [المحبّق][2] الهُذَلي، وكان من الشجعان وأبطال الفرسان؛ فغزا الهند، وكان ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذهب به أبوه إلى النبي عليه السلام فحنكه[3] وتفل في فيه ودعا له وسماه سنانا لأنه ولد يوم حرب النبي صلى الله عليه وسلم، وقال [خليفة بن خياط][4]: ولي سنان بن سلمة غزو الهند بعد قتل راشد بن عمرو الجريري[5].

[غزو القسطنطينية ووفاة أبي أيوب الأنصاري] وفي سنة اثنتين وخمسين بعث معاوية ابنه يزيد إلى القسطنطينية؛ فغزاها يزيد، وكان معه أبو أيوب خالد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه؛ فتوفي بها وقبره في أصل سور المدينة، قال مجاهد: حضرت موته فدخل عليه يزيد بن معاوية؛ فقال: غمّوا قبري؛ ففعل يزيد؛ فقبرناه ليلا في أصل حصن قسطنطينية، ثم أمر يزيد بالخيل تغبر عليه حتى أغمي قبره؛ فأشرف أهل قسطنطينية حين أصبحوا؛ فقالوا: لقد كان لكم الليلة شأن، لقد مات فيكم عظيم؛ فقال يزيد: أجيبوهم؛ فقالوا: /69و/هذا رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، أقدمهم إسلاما وقد قبرناه، وأنتم والله لئن مسّ لا يضرب ناقوس بأرض العرب ما كانت لنا مملكة، قال مجاهد: وكانوا إذا أمحلوا كشفوا عن قبره فنزل المطر بإذن الله، وبنى الروم على قبره بناء، وعلقوا عليه أربعة قناديل[6].

ويقال إن عقبة كان مستجاب الدعوة.

[معاوية وأمد بن أبد] وقال سلمة بن سعيد: كنا عند معاوية؛ فقال: وددت

---

(1) مسلمة في الأصل، وما أثبتنا من الاستيعاب- ج2 ص 80/الذهبي- تاريخ الإسلام- عهد معاوية- ص 18.

(2) في الأصل الحنق، وما أثبتنا من الذهبي- تاريخ الإسلام- عهد معاوية- ص 18.

(3) في الأصل فحنك.

(4) في الأصل حذيفة بن حناط وهو تصحيف، والتصويب من الاستيعاب.

(5) النص مقتبس حرفيا من الاستيعاب- ج2 ص 80-81، وانظر تاريخ خليفة بن خياط- ص 130.

(6) انظر ابن سعد- الطبقات الكبرى- ج2 ص 389-390/ابن عبد البر- الاستيعاب- ج1 ص 402-404/الذهبي- تاريخ الإسلام- عهد معاوية- ص 320-321.

أن عندنا من يحدثنا على ما مضى من الزمن، هل يشبه زماننا هذا أم لا؟ قيل له: بحضرموت رجل قد أتت عليه ثلاث مائة سنة؛ فأرسل إليه معاوية، وأتى به؛ فلما دخل عليه أجلّه، ثم قال له: ما اسمك؟ قال أمد بن أبد؛ فقال له: كم أتى عليك من سنين؟ قال: ثلاثمائة سنة؛ فقال له معاوية: كذبت، ثم أقبل على جلسائه يحدثهم ساعة.

ثم أقبل عليه فقال له: حدثنا أيها الشيخ؛ فقال له: وما تصنع بحديث الكذاب؟ فقال: إني والله حدثتك وأنا أعرفك بالكذب، ولكني أردت أن أختبر عقلك فأراك عاقلا، حدثنا عن ما مضى من الزمان، هل يشبه ما نحن فيه اليوم؟ فقال: نعم كأنه ما ترى، ليل يجيء من هاهنا ويذهب من هاهنا، قال: فأخبرني عن أعجب ما رأيت، قال: رأيت الظعينة تخرج من بلاد الشام حتى تأتي مكة لا تحتاج إلى طعام ولا شراب، تأكل من الثمرات وتشرب من العيون، ثم هي الآن قفر كما ترى، قال: وما آية ذلك؟ قال: دول الله في البقاع، قال: فأخبرني هل رأيت عبد المطلب؟ قال: نعم، قال: صفه لي، قال: رأيت شيخا طوالا، حسن الوجه، يقدمه ابن له بركة، وإنّ فيه لبركة، قال: فهل رأيت أمية بن عبد شمس؟ قال نعم، قال: صفه لي، قال: رأيت شيخا قصيرا يقوده غلام له يقال له ذكوان، يقال إنه أنكد وإن فيه لنكدة، قال: فهل رأيت محمدًا؟ قال: ومن محمد؟ قال: رسول الله، قال: سبحان الله ألا عظّمته كما عظّمه الله، ألا قلت رسول الله، قال: نعم رأيته بأبي هو وأمي، ما رأيت قبله ولا بعده مثله.

قال: فأخبرني عن خير /69ظ/المال، قال: عين خرّارة[1] في تربة خوّارة[2]، قال: ثم ماذا؟ قال: ثم فرس في بطنها فرس تتبعها فرس، قال: فأين أنت من الدنانير والدراهم؟ قال: حجران إن أخذت منهما نقصا، وإن تركتهما لم يزيدا، قال: فأين أنت من الإبل والغنم؟ قال: ليس مال مثلك، إنما هما مال من شهدهما بنفسه، قال: فأين أنت عن الرقيق؟ قال: عن مستفاد وغيظ في الأكباد، قال: ألك حاجة، قال:

---

(1) الخرّارة: عين الماء الجارية. المعجم الوسيط- ص 225.

(2) الخوّارة من الأرض اللينة السهلة والخور المنخفض من الأرض بين مرتفعين. المعجم الوسيط- ص 261.

نعم، ترد عليّ شبابي، قال: لا أقدر، قال: فتنجيني من النار، وتدخلني الجنة، قال: لا أقدر، قال: فلا أرى عندك دنيا ولا آخرة، ردّني إلى بلادي؛ فأمر به فردّوه[1].

[معاوية وولاية العهد ليزيد] وفي سنة تسع وخمسين وفد على معاوية وفود الأمصار؛ فكان ممن وفد من أهل العراق الأحنف بن قيس مع جملة من أهل العراق؛ فقال معاوية للضحاك بن قيس الفهري، وكانت له صحبة: إني جالس من الغد للناس فأتكلم ما شاء الله فإذا فرغت فقل في يزيد ما يحق عليك، وادع إلى بيعته، وقد أمرت عبد الرحمن بن عثمان الثقفي وعبد الرحمن بن عاصم الأشعري وثور بن معن أن يوافقوك.

فلما أصبح وجلس معاوية للناس تكلم الضحاك بن قيس، وأطرى يزيد وذكر فضائله، وحضّ معاوية على البيعة؛ فوثب الذين أوصاهم معاوية فصدّقوا قوله؛ فقال معاوية للأحنف بن قيس: قل؛ فقام الأحنف فقال: إن الناس أمسوا[2] في منكر زمان [قد][3] سلف، ومعروف زمان يؤتنف، ويزيد قريب حبيب؛ فإن توليه عهدك فعن غير كبر مفن أو مرض مضن، وقد حلبت الدهور، وجرّبت الأمور؛ فاعرف من تسند إليه عهدك، وتوليه الأمر بعدك، واعص رأي من يأمرك، ولا يقدر عليك، ولا ينظر لك، وأنت ناظر للجماعة، واعلم باستقامة الطاعة مع أن أهل وأهل الحجاز لا تهدأ أبدا ولا يبايعون ليزيد ما كان الحسين حيّاً.

فقام الضحاك مغضبًا فقال: يا أهل العراق، يا أهل النفاق والشقاق، أردد رأيهم يا أمير المؤمنين في نحورهم، /70و/وقام عبد الرحمن بن [عثمان][4] الثقفي فتكلم نحو كلام الضحاك، ثم قام [رجل من] الأزد[5]، وأشار إلى معاوية، وقال: أنت أمير المؤمنين فإذا مت فأمير المؤمنين يزيد فمن أبى هذا فهذا، وأخذ بقائم سيفه؛ فقال له معاوية: أقعد؛ فأنت من أخطب الناس[6] ؛ فبايع معاوية لابنه يزيد،

---

(1) أورد ابن حجر جزءًا يسيرًا من قصة أمد بن أبد الحضرمي- الإصابة- ج1 ص 76-77.

(2) أمسكوا عند ابن قتيبة الدينوري- الإمامة والسياسة- ص 137.

(3) ساقطة في الأصل، والزيادة من ابن قتيبة.

(4) عمر في الأصل، والصحيح ما أثبتنا.

(5) أبو حنيف عند ابن قتيبة الدينوري- نفسه- ص 137.

(6) قارن مع ما أورده المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص27-28، وابن قتيبة- الإمامة

وأنشئت الكتب ببيعته إلى الأمصار، وهو أول من بايع لابنه بولاية العهد.

[موقف مروان بن الحكم من ولاية العهد ليزيد] وكتب معاوية إلى مروان بن الحكم، وكان عامله على المدينة يعلمه بمبايعته ليزيد بولاية العهد، ويأمره بمبايعته، وأخذ البيعة له على من قبله، فلما قرأه مروان خرج مغضبًا في أهل بيته وأخواله من كنانة حتى أتى دمشق فنزل بها، ودخل على معاوية ماشيًا بين السماطين[1]، حتى إذا كان منه بقدر ما يسمعه صوته سلم، وتكلم بكلام كثير يوبخ به معاوية منه: أقم الأمور يا ابن سفيان، واعدل عن تأميرك الصبيان، واعلم أن لك من قومك نظراء، ولك على مناولتهم[2] وزراء؛ فقال له معاوية: أنت نظير أمير المؤمنين وعدّته في كل شدّة، وعضده ويده، والثاني بعد ولي عهده، ثم ردّه إلى المدينة، ثم عزله عنها، وولاها الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، ولم يف لمروان بما جعله له من ولاية العهد بعد يزيد[3].

[آخر خطبة لمعاوية] وكان آخر خطبة معاوية أن صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قبض على لحيته، وقال: أيها الناس إنه من زرع قد استحصد وقد طالت عليكم إمرتي حتى مللتكم ومللتموني، وتمنيت فراقكم وتمنيتم فراقي، والله لا يأتيكم بعدي إلا من هو شر مني كما أنه لم يأتكم قبلي إلا من هو خير مني، وأنه من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، اللهم إني قد أحببت لقاءك فأحبب لقائي، ثم نزل[4].

[وفاة معاوية ومدة خلافته] فما صعد المنبر حتى مرض معاوية؛ فاستأذن عليه عبد الله بن عباس رضي الله عنه ليعيده؛ فدخل الإذن فأعلمه؛ فقال معاوية:

والسياسة- ص 135 وما بعدها.

(1) السماط: الصف يقال مشى بين سماطين من الجنود وغيرهم، والسماط الجانب يقال مشى على سماطي الطريق أو النهر. المعجم الوسيط- ص 449.

(2) مناوأتهم عند المسعودي.

(3) النص منقول عن المسعودي- مروج الذهب- ج 3 ص 28-29.

(4) انظر ابن كثير أبو الفداء إسماعيل- البداية والنهاية- ج8 ص 536/الذهبي- تاريخ الإسلام- عهد معاوية- ص 316.

أجلسوني أجلسوني؛ فلم يقدر على الجلوس، /70ظ/ويدر ابن عباس بالدخول فقال معاوية:

وتجلدي للشامتين أريهم أني لريب الدهر لا أتضعضع

فأجابه ابن عباس رضي الله عنه:

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفيت كل تميمة لا تنفع[1]

فقال معاوية إلى هنا؛ فقال له: إلى هنا؟، قال: فتعال نستغفر الله ونتوب إليه؛ فتصافحا، وخرج من عنده؛ فلم يجئ اليوم الثالث حتى مات.

ولما اشتدّ ألم معاوية وطال سقمه ويئس من الحياة، وأيقن بانتقاله إلى محلة الأموات تمثل:

هو الموت لا منجى من الموت والذي نحاذر بعد الموت أدهى وأفظع

اللهم أقل العثرة، واعف عن الزلة، وجُدْ[2] بحلمك على جهل من لم يرج غيرك، ولم يثق إلا بك فإنك واسع المغفرة، وليس لذي ذنب منك مهرب، وأحدق به بناته يقلبنه؛ فقال: تقلبين حوّلاً[3] قلّباً[4]، جمع المال من شبّ إلى دب، هو الرجل كل الرجل أن نجا غدا من النار، ثم قال متمثلا:

لا يبعدنّ ربيعة بن مُكَرَّم وسقى الغوادي قبره بذنوب

وقال أيضا يتمثل:

لقد سعيت لكم من سعى ذي نصب وقد سعيتكم[5] التطواف والترحالا

وقال لامرأته قرظة ابكني فقالت: ألا أبكيه ألا أبكيه، ألا كل الفتى فيه.

قوله: حولا معناه ذو لحية، وقلبا الذي يقلب الأمور ظهرًا لبطن.

ثم جمع أهل بيته وولده، ثم قال لأم ولده: أرني الوديعة التي استودعتكها

---

(1) قارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج 6 ص 166.

(2) عند الذهبي: وتجاوز.انظر الذهبي- تاريخ الإسلام- عهد معاوية- ص 317.

(3) الحُوَّل السريع التغير من الرجال، والحوّل المحتال الشديد الاحتيال.المعجم الوسيط- ص 209.

(4) القُلَّبُ: الكثير التقلب، ورجل حُوّلٌ قُلّبٌ، وحُوّلِي قُلّبِي: محتال بصير بتقليب الأمور. المعجم الوسيط- ص 753.

(5) كفيتكم عند الطبري- تاريخ- ج 6- ص 166.

فجاءت بسفط مختوم فظنوا أن فيه جوهرا؛ فقال: إنما كنت أدخر هذا لهذا اليوم، ثم قال لها: افتحيه؛ ففتحته فإذا فيه منديل فيه ثلاثة أثواب؛ فقال: هذا قميص رسول الله /71و/صلى الله عليه وسلم كسانيه، وهذا رداء رسول الله صلى الله عليه وسلم كسانيه لما قدم من حجة الوداع، ثم مكثت بعد ذلك ثلاثة أيام، ثم قلت: يا رسول الله أكسني هذا الإزار الذي عليك؛ فقال: إذا ذهبت إلى البيت أرسلت به إليك يا معاوية؛ فأرسل به إليّ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الحجّام، وأخذ من شعره ولحيته؛ فقلت: يا رسول الله هب لي هذا الشعر؛ فقال: خذه يا معاوية؛ فهو مصرور في طرف الرداء؛ فإذا مت فأكفنوني في قميص رسول الله صلى الله عليه وسلم، وادرجوني في ردائه، وآزروني في بإزاره، وخذوا شعر رسول الله صلى الله عليه وسلم فاحشوا به شدقي ومنخري وذروا سائره على صدري، وخلوا بيني وبين رحمة الله فهو أرحم الراحمين[1].

وكانت خلافته تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر رحمه الله، وتوفي في نصف رجب سنة ستين، وقيل سنة إحدى وستين، وله ثمانون سنة، ودفن بدمشق بباب الصغير، وقدم خبره المدينة في أول شعبان.

وكان معاوية واليًا على الشام وخليفة أربعين سنة، أربع سنين في خلافة عمر، واثني عشرة في خلافة عثمان رضي الله عنهما، وقاتل عليًا رضي الله عنه خمس سنين إلا ثلاثة أشهر، وأقام خليفة تسع عشرة سنة وثلاثة أشهر[2].

---

(1) قارن مع ما أورده ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 498/الذهبي- تاريخ الإسلام- عهد معاوية- ص 316.

(2) انظر ابن سعد- الطبقات الكبرى- ج ص 360/ابن حبيب- كتاب التأريخ- ص 127 /الطبري- تاريخ- ج6 ص 165-166/الروحي- بلغة الظرفاء- ص 138-139/تاريخ اليعقوبي- ج 2 ص 238-239/الذهبي- تاريخ الإسلام- عهد معاوية- ص 317.

خبر يزيد بن معاوية

[نسبه وبيعته وصفته] يكنى أبا خالد، أمه ميسون بنت بَحْدل الكلبي، كان تزوجها معاوية فسئمته واشتاقت إلى وطنها؛ فسمعها وهي تقول:

لبيت تخفق الأرياح فيه أحب إليّ من قصر منيف
وكلب ينبح الطراق عندي أحب إليّ من قط ألوف
/71ظ/ وبكر تتبع الأظعان صعب أحب إليّ من بغل زفوف
ولبس عباءة وتقرّ عيني أحب إليّ من لبس الشفوف
وخرف من بني عم نجيب أحب إليّ من علج عنيف

فقال لها معاوية: جعلتني علجًا فطلقها وألحقها بأهلها، ولدته بدمشق، وقيل بالماطرون[1]، وبويع في رجب عند وفاة أبيه معاوية، وكان جميلا عظيم الهامة، آدم شديد الأدمة، بوجهه جدري، مجدر الأصابع غليظها[2].

[وزراءه ونقش خاتمه] كاتبه عتبة بن أبي أويس الغساني[3]، وحاجبه صفوان[4]، وصاحب شرطته حميد بن حريث بن بحدل، ثم عبد الله بن عامر الهمداني[5].

نقش خاتمه ربنا الله.

ولده: معاوية وخالد وعبد الله الأكبر وأبو سفيان وعبد الله الأصغر وعثمان وعتبة الأعور ويزيد ومحمد وأبو بكر وأم يزيد وأم عبد الرحمن رملة[6].

---

(1) الماطرون موضع بالشام قرب دمشق. معجم البلدان- ج5 ص 42-43.
(2) انظر ابن كثير- البداية والنهاية- ج8 ص 245/السيوطي- تاريخ الخلفاء- ص 245.
(3) عند خليفة بن خياط: عبيد بن أوس الغساني- ص 141، وهو عبد الله بن أوس عند الروحي- بلغة الظرفاء- ص 143.
(4) عند خليفة بن خياط: أبو أيوب مولاه- ص 141.
(5) قال خليفة بن خياط: وعلى شرطه يزيد بن الحر مولاه؛ فمات يزيد فولى قيس بن حمزة الهمداني ثم عزله وولى ذهل بن عمرو العذري- تاريخ- ص 141.
(6) قارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج6 ص 275/اليعقوبي- ج2 ص 252/ابن الأثير- الكامل- ص 533.

قال حميد بن عبد الرحمن: دخلنا على يسير[1] رجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استخلف يزيد بن معاوية؛ فقال: إنهم يقولون إن يزيد ليس بخير أمة محمد صلى الله عليه وسلم، وأنا أقول ذلك، ولكن لأن يجمع الله أمر أمة محمد عليه السلام أحبّ إليّ من أن يفترق، قال النبي عليه السلام: لا يأتيكم في الجماعة إلا خير[2].

[البيعة العامة ليزيد] ولما تمت البيعة ليزيد دخل منزله فلم يظهر للناس ثلاثا؛ فاجتمع بالباب أشراف الناس ووفود البلدان وأمراء الأجناد ليعزّوه بأبيه، ويهنؤونه بالخلافة؛ فلما كان اليوم الرابع خرج شعثا أغبر؛ فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: إن معاوية حبل من أحبال الله مدّه ما شاء أن يمده، ثم قطعه متى شاء أن يقطعه، وكان دون من قبله، وخير من بعده؛ فإن يغفر الله له فهو أهله، وإن يعذبه فبذنبه، وقد وليت الأمر ولست أعتذر من جهلي /72و/فعلى رسلكم؛ فإن الله إذا أراد شيئا كان، اذكروا الله واستغفروه، ثم نزل ودخل منزله.

وأذن للناس فدخلوا عليه وما منهم من يستطيع أن يجمع بين تعزية وتهنئة؛ فقام عبد الله بن همام السلولي؛ فقال: يا أمير المؤمنين، آجرك الله على الرزية، وبارك لك في العطية، وأعانك على رعاية الرعية؛ فقد رزيت عظيما، وأعطيت جسيما؛ فاشكر الله على ما أعطيت، واصبر له على ما رزيت؛ فقد فقدت خليفة الله، ومنحت خلافة الله؛ ففارقت جليلا، ووهبت جزيلا إذ قضى معاوية ووليت الرياسة وأعطيت السياسة؛ فأوردك الله موارد السرور، ووفقك لصالح الأمور، وأنشد:

اصبر يزيد فقد فارقت ذامقة ... واشكر حباء الذي بالملك أصفاك
أصبحت لا رزء في الأقوام نعلمه ... كما رزئت ولا عقبى كعقباك
أعطيت طاعة خلق الله كلهم ... فأنت ترعاهم والله يرعاكا
ففي معاوية الباقي لنا خلف ... إذا[3] نعيت ولم نسمع بمنعاك

(1) قال ابن عبد البر: هو يسير الأنصاري، وقال ابن حجر: يسير غير منسوب. الاستيعاب- ج3 ص635/الإصابة- ج1 ص65.

(2) انظر ابن عبد البر- الاستيعاب- ج3 ص 636/ابن حجر- الإصابة- ج1 ص 65.

(3) إما عند المسعودي.

فقال له يزيد: أدن[1] مني يا ابن همام فدنا؛ فجلس قريبا منه.

ثم قام عصام فقال: سلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته، أصبحت يا أمير المؤمنين قد رزئت خليفة الله، وأعطيت خلافة الله، ومنحت هيبة الله، قضى معاوية نحبه فغفر الله له ذنبه، وأعطيت بعده الرياسة؛ فاحتسب عند الله أجر المصيبة في عظم الرزية، وأحمده على أفضل العطية؛ فقال له يزيد: ادن مني يا ابن صيفي؛ فدنا حتى جلس بقربه.

ثم قام عبد الله بن مازن؛ فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين، رزئت خير الآباء، وتسميت خير الأسماء، ومنحت أفضل /72ظ/الأشياء؛ فهنأك الله العطية وأعانك على الرعية؛ فقد أصبحت قرشي قريش مفجوعة بعد سائسها، مسرورة بما أحسن الله إليها من الخلافة بك، ثم قال:

الله أعطاك التي لا فوقها وقد أراد الملحدون عوقها
عنك فيأبى الله إلا سوقها إليك حتى قلدوك طوقها

فقال له يزيد: ادن مني يا ابن مازن؛ فدنا حتى جلس بالقرب منه، ثم قام الناس يعزّونه ويهنؤونه؛ فلما ارتفع عن مجلسه أمر لكل رجل منهم بمال على مقدار في نفسه ومحله في يومه، وزادهم في أعطياتهم، ورفع مراتبهم[2].

[خطبة يزيد بعد مبايعته] وقعد يزيد على منبر دمشق عند مقامه إياها بعد وفاة أبيه معاوية؛ فمكث ساعة كئيبا حزينا قد خنقته العبرة فما يتسرّح للخطبة؛ فقام الضحاك بن قيس الفهري؛ فقال: أصبحت بين رزية كبيرة وعطية خطيرة، ومضض فأوجع وعرض قد أبشع؛ فعلى الله ثواب مصيبتك، ومن الله تمام نعمتك، هؤلاء أهل طاعتك، جمعهم السرور بأويتك، والرضى ببيعتك، فأولهم أحمد بشرك، ومنهم من أجزل بفضلك.

قال فكأنما نشط يزيد من عقال؛ فنهض قائما وقال: الحمد لله على السرّاء شكرًا لعطائه، وعلى الضرّاء صبرًا لبلائه، وأشهد أن لا إله إلا الله لا ريب فيه، وصدقا لا كذب يعتريه، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم بشير رحمته، ونذير

---

(1) في الأصل أدلي، والصحيح ما أثبتنا.

(2) أورد المسعودي نفس النص- مروج الذهب- ج3 ص 65-66.

سطوته، إن هذا الموت مورد لا يعدل عنه، وطالب لا موئل منه، /73و/{فسبحان[1] الله ما أعظم فجعتنا[2] لموت الخليفة، ومثوبتنا بنيل الخلافة؛ فنستوزع الله شكر [ما تدب][3]، ونستودعه أجر ما سلب، ونسأله بأن يلهمنا بكم العدل والإحسان، ويلهمكم الطاعة والإذعان؛ فإنها حبل متواصلة بيننا وبينكم، بها يجمع الله شملكم ويعز دينكم، أدنوا إلى بيعة إمامكم، ثم قعد وبسط يده؛ فدنا [مسلم][4] بن عقبة؛ فقال: بايعناك وأنت غلام، وشهدنا أنك إمام، ثم تنتظر بيعتك موت خليفة، ولا اجتماع جماعة، ولا اتباع مشورة، ولئن}[5] أعطيناكها اليوم مجدده[6]، وأعدناها لك مؤكدة، فما الأخرى بأوكد من الأولى، هات يدك.

ودنا الحارث بن عبد فقال: جعلك الله أسعد خلف من أحمد سلف وبارك لنا فيما ولاك ومتعنا بما أتاك، أنت من قد عرفنا حكمه ويمنه، ونحن من عرفت طاعته وحده، هات يدك، ودنا النعمان بن بشير فقال: كفاك الله وصافاك، رعاك ما استرعاك، نحن شيعة أبيك في الفرقة، وخاصته في الجماعة، وقد رجونا أن تكون خير عوض منه، وأكرم خلف، هات يدك، ثم تتابع الناس، وانتصف النهار، ودخل يزيد القصر، وأقعد الضحاك ليبايع الناس؛ فلما بلغ باب المقصورة تمثل بأبيات له من قصيدة أولها:

أمست مؤانسة الخيام خيامنا	هيفاء يعتبل الحليم كلامها
ألقت أزمتها إلى متروع	حذر الرقية أن يلم لمامها
لحظه المعالي لحظة فتعلقت	منه عزائم ما يطيش سهامها
حتى تبدى رأسها ومقامها	وأطلت سلس القياد زمامها
فاليوم يحلب الولي حلوبة	عسلا ويحلبه العدو سهامها

[عبد الملك بن مروان ويزيد] ودخل عليه عبد الملك بن مروان فقال له:

---

(1) في الأصل بسم الله، وما أثبتنا من م، ومن ن.
(2) في الأصل فجاءتنا، وما أثبتنا من م، ومن ن.
(3) ساقط في الأصل، وما أثبتنا من م، ومن ن.
(4) ساقط في الأصل، وما أثبتنا من م، ومن ن.
(5) ما بين الحاصرتين مكتوب بخط مختلف في الأصل.
(6) في الأصل وفي كل النسخ مجدته، ولعلّ الصواب ما أثبتنا.

أريضة [لك] إلى جانب أرض لي، ولي فيها منفعة فاقطعنيها؛ فقال: يا عبد الملك إنه لا يتعاظمني كبير، ولا أجزع من صغير؛ فأخبرني عنها وإلا سألت غيرك؛ فقال: ما بالحجاز أعظم منها قدرًا، قال: قد أعطيتكها فشكره، ودعا له ثم خرج؛ فلما ولى قال يزيد: إن الناس يزعمون أن هذا يصير خليفة فإن صدقوا فقد صنعناه، وإن كذبوا فقد وصلناه[1].

[موقف الحسين وابن الزبير من بيعة يزيد] ولم يختلف عن مبايعة يزيد أحدًا إلا الحسين بن علي بن أبي طالب وعبد الله بن الزبير رضي الله عنهما؛ فكتب يزيد بن معاوية إلى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان عامله على المدينة يعلمه بموت معاوية مع رزيق الخضي مولى آل معاوية بن أبي سفيان، ويأمره أن يأخذ له البيعة على الحسين بن علي بن أبي طالب وعلى عبد الله بن الزبير؛ فوجّه إليهما فوجدا في المسجد؛ فقال لهما الرسول: /73ظ/الأمير يستدعيكما؛ فقالا له: نحن على أثرك فانصرف، ثم قال الحسين لعبد الله: ما أظن إرسال الوليد إلينا إلا لأن طاغيتهم قد هلك؛ فبعث إليهما ليبايعا ليزيد قبل أن يشيع الخبر في الناس؛ فقال عبد الله: هذا الذي أظنه؛ فما أنت صانع؟ فقال الحسين رضي الله عنه: أجمع فتياني وأمشي إليه، وأجلسهم عند بابه، وأنا قادر بحول الله تعالى على الامتناع منه، وقام ففعل ذلك، وقال لفتيانه وخوله: إن أنتم سمعتم صوتي قد علا فافتحوا الباب وادخلوا، وإلا فلا تبرحوا حتى أخرج إليكم.

فدخل الحسين رضي الله عنه على الوليد بن عتبة فسلم عليه بالإمرة وعنده مروان بن الحكم؛ فقال الحسين وكأنه لا يظن بموت معاوية: الصلة خير من القطيعة؛ فأصلح الله ذات بينكما؛ فنعى إليه الوليد معاوية، ودعاه إلى بيعة يزيد؛ فقال الحسين: ليس مثلي [من][2] يبايع سرًا، وما أظنك تقبلها إلا على رؤوس الناس؛ فقال له الوليد: انصرف على اسم الله؛ فقال له مروان: والله لئن فارقك الساعة لا يبايعك بعدها حتى يكثر القتل بينك وبينه؛ فلا يخرج [من عندك حتى][3] يبايع أو

---

(1) ورد نفس النص عند المسعودي- مروج الذهب- ج 3 ص 67.

(2) أضفناها حتى يستقيم المعنى.

(3) الزيادة من الطبري- تاريخ- ج6 ص 175.

تضرب عنقه؛ فوثب عند ذلك الحسين وقال: يا ابن الزرقاء، أنت تقتلني أو هو؟ كذبت والله، ثم خرج، ونهض مع أصحابه، وهو يقول:

لا ذعرت الشوام[2] في فلق الصبح	مغيرا ولا دعوت[1] يزيدا
يوم أعطي مخافة[3] الموت ضيما	والمنايا يرصدنني أن أحيدا

فقال الوليد لمروان: والله ما أحبّ أن لي ما طلعت عليه الشمس، وإني قتلت الحسين بن علي[4].

وأما ابن الزبير فكمن في داره، ورسل الوليد يلحون عليه فيقول: لا تعجلوا عليّ؛ فإني آتيكم، ثم بعث أخاه جعفرا إلى الوليد فقال له: يرحمك الله كفّ عن عبد الله فإنك قد روعته بكثرة رسلك، وهو يأتيك غدا؛ فكفّ عنه؛ فلما جنّ الليل خرج إلى مكة ومعه أخوه؛ فلما أصبح بعث الوليد إليه؛ فأعلم بانفصاله؛ فقال له مروان: ليس يخطئ مكة فسرّح في طلبه[5].

[خروج الحسين إلى مكة] وخرج الحسين رضي الله عنه بجميع ولده وأهل بيته /74و/إلى مكة؛ فكتب يزيد بن معاوية إلى عبد الله بن عباس عند خروج الحسين إلى مكة كتابا يسأله فيه كفّ الحسين عما عزم عليه، وكتب في آخره:

يا أيها الراكب الغادي لصيته	على غذفرة في سيرها قحم
أبلغ قريشا على نادي المزار بها	بيني وبينكم الرحمن الرحيم
وموقف بفناء البيت أنشده	عهد الإله وما توفى به الذمم
عنكم قومكم فخرا بأبيكم	أم لعمري حصان عقبة كرم
هي التي لا يداني فضلها أحد	بنت الرسول وخير الناس قد علم
وفضلنا لكم فضل وغيركم	من قومكم لهم في فضلها قسم
إني لأعلم أو ظنا لعالمه	والظن يصدق أحيانا فينتظم
أن سوف تترككم ما تدّعون بها	قتلى لهم حاكم الغربان والرخم

(1) دعيت عند الطبري.
(2) السوام عند الطبري- تاريخ- ج 6 ص 177.
(3) عند الطبري من المهابة.
(4) انظر الطبري- تاريخ- ج6 ص 175-177.
(5) انظر الطبري- تاريخ- ج6 ص 175-176.

يا قومنا لا تشنوا الحرب إذ مكث تمسكوا بحبال السلم واعتصم
قد غرت الحرب ما قد كان قبلكم من القرون وقد بدت بها الأمم
فأنصفوا قومكم لا تهلكوا بذخا فرب ذي بذخ زلت به القدم

[عبيد الله بن زياد وأتباع الحسين بالكوفة] ولما وصل الحسين رضي اله عنه إلى مكة كتب إليه أهل الكوفة أن أقدم علينا فإنا قد حبسنا أنفسنا عليك؛ فبعث إليهم ابن عمّه مسلم بن عقيل بن أبي طالب؛ فبايع منهم سرّا نحو اثني عشر ألفا؛ فكتب بذلك مسلم إلى الحسين، وأكد عليه في المسير إلى الكوفة[1]، وواليها يومئذ النعمان بن بشير الأنصاري؛ فعزله يزيد، وولى مكانه عبيد الله بن زياد لعنه الله؛ فأقبل إليها في وجوه أهل البصرة، ودخل الكوفة متلثما؛ فلم يمر بمجلس من مجالس القائمين بدعوة الحسين رضي الله عنه ويسلم إلا قالوا له: وعليك السلام يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، يظنون أنه الحسين حتى نزل القصر[2] ؛ فدعا بمولى له يسمى معقلا فأعطاه مالا؛ فقال له: اذهب واسأل /74ظ/عن هذا الرجل الذي بايعه أهل الكوفة؛ فقال له: إني رجل من حمص جئت إليك بمال لتقوى به؛ فتلطف معقل حتى وصل إلى مسلم في دار هانيء بن عروة؛ فدفع إليه المال، وبايعه، وانصرف إلى عبيد الله وعنده شريح القاضي؛ فقال له: أتتك بحائن[3] رجلاه[4] وأنشد:

أريد حياته ويريد قتلي غديرك من خليلك من مراد

وكان عبيد الله بن زياد لعنه الله لهاني مكرمًا فوجّه عنه، وقال له: يا هانيء أين مسلم بن عقيل؟ فقال: لا أدري؛ فأمر عبيد الله بإحضار معقل مولاه؛ فلما رآه هانيء بهت؛ فقال: ما دعوته إلى قصري، ولكنه ألقى بنفسه عليّ؛ فقال عبيد الله: جئني به؛ فقال: لا والله ولو كان تحت قدمي ما رفعتها عنه؛ فقال عبيد الله: قربوه مني فأخذ مِخجَنًا[5] كان يتوكأ عليه هاني فضربه على حاجبه فشجّه، وضرب وجهه

---

(1) قارن مع ما أورده المسعودي- مروج الذهب- ج 3 ص 54.
(2) أورد المسعودي نفس النص- مروج الذهب- ج 3 ص 57.
(3) عند الطبري بحائن، والحائنة النازلة المهلكة ذاتُ الحَيْنِ- المعجم الوسيط- ص 212.
(4) قارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج 6 ص 180.
(5) المحجن: كل معوج الرأس كالصولجان. المعجم الوسيط- ص 159.

حتى هشّم أنفه؛ فمدّ يده هاني إلى قائم سيف كان في يد شرطي فمنع من أخذه؛ فقال عبيد الله: أحروري أنت فأمر به فحبس[1].

واتصل الخبر بمذحج قبيل هانيء فتجمعوا إلى باب القصر، وبلغ الخبر أيضا إلى مسلم بن عقيل فنادى بشعاره، [وكان: يا منصور][2] ؛ فاجتمع إليه عشرة آلاف، وقيل ثمانية عشر ألفا؛ فقصد بهم القصر؛ فجعل أصحابه يتسللون عنه حتى لم يبق معه إلا نحو مائة رجل؛ فسار نحو أحد الأبواب وما معه سوى ثلاثة رجال؛ فلما خرج من الباب لم يتبعه منهم أحد؛ فولى حائرا؛ فاستخفى عند امرأة وكان[3] لها ابن مولى لمحمد[4] بن الأشعث فأخبر مولاه بأمر مسلم؛ فرفع محمد الأمر إلى عبيد الله؛ فقال له: إيتني به، ووجّه معه سبعين رجلا فأفتحوا عليه الدار؛ فأشار إليهم بسيفه فأخرجهم من الدار، ثم حملوا عليه ثانيا فشدّ عليهم وأخرجهم؛ فلما رأوا صرامته وشجاعته علوا البيوت فرموه بالحجارة، وأوقدوا النيران في السقوف وألقوها عليه؛ فلما رأى ذلك قال: كل ما أرى لقتل مسلم، يا نفسي اخرجي إلى الموت الذي ليس عنه محيص؛ فخرج عليهم فقاتلهم؛ فاختلف هو وبكر بن حمران[5] ضربتين؛ فضربه بكر فقطع شفته العليا وأشرع /75و/في السفلى، وضربه مسلم في رأسه، وأخرى على عاتقه وكادت تبلغ جوفه، وهو يقول:

أقسمت لا أقتل إلا حرّا ... وإن رأيت الموت شيئا مرّا[6]

كل امرئ يوما ملاق شرّا ... أخاف إن أكذب أو أغرّا[7]

فتقدم إليه محمد بن الأشعث، وقال له: إنك لا تكذب ولا تغر، وأعطاه الأمان فأمكنه من نفسه؛ فحملوه على بغلة، وأتوا به نحو ابن زياد، وقد سلبه ابن

---

(1) قارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج 6 ص 180-181.

(2) الزيادة من المسعودي.

(3) في الأصل وكانت.

(4) في الأصل لمحمود، وما أثبتنا من الطبري.

(5) في الأصل حدان، وما أثبتنا من الطبري.

(6) نكرا عند الطبري- تاريخ- ج 6 ص 196.

(7) قال الطبري: كل امرئ يوما ملاق شرّاً ... ويخلط البارد سخنا مرّاً

ردّ شعاع الشمس فاستقرّا ... أخاف أن أكذب أو أغرّا

تاريخ- ج 6 ص 196.

الأشعث سلاحه؛ فلما بلغ مسلم باب القصر نظر إلى قلة مبردة فاستسقاهم ماء؛ فمنعه ابن عمرو الباهلي بن قتيبة بن مسلم من أن يسقى؛ فتوجه عمرو بن حريث فأتاه بقدح فيه ماء؛ فلما رفعه إلى فيه امتلأ دما فصبّه، وملأ الآخر فلما رفعه إلى فيه سقطت ثناياه فيه وامتلأ دما؛ فقال: الحمد لله، لو كان من الرزق المقسوم لشربته؛ فأدخل على ابن زياد فأمر أن يصعد به إلى أعلى القصر، وأمر بكر بن حمران [أن] يضرب عنقه كي يأخذ بثأره من الضربة التي ضربه؛ فأصعدوه إلى أعلى القصر؛ فضرب بكر عنقه.

ثم دعا ابن زياد بكر بن حمران؛ فقال: ما كان يقول إذ صعدتم به لتقتلوه؟ فقال: كان يكبر ويهلل ويُسَبِّح ويستغفر الله؛ فلما قدمناه لضرب عنقه قال: اللهم احكم بيننا وبين قوم غرّونا وظلمونا وكذبونا وبذّلونا وقتلونا[1].

وقال أحد الشعراء يهجو محمد بن الأشعث في أبيات:

وتركت عمك أن تقاتل دونه ... فشلا ولولا أنت كان منيعا

وقتلت وافد آل بيت محمد ... وسلبت أسيافا له ودروعا[2]

وكان ظهور مسلم بالكوفة يوم الثلاثاء لثمانية أيام مضت من ذي الحجة سنة ستين، وفي ذلك اليوم خرج الحسين بن علي رضي الله عنه من مكة يريد الكوفة؛ فأمر ابن زياد بصلب جثة مسلم رحمه الله، وحمل رأسه إلى دمشق، وهو أول قتيل صلبت جثته من بني هاشم، وأول رأس حمل من رؤوسهم إلى دمشق[3].

وروي عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: ما رأيت من بني عبد المطلب أشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم من مسلم بن عقيل /75ظ/بن أبي طالب[4].

[موقف ابن عباس من مسير الحسين إلى الكوفة] ولما أزمع الحسين رضي الله عنه على المسير إلى الكوفة، قال له ابن عباس رضي الله عنه: إن الناس قد أرجفوا بمسيرك إلى العراق، وإني أعيذك بالله من ذلك؛ فقال له: إني قد استخرت

---

(1) قارن مع ما أورده المسعودي- مروج الذهب- ج 3 ص 57 وما بعدها.

(2) البيتان منقولان عن المسعودي- مروج الذهب- ج 3 ص 59.

(3) النص مقتبس عن المسعودي- مروج الذهب- ج 3 ص 60.

(4) البخاري الجعفي محمد بن اسماعيل- التاريخ الكبير- تحقيق السيد هاشم الندوي- دار الفكر- د.ت- ج7 ص 266.

الله تعالى؛ فقال له: إذ ولابدّ فاترك العيال وسر بنفسك؛ فقال: قد كتب إليّ من بها من الشيعة، فقال له: إنهم من قوم غدر، وما يدعونك إلا للحرب فلا تفعل، وإن أبيت إلا محاربة هذا الجبّار، وكرهت المقام بمكة فاشخص إلى اليمن فإنها في عزلة، ولك فيها أنصار وإخوان؛ فأقم بها وبث دعاتك إلى أهل الكوفة وأنصارك بالعراق؛ فيخرجون أميرهم؛ فإن فعلوا فأتيهم، وما أنا من غدرهم بآمن، وإن لم يفعلوا أقمت بمكانهم حتى يأتي الله بأمرهم.

فقال الحسين: يا ابن عمي، إني لأعلم أنك ناصح، وعلي مشفق، ولكن مسلم بن عقيل كتب إلي باجتماع أهل الكوفة على بيعتي، وقد أعزمت على المسير إليه؛ فقال له: هم من قد خبرت وجربت، وهم أصحاب أبيك وأخيك وقتلتك غدًا مع أميرهم، وإنك لو قد خرجت فبلغ خروجك استنفرهم إليك؛ فكان الذين كتبوا إليك أشدّ عليك من عدوك، وإن عصيتني وأبيت إلا الخروج فلا تخرج نسائك وولدك معك؛ فوالله إني لخائف أن تقتل كما قتل عثمان رضي الله عنه ونساؤه[1] وولده ينظرون إليه؛ فقال: والله لأن أقتل بمكان كذا أحب إلي من أهل مكة، فيئس منه ابن عباس، وخرج من فوره.

[موقف ابن الزبير من خروج الحسين إلى الكوفة] ومرّ ابن عباس بعبد الله بن الزبير؛ فقال: قرّت عيناك يا ابن الزبير، هذا حسين يخرج إلى العراق، ويخليك والحجاز، وأنشد:

يا لك من قبرة بمعمر　　　خلا لك الجو فبيضي واصفري

ونقّري ما شئت إن تنقري[2]

وكان ابن الزبير مغتما بكون الحسين بمكة إذ كان الناس أميل للحسين مما إليه لأنهم [ما] كانوا يعدلونه به؛ فلما أعلمه بما أزمع عليه الحسين سُرّ سرورا عظيما؛ فجاءه وقال /76و/له: يا أبا عبد الله إني قد خفت الله تعالى في ترك جهاد هذه الجبابرة، وهم على ما هم عليه من الظلم والفسوق واستذلال الصالحين من عباد الله؛ فقال له الحسين: قد عزمت على المسير إلى الكوفة؛ فقال: وفقك الله، أما

---

(1) في الأصل نسائه، وما أثبتنا من الطبري.

(2) ورد نفس النص عند الطبري- تاريخ- ج 6 ص 202.

لو أن لي أنصاراً مثل أنصارك ما عدلت بها، ثم خشي أن يتهمه فقال: ولو أقمت بمكانك فدعوتنا وأهل الحجاز إلى بيعتك أجبناك؛ فأنت بهذا الأمر أولى من يزيد والله[1].

ثم دخل عليه أبو بكر بن الحارث فقال: يا ابن عمي، إن الرجل يطريك، ولست أدري كيف يقع نصحي منك؛ فقال: لست ممن يستغش ولايتهم؛ فقل؛ فقال: إن عليا أباك كان أقدم وأحسن في الإسلام أثرا وأشدّ بأسا، والناس له أرجى ومنه أسمع وعليه أجمع؛ فسار إلى معاوية والناس مجتمعون عليه إلا أهل الشام، وهو أعزّ منه فخذلوه وتثاقلوه حرصا على الدنيا ومحبة في حطامها، وخالفوه حتى قبضه إليه، ثم صنعوا بأخيك بعد أبيك ما صنعوا، وقد شاهدت ذلك ولم يغب عنك، وأنت تريد أن تسير إليهم، وتقاتل بهم أهل الشام وأهل العراق، وهم أقوى منك على الدنيا، والناس أخوف لهم وأرجى، ومتى وصلهم مسيرك إليهم بذلوا لهم أموالهم، وقاتلوا من تثق به منهم، وخذلك من تعتقدهم أنصارك؛ فابق على نفسك، وأقم بمكانك؛ فقال له الحسين رضي الله عنه: جزاك الله خيرا يا ابن عمي؛ فلقد بالغت في النصيحة، وأجهدت في الأعذار، وقد فرغ الله فما عسى أن يصيبني، وما قدّره فلا محيل عنه؛ فقال أبو بكر: إن لله وعند الله نحتسب يا أبا عبد الله، وخرج من عنده وقد يئس منه[2].

[مسير الحسين إلى الكوفة] فخرج الحسين رضي الله عنه، وطاف بالبيت، وقصّ من شعره، وحلّ من عمرته، وخرج مع أصحابه، وتمثل عند خروجه بقول زهيل بن أنس الفراء ويعرف بابن أم دينار:

فما عن قلبي فارقت دار معاشرهم ... المانعون ساحتي ودماري
ولكنه ما تم لا بد واقع ... وليس أن ينجي حذرت حذاري

وسار إلى الكوفة، واتصل قدومه بعبيد الله بن زياد لعنه الله؛ فخرج حتى نزل /76ظ/القادسية، وأقبل قيس بن مسهر بكتاب الحسين رضي الله عنه إلى أهل الكوفة؛ فسيق إلى عبيد الله بن زياد؛ فقال له: اصعد المنبر فسُبَّ الحسين بن علي؛

(1) النص مقتبس من المسعودي- مروج الذهب- ج 3 ص 55-56.

(2) قارن مع النص الذي أورده المسعودي- مروج الذهب- ج 3 ص 56.

فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، أنا رسول الحسين بن علي رضي الله عنه إليكم، ابن خير خلق الله وابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجيبوه؛ فقد أمرني عبيد الله بن زياد أن أسبه؛ فلعن الله عبيد الله بن زياد وأباه، وأستغفر الله لعلي بن أبي طالب وبنيه؛ فرمي به من أعلى القصر، ومات رحمه الله، وبرّد ثراه، ولا رحم عبيد الله، وجعل النار مثواه[1].

ولما قرب الحسين رضي الله عنه، استوفت عليه طلائع خيل عبيد الله بن زياد أول الظهر؛ فأمر المؤذن أن يؤذن فأذّن، وخرج هو من مضربه في إزار ورداء ونعلين؛ فحمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: أيها الناس إني لم آتكم حتى أتتني كتبكم، وقدمت علي رسلكم فإن وفيتم، وإلا انصرفت عنكم؛ فسكتوا عنه؛ فقال للمؤذن: أقم الصلاة؛ فصلى بالناس، وهمّ بالانصراف؛ فقال له [الحرّ بن يزيد][2] التميمي: أين تريد يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: أريد هذا المصر؛ فعرّفه بقتل مسلم بن عقيل، وقال له: ارجع فإني لم أدع خلفي خيرًا أرجوه لك؛ فهمّ بالرجوع؛ فقال له أخو مسلم: والله لا نرجع [حتى][3] نأخذ بثأرنا أو نقتل كلنا؛ فقال الحسين: لا خير في الحياة بعدكم[4].

[الحسين وجيش ابن زياد] فسار حتى لقيه جيش ابن زياد؛ فقال له زعيمهم: إنا أمرنا إذا نحن لقيناك أن نقدمك إلى الكوفة على ابن زياد؛ فقال له الحسين: الموت أدنى إليك من ذلك فأمر بالركوب؛ فلما ذهبوا لينصرفوا حيل بينهم وبين ذلك؛ فقال له الحسين رضي الله عنه: ثكلتك أمك ما تريد؟ قال: أنطلق بك إلى ابن زياد؛ فقال: ما إلى ذلك من سبيل؛ فنهض الحسين رضي الله عنه إلى قصر بني مقاتل في كربلاء، وبات فيه.

وخفق برأسه خفقة فانتبه وهو يقول: إن لله؛ فقال ابنه علي الأكبر: يا أبت جعلت فداك لما قلت إن لله؟ فقال يا بني: رأيت فارسا يقول: القوم يسيرون، والمنايا

---

(1) قارن مع النص الذي أورده الطبري- تاريخ- ج6 ص 209-210.

(2) في الأصل الحسين بن زيد، والتصويب من الطبري- تاريخ- ج 6 ص205، والمسعودي- مروج الذهب- ج 3 ص 60، وابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 510.

(3) في الأصل وفي كل النسخ "و"، وبما أبتنا يستقيم المعنى.

(4) قارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج 6 ص 205، والمسعودي- مروج- ج 3 ص 60-61.

تسير إليهم؛ فقال له يا أبت: لا أراك الله سوءا، ألسنا على الحق؟ قال: بلى؛ فقال: إذن لا نبالي كيف نموت؛ فقال له: جزاك الله من ولد خيرًا؛ فبينما هما في ذلك /77و/ وإذا براكب قد أقبل للجيش بكتاب عبيد الله بن زياد وفيه: أما بعد فجعجع[1] بالحسين حين يبلغك كتابي[2].

ونهض عمرو بن سعد بن أبي وقاص إلى الحسين وهو أمام بيته، وقد خفق برأسه؛ فسمعت أخته زينب الضجة فدنت منه، وقالت: يا اخي ألا تسمع الأصوات قد قربت منا فرفع رأسه، وقال: إني رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في خفقتي هذه؛ فقال: إنك تروح إلينا؛ فلطمت أخته وجهها وقالت: يا ويلتاه؛ فقال لها: ليس لك الويل يا أخية أسكتي.

ثم قال لأخيه العباس: إركب إليهم يا أخي؛ فقل لهم ما بدا لكم؟ ففعل؛ فقالوا له: أمر عبيد الله أن تنزلوا على حكمه؛ فقال لهم: لا تجفلوا حتى أرجع إلى أبي عبد الله؛ فرجع إلى الحسين وأخبره، ثم انصرف إليهم، وقال: إنه يسألكم الانصراف حتى ينظر في الأمر، وإنما أراد التأخر حتى يوصي بماله أن يوصي؛ فقال له عمرو بن سعد: قد أجلناكم إلى غد[3].

[الحسين وأصحابه ليلة المعركة] فلما كان عند المساء جمع الحسين رضي الله عنه أصحابه، وقال لهم: إني لا أعلم أحبّ وأوفى ولا أبرّ منكم؛ فجزاكم الله خيرًا، وقد أذنت لكم فانطلقوا حيث شئتم، وهذا الليل قد غشيكم فاتخذوه سترًا؛ فإن القوم إنما يطلبونني؛ فقال[4] له إخوته وأبناءه وقرابته: إنما نفعل ذلك لنبقى بعدك، لا أرانا الله ذلك أبدا فيقول الناس تركوا شيخهم وسيدهم، لم يرموا دونه بسهم، ولا ضربوا أمامه بسيف؛ فقبح الله العيش بعدك، ما أسوأه عندنا[5].

وروي عن علي بن الحسين، وهو الأصغر المعروف بزين العابدين، وهو أبو الحسنيين أنه قال: إني جالس في العشية التي قتل في صبيحتها أبي وأنا مريض،

---

(1) جعجع: جعجع به أزعجه وشرده وحبسه. المعجم الوسيط- ص 124.

(2) قارن مع ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 511-512.

(3) أورد ابن الأثير نفس الخبر- الكامل في التاريخ- ص 512.

(4) في الأصل فقالوا.

(5) قارن مع ما أورده ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 513-514.

وعمتي زينب تمرضني إذ اعتزل أبي بأصحابه، وهو ينشد مرتجزًا:

يا دهر أفّ لك من خليل كم لك بالإشراق والأصيل
من صاحب أو طالب قتيل والدهر لا يقنع بالبديل
وإنما الأمر إلى الجليل وكل حي سالك السبيل

وأعادها مرّات حتى فهمتها عنه، وعرفت ما أراد؛ فخنقتني العبرة؛ فرددت دمعتي، ولزمت السكوت، وعلمت أن البلاء قد نزل، وأما عمتي زينب فسمعت ما سمعت، وفي النساء /77ظ/الرقّة والجزع فلم تملك نفسها أن وثبت تجرّ ثوبها وهي حاسرة حتى انتهت إليه؛ فقالت: وأثكلاه وأيتم عياله، ليت الموت أعدمني الحياة يوم ماتت أمي فاطمة وأبي علي، [يا][1] خليفة الماضي وثمال الباقي؛ فنظر إليها الحسين رضي الله عنه؛ فقال لها: يا أختاه لا يذهبن حلمك الشيطان، وإني أقسم عليك ألا تخدشي[2] على وجهك إذا أنا هلكت[3].

[**خطبة الحسين قبل المعركة**] ثم قام هو وأصحابه الليل كله يصلون، وحبسهم عمرو الصباح، وهم اثنان وثلاثين فارسا وأربعون راجلا، ودفع رايته إلى أخيه العباس، وجعل البيوت في ظهورهم، وأقبل عمرو بن سعد؛ فلما دنا من الحسين ركب الحسين راحلته، ثم نادى بأعلى صوته: أيها الناس اسمعوا قولي ولا تجفلوا[4] علي حتى أعظكم، واعتذر إليكم من مقدمي؛ فإن قبلتم عذري لم يكن عليكم سبيل، وإلا **﴿فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ [وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً]، ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ﴾**[5]، **﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَبَ، وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾**[6].

---

(1) في الأصل إني، والزيادة من الطبري.

(2) تخمشي عند الطبري.

(3) قارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج6 ص 225-226/ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 514/تاريخ اليعقوبي- ج2 ص 243-244.

(4) أجفل: مضى وأسرع. المعجم الوسيط- ص 127، وعند الطبري تعجلوني.

(5) سورة يونس- الآية 71.

(6) سورة الأعراف- الآية 196.

فلما سمع [أخواته][1] كلامه صحن وبكين، وارتفعت أصواتهن فأمرهم بالسكوت؛ فسكتوا، ثم قال: أما بعد أيها الناس، فانظروا من أنا، وعاتبوا أنفسكم في قتلي، هل يصلح لكم انتهاك حرمتي، ألست ابن بنت نبيكم صلى الله عليه وسلم؟ وابن ابن عمه ووصيه وأول المؤمنين بالله؟ أو ليس حمزة عمّ أبي سيد الشهداء؟ ألم تعلموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لي ولأخي: هذان سيدا شباب أهل الجنة[2] ؛ فإن صدّقتموني في ما قلت فهو الحق؛ وإن كذّبتموني فإنة فيكم من يعلم ذلك، اسألوا جابر بن عبد الله الأنصاري وغيره، هل تطلبوني بقتيل فيكم قتلته أو بمال استهلكته؟ فلم يراجعه أحد؛ فنادى: يا قيس بن أشعث ويا جابر بن الحسن ويا فلانا ويا فلانا ألم تكتبوا إلي أن قد أينعت الثمار، واخضرت الجنات فأقبل علينا، قالوا: ما فعلنا، قال الحسين: سبحان الله، ثم قال: فإذ كرهتموني فدعوني أنصرف عنكم[3].

[المعركة بين الحسين وجيش ابن زياد] فقال له ابن الأشعث: انزل على حكم ابن عمك فلست ترى إلا ما تحب؛ فقال له الحسين: أتريد أن يطالبك بني هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل؟ والله لا أعطيهم يدي إعطاء الذليل، ونزل عن راحلته؛ فأقبلوا يرجفون إليه، وحملوا على أصحابه فجثوا لهم على الركب صبرًا، والخيل تشدّ عليهم وتصرعهم إلى أن عقروا دوابهم وصاروا كلهم رجالة /78و/ وقاتلوهم حتى انتصف النهار؛ فلا يقدرون أن يأتيهم إلا من وجه واحد، وحمل شمر بن الجوشن حتى طعن في فسطاط الحسين رضي الله عنه برمحه، وقال: عليّ بالنار لأحرق من في هذا البيت؛ فصاح النساء وخرجن، وصاح به الحسين: يا ابن ذي الجوشن، أنت تحرق بيتي على من فيه أحرقك الله بالنار[4].

---

(1) في الأصل الإخوة، وما أثبتنا من الطبري.

(2) قال ابن تغري بردي: وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة، صححه الترمذي. النجوم الزاهرة- ج1 ص 183.

(3) قارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج6 ص 228، وابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 510-511.

(4) قارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج6 ص 229، وابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 516-517.

فلما حان وقت الصلاة صلى الحسين بمن بقي من أصحابه الظهر صلاة الخوف، واشتدّ القتال ورموه بالنبل، وزهير بن القين يقاتل بين يديه ويقول:

أنا زهير وأنا ابن القين أذودهم بالسيف عن حسين

ثم ضرب على منكب الحسين رضي الله عنه وقال:

أقدم هديت هاديا مهديا فاليوم تلقى جدك النبيا
وحسنا والمرتضى عليا وذا الجناحين الفتى الكميا
[وأسد الله الشهيد الحيا][1]

فشدّ عليه فارسان فقتلاه، وكان نافع بن هلال من أصحاب الحسين قد كتب على أفواق سهمه اسمه؛ فجعل يرمي بها مسمومة[2]، وهو يقول:

إرمي بها معلمة أفواقها والنفس لا ينفعها أشفاقها

فقتل اثني عشر رجلا من أصحاب عمرو بن سعد سوى من جرح منهم، ثم أخذ أسيرًا، وجيء به إلى عمرو بن سعد؛ فقال له: ويحك يا نافع ما حملك على ما صنعت؟ فقال: ربي يعلم ما أردت، والدماء تسيل على لحيته؛ فأمر بقتله فقتل رحمه الله[3].

وكان علي بن الحسين رضي الله عنهما، وهو الأكبر ينشد على الناس ويقول:

أنا علي بن الحسين بن علي نحن ورب البيت أولى بالنبي
تالله لا يحمك[4] فينا ابن الدعي

فطعن وخرج فمات رحمه الله؛ فوقف عليه أبوه الحسين رضي الله عنه فقال: يا بني قتل الله قوما قتلوك، ما أجرأهم على الله تعالى فعلى الدنيا بعدك [العفاء][5].

---

(1) التتمة من الطبري- تاريخ- ج 6 ص 239.
(2) في الأصل: مسموما.
(3) قارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج 6 ص 238-239، وابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 517-518.
(4) يحكم عند الطبري- تاريخ- ج6 ص 242، والمسعودي- مروج الذهب- ج 3 ص 61.
(5) في الأصل المفك، والمفك كلمة محدثة، وهي آلة تفك بها المسامير اللولبية ونحوها.

وخرجت امرأة مسرعة كأنها الشمس الطالعة تنادي يا أخياه؛ فقيل هذه زينب بنت فاطمة /78ظ/بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فجاءت حتى أكبت عليه، وأقبل إليها الحسين رضي الله عنه فردّها إلى الفسطاط، ثم قتل يزيد بن الحسين رحمه الله، ورمي ابن لمسلم بن عقيل[1] بسهم فقتل رحمه الله، وحمل فارس على عون بن عبد الله بن جعفر فقتله رحمه الله، ورمى عبد الله بن عروة [الخثعمي] جعفر بن عقيل بن أبي طالب بسهم فقتله رحمه الله، وشد عثمان بن خالد على عبد الرحمن بن عقيل بن أبي طالب فقتله رحمه الله[2].

قال حُميد بن مسلم: خرج غلام كأنّ وجهه شقة قمر، وفي يده سيف، وعليه قميص وإزار ونعلان؛ فشدّ عليه عمرو بن سعيد بن نفيل فضرب[3] رأسه بالسيف؛ [فسقط][4] الغلام لوجهه، وقال: يا [عمّاه][5] ؛ فحمل الحسين رضي الله عنه حملة الصقر وشدّ شدّة الليث؛ فضرب عمرًا ضربة فاتقاه بساعده؛ فقطعه من المرفق، وحملت خيل الكوفة ليستنقذوا عمرًا فاستقبلته بصدورها فوطئته فمات؛ فأخذ الحسين الغلام وهو يفحص برجله والحسين يقول: عزّ والله على [عمّك][6] أن تدعوه فلا يجيبك أو يجيبك فلا ينفعك، صوت كثر واتروه، وقلّ ناصروه فاحتمله، وكأني أنظر إلى رجل الغلام وهو يفحص به فوضع الحسين رضي الله عنه صدره على صدره حتى ألقاه مع ابنيه ومن قتل معه مع أهل بيته[7].

قال حميد: فسألت عن الغلام؛ فقيل هو القاسم بن علي بن أبي طالب أخو

(المعجم الوسيط- ص 699)، وما أثبتنا من الطبري- تاريخ- ج6 ص 242، وابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 519.

(1) هو عبد الله بن مسلم بن عقيل. ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 519.

(2) قارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج6 ص 242، وابن الأثير- الكامل- ص 519.

(3) فضربه في الأصل.

(4) في الأصل فوق وبما أثبتنا من ابن الأثير يستقيم المعنى.

(5) في الأصل يا أخياه، وما أثبتنا وهو الصحيح من عند الطبري وابن الأثير.

(6) في الأصل أخيك، وما أثبتنا وهو الصحيح من الطبري وابن الأثير.

(7) قارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج6 ص 242، وابن الأثير- الكامل- ص 519.

الحسين[1] رضي الله عنهم أجمعين.

[مقتل الحسين] ومكث الحسين رضي الله عنه طويلا، كلما انتهى إليه رجل من الناس انصرف عنه وكره أن يتولى قتله، حتى أتاه رجل من كندة يقال له مالك [بن النُّسير] لعنه الله؛ فضرب بالسيف على رأسه وعليه برنوس خز؛ فقطع البرنس وامتلأ دما؛ فقال الحسين: لا أكلت بها ولا شربت، وحشرك الله مع الظالمين؛ فألقى البرنس ودعا بقلنسوة فلبسها واعتمّ، وقد أعيا فجلس؛ فجيء بصبي له[2] فأجلسه في حجره؛ فرماه أحد بني أسد بسهم فذبحه؛ فتلقى الحسين دمه بيده حتى امتلأت منه كفه، ثم قال: [يا]الله[3] إن كنت حبست عنا النصر من السماء فاجعل ذلك لما هو خير لنا، ورمي ابن له[4] بسهم فمات؛ فقتل رحمه الله ورضي الله عنه[5].

واشتدّ العطش بالحسين رضي الله عنه فدنا ليشرب؛ /79و/فرمي بسهم فوقع في فمه؛ فجعل يلقي الدم من فمه ويحمد الله، ثم قال: اللهم أحصهم عددا، وأقتلهم [بددا][6]، ولا تغادر منهم أحدا.

قال عبد يغوث[7]: رأيت الحسين رضي الله عنه واقفا عليه قميص من خزّ وهو معتم، وكان يُخضِّب بالوسمة[8]؛ فما رأيت رجلا أربط منه جأشًا، والله إن كانت الرجال لتنكشف عن يمينه وشماله انكشاف الغنم إذا شدّ فيها الذئب فإنه لكذلك، إذ خرجت أخته زينب بنت فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكأني أنظر إليها وقرطاها تجولان بين أذنيها وعنقها، وهي تقول: ليت السماء انطبقت على الأرض.

وكان عمرو بن سعد بن أبي وقاص قد دنا من الحسين؛ فقالت: يا عمرو

---

(1) يقول الطبري وابن الأثير: إنه القاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين. تاريخ- ج6 ص 243/ الكامل في التاريخ- ص 519.

(2) هو عبد الله بن الحسين. الكامل في التاريخ- ص 519.

(3) ربي عند ابن الأثير. الكامل- ص 519.

(4) هو أبو بكر بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم. الكامل- ص 519.

(5) قارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج6 ص 243، وابن الأثير- الكامل- ص 519.

(6) بياض في الأصل.

(7) عبد ياغوث: هو عبد الله بن عمار بن عبد يغوث البارقي. الطبري- تاريخ- ج6 ص 245.

(8) الوسمة: نبات عشبي زراعي للصباغ من الفصيلة الصليبية. المعجم الوسيط- ص 1033.

أيقتل عبد الله وأنت تنظر إليه؛ فكأني لأنظر إلى دموع عمرو تسيل على خدّيه ولحيته، وقد حرّف وجهه عنها[1].

ثم حُمل على الحسين رضي الله من كل جهة؛ فضرب كفّه زرعة بن فلان[2] لعنه الله، ثم ضربه على عاتقه فجعل الحسين رضي الله عنه ينبو[3] ويكبو[4] على وجهه، وحمل عليه سنان بن [أنس][5] النخعي لعنه الله فطعنه فوقع؛ فقال لرجل إلى لجانبه: احتزّ رأسه، فاراد أن يفعل ثم ضعف وأرعد؛ فقال سنان لعنه الله: فتّ الله عضدك وقطع يدك، ونزل إليه فذبحه[6]، وجاء برأسه إلى عبيد الله بن زياد.

ووجد في الحسين رضي الله عنه ثلاث وثلاثون ضربة برمح وأربع وثلاثون ضربة بسيف، وسلب ما كان عليه، ومال الناس [إلى][7] ما كان في الفسطاط من الحلل والثياب وعلى الإبل والدواب؛ فأنتهبوا جميع ذلك حتى أنه لتنازع عن المرأة ثوبها حتى تغلب عليه[8].

فقال عمرو بن سعد: لا يدخل أحد بيت هؤلاء النسوة، ولا يعرض أحد لهذا الغلام وهو مريض، وهو علي بن الحسين الأصغر رضي الله عنه، وكان هَمّ شَمِر بن ذي الجوشن بقتله، ودفن أصحاب الحسين رضي الله عنهم، وهم اثنان وسبعون رجلا، وقتل من إخوته يومئذ العباس والقاسم وعثمان وأبو بكر وجعفر

---

(1) أورد الطبري نفس الرواية- تاريخ- ج6 ص 245.

(2) هو زرعة بن شريك التميمي. ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 520/المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص62.

(3) ينوء عند الطبري- تاريخ- ج6 ص 246، ونبا الشيء نبوا ونبيا ونبوة لم يستقم في مكانه. المعجم الوسيط. ص 899.

(4) كبا الجل كبوًا وكبوة عثر. المعجم الوسيط- ص 774.

(5) عمرو في الأصل، وما أثبتنا من ابن الأثير-الكامل في التاريخ- ص 519، والمسعودي- مروج الذهب- ج 3 ص 62.

(6) قارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج6 ص 246،

(7) أضفناها ليستقيم المعنى.

(8) قارن مع ما أورده ابن الأثير- الكامل- ص 520، والمسعودي- مروج الذهب- ج3 ص62..

وإبراهيم، وقتل من أصحاب عمر بن سعد ثمانية وثمانون رجلا[1].

وقتل الحسين رضي الله عنه ورحمه، وهو ابن خمس وخمسين سنة، وقيل ابن ست وخمسين، وقيل ابن ثمان وخمسين يوم عاشوراء /79ظ/سنة احدى وستين[2]، وكان يخضب بالسواد.

[مصير أهل الحسين بعد مقتله] ثم ارتحل عمرو إلى الكوفة، وحمل عيال الحسين ومن كان معهن من الأطفال حتى قدم بهم على عبيد الله بن زياد، وإذا نساء الكوفة مهتكات للمصيبة؛ فأومأت زينب بنت علي بن أبي طالب رضي الله عنها إلى الناس بالسكوت؛ فسكتت الأنفاس وهدأت الأجراس ثم قالت: يا أهل الكوفة، يا أهل الخبل والخذل، لا رقأت العبرة ولا هدأت النزلة فإنما مثلكم كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون إيمانكم دخلا بينكم، هل فيكم إلا ملق الإماء وغمر الأعداء، وكم عيى على دعته أو قصة على مجلوده، ألا ساء ما قدمت لكم أنفسكم أن سخط الله عليكم وفي العذاب أنتم خالدون، ابكوا كثيرًا واضحكوا قليلا؛ فقد بؤتم بعارها وشنّارها قتيل سليل الرسالة وسيد شباب أهل الجنة وإمارة الحجة، تعسا لكم ونكسا فقد خاب الشقي وتبت الأيدي وبؤتم بغضب من الله، وضربت عليكم الذلة والمسكنة، أتدرون ويحكم أي كبد رسول الله صلى الله عليه وسلم فريتم، وأي دم له سفكتم، وأي كريمة له أصبتم، لقد جئتم شيئا إدًا يكاد السماوات تفطرن منه وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هدًا[3].

قال ابن لمسلم بن عقيل: دخلت على عبيد الله بن زياد فوجدته قد جلس ورأس الحسين رضي الله عنه بين يديه، وهو ينكت شفتيه بقصب كان بيده، ويقول:

نفلق[4] هاما لرجال أحبة[5] إلينا وهم كانوا أعق وأظلما

(1) قارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج6 ص 246-247، وابن الأثير- الكامل- ص 520-521، والمسعودي- مروج الذهب- ج3 ص62.

(2) قارن مع ما أورده المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 62/ابن عبد البر- الاستيعاب- ج1 ص 377/تاريخ اليعقوبي- ج2 ص 246/ابن حجر- الإصابة- ج1 ص 334.

(3) قارن مع ما أورده ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 521.

(4) يفلقن عند الطبري.

(5) من رجال أعزة عند الطبري- تاريخ- ج 6 ص 206.

فلما رآه زيد بن الأرقم[1] وكان من جلسائه قال له: ارفع القضيب على هاتين الشفتين؛ فوالذي نفسي بيده لقد رأيت شفتي رسول الله صلى الله عليه وسلم تقبلنها ثم تَبَكَّى وانتحب؛ فقال عبيد الله: والله لولا أنك شيخ قد كبرت وخرفت وذهب عقلك لضربت عنقك[2].

ودخل نساء الحسين على عبيد الله بن زياد، وقد لبست زينب بنت فاطمة رضي الله عنها ثياب حزنها وتنكرت، وحفّ بها إماؤها؛ فقال عبيد الله: من هذه؟ فلم تكلمه؛ فقال له بعض إيمائها: زينب ابنة فاطمة؛ فقال: الحمد لله الذي فضحكم وأقتلكم؛ فقالت: الحمد لله الذي أكرمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم وطهر[نا] تطهيرا لا ما تقول أنت إنما يفتضح الفاسق، /80و/قال لها: فكيف رأيت صنع الله بأهل بيتك؟ قالت: ما كتب الله عليهم القتل فبرزوا إلى مضاجعهم، وغدا يجمع الله بينك وبينهم فتختصمون عنده؛ فغضب عبيد الله فقال له عمرو بن حريث: أصلح الله الأمير، إنما هي امرأة، لا تؤاخذ المرأة بشيء من منطقها؛ فقال عبيد الله: قد شفا الله نفسي من طاغيتك فكيف رأيت؟ قالت: لعمري لقد قتلت كهلي، وأبرزت أهلي، وقطعت فرعي، واجتثثت أصلي فإن يشفك هذه فقد اشفيت[3].

ولما نظر عبيد الله إلى علي بن الحسين، وكان مريضًا قال لشرطي كان على رأسه: انظر هذا إن كان أدرك ما يدركه الرجال؛ فكشف عنه إزاره؛ فقال: نعم؛ فقال عبيد الله: اقتلوه؛ فقال علي: ومن يوكل بهؤلاء النسوة ان كانت بينك وبينهن قرابة؛ فابعث معهن رجلا يحفظهن؛ فتعلقت به زينب عمّته، وقالت يا ابن زياد: حسبك منا ما بلغته، أما رويت من دمائنا؟ أسألك بالله إن كنت مؤمنا إلا قتلتني معه؛ فنظر إليها ساعة، وقال: عجبا للرحم، إني لأظنها والله ودّت أني قتلتها معه لو قتلته، دعوا

---

(1) يورد ابن الأثير نفس الإسم-الكامل في التاريخ- ص 522، ولكنه يذكر فيما سبق أن الرجل هو أبو برزة الأسلمي- الكامل- ص 521، أما عند الطبري - تاريخ- ج 6 ص 206، والمسعودي فهو أبو برزة الأسلمي- مروج الذهب- ج3 ص 61.

(2) النص مشابه لما أورده ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 521.

(3) قارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج6 ص 248-249/ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 521.

الغلام؛ فخلوا عنه[1].

وبعث عبيد الله برأس الحسين رضي الله عنه إلى يزيد بن معاوية؛ فأحضر بين يديه فدمعت عيناه، وقال: لعن الله ابن مرجانة، أما والله لو أني صاحب الحسين لعفوت عنه وخليت سبيله رحمه الله[2].

وجهز عبيد الله بن زياد نساء الحسين رضي الله عنهن إلى يزيد ومعهن علي بن الحسين؛ فقال يزيد لعلي: أبوك الذي قطع رحمي ونازعني سلطاني فصنع الله به ما رأيت؛ فقال علي: «مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ [الله]»[3] ؛ فقال له يزيد: «وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ [فَـ]بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ»[4].[5]

[ثم قال][6]: يا أهل الشام ما ترون في هؤلاء؟ فقال رجل من أهل الشام: لا يؤخذ من كلب سوى جرو؛ فقال النعمان بن البشير: اصنع بهم ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع لو رآهم على هذه الحالة، ورأى النساء في هيئة رثة قبيحة؛ فبكى يزيد حتى كادت نفسه تخرج، وبكى أهل الدار حتى علت أصواتهم؛ فقال: لعن الله ابن مرجانة، لو كانت بينكم وبينه قرابة ما فعل هذا بكم؛ فقالت له فاطمة بنت الحسين، وكانت أكبر من زينب: بنات رسول الله /80ظ/صلى الله عليه وسلم سبايا يا يزيد؟ فقال لها: يا بنت أخي والله لقد كنت لهذا كارهًا، ثم أمر بهن فأدخلن إلى حرمه؛ فأقمن مناحة على الحسين رضي الله عنه، وأمر يزيد بصرف جميع ما أخذ لهنّ، ثم جهزّهن إلى المدينة، وأعطى لعلي بن الحسين مالا كثيرًا، وشيعهم أميالا[7].

[وصول خبر مقتل الحسين إلى المدينة] وروي عن ابن عباس رضي الله عنه

---

(1) قارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج6 ص 249/ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 521.

(2) انظر الطبري- تاريخ- ج6 ص 250.

(3) سورة التغابن- الآية 11.

(4) سورة الشورى- الآية 30.

(5) قارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج6 ص 251/ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 522.

(6) زيادة حتى يستقيم المعنى.

(7) قارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج6 ص 252-253/ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 523-522.

قال: سمعت صراخا من بيت أم سلمة رضي الله عنها؛ فخرجت أريد منزلها، وأقبل أهل المدينة وبنات عبد المطلب فلما انتهيت إليها قلت لها: يا أم المؤمنين ما لك تصرخين؟ وسمعتها وهي تقول: يا بنات عبد المطلب اسعدنني فقد والله قتل الحسين بن علي، قيل لها: يا أم المؤمنين ومن أين علمت؟ قالت: رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم الساعة أتاني، وهو شعث أغبر، فقال: قتل الحسين وأهل بيته فدفنتهم الساعة؛ فرجعت من دفنهم؛ فدخلت البيت فإذا أنا [ب]تربة الحسين التي أتى بها جبريل من كربلاء؛ فقال: يا محمد إذا صارت هذه التربة دما فقد قتل ابنك؛ فأعطنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فدخلت الساعة فرأيت القارورة قد صارت دما وانكسرت؛ فأخذت أم سلمة من ذلك الدم، ونضحت به وجهها؛ فقلت لها: يا أم المؤمنين ما هذه الدم؟ فقالت: دم ابني الحسين؛ فأقاموا عليه المأتم ذلك اليوم، وجاء قتله لذلك اليوم[1].

[قصة العوسجة] وروي عن عبد الله بن عمرو الخزاعي عن هند بنت الجون قالت: نزل رسول الله صلى الله عليه وسلم بخيمة أم معبد[2] ومعه أصحاب له فكان من أمره في الشاة[3] ما قد عرفه الناس؛ فقال في الخيمة هو وأصحابه حتى أبرد، وكان يوم قائظ[4] شديد الحر؛ فلما قام من رقدته دعا بماء؛ فغسل يديه وأنقاهما، ثم مضمض فاه ومجه إلى عوسجة كانت إلى جانب الخيمة ثلاث مرات، واستنشق ثلاثا، ثم غسل وجهه ثلاثا وذراعيه، ثم مسح برأسه ما أقبل منه وما أدبر مرة واحدة، ثم غسل رجليه ظاهرهما وباطنهما، والله ما عاينت أحدا فعل ذلك قبله؛ فقال: إن لهذه العوسجة شأنا، ثم فعل من كان معه مثل ذلك، ثم قام يصلي ركعتين؛ /81و/

---

(1) قارن مع ما أورده ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 524/ابن حجر- الإصابة- ج1 ص 334/الذهبي- تاريخ الإسلام-حوادث ووفيات 61-80- ص 17.

(2) أم معبد: واسمها عاتكة بنت خالد الخزاعية، وهي التي نزل عليها النبي صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة المنورة. ابن حجر العسقلاني- الإصابة في تمييز الصحابة- ج 4 ص 474-475.

(3) في الأصل الشات.

(4) قاظ يومنا قيظا اشتدّ حرّه فهو قائظ. المعجم الوسيط- ص 770.

فعجبت فتيات[1] الحيّ من ذلك، وما كان عهدنا بالصلاة ولا رأينا مصليا قبل.

فلما كان من الغد أصبحن وقد علت العوسجة حتى صارت كأعظم درجة عائذة، وخضل[2] الله شوكها، وساخت[3] عروقها، وكثر أفنانها[4]، واخضرّ ساقها وورقها، ثم اتخذت بعد ذلك، وأينعت بثمر كأعظم ما يكون من كمأة في لون الورس[5] المحروق ورائحة العنبر وعظم الشهب، والله ما أكل منها جائع إلا شبع، ولا ظمآن إلى روي، ولا سقيم إلا برئ، ولا ذو حاجة وفاقة إلا استغنى، ولا أكل من ورقها بعير ولا ناقة ولا شاة إلا سمنت ودرّ لبنها، ورأينا النماء والبركة في أموالنا منذ نزل بنا، وأخصبت بلادنا فكنا نسمي تلك الشجرة المباركة.

وكان [من][6] حولنا من أهل البوادي يستظلون بها، ويتزودون بورقها في الأسفار، ويحملونه معهم في القفار فيقوم لهم مقام الطعام والشراب؛ فلم نزل كذلك حتى أصبحنا ذات يوم وقد تساقط ثمارها واصفرّ ورقها؛ فأحزننا ذلك وفزعنا له؛ فما كان إلا قليلا حتى جاء نعي رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فإذا هو قد قبض في ذلك اليوم؛ فكانت بعد ذلك تثمر ثمرًا دون ذلك في العظم والطعم والرائحة، وأقامت على ذلك ثلاثين سنة؛ فلما كان ذات يوم أصبحنا، وإذا بها قد اشوكت من أولها إلى آخرها، وذهب نضارة عيدانها، وتساقط جميع ثمرها؛ فما كان إلا يسيرا حتى وافى مقتل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه؛ فما أثمرت بعد ذلك كثيرا ولا قليلا، وانقطع ثمرها، ولم نزل ومن حولنا نأخذ من ورقها، ونداوي به مرضانا، ونستشفي به من أسقامنا؛ فاقامت على ذلك برهة طويلة، ثم أصبحنا يوما فإذا بها قد انبعث من ساقها دم عظيم جار وورقها ذابلة، تقطر ماء

(1) في الأصل فتياة.

(2) خضل خضلا ندي وابتل، يقال خضل الشجر أي كثرت أغصانه وأوراقه- المعجم الوسيط- ص 242.

(3) ساخت قوائمه سوخا غاصت في الأرض. المعجم الوسيط- ص 460.

(4) الفنن الغصن المستقيم من الشجرة جمعها أفنان. المعجم الوسيط- ص 703.

(5) الورس: نبات من الفصيلة القرنية (الفراشية) ينبت في بلاد العرب والحبشة والهند، وثمرتها قرن مغطى عند نضجه بغدد حمراء كما يوجد عليه زغب قليل. المعجم الوسيط- ص 1025.

(6) زيادة حتى يستقيم المعنى.

كماء اللحم فعلمنا أن قد حدثت عظيمة؛ فبتنا ليلتنا فازعين مهمومين نتوقع الداهية؛ فلما أظلم الليل علينا سمعنا بكاء وعويلا من تحتها وجلبة[1] شديدة ورجّة، وسمعنا صوت باكية تقول:

أيا ابن النبي وابن الرضي ... ويا باقية السادة الأكرمين

/81ظ/ثم كثر[ت] الأصوات، ولم نفهم كثيرًا مما يقولون؛ فأتانا بعد ذلك قتل الحسين رضي الله عنه، ويبست الشجرة وجفّت فكسرتها الرياح والأمطار بعد ذلك؛ فذهبت واندرس أثرها[2].

قال دعبل بن علي الخزاعي: حدثني أبي عن جدّي عن ابنة سعد بن[3] مالك الخزاعية أنها أدركت تلك الشجرة، وأكلت من ثمرها على عهد علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وأنها سمعت تلك الليلة نحو الجنّ؛ فحفظت من جنية منهنّ شعرًا وهو:

يا ابن الشهيد ويا شهيد عمّه ... خير العمومة جعفر الطيّارُ
عجبا لمصقول أصابك حدّه ... في الوجه منك وقد علاك غُبَارُ[4]

قال دعبل فقلت قصيدتي:

زر خير قبر بالعراق يزار ... واعص الحمار فمن نهاك حمارُ
لم لا أزورك يا حسين لك الفدا ... قومي ومن عصفت نزارُ
ولك المودة في قلوب ذوي النهى ... وعلى عدوك مقتة ودمارُ
يا ابن الشهيد ويا شهيد عمّه ... خير العمومة جعفر الطيّارُ

[أخلاق يزيد وسيرته] وكان يزيد مولعًا بالصيد، واقتناء الجوارح والكلاب والقرود والفهود، ومعاقرة الشراب، وفي أيامه ظهر الغناء بمكة وبالمدينة، واستعملت الملاهي، واشتهر الناس بشرب الشراب والغناء، واقتدى بفعله وفسوقه وظلمه وجوره جميع عماله، ولما شمل الناس خور يزيد وعماله، وعمّهم جوره وظلمه، وتحقق عندهم فسقه وجوره وقتله الحسين بن علي رضي الله عنه، وصار

(1) في الأصل جبلة وهو تصحيف.
(2) لم نعثر على هذه القصة في المصادر التي استعملناها في التحقيق.
(3) في الأصل بنت.
(4) لم نعثر على هذه القصة في المصادر التي بين أيدينا.

فرعون زمانه أخرج أهل المدينة عامله عثمان بن محمد بن أبي سفيان[1] ومروان بن الحكم وسائر بني أمية، وأمّروا عليهم عبد الله بن مطيع بن أسود القرشي العدوي، وذلك برأي عبد الله بن الزبير، إذ كان ابن الزبير قد أظهر النسك والزهادة والخشوع والعبادة والعمادة[2].

[وقعة الحرّة] فلما بلغ الخبر إلى يزيد جهز إليهم الجيوش، وأمر عليهم مسلم بن عقبة [المُرّي][3] وأنشأ يزيد يقول:

/82و/أبلغ أبا بكر إذا الأمر انبرى[5] وأشرف[4] القوم على وادي القرى

أجمع السكران من قوم ترى

عنى بأبي بكر عبد الله بن الزبير، وكان يكنى بأبي بكر، وكان يزيد يسمى السكران الخمير[6]، وكتب إلى ابن الزبير:

أدعو لأهلك في السماء فإنني أدعو عليك رجال عكّ وأشعر

كيف النجاة أبا خُبيبٍ منهم فاحتل لنفسك قبل أتي العسكر

فلما انتهى مسلم بن عقبة، وكان يلقب بمُسْرِف وبمُجْرِم، إلى الحرّة[7] خرج إلى حربه أهلها، وعليهم عبد الله بن مطيع العدوي وعبد الله بن حنظلة الغسيل؛ فأوقع بهم مسلم بن عقبة، وقتل من قريش [بضعًا وتسعين][8] رجلا منهم من آل أبي طالب اثنان لعبد الله بن أبي طالب وجعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب،

---

(1) في الأصل الوليد بن عتبة بن أبي سفيان، وما أثبتنا من الطبري- تاريخ- ج6 ص 264 /المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 69/تاريخ اليعقوبي- ج2 ص 250.

(2) أورد المسعودي نفس النص- مروج الذهب- ج3 ص 68-69.

(3) في الأصل الصولي وما أثبتنا من تاريخ خليفة بن خياط- ص 148/المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 69/الذهبي- تاريخ الإسلام- حوادث 61-80- ص 24.

(4) عند الطبري: وهبط.

(5) عند الطبري: إذا الليل سرى- تاريخ- ج6 ص 265.

(6) الخمير المكثر من شرب الخمر دائما. المعجم الوسيط- ص 256.

(7) الحرّة: وتسمى حرّة واقيم، وهي إحدى حرّتي المدينة، وهي الشرقية، وفي هذه الحرّة كانت وقعة الحرّة المشهورة في أيام يزيد بن معاوية في سنة 63هـ. ياقوت الحموي- معجم البلدان- ج 2 ص 249.

(8) في الأصل سبعين، وما أثبتنا من المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 70.

ومن بني هاشم الفضل بن العباس بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب والعباس بن عتبة بن أبي لهب بن عبد المطلب، ومن الأنصار مثلهم ومن سائر الناس نحو أربعة آلاف[1].

ودخل المدينة وانتهبها ثلاثة أيام، وبايع أهلها على أنهم عبيد ليزيد فمن أبى ذلك قتله، ولم يحاش[2] من القوم سوى علي بن الحسين بن أبي طالب، وهو زين العابدين المعروف بالسجّاد لأنه كان أولى من مروان بن عبد الحكم برًّا وجميلا، فأكب علي بن الحسين على قبر النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بذلك مسلم، فأمر أن يؤتى به وهو مغتاظ عليه، متبرئ منه ومن آبائه، فلما رآه حين أشرف عليه ارتعد فقام له وأقعده بجانبه، وقال له: سلني حوائجك، فلم يسأله في أحد قدّم إلى السيف إلا شفّعه فيه، ثم انصرف عنه فقيل له: رأيناك تحرك شفتيك فما الذي قلت؟ قال قلت: اللهم ربّ السموات السبع وما أظللن، والأرضين السبع وما أقللن، ربّ العرش العظيم، ربّ محمد وآله الطاهرين، أعوذ بك من شرّه، وأدرأ بك في نَحْرِه، وأسألك أن تؤتيني خيره، وتكفيني شرّه.

وقيل لمسلم: رأيناك تسبّ هذا /82ظ/الغلام، فلما أن أوتي به إليك رفعت منزلته، فقال: ما كان ذلك لرأي مني، لقد ملئ قلبي منه رعبا، وأما علي بن عبد الله بن العباس فذكر أنه أجراه في البيعة مجرى علي بن الحسين، وذلك أن أخواله من كندة، وأناس من ربيعة كانوا معه وفي جيشه كلموه فيه ومنعوه منه، وقال له حصين بن نمير السكوني من كندة: والله ما يبايع ابن أختنا علي بن عبد الله إلا على ما يبايع عليه علي بن الحسين على أنه ابن عمّ أمير المؤمنين وإلا فالحرب

---

(1) النص منقول حرفيا عن المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 69-70، ويقول خليفة بن خياط: فجميع من أصيب من الأنصار مائة رجل وثلاثة وسبعون رجلا، وجميع من أصيب من قريش والأنصار ثلاثمائة رجل وستة رجال. تاريخ- ص 155، وكان قد أورد أسماءهم قبل ذلك- صص 150-155، وقال ابن قتيبة: وقتل من قريش والأنصار سبعمائة، ومن سائر الناس من الموالي والعرب والتابعين عشرة آلاف- الإمامة والسياسة- ص 174، وقال ابن قتيبة: قتل بضعة وسبعون رجلا من قريش وبضعة وسبعون رجلا من الأنصار، وقتل من الناس نحو من أربعة آلاف- الإمامة والسياسة-ص 186.

(2) يحاش: حاشى من القوم فلانا استثناه. المعجم الوسيط- ص 176.

بيننا؛ فأعفى علي بن عبد الله، وقبل منه ما أراد؛ فقال علي بن عبد الله:

أبي العباس قوم بني لؤي ... وأخوالي الملوك بني وليعة

هم منعوا ذِماري يوم جاءت ... كتائب مُسْرِف وبني اللكيعة

أرادني التي لا عزّ فيها ... فحالت دونه أيدي ربيعة[1].

ويروي أبو ربيعة قوله بني وليعة هم أخواله من كندة.

وأوتي يومئذ بيزيد بن عبد الله بن زمعة الأسود بن عبد المطلب بن أسد بن عبد العزى بن قصي أسيرًا، جدّته أم سلمة زوج النبي صلى اله عليه وسلم؛ فقال له مُسْرِف: بايع على أنك خَوَلٌ[2] لأمير المؤمنين يزيد يحكم في دمك ومالك؛ فقال: أبايعك على الكتاب والسنة، وأني ابن عمّ أمير المؤمنين يحكم في دمي وأهلي، وكان صديقا ليزيد وصفيا له؛ فلما قال ذلك قال مسرف: اضربوا عنقه فوثب مروان فضمه إليه لما كان يعرف [ما] بينه وبين يزيد، وقال له: نعم يبايع على ما أحببت؛ فقال مسرف: والله لا أقيله أبدًا إن تنحى عليه مروان وإلا فاقتلوهما معا؛ فتركه مروان، وضربت عنقه صبرًا[3].

وأخذ رجل من أهل الشام أبا سعيد الخدري رضي الله عنه فمرّ به على أحد ليقتله؛ فقال أبو سعيد: لقد رأيتني مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أحد في هذا الجبل، قال: ومن أنت رحمك الله؟ قال: أبو سعيد الخدري، قال: إذهب رحمك الله فما أغناني عن قتلك[4].

وذكر ابن قتيبة أنه قتل يوم الحرّة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثمانون رجلا ولم يبق بعد ذلك اليوم بدري[5].

ثم /83و/رحل مُسْرف عن المدينة وقد سمّاها نتنة، ورسول الله صلى الله

---

(1) قارن مع ما أورده المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 70-71.

(2) خَوَلُ: الخَوَلُ عطية الله من النعم والعبيد والإماء وغيرهم من الأتباع والحشم (للواحد والجمع والذكر والأنثى)- المعجم الوسيط- ص263.

(3) النص مقتبس حرفيا من تاريخ خليفة بن خياط- ص149، وقارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج6 ص 270-271/الذهبي- تاريخ الإسلام- حوادث 61-80- ص29.

(4) انظر الطبري- تاريخ- ج6 ص 270/تاريخ خليفة بن خياط- ص 149.

(5) ابن قتيبة الدينوري- كتاب الإمامة والسياسة- ص 174.

عليه وسلم سمّاها طيبة، وقال: من أخاف [أهل] المدينة أخافه الله[1].

وقصد مكة ليوقع بابن الزبير وأهل مكة بأمر يزيد، وذلك في محرم سنة أربع وستين؛ فلما انتهى إلى قديد[2] مات لعنه الله، ودفن في ثنية المشلل[3] ؛ فلما تفرق القوم عنه أتته أم ولد ليزيد بن عبد الله بن زمعة، وكانت من وراء العسكر تترقب موته فنبشت عنه؛ فلما انتهت إلى لحده وجدت أسودًا من الأساود منطويًا في رقبته فاتحًا فاه فتهيبته، ولم تزل حتى تنحّى لها عنه؛ فصلبته على المشلل، قال الضحاك: فحدثني من رآه مصلوبًا يُرمى كما يُرمى قبر أبي رغال[4].

[حصار عبد الله بن الزبير] وكان استخلف على جيشه الحُصين بن نُمير؛ فسار الحصين حتى أتى مكة لأربع بقين من المحرم؛ فحاصر مكة من جميع نواحيها، وقد كان ابن الزبير حجّ بالناس، وعاذ بالبيت، وسمّى نفسه العائذ بالبيت؛ فنصب الحصين المجانيق والعرّادات على مكة، وابن الزبير بالمسجد ومعه المختار بن أبي عبيد لأنه كان بايعه على أن لا يخالف رأيه ولا يعصي أمره؛ فلحقت أحجار المجانيق والعرّادات البيت، وكان الزبير قد جعل عليه الخشب والطنافس؛ فرماه بالنار والنفط فأحرق جميع ذلك، وتهدّم من الكعبة جداران مع السقف؛ فارسل الله تعالى على منجنيقه[5] صاعقة فاحرقته[6]، واحرقت[7] من كان فيه: أحد عشر رجلا، وقيل أكثر من ذلك، وذلك [الثلاث][8] خلون من شهر

---

(1) الإمام أحمد بن حنبل أبو عبد الله الشيباني- مسند أحمد بن حنبل- تخريج شعيب الأرناؤوط- مؤسسة قرطبة- القاهرة- د.ت-ج4 ص55/الذهبي- تاريخ الإسلام- حوادث 61-80- ص 26.

(2) قديد: اسم موضع قرب مكة.ياقوت الحموي- معجم البلدان- ج 4 ص 313.

(3) المشلل: هو جبل يهبط منه إلى قديد. معجم البلدان- ج5 ص 136.

(4) أورد ابن قتيبة نفس الرواية- الإمامة والسياسة- ص 176، وقارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج6 ص 273/اليعقوبي- تاريخ اليعقوبي- ج2 ص 251.

(5) في الأصل المنجق، والصواب ما أثبتنا، والمنجنيق جمعه منجنيقات ومجانق ومجانيق- المعجم الوسيط- ص 140.

(6) في الأصل فاحترقته.

(7) في الأصل واحترقت.

(8) في الأصل لست، وما أثبتنا من الطبري- تاريخ- ج6 ص 274/المسعودي- مروج الذهب-

-

ربيع الأول؛ فاشتدّ الحصار والبلاء على أهل مكة[1]، وقتل المنذر بن الزبير[2].

فبلغ الحصين موت يزيد بن معاوية؛ فوجه ليلا إلى ابن الزبير، وسأله الاجتماع به، وقد كان أحد رجال الحصين كتب على سهمه توفي يزيد بن معاوية في يوم كذا، ورمى به إلى الكعبة؛ فأخذه ابن الزبير وقرأه؛ فلما وجّه إليه الحصين ليجتمع به خرج فلقيه، وقال له الحصين: إن يزيد بن معاوية توفي فأْتِني ومن معي وأبايعك، وعليّ أن أطوع لك أهل الشام ويبايعوك؛ فأنت أولى بهذا الأمر من غيرك[3] ، فقال له: أبعد أن رميت البيت بالحجارة وهدمته وأحرقته أؤمنك؟ والله لا أفعل؛ فقال له الحصين: إن /83ظ/من زعم أنك من دهاة العرب لمخطئ وأحمق غير مصيب، أكلمك سرًّا وتكلمني علانية، أدعوك إلى الخلافة ورفع الحرب، وتزعم أنك قاتلنا، ستعلم أينا المقتول؛ فانصرف عنه، وانصرف إلى الشام[4].

[وفاة يزيد ومدة خلافته] وكانت خلافة يزيد ثلاث سنين وثمانية أشهر، وقيل سنتين وثمانية أشهر، وتوفي في منتصف شهر ربيع الأول سنة أربع وستين، وله نيف وثلاثين، وكان بايع لابنه معاوية بولاية العهد[5].



ج3 ص 72، وقال خليفة بن خياط: لخمس خلون من ربيع الآخر- تاريخ- ص 158.

(1) أورد المسعودي النص مع اختلاف طفيف- مروج الذهب- ج3 ص71-72، وانظر ابن قتيبة- الإمامة والسياسة- ص188.

(2) وسأله الاجتماع مكررة في الأصل.

(3) بياض في ن بمقدار كلمة.

(4) أورد المسعودي نصا شبيها بما أورده المؤلف- مروج الذهب- ج3 ص 82، وقارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج7 ص 3/خليفة بن خياط- ص 158/اليعقوبي- تاريخ اليعقوبي- ج2 ص 253/ابن الأثير- الكامل- ص 534/الذهبي- تاريخ الإسلام- حوادث 61-80- ص 34.

(5) انظر المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 53/الطبري- تاريخ- ج6 ص 275/تاريخ خليفة بن خياط- ص 158.

خبر معاوية بن يزيد

[نسبه] يكنى أبا ليلى، أمه أم [هاشم][1] خالد بنت أبي هشام بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن مناف[2].

[بيعته وصفته] بويع بعد وفاة والده وهو ابن سبع عشرة سنة وهو مريض، كان أبيض شديد البياض، مشربًا بحمرة، كبير العينين، أدعج أحفد أقنى ربعة، مُدوَّر الرأس، جميل الوجه، حسن الجسم[3].

[وزراءه] كاتبه الزبير بن مسلم، وحاجبه مسلم بن عتاب.

نقش خاتمه: الدنيا غرور.

[أخلاقه] وكان [ورعًا][4] فاضلا لم يكن يشبه أباه ولا أحداً من أهله، أقام خليفة اثنين وخمسين يوما، وقيل ثلاثة أشهر ونصف، ولما حضرته الوفاة رحمه الله اجتمع إليه بنو أمية وقالوا له: إعهد إلى من رأيت من أهل بيتك؛ فقال: لم أكن لأعملها حيًا ولا ميتا، ما ذقت حلاوتها؛ فكيف أتقلد وزرها؟ وتتعجلون أنتم حلاوتها، وأتعجل أنا مرارتها؛ فلما سمعت أمه قوله هذا رغبت إليه أن يعهد إلى خالد أخيه فأبى؛ فسألته بثديها وكشفتها له؛ فقال: يا أماه لا تكلفيني ما يضرّ بي عند ربي ولا ينفعني، ثم قال: اللهم إني بريء منها؛ فتخلى عنها.

[ثم قال:][5] اللهم إني لا أجد نفرًا كأهل الشورى فأجعلها إليهم، ينصبون لها من يرونه لها؛ فقالت له أمه: ليت أني خرقة حيض، ولم أسمع منك هذا الكلام؛ فقال لها: وليتني يا أمّه خرقة حيضة ولم أتقلد هذا الأمر، يفوز بنو أمية بحلاوتها،

---

(1) قال ابن حبيب: وأمه فاخته بنت أبي هاشم بن عتبة بن عبد شمس- كتاب التأريخ- ص 129، وقال أبو الحسن الروحي: هي أم هاشم ويقال أم خالد- بلغة الظرفاء- ص 143، وهي أم هاشم عند الطبري- تاريخ- ج7 ص 4/اليعقوبي- تاريخ اليعقوبي- ج2 ص 254/الذهبي- تاريخ الإسلام- حوادث 61-80- ص 250.

(2) انظر الذهبي- تاريخ الإسلام- حوادث 61-80- ص 251.

(3) انظر الذهبي- تاريخ الإسلام- حوادث 61-80- ص 251.

(4) وريفا في الأصل، وما أثبتنا من النسخة م، ووريفا من ورف النبت والشجر يرف ورفا ووريفا أي تنعم واهتز، ورأيت لخضرته بهجة من ريّه ونعمته. المعجم الوسيط- ص 1026.

(5) ساقط في الأصل وفي ق.

{وأبوء}[1] بوزرها، إني بريء منها؛ فمنعها أهله كلهم، وفيه يقول الشاعر:

إنـــي أرى فتـــنة تغلـــي مـــراجلها   والملك بعد أبي ليلى لمن غلبا[2]

[وفاته] /84و/وتوفي رحمه الله يوم الثلاثاء لسبع خلون من جمادى الأولى، وقيل في رجب سنة أربع وستين، وبوفاته خرجت الخلافة من بني أمية، وصلى عليه الوليد بن عتبة بن أبي سفيان ليكون الأمر إليه من بعده؛ فلما كبر طعن فسقط ميتا قبل تمام الصلاة.

[انتقاض البصرة والكوفة على بني أمية] وكان واليه على البصرة والكوفة عبيد الله بن زياد؛ فلما بلغه موت معاوية بن يزيد خطب الناس وأعلمهم بوفاته، وأنه ترك الأمر شورى، ولم يبايع لأحد، وقال لهم: لا أرض أوسع من أرضكم، ولا عدد أكثر من عددكم، ولا مال أكثر من مالكم، في بيت مالكم مائة ألف ألف درهم؛ فانظروا رجلا ترضونه يقوم بأمركم، ويجاهد عدوكم، وينصف مظلوكم من ظالمكم، ويوزع عليكم أموالكم؛ فقال له الأحنف بن قيس وقيس بن الهيثم السلمي ومسمع بن مالك وجماعة من أشرافها: ما نعلم ذلك الرجل غيرك أيها الأمير؛ فأنت أحقّ من قام بأمرنا حتى يجتمع الناس على خليفة؛ فقال: أما لو استعملتم غيري لسمعت وأطعت[3].

وكان على الكوفة عمرو بن حريث الخزاعي عاملا لابن زياد؛ فكتب إليه ابن زياد يعلمه بما دخل فيه أهل البصرة؛ فصعد ابن حريث المنبر، وذكر ما دخل فيه أهل البصرة؛ فقام يزيد بن رويم الشيباني فقال: الحمد لله الذي أطلق إيماننا، لا حاجة لنا في بني أمية وإمارة ابن زياد، وأرادوا أن ينصبوا أميرًا إلى أن ينظروا في أمرهم؛ فقال جماعة: يكون عمرو بن سعد بن أبي وقاص؛ فلما همّوا بتأميره أقبل نساء من همدان وكهلان وربيعة والنخع وغيرهم، ودخلن المسجد صارخات معولات يندبن الحسين بن علي رضي الله عنه، ويقلن: أما رضي عمرو بن سعد بقتل الحسين حتى يكون أميرًا؟ فبكى الناس وأعرضوا عن عمرو، وكان نساء همدان

---

(1) إضافة ليستقيم المعنى.

(2) انظر المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 72-73.

(3) انظر المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 84.

أشدّهن في البكاء والصياح والإنكار لأن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم كان مائلا إلى همدان ومحبا فيهم، وهو القائل:

فلو كنت بوابا على باب جنّة   لقلت لهمدان ادخلوا بسلام[1]

/84ظ/خبر بيعة عبد الله بن الزبير رضي الله عنه: ولما اتصل [موت][2] معاوية بن يزيد لعبد الله بن الزبير دعا الناس إلى مبايعته؛ فبايعه أهل مكة والمدينة في سنة خمس وستين[3]، وتسمّى أمير المؤمنين، وسلّم عليه بالخلافة، وجلس على سرير الملك، وبنى الكعبة، وبايع أهل الكوفة والبصرة؛ فاستكتب الكتّاب وجبى الخراج، وعمل بيت المال، وخطب لنفسه، وصلى بالناس، واجتمع على طاعته أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان.

[المختار بن أبي عبيد الثقفي في الكوفة] ووجّه إلى الكوفة عبد الله بن مطيع واليا عليهم؛ فتولى أمرهم حتى وجّه المختار بن أبي عبيد الثقفي في أثره، وذلك أن المختار قال لابن الزبير: إني لأنصف قوما لو أن رجلا له علم ورفق بما يأتي لأستخرج لك منهم جندًا تغلب بهم أهل الشام، قال: من هم؟ قال: شيعة بني هاشم بالكوفة، قال: كن أنت ذلك الرجل؛ فنهض نحوها، ونزل ناحية منها، وجعل يبكي على الطالبيين وشيعتهم، ويظهر الحنين والجزع، ويذكر مقتل الحسين وأصحابه، ويحث على الأخذ بثأرهم والمطالبة بدمائهم؛ فمالت الشيعة إليه، وصاروا طوع يديه؛ فجرت بينه وبين مطيع حروب مشهورة ظهر عليه فيها، ودعا الناس إليه[4].

ودخل قصر الكوفة فبات فيه، وأصبح أشراف الناس في المسجد وعلى باب القصر؛ فخرج المختار؛ فصعد المنبر؛ فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: الحمد لله الذي وعد وليه النصر وعدوه الخسر، وجعله فيه إلى آخر الدهر، وعْدًا مفعولا وقضاء مقضيا، وقد خاب من افترى، أيها الناس، إنه قد رفعت لنا راية، ومدّت لنا غاية؛ فقيل لنا في الراية: إرفعوها ولا تضعوها، وفي الغاية: اجروا إليها ولا

(1) أورد المسعودي نفس الكلام- نفسه- ج3 ص 84-85.

(2) ساقط في الأصل وفي ن، وما أثبتنا من م.

(3) خمس وستين، والصحيح ما أثبتنا من تاريخ خليفة بن خياط- ص 185/والطبري- تاريخ الطبري- ج 7ص 3.

(4) انظر المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 73-74.

تعدوها؛ فسمعنا دعوة الداعي ومقالة الواعي؛ فكم من ناع وناعية ابتلي[1] في الواعية، وبعدًا لمن طغى وأدبر، وعصى واستكبر، ألا فادخلوا /85و/أيها الناس فبايعوا بيعة صدق؛ فلا والذي جعل السماء سقفا مكفوفا، والأرض فجاجا سبلا، ما بايعتم بعد بيعة علي بن أبي طالب أصدق منها، ثم نزل.

[بيعة المختار في الكوفة] ودخل أشراف الناس فبسط يده، وابتدره الناس فبايعوه، وهو يقول: تبايعون على كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم، والطلب بدماء أهل البيت، وجهاد المُحِلِّين، والدفع عن الضعفاء، وقتال من قاتلنا، وسلم من سالمنا، والوفاء ببيعتنا، لا نقيلكم ولا نستقيلكم؛ فإذا قال الرجل: نعم، بايعه، وجعل يُمنِّي الناس، ويستجدي مودتهم ومودة الأشراف، ويحسن السيرة جهده[2].

ووجد في بيت مال الكوفة تسعة آلاف ألف؛ فأعطى أصحابه الذين قاتل بهم ابن مطيع، وهم ثلاثة آلاف وثمانمائة رجل؛ خمسمائة درهم لكل واحد، وأعطى لستة آلاف ممن انتظم إليه بعدما أحاط بالقصر إلى أن دخله مائتين مائتين[3].

[عمال المختار في الأمصار] واستعمل على شرطته عبد الله بن كامل، وعلى حرسه كيسان أبا عمرة مولى عرينة، ثم عقد أول راية لعبد الله بن الحارث أخي الأشطر على أرمينية، وولى محمد بن عمير بن عطارد على أذربيجان، وولى سعيد بن حذيفة بن اليمان على حلوان، ومعه ألف فارس، ورزقه ألف درهم في كل شهر، وأمره بقتل الأكراد، وبإقامة الطريق، وفرّق العمال في النواحي، وكتب إلى عماله على الجبال على أن يحملوا أموال دونهم إليه، واستقضى المختار شريحا، ثم تمارض شريح فولى مكانه عبد الله بن عتبة بن مسعود، ثم تمارض عبد الله فولى مكانه عبد الله بن مالك [الطائي][4].

وجاء ابن كامل للمختار فقال له: أعلمت أن ابن مطيع في دار أبي موسى؟

---

(1) لقتله عند الطبري.

(2) أورد الطبري نفس الرواية- تاريخ الطبري- ج7 ص 96، وقارن مع ما أورده المسعودي- مروج الذهب- ص 73-75.

(3) وردت نفس الرواية عند الطبري- تاريخ الطبري- ج7 ص 96.

(4) وردت نفس الرواية عند الطبري- تاريخ- ج7 ص 97.

فلم يجبه بشيء؛ فأعاد ذلك عليه ثلاث مرات؛ فلم يجبه؛ فظنّ ابن كامل أن ذلك لا يوافقه، وكان ابن مطيع قبل ذلك صديقا للمختار؛ فلما أمسى بعث إلى ابن مطيع مائة ألف درهم، وقال له رسوله: يقول لك تجهز بهذه واخرج؛ فإني قد شعرت بمكانك، وقد ظننت أنه لا يمنعك من الخروج إلا أنه ليس في يدك ما يقوم بك على الخروج[1].

[المختار وابن الزبير] ولما استولى المختار على الكوفة كتب إلى ابن الزبير يعلمه أنه إنما أخرج ابن مطيع لعجزه عن القيام بالأمر /85ظ/وقلة سياسته، وسأله أن يحتسب له بما أنفق من بيت المال؛ فأبى ابن الزبير أن يحتسب له؛ فخلعه المختار، وأنكر له مبايعته إياه، وكتب إلى علي بن الحسين السجّاد يقول له: أنت أحقّ بالخلافة من جميع الناس، وأنا أبايعك، وأنفذ دعوتك، وأقول بإمامتك، وأنفذ إليه مع كتابه مالا كثيرًا؛ فأبى أن يقبل ذلك منه، وأن يجيبه عن كتابه، وسبّه على رؤوس الناس في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم، وذكر كذبه وفجوره؛ فلما يئس المختار منه كتب إلى عمّه محمد ابن الحنفية رضي الله عنه يدعوه إلى مثل ذلك؛ فأشار عليه علي بن الحسين ألا يجيبه بشيء من ذلك فإنه ما يحمله على هذا إلا ليجتذب به قلوب الناس، ويتقرّب إليهم بذلك كله، وباطنه مخالف لظاهره؛ فأشهر أمره، وظهر كذبه في مسجد رسول الله عليه وسلم[2].

فأتى ابن عبّاس إلى ابن الحنفية فأخبره بما كتب به إليه المختار؛ فاشتدّ أمره بالكوفة وكثر جيشه، ومال الناس إليه، وجعل يدعوهم على طبقاتهم ومقاديرهم في أنفسهم وعقولهم؛ فمنهم من يخاطبه بإمامة ابن الحنفية، ومنهم من يقول له إن الملك يأتيه بالوحي ويخبره بالغيب[3].

وكان لا على مذهب: كان خارجيًا ثم صار زايديًا، ثم صار رافضيًا في ظاهره، وكان يدّعي أنه يلهم ضربًا من الشجاعة لأمور تكون، ثم يحتال فيوقعها؛ فيقول الناس هذا من عند الله؛ فمن ذلك قوله ذات يوم: لتنزلنّ من السماء نار

---

(1) أورد الطبري نفس الرواية- تاريخ الطبري- ج7 ص 96.

(2) قارن معالذهبي- تاريخ الإسلام- حوادث ووفيات 61-80هـ- ص 50-51.

(3) قارن مع ما أورده المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 74-75.

دهماء؛ فلتمزقنّ دار السماء؛ فذكر ذلك لأسماء بن خارجة؛ فقال: إنه قد سجع فتى أبو إسحق، هو والله محروق داري؛ فتركه والدار، وهرب من الكوفة، وقال في بعض سجعه: أما والذي شرع الأديان، وجنّب الأوثان، وكرّه العصيان لأقتلنّ أزد عمان وجلّ قيس غيلان وتميمًا أولياء الشيطان، وجاش النجيب ظبيان[1].



(1) قارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج7 ص46.

خبر مروان بن الحكم

ولما رأى مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف إصفاق الناس على مبايعة عبد الله بن الزبير، أراد أن يلحق به ويبايعه؛ فمنعه عبيد الله بن زياد، وقال له: /86و/أنت شيخ بني عبد مناف، ولا بدّ أن يضطرّ الناس إليك[1].

والحكم هذا هو الذي طرده رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة يوم فتحها لأنه كان يفشي سِرّه فلعنه، وسيّره إلى بطن وكرَم[2] ؛ فلم يزل طريدًا طول حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وطول خلافة أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ولما ولي عثمان رضي الله عنه صرفه[3]، وأعطاه مائة ألف درهم، وذلك من جملة من انتقم على عثمان رضي الله عنه[4].

ومرّ النبي صلى الله عليه وسلم بالحكم، أبي مروان بن الحكم، قال فجعل يغمزه؛ فالتفت إليه النبي صلى الله عليه وسلم فقال: اللهم اجعل به وزعا؛ فرجف مكانه[5]، والوزع الارتعاش[6].

[بيعة مروان بن الحكم بالخلافة] فسار مروان ونزل الجابية[7] من دمشق؛ فاجتمع إليه عدد كبير فبايعوا مروان؛ فوصل ذلك الضحّاك بن قيس؛ فدعا الناس

---

(1) انظر الطبري- تاريخ- ج7 ص 21/المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 85.

(2) قال أبو الحسن الرُوحي: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم طرد أباه إلى بطن وُج وهي الطائف، وقال الذهبي نقلا عن الواقدي: أسلم الحكم في الفتح وقدم المدينة، فطرده النبي صلى الله عليه وسلم؛ فنزل الطائف. بلغة الظرفاء في تاريخ الخلفاء- ص 146/تاريخ الإسلام- حوادث 61-80هـ- ص 229.

(3) انظر بلغة الظرفاء- ص 146.

(4) كان مروان بن الحكم من أكبر الأسباب التي دخل بها الداخل على عثمان لأنه زوّر على لسانه كتاب في شأن محمد بن أبي بكر. انظر الذهبي- تاريخ الإسلام- عهد الخلفاء الراشدين- ص 458-459.

(5) ابن عبد البر- الاستيعاب- ج1 ص 316-318/ابن حجر- الإصابة- ج1 ص344-345.

(6) الوزع الارتعاش والرعدة. المعجم الوسيط- ص 1029.

(7) الجابية: هي قرية من أعمال دمشق ثم من عمل الجيدور من ناحية الجولان قرب مرج الصفر في شمالي حوران، ويقال لها جابية الجولان أيضا. معجم البلدان- ج2 ص 91.

إلى مبايعة ابن الزبير؛ فاجتمع[1] القيسية إليه وجماعة من القبائل؛ فخرج بهم في حرب مروان، وأراد دخول دمشق فسبقه إليها عمرو بن سعيد بن العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف الأموي المعروف بالأشدق أخو عنبسة بن سعيد، ويكنى أبا أمية؛ فدخلها؛ فصار الضحاك إلى حوران[2] مظهرًا لدعوة ابن الزبير.

ثم التقى الأشدق ومروان؛ فقال له الأشدق: هل لك فيما اقوله وهو خير لي ولك؟؛ فقال له مروان: [وما هو؟][3]، قال: أدعو الناس إليك، وآخذ البيعة لك على أن يكون الأمر لي [من][4] بعدك، قال مروان: لا ولكن بعد خالد بن يزيد بن معاوية؛ فرضي الأشدق بذلك، ودعا الناس إلى بيعة مروان فأجابوه وبايعوه، وكان مروان يلقب خيط الباطل لطوله؛ فقال عبد الرحمن بن الحكم أخوه:

لحى[6] الله قوما أمّرُوا خَيطَ باطل ... على الناس يعطي من يشاء ويمنع[5]

[الحرب بين الضحاك ومروان] وسار نحو الضحاك بن قيس، وقد انحازت [قيس][7] ومضر ونزار إلى الضحّاك، [ووائل بن][8] عمرو العدوي مع ناس من قضاعة، ومعه راية كان عقدها رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبيه؛ فالتقى مروان والضحّاك بمرج راهط[9] على أميال من دمشق؛ فكانت الحرب بينهم سجالا، وأكثر اليمانية وبواديها مع مروان، وكان على ميمنته عمرو بن /86ظ/الأشدق، وعلى ميسرته عبيد الله بن زياد، وكان الضحاك في ستين ألفا؛ فقال اللعين عبيد الله بن زياد لمروان: الضحّاك في عدد كثير، والحرب خدعة؛ فادعُ إلى الموادعة حتى يقع النظر

---

(1) في الأصل فاجتمعوا، والصواب ما أثبتنا.

(2) حوران: بالفتح، وهي كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة، ذات قرى كثيرة ومزارع. معجم البلدان- ج2 ص 317.

(3) ساقط في الأصل، وما أثبتنا من م.

(4) ساقط في الأصل، وما أثبتنا من م.

(5) انظر المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 85-86.

(6) لحى: لحى الله فلانا قبحه ولعنه. المعجم الوسيط- ص 820.

(7) قريش في الأصل وفي م، وما أثبتنا من المسعودي.

(8) ورسل في الأصل وفي م ونسخة ن، وما أثبتنا من مروج الذهب.

(9) مرج راهط: بكسر الهاء موضع في الغوطة من دمشق في شرقيه بعد مرج عذراء. معجم البلدان- ج3 ص 21.

في الصلح؛ ففعل ذلك؛ فما هو إلا أن أمسك الضحّاك عن القتال [حتى][1] شدّت عليه الكتائب شدّة رجل واحد؛ ففزعوا إلى راياتهم فانهزموا، وقتل الضحاك أمير ابن الزبير، قتله رجل من تين اللات، وقتل معه نزار وعدد كثير من قيس[2].

[مقتل النعمان بن بشير الأنصاري] وكان النعمان بن البشير الأنصاري واليا لابن الزبير على حمص؛ فلما بلغه قتل الضحاك، خرج هاربًا عنها؛ فسار ليلته متحيرًا لا يدري أين يسير؛ فأتبعه خالد بن خَلِي الكلاعي[3] بمن خفّ معه من أهل حمص؛ فلحقه فقتله، وبعث برأسه إلى مروان[4]، وقيل إن النعمان بن بشير لما خرج من حمص نزل بقرية يقال لها حرب نفسا؛ فقال: أي قرية هذه؟، قالوا: حَرْ بَنَفْسَا[5]، قال: حربنا أنفسنا، ثم أتى بيرين فقال: أي قرية؟ قالوا: بيرين[6]، قال: فيها برنا؛ فقتله خالد بن جبل غيلة، وذلك سنة أربع وستين، وقيل في أول خمس وستين[7]، ورثته ابنته حميدة فقالت:

يا ليت مزنة وابنها كانوا لقتلك واقية ... وبنو أمية كلهم لم تبق منهم باقية
جاء البريد بقتله يا للكلاب العاوية ... يستفتحون برأسه دارت عليهم الناعية
فلأبكين سرّة ولأبكين علانية ... ولأبكينك ما حييت مع السباع العادية

وهو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد بن مالك بن

---

(1) زيادة منا حتى يستقيم المعنى.

(2) انظر تاريخ خليفة بن خياط- ص 161/تاريخ اليعقوبي- ج2 ص 256/الكامل في التاريخ- ص 540.

(3) انظر الذهبي- تاريخ الإسلام- حوادث ووفيات 61-80هـ- ص 262/ياقوت الحموي- معجم البلدان- ج1 ص 526، ويسميه المسعودي خالد بن عدي الكلاعي- مروج الذهب- ج3 ص 87، ويسميه الطبري عمرو بن الخَلِيّ الكلاعي. تاريخ- ج7 ص 26، ويسميه ابن الأثير عمرو بن الجليّ الكلاعي- الكامل في التاريخ- ص 540.

(4) أورد المسعودي نفس الرواية. المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 87-88، وانظر ابن عبد البر- الاستيعاب- ج3 ص524-526/تاريخ اليعقوبي- ج2 ص 256، وقارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج7 ص22 وما بعدها.

(5) حَرْ بَنَفْسَا: بالفتح ثم السكون وفتح الباء موحدة، وفتح النون وسكون الفاء، من قرى حمص، ذكرها في مقتل النعمان بن بشير. معجم البلدان- ج 2 ص 236.

(6) بيرين: من قرى حمص. معجم البلدان- ج1 ص 526.

(7) ياقوت الحموي- معجم البلدان- ج1 ص 526.

ثعلبة بن كعب بن الخزرج الأنصاري، يكنى أبا عبد الله، ولد قبل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بثماني سنين، وهو أول مولد ولد للأنصار لما هاجر النبي صلى الله عليه وسلم للمدينة[1].

وروي أن مروان بايع عبد الله بن الزبير، وبعثه عبد الله رسولا إلى شرذمة /87و/ من الأعراب بالأردن ليأخذ لهم بيعتهم، إذ كان عبد الله اجتمع عليه المسلمون كلهم من إفريقية إلى خراسان حاشى تلك الشرذمة؛ فمضى إليهم مروان؛ فلما ورد عليهم خلع الطاعة، وبايعه أهل الأردن، وخرج إلى ابن الزبير، وقتل النعمان بن بشير الأنصاري صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم بحمص، وهو أول من شقّ عصى المسلمين بلا شبهة ولا تأويل، وتغلب على أهل الشام ومصر.

[محاربة مروان للخارجين عنه] ولما استقام الشام لمروان، وجّه جيشًا إلى الحجاز عليه [حبيش بن دلجة][2]، وجيشًا إلى العراق عليه عبيد الله بن زياد، وأمره إن ظهر بالكوفة أن ينتهبها، وجعل له ولاية كل من غلب عليه؛ فمرّ حتى وصل إلى الموصل، وعامله من قبل المختار عبد الرحمن بن سعيد بن قيس، فكتب عبد الرحمن إلى المختار: أما بعد؛ فإني أخبرك أيها الأمير أن عبيد الله بن زياد قد دخل أرض الموصل، و[وقد وجّه][3] نحوي خيله ورجاله، وإني انحزت إلى تكريت حتى يأتيني رأيك وأمرك والسلام؛ فراجعه: أما بعد؛ فقد بلغني كتابك، وفهمت كل ما ذكرت [فيه]؛ فقد أصبت بانحيازك إلى تكريت؛ فلا تبرح من مكانك حتى يأتي أمري والسلام[4].

وكانت بين عساكر المختار وعبيد الله بن زياد وقائع مشهورة وحروب مذكورة أضربنا عنها خوف التطويل[5].

---

(1) ابن عبد البر- الاستيعاب- ج 3 ص 522-523/ابن حجر- الإصابة- ج3 ص 529-530.

(2) في الأصل "حنش بن دجلة"، وكذا في م ون، وما أثبتنا، وهو حبيش بن دلجة القيني الذي قتل وقتل عامة أصحابه، من الطبري- تاريخ- ج7 ص 71، وتاريخ اليعقوبي- ج2 ص 256.

(3) في الأصل وتوجه، وما أثبتنا من الطبري.

(4) وردت نفس الرواية عند الطبري- تاريخ- ج7 ص 100.

(5) انظر تفاصيل هذه الحروب التي انتهت بمقتل عبيد الله بن زياد سنة 66هـ في تاريخ الطبري- ج7 ص 100 وما بعدها/تاريخ اليعقوبي- ج2 ص 259/الكامل في التاريخ- ص 571.

وفي سنة ست و[ستين][1] أمر المختار بن أبي عبيد الله إبراهيم بن الأشتر بالخروج إلى قتال أهل الشام؛ فخرج يوم السبت لثمان بقين من ذي الحجة، وخرج معه وجوه رجاله ممن شهد الحروب وجرّبها، وخرج المختار مشيّعًا له ماشيًا؛ فقال له إبراهيم: إركب يا أبا اسحاق؛ فقال: إنّي أريد أن تغبرّ قدماي في نصرة آل محمد صلى الله عليه وسلم؛ فشيّعه فرسخين، ودفع إلى قوم من خاصته حمامًا بيضًا ضخامًا، وقال: إن رأيتم الأمر لنا فدعوها، وإن رأيتم الأمر علينا فارسلوها، وقال لسائر الناس: إن استقمتم ينصركم الله، وإن حصتم حَيْصَةً[2] فإني أجد في محكم الكتاب، وفي اليقين والصواب، أنّ الله يؤيدكم بملائكة غضابٍ تأتي هون الحمام.

فلما بلغ [دير][3] عبد الرحمن [ابن][4] أم الحكم[5]، إذا برجال المختار قد استقبلوه، ومعهم الكرسي /87ظ/على بغل أشهب؛ فوقفوا به على القنطرة، وصاحب الكرسي حوشب، وهو يقول: يا ربّ عمّرنا في طاعتك، وانصرنا على الأعداء، واذكرنا ولا تنسنا واسترنا، وأصحابه يُؤَمِّنُون؛ فقال المختار: أما ورب المرسلات عرفا؛ فلنَقْتُلَنَّ بعد صفٍّ[6] صفًا، وبعد ألفٍ[7] قاسطين ألفا؛ فلما وصلوا إلى القنطرة ازدحموا ازدحامًا شديدًا؛ فمضى المختار مع إبراهيم الأشطر {إلى قناطر رأس الجالوت؛ فإذا أصحاب الكرسي قد وقفوا عليها؛ فلما صار المختار بين قنطرة دير عبد الرحمن وقناطر[8] رأس الجالوت وقف، وأراد الانصراف؛ فقال

---

(1) في الأصل وفي كل النسخ ست وخمسين وهو خطأ، وما أثبتنا من تاريخ خليفة بن خياط- ص 164/الطبري- تاريخ- ج7 ص 100/ابن الأثير- الكامل- ص 571/تاريخ اليعقوبي- ج 2 ص 258.

(2) انحاص: عدل وحاد، ويقال: وقع القوم في حيص وبيص أي في ضيق وشدّة. المعجم الوسيط- ص 211.

(3) ساقط في الأصل وفي كل النسخ، وما أثبتنا من الطبري.

(4) ساقط في الأصل، وما أثبتنا من م.

(5) دير عبد الرحمن بن أم الحكيم: ذكرها الطبري (تاريخ- ج7 ص127)، ولم نعثر عليها في المصادر التي استعملناها.

(6) في الأصل ألفا، وما أثبتنا من الطبري.

(7) في الأصل ألفا، وما أثبتنا من الطبري.

(8) في الأصل قنطار وهو تصحيف، والصحيح ما أثبتنا.

المختار لابن الأشطر}[1]: إن عامة جندك هؤلاء الحمراء، يعني العجم، وإن الحرب إن ضرستهم هربوا؛ فاحمل العرب على متون الخيل، وارجل الحمراء مَا هُمْ، وقال له أيضا: خذ عنّي ثلاثا: خف الله عزّ وجلّ في سرّ أمرك وعلانيته، وعجّل السّير، وإذا لقيت عدوك فناجزهم ساعة تلقاهم؛ فإن لقيتهم ليلا واستطعت أن لا تصبح حتى تناجزهم فافعل؛ فإن لقيتهم نهارًا فلا تنتظر بهم الليل حتى تحاكمهم إلى الله تعالى، ثم قال: هل حفظت وصيتي؟ قال: نعم، قال: صحبك الله، وانصرف[2].

ولم يلبث أن قيل: هذا عبيد الله بن زياد قد نزل بَاجُمَيْرا[3] ؛ فخرج بالكرسي مغشى على بغل، يمسكه عن يمينه سبعة، وعن شماله سبعة، وكان من [قصة] الكرسي فيما ذكر طفيل بن جعدة بن هبيرة، قال: عدمت مرّة الورق فخرجت؛ فإذا زيّات جارٌ لي، له كرسي قد ركبه وسخ كثير؛ فخطر ببالي أن أتسبب به إلى المختار؛ فرجعت وأرسلت إلى الزيات فيه؛ فأرسل به إليّ؛ فأتيت المختار فقلت له: إني كنت كتمت شيئا، ثم لم استحلّ ذلك؛ فرأيت أن أذكره، قال: وما هو؟ قلت: كرسي كان جعدة بن هبيرة يجلس عليه، كان يرى أن فيه أثارة من علم، فقال لي: سبحان الله؛ فأخّرتَ هذا إلى اليوم، أبعث إليه، وقد كنت أمرت بغسله؛ فخرج عوده نُضَارٍ[4] قد شرب الزيت، ورجع أجلّ شيء فجيء به، وقد كنت غشيته؛ فأمر لي باثني عشر ألفًا.

ثم دعا: الصلاة جامعة؛ فأقبل الناس من كل مكان؛ فقام المختار وقال: إنه لم يكن في الأمم الخالية أمر إلا وهو كائن في هذه الأمة، وإنه قد كان في بني إسرائيل التابوت فيه /88و/بقية مما ترك آل موسى وآل هارون، وإن هذا فينا مثل التابوت، اكشفوا عنه؛ فكشفوا عنه، وقامت الخاصة والعامة[5] فرفعوا أيديهم، وكبّروا ثلاثا، وأوصاهم أن يضمنوه بركاء الحرب، وهو موضع اضطرام القوم،

---

(1) ساقط في م وفي ن.

(2) وردت الرواية ذاتها عند الطبري مع بعض الاختلاف. تاريخ- ج7 ص 127/ وذكرها ابن الأثير مختصرة- الكامل في التاريخ- ص 571.

(3) بَاجُميرى: بضم الجيم وفتح الميم وراء مقصورة موضع دون تكريت من أرض الموصل. معجم البلدان- ج1 ص 314.

(4) النُضَار: الخالص من كل شيء، يقال ذهبٌ نُضارٌ. المعجم الوسيط- ص 929.

(5) قال الطبري: وقامت السبئية- تاريخ- ج7 ص 128.

ويقاتلوا عليه[1].

فالتقى ابراهيم بن الأشتر وعبيد الله بن زياد بخازر[2] ؛ فكانت على أصحاب إبراهيم في أول النهار، وأرسل أصحاب المختار تلك الحمام البيض؛ فتصايح الناس: الملائكة {الملائكة}[3] ؛ فتراجع الناس، واقتتلوا حتى اختلط الظلام؛ فانهزم أهل الشام؛ فقتلوا قتلا عظيمًا، وقتل عبيد الله بن زياد وأصحابه، وذلك في سنة سبع وستين[4].

قال إبراهيم بن الأشتر: ضربت رجلا عليه رائحة المسك، ورأيت منه إقدامًا وجرأةً فصرعته؛ فشَرُقت يداه، وغرَّبَت رجلاه تحت راية منفردة على شاطئ نهر خازر؛ فالتمسوه فإذا هو عبيد الله بن زياد، ضربه فقَدَّهُ بنصفين[5].

وتكلم الناس في أمر الكرسي، وزادهم ذلك طغيانا وغلوًا حتى آل بهم إلى الكفر، قال طفيل: حتى ندمت على ما فعلت، وغُيِّبَ فلم يُرَ بعد، وقال المختار يوما لأصحابه: قد هزم أصحابنا ابن مرجانة، وذلك قبل أن يجيء الخبر بانهزامهم بأيام، ثم لما جاءته البشرى جعل يقول: ألم أعلمكم بهذا قبل أن يكون؟ قالوا: بلى والله، لقد قلته[6].

[تولية مصعب بن الزبير على البصرة] وفي هذه السنة عزل عبد الله بن الزبير عن البصرة أميرها الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة الملقب بالقبّاع، وولّى عليها أخاه مصعبًا؛ فدخل المصعب البصرة متلثما حتى أناخ على باب المسجد، ثم دخل فصعد المنبر؛ فقال الناس: أمير أمير، وجاء القبّاع فسفر مصعب عن وجهه فعرفوه؛ فقال للحارث: أظهر اظهر؛ فصعد حتى جلس تحته بدرج.

---

(1) وردت الرواية ذاتها مع اختلاف طفيف عند الطبري- تاريخ- ج7 ص 128.

(2) خازر: بعد الألف زاي مكسورة، وهو نهر بين إربل والموصل، ثم بين الزاب الأعلى والموصل، وعليه كورة يقال لها نخلا، وهو موضع كانت عنده وقعة بين عبيد الله بن زياد وإبراهيم بن مالك الأشتر النخعي. معجم البلدان- ج2 ص 337.

(3) ساقط في م.

(4) قارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج7 صص129-133/ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 572-573.

(5) انظر الطبري- تاريخ- ج7 ص 132.

(6) انظر الطبري- تاريخ- ج7 ص 133.

قام المصعب فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: بسم الله الرحمن الرحيم «طَسم تِلْكَ آيَاتُ الكِتَابِ المُبِينِ نَتْلُوا عَلَيْكَ مِنْ نَبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُومِنُونَ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلاَ فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ المُفْسِدِينَ»[1]، {وأشار بيده نحو الشام}[2]، «وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَنُمَكِّنَ لَهُم فِي الأَرْضِ»[3]، وأشار بيده نحو الحجاز، «وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا /88ظ/كَانُوا يَحْذَرُونَ»[4]، وأشار بيده نحو الشام[5]، ونزل.

[ابنا عبد الله بن أبي ربيعة] والحارث وعمر ابنا عبد الله بن أبي ربيعة[6]، وهما أخوان لأب؛ فعمر أمّه أم ولد يمانية اسمها مجد، والحارث أمّه زينب بنت أبرهة الحبشية نصرانية، ولم يكن الحارث يعلم أن أمه نصرانية حتى ماتت، وحضر لها الناس؛ فخرجت إليه مولاة له فسارته، وقالت: إعلم أنا وجدنا الصليب في رقبة أمك حين جردناها [لنغسلها][7] ؛ فقال للناس: انصرفوا، أدّى الله الحق عنكم؛ فإنّ لها أهل ملة هم أولى بها منكم؛ فانصرف الناس، وكبر الحارث بن عبد الله بما فعل من ذلك عند الناس، وسمي الحارث القباع، وذلك أنه لما ولي البصرة غيّر على الناس بها مكاييلهم؛ فنظر إلى مكيال صغير في مرأى العين أحاط بدقيق استكثره؛ فقال: أي مكيالكم هذا القُبَاع[8] ؟ فسمي القُبَاع، والقُبَاع الذي يخفي ما فيه، يقال:

---

(1) سورة القصص- الآيات 1-4.

(2) ساقط في م.

(3) سورة القصص- الآية 5- 6.

(4) سورة القصص- الآية 6.

(5) وردت نفس الرواية عند الطبري- تاريخ- ج7 ص 134.

(6) الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة، وهو القباع، أمه سحيا الحبشية، ماتت نصرانية، ولي البصرة لابن الزبير، وأخوه عمر بن عبد الله بن أبي ربيعة بن المغيرة الشاعر الماجن، أمه أم ولد اسمها مجد. ابن السائب الكلبي- جمهرة النسب- ص 87/ابن حزم- جمهرة أنساب العرب- ص 147.

(7) لنعشها في الأصل، وهو تصحيف، وما أثبتنا من م.

(8) القباع القنفد، والقباع من المكاييل الكبير الواسع، وقبع القنفد أدخل رأسه في جلده وخبأه، ويقال قبع الرجل أي أدخل رأسه في ثوبه. المعجم الوسيط- ص 711.

انقبع الرجل إذا استتر، ويقال للقنفذ القبع، وذلك أنه يخنس رأسه.

[الحرب بين مصعب والمختار] وفي هذه السنة صار مصعب لحرب المختار، وذلك أن [شَبَث][1] بن رِبْعي قدم عليه على بغلة له قد قطع ذنبها وطرف أذنها، وشق قَبَاءَه[2]، وهو ينادي واغوثاه {ياغوثاه}[3] ؛ فقيل لمصعب: إن بالباب رجلا ينادي ياغوثاه، وهو على صفة كذا؛ فقال لهم: هذا [شَبَث][4] بن ربعي، لم يكن يفعل هذا غيره؛ فادخلوه؛ فأدخل.

وشَبَث[5] من بني تميم، وهو أول من أعان على قتل عثمان رضي الله عنه، وهو أول من حزر الحرورية، وأعان على قتل الحسين بن علي رضي الله عنه، وجاءه أشراف أهل [الكوفة][6]، وشكوا إليه وسألوه النصر لهم، والمسيرة إلى المختار {معهم، وأخبروه بما اجتمعوا له، وبما أصيبوا به من وثوب عبيدهم ومواليهم عليهم.

وقدم عليه محمد بن الأشعث، ولم يكن شهد وقعة الكوفة؛ فاستحث مصعب للخروج إلى المختار}؛ فقرّبه مصعب وأكرمه لشرفه؛ فلما أكثروا على مصعب الرغبة في الخروج قال: إني لا أخرج حتى يأتي المهلب بن أبي صفرة، واسم أبي صفرة [ظالم بن سارق][7]، يقال إن له صحبة؛ فكتب إليه ليصل، وكان

---

(1) في الأصل وفي كل النسخ شبيب، والصحيح ما أثبتنا، وهو شبث بن رِبعي بن حصين بن عُثَيم بن ربيعة بن زيد بن رياح بن يربوع، كان مع علي كرّم الله وجهه ثم صار مع الخوارج، وكان أيضا مؤذنا لسجاح. ابن السائب الكلبي- جمهرة النسب- ص 217/ابن حزم- جمهرة أنساب العرب- ص 227.

(2) القَبَاءُ: ثوب يلبس فوق الثياب أو القميص، ويُتمنطق عليه. المعجم الوسيط- ص 713.

(3) ساقط في م.

(4) في الأصل شبيب، والصحيح ما أثبتنا.

(5) في الأصل شبيب، والصحيح ما أثبتنا.

(6) في الأصل مكة وهو خطأ، والصواب ما أثبتنا من م.

(7) في الأصل سارق بن ظالم، وقد اختلف في اسمه فقيل إنه ظالم بن سارق، وقيل بالعكس، وقيل ظالم بن سراق، وقيل قاطع بن سارق بن ظالم، وقيل غالب بن سراق، ونسبه ابن حزم فقال: ظالم بن سرّاق بن صبح بن كندي بن عمرو بن عدي بن وائل بن الحارث بن العتيك بن الأزد بن عمران. ابن حجر- الإصابة- ج4 ص 108/ابن عبد البر- الاستيعاب- ج4 ص 109/جمهرة أنساب العرب- ص 367/ابن تغري بردي- النجوم الزاهرة- ج1 ص 265.

عامله على فارس؛ فأبطأ عنه المهلّب، واعتلّ ببقية شيء من الخوارج[1] لكراهيته في الخروج؛ فقلق ابن الأشعث وأصحابه، وقال له مصعب: إن أمكنك أن تسير إليه بكتابي فافعل؛ فاستعجل ذلك، وخرج نحوه بكتاب؛ فلما قرأه المهلب قال: مثلك يأتي بريدًا، /89و/أما وجد بريدًا غيرك؟، قال له: ما أنا ببريد أحد، غير أن نساءنا وأبناءنا وحرمنا غلب عليهم عبداننا وموالينا؛ فجئنا مستنصرين بمصعب؛ فأبى أن يخرج إلا معك؛ فلما توقف رأيت أن آتيك واستعجلك؛ فخرج معه المهلب بجموع كثيرة وأموال خطيرة.

فلما وصل إلى البصرة أتى باب مصعب ليدخل عليه، وقد أذن للناس؛ فحجبه الحاجب وهو لا يعرفه؛ فرفع المهلب يده فضربه؛ فكسر أنفه؛ فدخل الحاجب إلى مصعب وأنفه يسيل دمًا؛ فقال له: ضربني رجل لا أعرفه؛ فدخل المهلب؛ فقال الحاجب: هذا هو؛ فقال له مصعب: عد إلى مكانك، وأمر الناس بالمعسكر عند الجسر الأكبر؛ فخرج مصعب[2] ؛ فكانت بينه وبين المختار حروب مشهورة.

وقاتل المختار في بعض تلك الوقائع على فم سكة شبث نهاره أجمع، ونزل فقاتل عامة ليلته حتى انصرف أصحابه عنه؛ فقال له من بقي منهم: أيها الأمير قد فرّ الناس عنك؛ فارجع إلى قصرك؛ فقال: أما والله ما نزلت وأنا أريد أن أرجع إليه؛ فإذا انصرفوا فقوموا بنا على بركة الله؛ فسار حتى دخل القصر[3] ؛ فلما أصبح، سار مصعب بمن معه من أهل البصرة، وبمن خرج إليه من أهل الكوفة؛ فأخذ بهم نحو السبخة[4] ومعه المهلب؛ فنزل بها؛ فقطع عن المختار الماء والمادة حتى بيع عنده قدح ماء بدينارين؛ فجعل المختار وأصحابه يخرجون ويقاتلون ساعة قتالا ضعيفا، وكانوا يُرْمَون من السطوح بالحجارة؛ فإذا اشتدّ عليهم العطش شربوا من ماء بئر عندهم وهو زعاق[5] ؛ فأمر المختار أن يُصَبّ فيه العسل ليغير طعمه.

فأمر مصعب أصحابه أن يقربوا[6] من القصر ليضيقوا عليهم بالحصار مدّة

---

(1) الخراج عند الطبري.

(2) نفس الرواية مع بعض الاختلاف أوردها الطبري وابن الأثير- تاريخ- ج7 ص 134-135/الكامل في التاريخ- ص 574.

(3) انظر الطبري- تاريخ- ج7 ص 139.

(4) في الأصل الشنجة وهو تصحيف، والصحيح ما أثبتنا من م، ومن الطبري- نفسه- ص 141.

(5) الزعاق من الماء المرّ الغليظ لا يطاق شربه. المعجم الوسيط- ص 394.

(6) في الأصل ليقربوا، وما أثبتنا من م.

من أربعة أشهر؛ فقال لهم المختار: إن الحصار لا يزيدكم إلا ضعفا، إنزلوا بنا نقاتل حتى نموت كراما إن نحن قتلنا، والله ما أنا بآيس إن أنتم صدقتم أن ينصركم الله تعالى؛ فعجزوا؛ فقال لهم: أمّا أنا فوالله لا أعطي بيدي أبدًا، ولا أحكّمهم في نفسي.

ولما رأى ما بأصحابه من الضعف والفشل، أرسل إلى امرأته لبابة أم ثابت ابنة سمرة بن جندب الفزاري؛ فأرسلت إليه طيبًا كثيرًا؛ فاغتسل وتحنّط، ووضع ذلك الطيب على رأسه ولحيته، ثم خرج في تسعة عشر رجلا؛ فقال لهم: أتؤمِّنُوني وأخرج إليكم؟ فقالوا: لا إلاَّ على الحكم؛ فقال: لا أحكّمكم في نفسي أبدًا؛ فضارب بسيفه حتى قتل، ثم إن منّ كان /89ظ/من أصحابه في القصر نزلوا على حكمه فقتلوا، وكانوا ستة آلاف، وقيل سبعة آلاف.

ثم أمر مصعب بقطع يد المختار فقطعت، وسُمِّرت إلى جانب المسجد؛ فقامت هنالك حتى وصل الحجاج فأمر بنزعها، وحمل مصعب رأس المختار ورؤوس أصحابه إلى مكة لأخيه عبد الله بن الزبير، وحمل معه وجوه أهل العراق؛ فحجّ بهم عبد الله بن الزبير، وأشار إليه أخوه مصعب أن يحسن إليهم بشيء؛ فقال: ما كنت لأخرج مال الله إلا في حقه؛ فانصرفوا ونفوسهم متغيرة عليه.

وكان عبد الله بن الزبير بخيلا، ولقي مصعب عبد الله بن عمر رضي الله عنه فسلم عليه، وقال له: أنا ابن أخيك مصعب؛ فقال له: أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة في غداة واحدة؟، عش ما استطعت؛ فقال مصعب: كانوا كفرة سحرة؛ فقال له ابن عمر: لو قتلت عدّتهم غنمًا من تراث أبيك لكان أشرف[1].

وتولى مصعب الكوفة، وحمزة بن عبد الله بن الزبير البصرة، ثم عزل[ه] أبوه وولاها مصعب[2]، وكان ذلك في سنة ثمان وستين[3].

---

(1) أورد كل من الطبري وابن الأثير نفس الرواية مع اختلاف طفيف. تاريخ الطبري- ج7 ص 141-147/الكامل في التاريخ- ص 574-577، وانظر تاريخ اليعقوبي- ج2 ص 263-264/المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 98-99.

(2) انظر الطبري- تاريخ- ج7 ص 149/الكامل في التاريخ- ص 577/تاريخ اليعقوبي- ج2 ص 264.

(3) انظر الطبري- تاريخ- ج7 ص 151/الكامل في التاريخ- ص 577.

خبر عبد الملك بن مروان

عبد الملك بن مروان بن الحكم بن [أبي] العاصي بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف[1]، يكنّى أبا الوليد باسم [ابنه][2] الأكبر، ويلقب رشح الحجر لبخله، وكان يكنّى آخرًا أبا الأملاك لأنه بايع لأربعة من بنيه[3].

أمه عائشة بنت معاوية بن المغيرة بن أبي العاصي بن أمية[4]، وأم عائشة بسرة بنت صفوان بن نوفل بن أسد بن عبد العزى بن قصي، بايعت النبي صلى الله عليه وسلم، وروت عنه حديث الوضوء من مسّ الذكر، وهي أخت عقبة بن أبي معيط لأمه[5].

ولد عبد الملك في المدينة سنة ثلاث وعشرين[6]، وحملت به أمّه سبعة أشهر[7].

[بيعته بالخلافة] بويع في اليوم الذي مات فيه أبوه في شهر ربيع الآخر، وقيل في شهر رمضان سنة خمس وستين، وهو ابن اثنين وأربعين سنة، وأقام أبوه واليا عشرة أشهر[8].

---

(1) في الأصل مروان بن العاص، والصحيح ما أثبتنا من م ون، ومن جمهرة النسب- ص 38-39/جمهرة أنساب العرب- ص 87.

(2) في الأصل أبيه، وما أثبتنا وهو الصحيح من م.

(3) أبو الحسن الروحي- بلغة الظرفاء- ص 148/ابن الخطيب لسان الدين- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام وما يتعلق بذلك من الكلام- تحقيق سيد كسروي حسن- دار الكتب العلمية- بيروت- 1424هـ- 2003م- ج1 ص 85.

(4) ابن حزم الظاهري- رسائل ابن حزم الأندلسي- تحقيق إحسان عباس- المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت- ط2- 1987م- ج2- رسالة في أمهات الخلفاء- ص 119/ابن حزم- جمهرة أنساب العرب- ص 87.

(5) انظر ابن حجر- الإصابة- ج4 ص 245-246/ابن عبد البر- الاستيعاب- ج4 ص 242.

(6) قال الطبري: ولد سنة ست وعشرين في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهو قول ابن تغري بردي والسيوطي. تاريخ الطبري- ج8 ص 7/النجوم الزاهرة- ج1 ص 273/تاريخ الخلفاء- ص 256.

(7) قال السيوطي إنه ولد لستة أشهر. تاريخ الخلفاء- ص 257.

(8) انظر الروحي- بلغة الظرفاء- ص 147-148/الطبري- تاريخ- ج ص 6-7.

[صفته] وكان عبد الملك طويلا، ممتلئ الجسم، أفوه، آدم اللون أبيض، مقرون الحاجبين، كبير العينين، مشرق الأنف، أبيض الرأس واللحية، واسع الوجه، وكانت لثته تدمي، وربما نزل عليها الذباب حتى كان يسمى أبو ذبّان لبخله[1]، /90و/ وكان يجلس على سرير الملك، وهو مذهب، وكان أبوه ولاه هجر، ثم جعله الخليفة من بعده.

[وزراءه] استوزر روح بن زنباع الجذامي، وهو أول خليفة اتخذ وزيرًا، واستقضى أبا إدريس عائذ الله بن عبد الله الخولاني، واستكتب أبا زرعة سالمًا مولاه للرسائل، واستكتب للخراج والجند والدواوين سرجون بن منصور الرومي، ثم كتب له عبد الحميد الأكبر بن يحيى[2]، وولى على الشرطة رياح بن عباد الغساني ثم عزله، وولى يزيد بن بشر السكسكي، وهو ابن أبي كبشة، وعلى حرسه زيان بن خالد الحكمي، وهو مولى بني أمية، والخازن على بيوت الأموال رجاء بن حيوة، وحاجبه أبو يوسف مولاه[3].

نقش خاتمه الله الملك، ونقش طابعه آمنت بالله مخلصًا، وعلى خاتمه قبيصة بن ذؤيب الخزاعي[4].

وقبيصة هذا يكنى أبا إسحق، وقيل أبا سعيد، روى عن أبي هريرة وأبي الدرداء وزيد بن ثابت وجماعة من الصحابة، ويروي عنه الزُّهري ورجاء بن حيوة ومكحول، وكان ابن شهاب الزهري إذا ذكر قبيصة بن ذؤيب الخزاعي يقول: كان من علماء هذه الأمة، ولد عام الهجرة، وأوتي به النبي صلى الله عليه وسلم فدعا له،

---

(1) انظر بلغة الظرفاء- ص 148/ابن عماد الحنبلي- شذرات الذهب في أخبار من ذهب- ج1 ص97/السيوطي- تاريخ الخلفاء- ص 260.

(2) تجمع المصادر على أن عبد الحميد بن يحيى لم يبدأ الكتابة لخلفاء بني أمية إلا في عهد مروان بن محمد الجعدي- انظر الجهشياري- كتاب الوزراء والكتاب- ص 72/الروحي- بلغة الظرفاء- ص 169/تاريخ خليفة بن خياط- ص 267.

(3) قارن مع ما أورده خليفة بن خياط- ص 189-190/الجهشياري- كتاب الوزراء والكتاب- صص 34 وما بعدها/الروحي- بلغة الظرفاء- ص 150.

(4) انظر تاريخ خليفة بن خياط- ص 189-190/الروحي- بلغة الظرفاء- ص 150/تاريخ اليعقوبي- ج2 ص 280.

وتوفي سنة ست [وستين]، وهو ابن ست وثمانين سنة(1).

[بشارة حبر بتولي عبد الملك الخلافة] وذكر جماعة ممن عني بجمع التاريخ أن حبرًا من الأحبار جاء إلى معاوية بن أبي سفيان رحمه الله؛ فسأله معاوية عن مقدار ملكه فأخبره، ثم قال له: ومن يلي من بعدي؟ قال: ابن لك اسمه يزيد، يملك كذا وكذا سنة، قال: ثم من؟ قال: ابن له اسمه معاوية أيامًا يسيرةً، قال: ثم من؟ قال: يخرج الملك عن أهل بيتك، وينتقل إلى رجل صفته كذا، واسمه مروان، يملك الأمر أشهرًا يسيرةً، وينتقل الملك إلى ابن له يكون له ظهور كثيرة، وفتكات في أعدائه، وصولةٌ وملك شامخٌ، ويُوَرِّث الملك أربعة من بنيه يكون لهم ملك شامخٌ قاهرٌ؛ فقال له معاوية: لو رأيت هذا الغلام الذي ذكرت كنت تميزه؟ قال: نعم كما أميزك الآن؛ فأمر أحد خواصه أن يخرج معه، ويمشي على الأزقة والأسواق والمجتمعات لكي يراه؛ فخرجا؛ فبينما هما يمشيان في بعض الرحاب إذ وجدا صبيانا يلعبون، وإذا بعبد الملك بن مروان صبي صغير بيده سيف يلعب /90ظ/به، فقال الحبر: الله أكبر، هذا هو؛ فدنا منه؛ فقال له: ما تكون صلتك لي إن أنا بشرتك بأمر يسرّك؟ قال: وما مقدار البشرى حتى أعرف مقدار الصلة عليها؟ قال: أن تملك الأرض، قال له: أرأيت إن عجّلت لك الصلة أتقدر أن تعجلها؟ قال: لا، قال: فإن حرمتك [أتقدر](2) أن تؤخرها عني؟ قال: لا، قال: فحسبك؛ فانصرف إلى معاوية فأخبره؛ فكان معاوية ينظر إليه بتلك العين، ويبالغ في برّه وإكرامه، وجعله على ديوان المدينة مكان زيد بن ثابت، وهو ابن ابن ست عشرة سنة(3).

[سيرة وأخلاق عبد الملك قبل وبعد تولي الخلافة] وكان عبد الملك بن مروان قبل خلافته من العبّاد، أقام ثلاثين سنة معتكفًا ملازما المسجد حتى سمي حمامة المسجد؛ فلما ولي الخلافة ترك ذلك كله؛ فلامه سعيد بن المسيب، وقال له: يا أبا الوليد، كنت على ما كنت عليه من العبادة والزهادة، وبلغني عنك الآن أنك

---

(1) الرواية منقولة حرفيا من ابن عبد البر- كتاب الاستيعاب- ج3 ص 245، وانظر ابن حجر- الإصابة- ج3 ص254-255.

(2) إن تقدر في الأصل، وفي ن، وما أثبتنا من م.

(3) لم نجد هذه الرواية في المصادر التي استعملناها في التحقيق.

تشرب الطلاء، قال: نعم والدماء[1]، وكان المصحف بيده يوم ولي فغلقه، وقال: هذا فراق بيني وبينك[2]، وكان يحب الشعر والفخر والمدح، وفد عليه رجل من بني أمية فقال:

والله مـا نـدري إذا مـا فاتنـا ... طلب [إليك][3] من الذي تطلب

بـل قـد ضـربنا فـي الـبلاد فلـم ... نجد أحداً سواك إلى المكارم يُنسب

فاصـبر لعادتـك التـي عودتـنا ... أولا فارشدنا إلـى مـن نـذهب

فقال: إليّ إليّ؛ فأمر له بألف دينار، ثم أتاه في العام المقبل فقال:

يـودّ الـذي يأتـي مـن الخيـر أنـه ... إذا فعـل المعـروف زاد وتمّمـا

ولـيس كـبان حـين تـمّ بـناؤه ... تتـبعه بالـنقض حتـى تهـدما

فأعطاه ألفي دينار، ثم أتاه في العام الثالث فقال:

إذا استمطروا كانوا معاصر في الندا ... يجوبون في المعروف عودًا على بدء

فأعطاه ثلاثة آلاف دينار.

روى الشعبي، واسمه عامر بن شرحبيل، أنه قال: لقد رأيت عجبًا، كنا بفناء الكعبة وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان؛ فقال القوم بعد أن فرغوا من حديثهم: ليقمْ كل واحد منكم؛ /91و/فليأخذ بالركن اليماني، وليسأل الله حاجته؛ فإنه يعطى من ساعته، قم يا عبد الله بن الزبير؛ فإنك أول مولد ولد في الهجرة؛ فقام فأخذ بالركن اليماني؛ فسأل الله ألا يموت حتى يتولى الحجاز، ويسلم عليه بالخلافة، ثم قام أخوه مصعب؛ فسأل الله أن يتولى العراق، ويتزوّج سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب وعائشة بنت طلحة بن عبد الله، ثم قام عبد الملك بن مروان؛ فسأل ألا يموت حتى يتولى شرق الأرض وغربها، ومتى نازعني أحد أتيت برأسه، ثم قام عبد الله بن عمر رضي الله عنه؛ فسأل الله تعالى ألا يموت حتى يوجب له الجنة.

قال الشعبي: فما ذهبت عيني من الدنيا حتى رأيت كل رجل منهم أعطي ما

---

(1) انظر السيوطي- تاريخ الخلفاء- ص 257.
(2) نفسه- ص 259.
(3) في الأصل منك، وما أثبتنا من م.

سأل، ويشر عبد الله بن عمر بالجنة ورثيت له[1].

قال: وكان لعبد الملك إقدام على سفك الدماء؛ فسلك عمّاله مسلكه مثل الحجاج بالعراق والمهلب بخراسان وهشام بن إسماعيل بالمدينة، وكان الحجّاج أظلمهم وأسفكهم للدماء[2].

[علم عبد الملك] وكان عبد الملك من أعلم الناس بأخبار العرب، وأذكرهم بغرائب الأدب، وكان حازما، وهو أول خليفة نقل الدواوين من الفارسية إلى العربية[3]، وكانت له بلاغات وأخبار معجبات، ذكر يوما لجلسائه قول نصيب:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت أوكل بدعد من يهيم بها بعدي

فكلٌّ عابه؛ فقال عبد الملك: لو كان إليكم فما كنتم قائلين؛ فقال رجل منهم: كنت أقول:

أهيم بدعد ما حييت وإن أمت فواحزنا من ذا يهيم بها بعدِ

فقال عبد الملك: قلت والله ما أسوأ مما قال، قيل له: فلو كنت قائلا يا أمير المؤمنين؟ [قال][4] كنت أقول:

أهيم بدعد ما حييت فإن أمت فلا صلحت دعد لذي خلة بعدي

قالوا: والله أنت أشعر الثلاثة يا أمير المؤمنين.

وكان عبد الملك منصفا من نفسه، قال يوما لأمية بن عبد الله[5] بن خالد بن أمية بن مالك[6]: ما فعلت بحرثان بن عمرو حين قال فيك:

---

(1) قارن مع الرواية التي أوردها الذهبي، نقلا عن عبد الرحمن بن أبي الزناد عن أبيه، وذكر فيها عبد الله بن الزبير ومصعب وعروة بن الزبير وعبد الله بن عمر. تاريخ الإسلام- حوادث ووفيات 61-80- ص 526.

(2) انظر المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 91/ابن تغري بردي- النجوم الزاهرة- ج1 ص 273.

(3) انظر السيوطي- تاريخ الخلفاء- ص 261.

(4) ساقط في الأصل، والزيادة من م ومن ن.

(5) عبد شمس في م.

(6) هو أمية بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس، وهو أمير خراسان من تحت يدي أخيه خالد بن عبد الله أمير البصرة لأمير المؤمنين عبد الملك بن

إذا هتف العصفور طار فؤاده   وليس حديد الناب عند الشدائد

قال: يا أمير المؤمنين وجب عليه حدّ فأقمته عليه؛ فقال: هلا درأت عنه الشبهات؛ فقال: /91ظ/كان الحدّ أبين، وكان زعمه علي أهون؛ فقال عبد الملك: يا بني أمية أحسابكم أنسابكم لا يُعْرِضوها للهجاء؛ فإنه باق ما بقي الدهر، والله ما يسرّني أني هجيت بهذا البيت، وإن لي ما طلعت عليه الشمس.

تبيتون في المشتى ملاء بطونكم   وجاراتكم غرثى[1] يبتن خمائص

[خطبة عبد الملك بالكوفة] ولما قدم عبد اللمك الكوفة خطب أهلها فقال: إني [إذا][2] قلت قولا وعدًا كان أو صولا؛ [فهو كالسهم][3] جوزه وتره فمضى، وكاللهب طار شرره فأضاء، وقد عقدت مقالي بفعالي، ووصلت وعدي بمطالي، وجعلت على نفسي رقيبا من الوفاء يتقضاها، كلما غمضت بخلف صال عليها بعنف، وأنا كالأم الحنون لأهل الطاعة، وكالأبخرة الباردة على أهل المعصية، أسبق بالعقاب إلى أهل الظنة، وأتناول بالكرامة من قعد عن الفتنة، وإياكم وعيداً غير ملولي، وزجرًا غير منسي؛ فطال ما أوضعتم في الضلالة، واستدرّتنا أكفكم العقوبة؛ فأمسكنا بحسن رأينا في استبقائكم، كلما مذيتم أخلاق النعمة صورناها بمظاهرة النقمة، تدفعنا حقنا ويأبى الله ألا تقيدكم إياه؛ فحتى متى نسعى في صلاحكم، وتوضعون في غيكم، ونكدح في إقبالكم فيدبركم سفه رأيكم، لست آخذكم بسالف جرائمكم لكني أستأنف بكم ما استقبلتم به أنفسكم؛ فكل ما مضى فقد جعلته تحت قدمي ودبر أذني رغبة لكم في ما ترغبوا فيه من الصلاح، وحرصا لكم على ما أضعتموه من الحظ؛ فاجعلوه للحقّ نصيبا منكم، وأستغفر الله لي ولكم[4].

مروان. ابن السائب الكلبي- جمهرة النسب- ص 47-48/ابن حزم- جمهرة أنساب العرب- ص 218.

(1) غرثى: غَرِث غرثا جاع، فهو غرثان، ويقال امرأة غَرْثَى الوشاح: خميصة البطن، دقيقة الخصر. المعجم الوسيط- ص 648.

(2) في الأصل قد، وما أثبتنا من م ومن ن.

(3) ساقط في الأصل، وما أثبتنا من م ومن ن.

(4) قارن مع نص الخطبة القصيرة التي أوردها ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 591.

وخطب عبد الملك للناس؛ فلما انتهى إلى موضع العظة[1] وعظ فأحسن؛ فقام إليه رجل من آل صرحان فقال: إنكم تأمرون ولا تأتمرون، وتنهون ولا تنتهون، أفنقتدي بسيرتكم في أنفسكم أم نطيع أمركم بألسنتكم؟ فإن قلتم اقتدوا بسيرتنا في أنفسنا، فأين وكيف وما الحجّة وما النصير من الله في الاقتداء بالجورة الخونة الظلمة الذين أكلوا أموال الله دولا، وجعلوا عباده خولا؛ فإن قلتم أطيعوا الله أمرنا، واقبلوا نصيحتنا؛ فكيف ينصح من يغشّ نفسه؟ أم كيف تجب الطاعة لمن لم /92و/تثبت عدالته، ولا تجوز في الإسلام شهادته؟ فإن قلتم خذوا الحكمة من حيث وجدتموها، واقبلوا العظة[2] ممن سمعتموها فعلى ما قدمناكم أزِمّة أمورنا، وحكّمناكم في أموالنا ودمائنا، أو ما تعلمون أن فينا من هو أفصح منكم بالعظات وأعرف باللغات؛ فإن كانت الإمامة تستحق بذلك فتخلخلوا عنها، واطلقوا عقالها، وخلوا سبيلها يبتدر إليها أهلها الذين فرض الله في كتابه طاعتهم؛ فشردتموهم في البلاد، وقتلتموهم بكل واد، أما إنها إن تثبت في أيديكم لاستيفاء المدّة وبلوغ الغاية وعظيم المحنة؛ فإن لكل قائم منكم يومًا لا يعدوه، وكتابًا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون[3].

[عبد العزيز يسأل عن نديم] وكتب إليه أخوه عبد العزيز: إني ببلاد لا علم لهم بالعرب ولا بأنسابهم، ولا برواية الشعر؛ فابعث لي يا أمير المؤمنين رجلا له فقه في الدين وصلاح وعلم بالسنة، وفصاحة ورواية للشعر، ومعرفة بالعرب وأنسابها؛ فكتب إلى عامله بالحجاز أن يرتاد له من هذه صفته فلم يجده، ثم كتب إلى الحجّاج أن يرتاده؛ فدعا الحجّاج يزيد بن مسلم كاتبه؛ فسأله هل يعلم أحدًا هذه صفته؟ قال له: هذه صفة الشعبي؛ فأرسل فيه الحجّاج؛ فلما وصل إليه أمر له بألفي درهم وخمسة أثواب، وأرسله إلى عبد الملك على مركبين من البريد.

[منادمة الشعبي لعبد الملك] قال الشعبي: فلما دخلت على عبد الملك قال لي: يا شعبي لا تساعدني على قبيح، ولا تردّ علي الخطأ في مجلسي، ولا تكلفني

---

(1) العظمة في الأصل، وما أثبتنا من م ومن ن.

(2) العظمة في الأصل، وما أثبتنا من م ومن ن.

(3) لم نعثر على هذه الموعظة في المصادر المستعملة في التحقيق.

جواب [التشميت][1] والتهنئة، ولا جواب [السؤال][2] والتعزية، ودع عنك كيف أصبح الأمير وكيف أمسى، وكلمني بقدر ما أستطعمك، واجعل بدل التقريظ[3] لي صواب الاستماع مني، واعلم أن صواب الاستماع يعدل صواب القول، وإذا سمعتني أتحدث فلا يفتك مني شيء، وأرني فهمك في طرفك وسمعك، ولا تجهد نفسك في [تطرية][4] صوابي، ولا تستدع بذلك الزيادة من كلامي؛ {فإن أسوأ الناس حالا من استكدّ الملوك بالباطل}[5]، وإن أسوأ حالا منهم من استخفّ بحقهم، واعلم يا شعبي أن بأقلّ من هذا يذهب سالف الإحسان، ويسقط حقّ الحرمة، /92ظ/وأن الصمت في موضعه ربما كان أبلغ من المنطق في موضعه، وعند إصابته فرصة[6].

قال الشعبي: فحبسني ستة عنده؛ فوالله لربما حدثته بالحديث وأن اللقمة في يده؛ فما يرفعها إلى فيه، ولا يضعها من يده؛ فأقول له: يا أمير المؤمنين، لو أسغت لقمتك؛ فيقول: حديثك أعجب إليّ؛ فأكل ذات يوم حيتانا؛ فأصبح وهو يشتكي؛ فدخل عليه خويصة أصحابه وأهله والوليد وسليمان ابناه وروح بن زنباع وعبد الرحمن ابن أم الحكم وأبان ومروان وأنا معهم؛ فكلهم يقول: كيف أصبحت يا أمير المؤمنين؟ فيقول: والله أصبحت عليلا ضعيفا، كما قال عمرو بن قميئة[7]:

كأني وقد خلفت تسعين حجّة ... خلعت بها عني عذاد لجامي

رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى ... فما حال من يرمي وليس يرام

---

(1) في الأصل التسمية، وما أثبتنا من م ومن ن.

(2) في الأصل وفي كل النسخ جواب، وما أثبتنا من المسعودي.

(3) عند المسعودي المدح، وقرّظ فلانا مدح وأثنى عليه. المعجم الوسيط- ص 728.

(4) تطرفة في الأصل، وما أثبتنا من م.

(5) ساقط في م.

(6) أورد المسعودي نفس الرواية. مروج الذهب- ج3 ص 92.

(7) عمرو بن قميئة: بن ذريح بن سعد بن مالك الثعلبي البكري، شاعر جاهلي مقدّم نشأ يتيما، وأقام في الحيرة مدة، وصحب حجرا (أبا امرئ القيس)، وخرج مع امرئ القيس في توجهه إلى قيصر؛ فمات في الطريق، وكان واسع الخيال في شعره، له ديوان شعر. الزركلي- الأعلام- ج ص 83.

فلو أنها نبل إذا لاتقيتها ... ولكنها رمي[1] بغير سهام

قال الشعبي: فنظرت في وجوه القوم هل يردّ عليه أحد شيئا؛ فلم يردّ؛ فقلت: بل أصبحت يا أمير المؤمنين، والله ينقيك، كما قال لبيد بن ربيعة؛ فإنه لما بلغ سبعا وسبعين سنة قال:

ظلت تشكي إلى النفس مجهشة ... وقد حملتك سبعا بعد سبعين

فإن تزادي ثلاثا تبلغي أملا ... وفي الثلاث وفاء للمائينا

فبلغ تسعين حجّة فقال:

كأني وقد خلفت تسعين حجة ... خلعت بها عن منكبي ردائيا

فبلغ مائة وعشرًا فقال:

أليس في مائة قد عاشها رجل ... في تكامل عشر بعدها عمر

فبلغ مائة وعشرين فقال:

ولقد سئمت من الحياة وطولها ... وسؤال هذا الناس كيف لبيد

فقال عبد الملك: أسندوني أسندوني؛ فليس بي من بأس، قال الشعبي: فرأيت /93ظ/الرونق يجري على وجهه؛ فظل يحدثنا بقية يومنا، ثم ذكر ما خاطب به أخاه عبد العزيز؛ فقلت: يا أمير المؤمنين قربك أحبّ إليّ؛ فقال: إنه على يديك، وإذ كنت معه فأنت عندي؛ فأتيت عبد العزيز؛ فأكرم وألطف وقرّب، وصنع معي ما صنع أخوه وأزيد من ذلك.

[مهب الرياح] قال الشعبي: وكنت عند عبد الملك يوما فذكر عبد الله بن الزبير؛ فقال عبد الملك: ما يعرف ابن الزبير من أين يهب الريح؛ فقلت: يا أمير المؤمنين مثل ابن الزبير لا يدري من أين تهب الريح؛ فقال لي: ولا أنت يا شعبي؛ فجعلت أفكر في نفسي من أين تهب؟ فإذا أنا والله لا أدري؛ فقلت: يا أمير المؤمنين قد فكرت فيه؛ فما دريت فخبرني؛ فقال: يا شعبي تهبّ القبول من مطلع سهيل إلى مطلع الشمس، وهي القبلية، وتهب الصبا من مطلع الشمس إلى بنات نعش، وهي الشرقية، وتهبّ الشمال من بنات نعش إلى مغرب الشمس، وهي الجوفية، وتهبّ

---

(1) ارمي في الأصل، وما أثبتنا من م.

الدبور من مغرب الشمس إلى مطلع سهيل، وهي الغربية، خذها بشكر يا شعبي[1].

[أعرابي يتظلّم من عامل عبد الملك] ودخل عليه أعرابي يتظلم من عامل له؛ فقال: يا أمير المؤمنين، إنّ فلانا ممن رفعت خسيسته، وأثبت وطأته، وأعليت وكأته، وأمرته بنشر محاسنك فطرّاها، وإظهار مكارمك فأخفاها، وإفاضة عدلك في رعيتك فتعدّاها استخفافا بالحرم وقلة شكر للنعم، أخرب البلاد، وأضاع الأجناد، وأظهر الفساد، وأخرج الرعية من سعة العدل إلى ضيق الجور حتى باعوا الطارف والتلاد، وشفوا على بيع النساء والأولاد.

قال عبد الملك: فإنْا[2] نمكنك منه يا أعرابي، قال: إذًا أوجع ظهره، وآخذ ماله؛ فجمع عبد الملك ولده وأهله، وقال: يا بني أمية ابذلوا نداكم وكفوا آذاكم، واجملوا إذا طلبتم، واعفوا إذا قدرتم، ولا تلحفوا إذا سألتم، ولا تبخلوا إذا سئلتم؛ فإن العفو بعد القدرة، والثناء بعد الخبرة، وخير المال ما أفاد حمدًا ونفى ذمًا.

[وصية لأبنائه] وقال لبنيه: يا بني إن شرف الدنيا في ثلاثة: الشجاعة والمال والعلم؛ فلا يخلوَنَّ أحدكم من إحداها، ومن استطاع كمالها فقد انقادت له الدنيا بزمامها، واعطته /93ظ/قيادها، ومن خلا منهن فهو في عدد البهائم التي لا تذكر بخصلة، ولا تنسب إلى مزية.

[تعامل عبد الملك مع الرعية] سأل رجل عبد الملك بن مروان الخلوة؛ فقال لأصحابه إذا شئتم؛ فلما تهيأ الرجل للكلام، قال له: إياك أن تمدحني فإني أعلم بنفسي منك، أو تكذبني فإني لا أرى الكذب، أو تسعى إليّ بأحد، وإن شئت أقلتك، قال أقلني؛ فأقاله[3].

وقال الأصمعي: تغدّى مع عبد الملك أعرابي؛ فجعل يضرب بيده في القصعة يمنة ويسرة؛ فقال له الخادم: يا أعرابي كل مما يليك؛ فقال الأعرابي: لعلّ

---

(1) وردت الرواية مختصرة عند المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 92-93.

(2) فإنما في الأصل، وما أثبتنا من م.

(3) أورد المسعودي نفس الرواية مع بعض الاختلاف. مروج الذهب- ج3 ص 118/السيوطي- تاريخ الخلفاء- ص 261.

طعامكم هذا جِمىً[1] ؛ فخجل عبد الملك، وقال: ليس فيه جِمًى؛ فكلْ حيث شئت.

ودخل عليه رجل من غسّان؛ فكلمه في حوائج له فقضاها؛ فقال: أتأذن لي يا أمير المؤمنين في تقبيل يدك؟ فقال له: أما علمت أنها من العرب مذلة، ومن العجم خدعة.

قال العتبي: كان عبد الملك يحب أن ينظر إلى أبي صخر كثير بن عبد الرحمن؛ فدخل عليه أذنه يوما فقال: يا أمير المؤمنين، هذا كثير عزة بالباب؛ فقال له: أدخله؛ فلما نظر إليه احتقره، وكان قصيرًا ذميمًا؛ فقال له عبد الملك: تسمع بالمعيدي خير من أن تراه؛ فقال: مهلا يا أمير المؤمنين، إنما المرء بأصغريه قلبه ولسانه، إن تكلم تكلم ببيان، وإنْ قاتل قاتل بجنان، على أني أنا الذي أقول:

وجــرّبت الأمــور وجربتنــي ... فقــد نــبذت عريكتــي الأمــور

ومــا تخفــى الــرجال علــيّ إنــي ... بهــم لأخــو مناقــبهم خبيــر

تــرى الــرجل النحـيف فتـزدريه ... وتحــت ثــيابه أســد هــصور

وذكر القصيدة إلى آخرها؛ فاستدناه عبد الملك، وكان منه بعيدًا، ثم قال: يا كثير انشدني في أهل دهرك؛ فأنشأ يقول:

خيـر إخـوانك المـشارك فـي المرّ ... وأيــن المــشارك فــي المــرّ أيــنا

الـذي إن شـهدت زانـك فـي الحي ... وإن غــيبت كــان أذنــا وعيــنا

أنــت فــي مـشعر إذا غـبت عـنهم ... بدلــوا كــل مــا يــزينك شــينا

/94و/فقال عبد الملك: يغفر الله لك يا كثير، وأين الإخوان على أنّي أنا الذي أقول:

صــديقك حــين تــستغني كثيــر ... ومالــك عــند فقــرك مــن صــديق

فــلا تــبك علــى أحــد إذا مــا طــوى ... عــنك الــزيارة عــند ضــيق

وكــنت إذا الــصديق أراد غيظــي ... وأشــرقني علــى حنقــي بــريق

غفــرت ذنــوبه وصــفحت عــنه ... مخافــة أن أعــيش بــلا صــديق

---

(1) حمى: الحمى الموضع فيه الكلأ يحمى من الناس أن يرعى، والحمى الشيء المحمي. المعجم الوسيط– ص 201.

[مقتل عمرو بن سعيد الأشدق] وفي تسع وستين[1] قتل عبد الملك عمرو بن سعيد بن العاص الأشدق، وسبب قتله إياه أنه خرج من دمشق يريد العراق لقتال مصعب بن الزبير؛ فقال له عمرو بن سعيد: كان أبوك وعدني أن يكون لي هذا الأمر من بعده، وعلى ذلك جاهدت معه؛ فاجعل لي الأمر بعدك؛ فلم يجبه إلى شيء من ذلك؛ فانصرف عنه عمرو إلى دمشق، وتحصن فيها، ودعا الناس إلى بيعته.

فلما بلغ الخبر إلى عبد الملك رجع، وقد كان رحل مرحلتين فوجد أسوار المدينة مجللة بالمسوح[2] واللبود[3] والخشب والجلود؛ فحاصره ثلاثة أيام؛ فصالحه عمرو على أن يكون له الأمر من بعده، وأن يكون له في كل بلد عامل مع عامله، وألا يصبح بيت المال بحضرته، وأن يكون بيده مفتاح، وبيد عبد المالك آخر[4] ؛ فأنعم عبد الملك بذلك كله؛ ففتح له الأبواب ودخل البلد؛ فكتبا بينهما كتابًا بذلك، وأمّنه عبد الملك؛ فخرج إليه عمرو في الخيل متقلدا قوسًا سوداء؛ فأقبل حتى أوطأ فرسه أطناب سرادق عبد الملك؛ فانقطعت شرائطه، وسقط السرادق؛ فنزل وجلس، وعبد الملك مغضب؛ فقال له: يا أبا أمية، كأنك تتشبه بتقلدك هذه القوس السوداء بيحيى بن قيس[5] ؟ فقال: لا ولكن أتشبه بمن هو خير منه العاص بن أمية، وقام مغضبا والخيل معه؛ فدخل دمشق.

ودخل عبد الملك بعده، ونزل في قصر، ونزل عمرو في قصر آخر؛ فجعل

---

(1) في سنة ست وتسعين في م، وهو خطأ، وقد اختلف المؤرخون في تاريخ مقتل الأشدق، فمنهم من قال سنة تسع وستين مثل: الطبري- تاريخ- ج7 ص 164-165/ابن تغري بردي- النجوم الزاهرة- ج1 ص 238/ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 582-583، ومنهم من قال إن ذلك تم في عام سبعين. تاريخ خليفة بن خياط- ص 166/تاريخ اليعقوبي- ج2 ص 271.

(2) المسوح: الكساء من شعر. المعجم الوسيط- ص 868.

(3) اللبود: اللبد هو ضرب من البسط. المعجم الوسيط- ص 812.

(4) أبو حنيفة الدينوري أحمد بن داود- الأخبار الطوال- تحقيق عصام محمد الحاج علي- توزيع عباس أحمد الباز- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1421هـ- 2001م- ص 421.

(5) عند الطبري هذا الحي من قيس. تاريخ- ج7 ص 166.

عمرو يمشي برجال من بني عمه وعبيده وسلاحهم مشهور، ومتى اجتمعا وقف رجال هذا على رأسه ورجال هذا على رأسه؛ فقال له عبد الملك: ادفع إلى الأجناد أرزاقهم؛ فخرج وشرع في العطاء، فلما /94ظ/علم عبد الملك أنه قد توسط في العطاء وجه إليه رسولا بعد رسول إئتني أبا أمية؛ فقد دهمنا أمر عظيم خدعة منه ومكيدة؛ فبادر إليه عمرو خائفًا وجلا يظن أن ابن الزبير على باب دمشق، ووجد الرسول عنده عبد الله بن يزيد بن معاوية صهره على ابنته أم موسى؛ فقال لعمرو: يا ابا أمية، والله إنك لأحبّ إليّ من سمعي وبصري، وأرى لك ألا تجيب هذا الرجل؛ فقال عمرو: ولِمَ؟ قال: لأنّ كعب الأحبار قال إن عظيما من عظماء ولدي إسماعيل يرجع فيغلق أبواب دمشق، ثم يخرج فيقتل؛ فقال له عمرو: والله لو كنت نائما ما أيقظني أبو الذبان، ولا كان يجترئ علي، ومعي عشرة آلاف عبد؛ فلما همّ بالمشي إليه لبس درعا حصينة وعليها قميص، وتقلد سيفه، وعنده امرأته الكلبية وحميد بن حريث؛ فلما اندفع للسير عثر [بالبساط][1]؛ فقال له حميد: أما والله لئن أطعتني لم تأتِه.

وكان عبد الملك قد أغلق بابه، وأمر بضرب الطبول كأن فتحا أتاه؛ فجاءه في مائة رجل من مواليه، وقد كان قد وجّه عبد الملك عند بني مروان فاجتمعوا عنده؛ فلما أعلم عبد الملك أنه بالباب أمر أن يحبس كل من جاء معه، ويدخل وحده؛ فدخل وما معه إلا وصيف له؛ فنظر إلى بني مروان مع عبد الملك؛ فأيقن بالشرّ؛ فقال لوصيفه: انطلق ويحك إلى يحيى بن سعيد؛ فقل له يأتيني؛ فلم يفهم الوصيف ما قال له؛ فقال له: لبيك يا مولاي؛ فقال له: اغرُب عنّي في حرق الله وناره؛ فقال عبد الملك لحسان بن مالك ولقبيصة بن ذؤيب: إذا [شئتما][2] فقا والتقياني وعَمراً في باب المجلس؛ فقال له عبد الملك مازحا ليطمئن عمرو: أيكما أطول؟ فقال حسّان: قبيصة أطول مني بالإمارة، وكان قبيصة على الخاتم.

---

(1) في كل النسخ السباط، والصحيح ما أثبتنا من الطبري- تاريخ- ج7 ص 166/المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص103.

(2) في الأصل وفي جميع النسخ: مشيتما، ولا تنسجم مع سياق الكلام، وما أثبتنا من الطبري- تاريخ- ج7 ص 166.

ثم نظر عمرو إلى وصيفه؛ فقال له: انطلق إلى يحيى فامره أن يأتيني؛ فقال: لبيك، ولم يفهم عنه؛ فقال: اغرب عني؛ فلما خرج حسّان وقبيصة أمر بالأبواب فغلقت، ودخل عمرو فرحب به عبد الملك؛ فقال له: هاهنا يا أبا أمية؛ فأجلسه معه على السرير، وحدثه ساعة، ثم قال له: يا غلام خذ السيف عنه؛ فقال له عمرو: إن لله يا أمير المؤمنين؛ فقال له عبد /95و/الملك: أتطمع أن تجلس معي متقلدًا سيفا؛ فأخذ السيف، ثم تحدثا ساعة، ثم قال له عبد الملك: يا أبا أمية، إنك لما خلعتني آليت إن أنا ملأت عيني منك، وأنا مالك لك أن أجمعك في جامعة؛ فقال له بنو أمية: برّ قسم أمير المؤمنين؛ فقال له عمرو: فبرّ قسمك يا أمير المؤمنين؛ فأخرج من فراشه جامعة[1] فطرحها إليه، ثم قال: يا غلام اجمعه فيها؛ فقام الغلام فجمعه فيها؛ فقال له عمرو: أذكرك الله يا أمير المؤمنين أن تخرجني فيها على رؤوس الناس؛ فقال عبد الملك: أمكر عند الموت، ثم جذبه جذبة أصاب منها فمه السرير؛ فكسر ثنيته؛ فقال له عبد الملك: والله إني أعلم أنك تفي لي، وتصلح قريشا لأطلقتك، ولكن ما اجتمع رجلان قط في بلدة على مثل ما نحن عليه إلا أخرج أحدهما صاحبه؛ فلما رأى عمرو سنه قد اندقت، وعرف أن قتله يريد قال: أغدرًا يا ابن الزرقاء؟ فأمر به فضربت عنقه.

وقام إلى صلاة العصر؛ فرآه الناس ولم يروا عمرًا معه؛ فذكر ذلك ليحيى بن سعيد فأقبل في جملة من الناس إلى باب عبد الملك ومعه ألف عبد لعمرو؛ فجعلوا يصيحون: أسمعنا صوتك أبا أمية، وجاء مع يحيى بن سعيد حُمَيد بن حُريث وزُهَير بن الأبرد؛ فكسروا باب المقصورة، وضربوا الناس بالسيوف، وضرب عبد لعمرو الوليد بن عبد الملك على رأسه؛ فاحتمله[2] إبراهيم بن عربي صاحب الديوان؛ فأدخله بيت القراطيس؛ فانتهى يحيى بن سعيد وأصحابه إلى داخل دار عبد الملك؛ فقاتلوا بني أمية وجرحوهم، وضُرب يحيى بن سعيد بصخرة في رأسه، وجاء عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي فالقى رأس عمرو إلى الناس، وأخذ عبد العزيز بن مروان المال من بيت المال؛ فألقاه إلى الناس؛ فانتهبوه وتفرقوا.

---

(1) الجامعة الغُلّ يجمع اليدين إلى العنق. المعجم الوسيط- ص 135.

(2) في الأصل فاحتملوه، وما أثبتنا من م.

ثم إن عبد الملك استقصى بعد عام من أخذ تلك الأموال؛ فأعلم بهم؛ فأخذهم بصرفها حتى لم يبق منها شيء، ثم أمر عبد الملك بإحضار يحيى بن سعيد؛ فلما حضر أمر بقتله؛ فقال له عبد العزيز: جعلني الله فداك أتراك قاتلا بني أمية في يوم واحد؛ فأمر بسجنه، وأمر بسجن عنبسة بن سعيد؛ فمكث يحيى في السجن شهرًا.

ثم إن عبد الملك صعد المنبر؛ فحمد الله وأثنى عليه، /95ظ/ثم استشار الناس في قتله؛ فأشار عليه بعض الحاضرين بقتله، وقال: إنه عدو منافق، وقام عبد الله بن مسعدة الفزاري فقال: يا أمير المؤمنين، إن يحيى ابن عمك، وقرابته ما تعلم، وقد صنعوا ما صنعوا، وصنعت بهم ما صنعت، وما أنت له بآمن، ولا أرى مثلهم، ولكن سيّرهم إلى عدوك؛ فإن قتلوا كفيت أمرهم، وإن سلموا ورجعوا رأيت فيهم رأيك؛ فأخذ برأيه[1].

وفي قتل عمرو قال بعض الشعراء[2]:

غدرتم بعمرو يا بني خيط باطل[4] ومثلكم يبني البيوت على الغدر[3]

كأن بني مروان إذ يقتلونه بغـــاث من الطير اجتمعن على صقـــر

ولما تمّ لعبد الملك الأمر[5] جمع الناس، وقام فيهم خطيبا فقال: أيها الناس مالكم ترفعون رؤوسكم، ما أنا والله بالإمام المستضعف يعني عثمان رضي الله عنه، ولا بالخليفة المداهن يعني معاوية رحمه الله؛ فمن قال برأيه كذا، قلنا له كذا، وأشار

---

(1) انظر أبو حنيفة الدينوري- الأخبار الطوال- ص 422/ابن قتيبة الدينوري- الإمامة والسياسة- ص 199-200/الطبري- تاريخ الطبري- ج7 صص 164-169/تاريخ اليعقوبي- ج2 ص 270-271/المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 102-104/ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 582-584.

(2) الشاعر هو يحيى بن الحكم عم عبد الملك بن مروان. الذهبي- تاريخ الإسلام- حوادث ووفيات 61-80- ص 204.

(3) الشطر الثاني مختلف عند الذهبي: وأنتم ذوو قرباته وذوو صهر. نفسه- ص 204.

(4) عند الدينوري: يآل مروان ضلة. الأخبار الطوال- ص 422.

(5) قال السيوطي إن هذه الخطبة قيلت بالمدينة بعد قتل الزبير عام حج سنة 75هـ. تاريخ الخلفاء- ص 260.

إلى السيف[1].

[محاربة أهل البصرة] ثم جهز جيشا إلى البصرة لحرب الحارث [بن عبد الله] بن أبي ربيعة، عامل ابن الزبير عليها؛ فنازله الجيش و[حاصره][2] ؛ فكان أهل البصرة يقرأون القرآن الليل كله، وأهل الشام يعتكفون الليل كله على شرب الخمر ونقر العيدان وسماع غناء القيان إلى غير ذلك، إلى أن هزمهم الله، وقتل أكثرهم؛ فتحصن منهم نحو سبعين؛ فيهم يوسف الثقفي أبو الحجاج وغيره في خيل، وسأله الأمان فأعطاهم الحارث الآمان؛ فلما نزلوا قتلهم؛ فعزَّ ذلك على {ابن الزبير لنكثه العهد فعزله[3].

وفي سنة سبعين ثارت الروم على}[4] من بالشام؛ فصالح عبد الملك ملك الروم على أن يؤدي إليهم في كل جمعة ألف دينار[5].

[محاربة عبد الملك لمصعب بن الزبير] وفي سنة إحدى وسبعين سار عبد الملك إلى العراق لحرب مصعب بن الزبير بعد أن خرج مرارًا، وانصرف لشدّة الشتاء والبرد؛ فسار إلى مصعب، وجعل على مقدمته محمد بن مروان، وعلى ميمنته عبد الله بن يزيد بن معاوية، وعلى ميسرته خالد بن يزيد، وسار مصعب إليه، وقد خاذله أهل الكوفة؛ فقام عبد الملك؛ فخطب الناس وأمرهم بالتهيؤ لقتال مصعب؛ فاختلف /96و/عليه رؤساء أهل الشام من غير خلاف لما يريد، وإنما أرادوا أن

---

(1) قارن مع نص الخطبة التي أوردها السيوطي- تاريخ الخلفاء- ص 260.

(2) وحضره في الأصل وهو تصحيف، والصواب ما أثبتنا من م.

(3) يبدو أن المؤلف قد أخلط في هذه الرواية بين الحملة التي وجّهها مروان بن الحكم إلى المدينة المنورة بقيادة حبيش بن دلجة سنة 65هـ والتي قتل معظم أفرادها، ونجا منها الحجاج مع أبيه يوسف (الطبري- تاريخ- ج7 ص 71/الكامل في التاريخ- ص 551 /الذهبي- تاريخ الإسلام- حوادث ووفيات 61-80- ص43)، وخبر الحملة التي قادها الخليفة الأموي على البصرة، وكانت عام 71هـ (تاريخ الطبري- ج7 ص 170 وما بعدها/الكامل في التاريخ- ص 589 وما بعدها)، والذي يؤكد ذلك أن الحارث بن عبد الله بن أبي ربيعة قد عزل عن البصرة سنة 67هـ(تاريخ الطبري- ج7 ص 134/الكامل في التاريخ- ص 573).

(4) ساقط في م.

(5) الطبري- تاريخ- ج7 ص 170.

يقيم، ويرسل الجيوش؛ فإن ظفروا فهو المراد، وإن لم يظفروا أمدّهم بالجيش تخوفًا منهم أن يصاب[1] في اللقاء؛ فقال لهم: إنه لا يقوم بهذا الأمر إلا قريشي له رأي، ولعلّي أوجّه من له شجاعة ولا رأي له، وإني أجد في نفسي أني بصير بالحروب، وشجاع بالسيف إن أُلجِئْتُ إليه، ومصعب في بيت شجاعة، أبوه أشجع قريش، وهو شجاع ولا علم له بالحرب، ومعه من يخالفه، ومعي من ينصح لي.

ومرّ عبد الملك حتى نزل بمَسْكِن[2]، ونهض مصعب حتى بَاجُمِيرَا؛ فكتب عبد الملك إلى جماعة من أهل العراق ليخذلوا مصعبًا، وكتب إلى ابن الأشتر أيضا؛ فجاء ابن الأشتر بكتابه مختوما؛ فدفعه إلى مصعب؛ فإذا فيه أن اسري إليّ واخذل مصعبًا، ولك ولاية العراق؛ فقال له ابن الأشتر: لا شكّ أنه كتب إلى جميع أصحابك بمثل ما كتب إليّ؛ فأطعني فيهم [فـ]اضرب أعناقهم، قال: إذا لا تنصحني عشائرهم، قال: فأوقرهم حديدًا، ووجّه بهم إلى بيض كسرى فاحبسهم هنالك، ووكل بهم من إن غَلبت ضرب أعناقهم، وإن غُلبت منّت بهم على عشائرهم، قال: يا أبا النعمان، إنا لفي شغل عن ذلك، يرحمك الله أبا بحر، يعني الأحنف بن قيس، لقد كان يحذرني غدر أهل العراق كأنه ينظر إلى ما نحن فيه.

قال عبد القاهر بن السَّرِي: همّ أهل العراق بغدر مصعب؛ فقال لهم قيس بن الهيثم: ويحكم، لا تدخلوا أهل الشام عليكم؛ فوالله لقد رأيت سيد أهل الشام على باب الخليفة يفرح إن أرسله في حاجة، ولقد رأينا في الصّوائف، وإنّ الرجل من وجوههم ليغزو على فرسه، وأن زاده من ورائه.

ولما نزل محمد بن مروان بدير الجاثليق[3]، تقدم إبراهيم بن الأشتر؛ فحمل على محمد بن مروان؛ فأزاله من موضعه؛ فوجّه عبد الملك عبد الله بن يزيد بن

---

(1) يصيب في الأصل وفي كل النسخ، ولعلّ الصواب ما أثبتنا.

(2) مَسْكِنُ: وهو موضع قريب من أوانا على نهر دجيل عند دير الجاثليق، به كانت الوقعة بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير في سنة 72هـ، فقتل مصعب وقبره هناك معروف. معجم البلدان- ج5 ص 127.

(3) دير الجاثليق: دير قديم البناء رحب الفناء من طسّوج مسكن قرب بغداد في غربي دجلة في عرض حربى وهو في رأس الحدّ بين السواد وأرض تكريت، وعنده كانت الحرب بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير. ياقوت الحموي- معجم البلدان- ج2 ص 503.

معاوية؛ فشدّ محمد بن مروان، وحمل بعضهم على بعض؛ فقتل إبراهيم بن الأشتر ومسلم بن عمرو الباهلي ويحيى بن مبشِّر، وهرب عتَّاب بن وَرْقاء، وكان على الخيل؛ فقال مصعب لقَطن بن عبد الله الحارثي: أبا عثمان قدِّم خيلك، قال: ما أرى ذلك، قال: ولِمَ؟ قال: أكره أن تُقْتل مُذحجٌ في غير شيء؛ فقال /96ظ/لحجار بن أبْجَر أبا أسيد: قدِّم رايتك؛ فأحجم؛ فقال لمحمد بن عبد الرحمن مثل ذلك، قال: ما أرى أحدًا فعل ذلك فأفعله.

قال محمد بن سلام: قال لي عبيد الله بن خازم: أمع مصعب عمر بن عبيد الله؟ قلت: لا؛ فإنّه استعمله على فارس، قال: أمعه المهلب؟ قلت: لا، استعمله على الموصل، قال: أمعه عبّاد بن الحصين، قلت: لا، استخلفه على البصرة، وأنا بخراسان فقال:

خُذِيني فجُرِّيني ضباع[1] وأبشري ... بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره

ويروى نحو هذا القول عن عبد الله بن الزبير حين بلغه قتل مصعب، قال: أشهده المهلب بن أبي صفرة؟ قالوا: لا، كان المهلب على وجوه الخوارج، قال: أشهده عبّاد بن الحصين الهبطي؟ قالوا: لا، قال: أشهده عبد الله بن خازم السلمي؟ قالوا: لا؛ فقال عبد الله بن الزبير:

فقلت لها عيثي جَعَار وابشري ... بلحم امرئ لم يشهد اليوم ناصره

وجَعَار اسم من أسماء الضبع.

[مقتل مصعب] فقال مصعب لابنه عيسى حين رأى تخاذل أصحابه: يا بني اركب أنت ومن معك إلى عمّك بمكة؛ فأخبره بما صنع أهل العراق، ودعني فإني مقتول؛ فقال ابنه: والله لا أخبر قريشًا بك أبدًا، ولكن إن أردت ذلك فالحق بالبصرة، والحق أنا بأمير المؤمنين[2] ؛ فقال مصعب: والله لا تتحدث قريش أني فررت لما خذلتني ربيعة حتى أدخل الحرم منهزمًا، ولكن أقاتل؛ فإن قتلت فلعمري ما السيف بعار، وما الفرار لي بعادة أو خلق، ولكن إن أردت أن ترجع فارجع؛ فقال: لا أفعل،

---

(1) عند الطبري جَعارِ، وهو اسم للضبع، وأم جعار كنيتها. المعجم الوسيط- ص 125.

(2) عند الطبري "فالحق بالبصرة فهم على الجماعة، أو الحق بأمير المؤمنين". تاريخ الطبري- ج 7 ص 175.

وجعل يقاتل حتى قتل.

وقيل إن عبد الملك وجّه أخاه محمداً إلى مصعب: أن ابن عمّك يعطيك الأمان؛ فقال مصعب: إن مثلي لا ينصرف عن مثل هذا الموقف إلا غالبًا أو مغلوبًا؛ فلما أبى مصعب [قبول][1] الأمان، قال لابنه عيسى: آمنك ابن عمك فامضِ إليه، قال: والله لا تتحدث نساء قريش أني أسلمتك للقتل ونجوت؛ فقال: أما والله لإن فعلت ذلك لما زلت أن تعرف الكرم في أساريرك، وأنت تقلب في قبرك؛ فتقدم بين يديَّ حتى احتسبك؛ فقاتل بين يديه حتى /97و/قتل، ثم حمل زائدة بن قدامة على مصعب فطعنه فصرعه، وقال: يا لثارات المختار، ونزل إليه عبيد الله بن زياد بن ظبيان، أحد بني تيم اللات بن ثعلبة، وهو أحد فتاك العرب فاحتزّ رأسه، وقال: إنه قتل أخي، يعني النابئ بن زياد.

فأتى به عبد الملك فأعطاه ألف دينار؛ فأبى أن يأخذها، وقال: إني لم أقتله على طاعتك، إنما قتلته على وتر صنعه بي؛ فلا آخذ في حمل رأسه مالا[2]، وفي تلك يقول:

وأن عبيد الله مازال سالما لهيا وعلى رغم العدو وغاد

ونحن قتلنا ابن الزبير ورأسه حززنا برأس النابئ بن زياد

وفيه يقول أيضا:

يرى مصعب أني تناسيت نابئا وبئس لعمر الله ما ظن مصعب

وكان قتله رحمه الله على [نهر][3] الدجيل عند دير الجاثليق يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة خلت من جمادى الأولى سنة اثنتين وسبعين؛ فأمر عبد الملك بدفنه ودفن ابنه، وقال: قد كانت الحرمة بيننا وبينه قديمة، ولكن هذا الملك عقيم؛

---

(1) في الأصل قبل، وما أثبتنا من م.

(2) أورد الطبري وابن الأثير نفس الرواية تقريبا مع أخبار ينفرد بها المؤلف عنهما. تاريخ الطبري- ج7 صص 171-176/الكامل في التاريخ- صص 589-592، وانظر أيضا الدينوري- الأخبار الطوال- صص452-457/المسعودي- مروج الذهب- ج3 صص 104 - 109/ابن خلدون- كتاب العبر- ص 615-616.

(3) في الأصل وفي كل النسخ، والصواب ما أثبتنا من الطبري- تاريخ- ج7 ص 176.

يا مصعب متى تنجب قريش مثلك؟[1].

[صفة مصعب وأخلاقه] وكان رحمه الله من أجمل الناس، وفيه يقول الشاعر[2]:

إنما مصعب شهاب من الله	تجلت عن وجهه الظلماء
ملكه ملك عزة ليس فيه	جبروت منه ولا كبرياء
يتق الله في الأمور وقد أفلح	من كان همه الاتقاء

وكان من أفرس الناس وأكرم الناس، قيل لعبد الملك: إن مصعبًا لا يشرب الطلاء[3] ؛ فقال: لو علم أن فيه خيراً ما تركه، ولو علم أن الماء يفسد مروءته ما شربه[4].

[بين سكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة] وكان تحته عقيلتا قريش: سكينة بنت الحسين بن علي بن أبي طالب وعائشة بنت طلحة بن عبد الله، واسم سكينة آمنة، وسكينة لقب لقبتها به أمها الرباب بنت امرئ القيس بن عدي بن أويس بن جابر بن كعب بن علي، وكان مصعب أصدق كل واحدة /97ظ/ منهما ألف درهم، وكانتا تتغايران كما يتغاير النساء، وكان الشرف مع سكينة، والجمال مع عائشة؛ فطلع البدر ليلة تمّه؛ فلما استوى بعثت عائشة إلى سكينة بوصيفة لها؛ فقالت: قولي لها من أشبه هذا البدر وجهي أو وجهك؟ فلم تجبها سكينة بشيء حتى طلع الفجر، وأذّن المؤذّن؛ فلما قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا رسول الله، بعثت لها سكينة بوصيفة لها؛ فقالت: قولي لها هذا جدّي أو جدّك؟ فلم تعد عائشة تفاخرها بعد ذلك.

وحجّ مصعب بن الزبير من البصرة؛ فحجّ بسكينة وعائشة، وكانت عائشة تحجّ في كل سنة على ستين بغلا؛ فحجّت تلك السنة معها سكينة على مائة بغل،

---

(1) انظر الطبري- تاريخ الطبري- ج7 ص176-177/المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص108.

(2) الشاعر هو عبيد الله بن قيس الرقيات، وقد أورد الذهبي نفس الأبيات. تاريخ الإسلام- حوادث ووفيات 61-80- ص 525، وانظر المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص109.

(3) الطلاء: ما طبخ من عصير العنب. المعجم الوسيط- ص 565.

(4) انظر ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 592.

وكان مصعب يعادل [بينهما]: هذه يوما وليلة، وهذه يوما وليلة؛ فكان ليلة عند سكينة؛ فجرى حادي عائشة يقول:

عائش يا ذات البغال الستين   في كل عام هكذا تحجّين

يا بنة أشياخ الهدى برّ الدين

فلما كان في الليلة الثانية كان عند عائشة؛ فجرى حادي سكينة:

عائش جاءت ربّة تعلوك   بسؤدد المالك للملوك

لولا أبوها ما اهتدى أبوك

فقال مصعب: بالله يا عائشة ضعي خدّي وخدّك لرسول الله صلى الله عليه وسلم؛ ففعلت.

ولما قتل مصعب خرجت سكينة تريد المدينة؛ فخرج أهل العراق يشيعونها؛ فقالت لهم: إرجعوا لا أثابكم الله ولا كلاكم، ختتم أبي وجدّي وعمّي وبعلي؛ فايتمتموني صغيرة، وأرملتموني كبيرة، وكانت من أفضل نساء قريش عبادة ونسكًا، باعت من مالها بأكثر من ثمانين ألف دينار؛ فتصدّقت وأعتقت ووصلت، وتوفيت رحمها الله يوم الخميس في شهر ربيع الأول لخمس خلون منه سنة سبع عشرة ومائة في خلافة هشام بن عبد الملك، ودفنت بالبقيع/98و/رحمة الله ورضوانه عليها[1].

[خطبة عبد الله بعد مقتل أخيه مصعب] ولما وصل لعبد الله بن الزبير قتل أخيه مصعب قام في الناس؛ فقال: الحمد لله الذي لا إله إلا هو، يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعزّ من يشاء، ويذلّ من يشاء، ألا وإنه لم يذلّ الله من كان الحق معه، وإن كان فردًا، ولم يعزّ من كان [وليه][2] الشيطان وحزبه، ولو كان معه الأنام، ألا وإنه أتانا من العراق خبر أحزننا وأفرحنا، أتانا قتل مصعب رحمه الله، وهو الذي أحزننا، وأما الذي أفرحنا فعلمنا أنه مات شهيدًا، وفراق الحبيب لوعة يجدها حبيبه عند المصيبة، ثم يرعوي من بعدها إلى جميل الصبر

(1) ابن العماد الحنبلي- شذرات الذهب- ج1 ص 154.

(2) واليه في الأصل، وما أثبتنا من م.

وكريم الغناء، ولئن أصبت بمصعب، لقد أصبت بالزبير قبله، وما مصعب إلا عبد من عباد الله، وعون من أعوانه، ألا إن أهل العراق أهل الغدر والشقاق أسلموه وباعوه بأقل الثمن؛ فإن يقتل فإنّا والله ما نموت جبجبا[1] على مضاجعنا كما يموت بنو أبي العاص، والله ما قتل رجل منهم في حرب[2] في الجاهلية ولا في الإسلام، وما نموت إلا قتلى بالرماح، وقصفا تحت ظلال السيوف، ألا إنما الدنيا عارية من الملك إلا على الذي لا يزول سلطانه ولا يبيد؛ فإن تقبل لا آخذها أخذة البطر، وإن تدبر لا أبكي عليها بكاء الخائف الذعر، وإن يهلك مصعب ففي آل الزبير منه خلف، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم[3]، قوله جبجبا يعني منتفخين.

[أربع رؤوس في قصر الكوفة] قال عبد الملك بن عمير: رأيت في قصر الكوفة رأس الحسين بن علي رضي الله عنه بين يدي عبيد الله بن زياد، ثم رأيت فيه رأس عبيد الله بن زياد بين يدي المختار، ثم رأيت فيه رأس المختار بين يدي مصعب بن الزبير، ثم رأيت فيه رأس مصعب بن الزبير بين يدي عبد الملك بن مروان[4].

وأمّن عبد الملك أهل العراق فبايعوه، وخطب الناس فقال: إن عبد الله بن الزبير لو كان خليفة كما يزعم لخرج وآتى بنفسه، ولم يغرز ذَنَبه في الحرم، وقد استعملت عليكم بشر بن مروان، وأمرته بالإحسان إلى أهل الطاعة، والشدّة على أهل المعصية؛ فاسمعوا له وأطيعوا[5].

واستعمل /98ظ/محمد بن عمير على همذان، ويزيد بن رُوَيم على الري

---

(1) حتفا عند المسعودي، والكلمة ساقطة عند الطبري وابن الأثير. مروج الذهب- ج3 ص 112 /تاريخ الطبري- ج7 ص 180 /الكامل في التاريخ- ص 592.

(2) رحب في الأصل، وما أثبتنا من م، وعند الطبري وابن الأثير زحف. تاريخ-ج7 ص 180 /الكامل- ص592.

(3) وردت الرواية مع اختلاف بسيط في بعض الكلمات عند الطبري- تاريخ- ج7 ص180، وابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 592، والمسعودي- مروج الذهب- ج3 ص112.

(4) انظر تاريخ اليعقوبي- ج2 ص265/المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص109-110.

(5) انظر الطبري- تاريخ- ج7 ص179.

وخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد على البصرة، وفرّق العمال على الأمصار[1].

[تكليف الحجّاج بقتال ابن الزبير] ووجّه الحجّاج إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير، وسبب إرسال الحجّاج إليه دون غيره ممن هو أعلى منه وأشهر، أن عبد الملك أراد الرجوع إلى الشام؛ فقال له الحجاج: إني رأيت في منامي أني أخذت عبد الله بن الزبير فسلخته؛ فأرسلني إليه، وولني قتاله؛ فأرسله في جيش كثيف من أهل الشام؛ فصار حتى قدم مكة في جمادى الآخرة سنة اثنتين وسبعين، وقيل في شعبان، وقيل في ذي الحجة، وكتب عبد الملك بالأمان إلى أهل مكة إن دخلوا في طاعته؛ فنزل الحجّاج في الطائف، وجعل يبعث الخيل إلى عرفة، ويبعث ابن الزبير خيله فيقتتلون هنالك؛ فتنهزم خيل ابن الزبير، وتنصرف خيل الحجاج ظافرة.

[حصار مكة ورميها بالمجانيق] وحجّ بالناس الحجّاج في ذلك العام، ووقف بعرفة، وعليه درع ومغفر، ولم يطُف بالبيت في تلك الحجّة، وكتب الحجّاج لعبد الملك يستأذنه في حصار ابن الزبير، ودخول الحرم، ويخبره أن شوكة[2] ابن الزبير قد كلّت، وتفرّق عنه أكثر أصحابه، ويسأله أن يمدّه برجال؛ فكتب عبد الملك إلى طارق بن عمرو يأمره أن يلحق بمن معه من الجند الحجّاج؛ فسار إليه في خمسة آلاف في أول ذي الحجة؛ فرحل الحجّاج من الطائف، ونزل بئر ميمون؛ فحصر ابن الزبير[3].

ونصب الحجّاج على مكة المجانيق ورماها به؛ فرعدت السماء بصوت عظيم هائل؛ فبرقت فاعظم ذلك أهل الشمال؛ فأمسكوا عن الرمي؛ فرفع الحجّاج قباءه في منطقته، وأخذ حجر المنجنيق، ووضعه في كفته، وقال لهم: أرموا معي؛ فلما أصبحوا نزلت صاعقة، وتبعتها أخرى فقتلت من أصحابه اثني عشر رجلا؛ فانكسر أهل الشام؛ فقال الحجّاج: يا أهل الشام لا تنكروا هذا؛ فإني ابن تهامة، هذه صواعقها، وهذا الفتح قد حضر فابشروا؛ فإن القوم يصيبوهم مثل ما أصابكم؛

---

(1) انظر الطبري- تاريخ- ج7 ص179/ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 591.

(2) في الأصل شكرة، وما أثبتنا من م.

(3) انظر الطبري- تاريخ- ج7 ص185-186/ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 596-597.

وصعقت من الغد فأصيب من أصحاب الزبير عدّة؛ فقال الحجاج: ألا ترون أنهم يصابون كما أصبتم؛ فلم تزل الحرب بينهما حتى تفرّق عامة أصحاب ابن الزبير، وساروا إلى الحجاج بأمان، وكانت الحرب /99و/دارت بينهم ستة أشهر وسبع عشرة ليلة، وقيل ثمانية أشهر.

[عبد الله بن الزبير وأسماء ذات النطاقين] قال المنذر بن جُهْم: خذل ابن الزبير أصحابه يوم قتله خذلانا شديدًا، وخرج منهم إلى الحجّاج نحو عشرة آلاف، ومن جملة من فارقه ابناه حمزة وخُبَيب، أخذا من الحجّاج أمانًا لأنفسهما؛ فلما رأى ذلك ابن الزبير، دخل على أمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنهم، وقد بلغت مائة سنة، وكفّ بصرها؛ فقال: يا أمّه خذلني الناس حتى ولدي وأهلي، ولم يبق معي إلا اليسير، والقوم يعطونني ما أردت من الدنيا؛ فما رأيك؟ فقالت: أنت والله يا بني أعلم بنفسك؛ فإن كنت تعلم أنك على حق، وإليه تدعو فامض؛ فقد قتل عليه أصحابك، ولا تمكن رقبتك يلعب بها غلمان بني أمية، وإن كنت إنما أردت الدنيا؛ فبئس العبد أنت، أهلكت نفسك وأهلك ومن قتل معك؛ فإن قلت قد كنت على حق؛ فلما وهن أصحابي ضعفت؛ فهذا ليس من فعل الأحرار وأهل الدين، وكم خلودك في الدنيا؟ القتل أحسن؛ فقبّل رأسها، وقال: هذا والله رأيي، والذي قمت به داعيا إلى يومي هذا، ما ركنت إلى الدنيا، ولا أحببت الحياة فيها، ولا دعاني إلى الخروج إلا الغضب لله أن تستحل حرمه، ولكني أحببت أن أعلم رأيك؛ فزدتني بصيرة، وانظري يا أمه؛ فإني مقتول في يومي هذا؛ فلا يشتد حزنك، وسلّمي لأمر الله؛ فإن ابنك لم يتعمد إتيان منكر، ولا عملا بفاحشة، ولم يخن في حكم الله، ولم يغرر في آمان، ولم يتعمد ظلم مسلم ولا معاهد، ولم يبلغني ظلم عمالي فرضيته بل أنكرته، ولم يكن شيء أشدّ عندي من رضاء ربي.

اللهم لا أقول هذا تزكية مني لنفسي، أنت أعلم بي، ولكني أقوله تعزية لأمي لتسلو عني؛ فقالت أمّه: إني لأرجو من الله تعالى أن يكون عزائي فيك حسنا أن قَدِمتني، وإن قدمتك فبنفسي، أخرج حتى انظر ما يصير إليه أمرك؛ قال: جزاك الله يا أمه خيرًا؛ فلا تدعي الدعاء لي قبل وبعد؛ فقالت: اللهم ارحم طول ذلك القيام في الليل الطويل، وذلك النحيب والظمأ في الهواجر: هواجر المدينة ومكة، وبرّه

بأبيه وبي[1]، اللهم إني قد سلمته لأمرك فيه، ورضيت بما قضيته /99ظ/فأثبني في عبد الله ثواب الصابرين الشاكرين.

فخرج عنها، ولبس درعًا ومغفرًا، ودخل عليها ليودعها، وقال لها: جئت مودعًا لأني أرى هذا آخر يومي من الدنيا؛ فاعلمي يا أمّه أني إن قتلت فإنما أنا لحم على وضم[2] فلا يضرّني ما يُصنع بي؛ قالت: صدقت يا بني، صمِّم على بصيرتك، ولا تُمَكِّن ابن أبي عقيل[3] منك؛ فادن مني أودّعك؛ فدنا منها فقبلها وعانقها؛ فحسّت الدرع؛ فقالت: ما هذا صنيع من يريد ما تريد؛ فنزعه، ثم أخرج كميه، وشدّ أسفل قميصه، وجبة خزّ تحت القميص؛ فأدخل أسفلها في منطقته، وخرج[4] وهو يقول:

إني إذا أعرف يومي أصبر إذ بعضهم يعرف ثم ينكر

فسمعته أمه؛ فقالت: تصبر إن شاء الله، أبوك الزبير وأمه صفية بنت عبد المطلب.

[القتال داخل مكة وشجاعة ابن الزبير] فشحن الحجّاج الأبواب بالرجال عليهم القوّاد، ووقف هو وطارق في ناحية الأبطح إلى المروة؛ فمرّة يحمل ابن الزبير في هذه الناحية، ومرّة يحمل في تلك كأنه أسد في الأجمة، ما تقدّم عليه الرجال بل يفرّون أمامه ويُخرِجهم، ويقول: لو كان قريني واحدًا كفيته، قال ابن صفوان: أي والله وألف.

وكان عبد الله بن مطيع العدوي ممن ثبت معه، وكان هرب يوم الحرّة ولحق بمكة، وكان من جلة قريش شجاعة ونجدة؛ فكان يقاتل مع ابن الزبير ويقول:

أنا الذي فررت يوم الحرة والحرّ لا يفرّ إلا مرّة

(1) أبي في الأصل، وما أثبتنا من م.

(2) الوَضَم: كل ما يوضع عليه اللحم من خشب أو حصير أو نحو ذلك، ولعل ابن الزبير يقصد هنا عظامه. المعجم الوسيط- ص 1040.

(3) يقصد به الحجاج، وهو الحجاج بن يوسف بن أبي عقيل بن مسعود بن عامر بن معتب. ابن حزم- جمهرة أنساب العرب- ص 267/ابن العماد الحنبلي- شذرات الذهب- ج3 ص 106.

(4) قارن مع ما أورده عبد الملك بن حبيب- كتاب التاريخ- ص 128.

يــا حــبذا الكــرّة بعــد الفــرّة لأجـــــزيَنّ فـــــرّة بكـــــرّة

حتى قتل رحمه الله.

قال نافع مولى بني أسد: لما كان صبيحة سبع عشرة من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين، بات ابن الزبير يصلي عامة الليل، ثم احتبى فأغْفَى، ثم انتبه في الفجر؛ فقال: أذِنْ يا سعيد فأذن عند المقام، وتوضأ هو وركع ركعتي /100و/الفجر، ثم تقدّم فصلّى بأصحابه؛ فقرأ: «ن والقلم»[1] حرفا حرفا ثم سلّم؛ فقام فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: اكشفوا وجوهكم حتى انظر عليكم، وعليهم المغافر والعمائم؛ فكشفوا وجوههم فقال: أما بعد يا آل الزبير فلا يبرمكم[2] وقع السيوف؛ فإني لم أحضر موطنا قط إلا خرجت جريحا، وما أجد من ألم جراحها أشدّ مما أجد من ألم وقعها، صونوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم، لا أعلم أحدًا كسر سيفه واستبقى نفسه؛ فإنّ الرجل إذا ذهب سلاحه فهو كالمرأة أعزل، غضّوا أبصاركم عن البارقة، وليشتغل كل امرئ بقرنه، ولا يلهينكم السؤال عني، ولا تقولوا أين عبد الله بن الزبير، ألا من كان سائلا عني فإني في الرعيل الأول، ثم قال:

أبى لابن سلمى أنّه غيرُ خالدٍ يُلاقي المنايا أي صَرفٍ تيمّما
فلستُ بمُبتاعِ الحياة بِسُبّة ولا مُرتقٍ من خَشيةِ الموت [سُلّما[3]][4]

ثم شدّ على أصحاب الحجّاج؛ فقال: أين أهل مصر؟ فقالوا: هم هؤلاء سلمى من هذا الباب لأحد أبواب المسجد؛ فحمل عليهم هو وأصحابه، وكان يضرب بسيفين؛ فلحق رجلا فضربه وقطع يده، وانهزموا حتى خرجوا من باب المسجد؛ فحمل رجل أسود يسبّه فقال له: اصبر يا ابن حام، ثم حمل عليه فصرعه،

---

(1) سورة القلم- الآية 1.

(2) عند ابن عساكر فلا يروعنكم- تاريخ دمشق- ج28 ص239، وعند الطبري فلا يرعكم. تاريخ- ج7 ص196.

(3) ساقط في الأصل، وما أثبتنا من م.

(4) انظر تاريخ الطبري- ج7 صص193-196/المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 112-114 /تاريخ اليعقوبي- ج2 ص266-267/ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص596-598 /الذهبي- تاريخ الإسلام- حوادث ووفيات 61-80- صص445-446.

ثم دخل أهل حمص؛ فشدّ عليهم يضربهم حتى أخرجهم من المسجد، ثم انصرف وهو يقول:

لو كان قرني واحدًا كفيته أوردته الموت وقد ذكيته

ثم دخل عليه أهل الأردن؛ فجعل يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من المسجد، ثم انصرف وهو يقول:

لا عهد لي بغارة مثل السيل لا ينجلي قتامها حتى الليل[1]

ثم قال: احملوا على بركة الله؛ فحمل حتى بلغ الحَجُون[2]، فرُمِي بآجرة فأصابته في وجهه؛ فأرعش لها ودمي وجهه؛ فلما وجد سخونة [الدم][3] يسيل على وجهه ولحيته /100ظ/قال متمثلا:

ولسنا على الأعقاب تدمى كلومنا ولكن على أقدامنا تقطر الدِمَا[4]

فتصايحوا عليه؛ فشد عليهم وهو يقول:

يارَبِّ إنَّ جنود الشام قد كثروا وهتّكوا من حجاب البيت أستارا

يارَبِّ إني ضعيف الركن مضطهد فابعث إليّ جنودًا منك أنصارا

فتكاثرت جنود الشام عليه في ألوف من كل باب؛ فحمل عليهم؛ فشدخ بالحجارة فصرع؛ فأكب عليه موليان له، وأحدهما يقول: العجل يحمي شوله ويحتمي فقتلا جميعا معه، وذلك يوم الثلاثاء السابع عشر من جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين، وقيل للنصف من جمادى الآخرة[5]، وكان قد حجّ بالناس

---

(1) أورد المسعودي هذه الأخبار مع اختلاف الأبيات الشعرية. مروج الذهب- ج3 ص114-115، وانظر ابن عساكر- تاريخ دمشق- ج28 ص 223.

(2) الحَجُون: جبل بأعلى مكة عنده مدافن أهلها، وهو على بعد ميل ونصف من البيت. معجم البلدان- ج2 ص 225.

(3) ساقط في الأصل، وما أثبتنا من ن، ومن م.

(4) عند ابن عساكر يقطر الدم- تاريخ دمشق- ج28 ص223.

(5) انظر ابن عساكر- تاريخ دمشق- ج28 ص223/المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص114-115/الدينوري- الأخبار الطوال- ص459-460.

ثماني حجج[1].

وجاء الخبر إلى الحجاج فسجد، ثم ركب حتى وقف عليه مع طارق [ابن عمرو][2] ؛ فقال طارق: ما ولدت النساء أذكر من هذا، إنّا محاصروه منذ سبعة أشهر، وهو في غير خندق ولا حصن[3] ولا منعة، وينتصف منّا بل يفضل علينا؛ فبعث الحجّاج برأسه وبرأس عبد الله بن صفوان بن أمية الجمحي وبرأس عُمارة بن عمرو بن حزم إلى المدينة؛ فنصبوها بها، وجعلوا يُقرّبُون رأس صفوان إلى رأس ابن الزبير كأنه يساره، يلعبون بذلك، ثم بعث برؤوسهم إلى عبد الملك[4].

[الحجّاج وأسماء ذات النطاقين] وأمر الحجّاج بصلب جثة عبد الله بن الزبير[5] بمكة، وأرسل إلى أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها أم عبد الله بن الزبير لما قتل ولدها أن تأتيه فامتنعت؛ فأرسل إليها: لتأتينّ أو لأبعثنّ إليك من يسحبك بقرونك حتى يأتيني بك؛ فأرسلت إليه: إنّي لا آتيك حتى تبعث إلي من يسحبني بقروني؛ فلما رأى أن ليس تأتيه أتاها؛ فدخل عليها؛ فقال لها: كيف رأيت ما صنعت بعدو الله؟ قالت: رأيتك أفسدت عليه دنياه وأفسد عليك آخرتك، /101و/وقد بلغني أنك كنت تُعيِّره بذات النطاقين؛ فقد كنت والله ذات النطاقين: أما أحدهما فنطاق المرأة التي لا تستغني عنه، وأما الآخر فكنت أحمل فيه طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعام أبي رضي الله عنه إلى الغار؛ فأيّ نطاق ويل أمّك عيّرته، أما أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا أنه يخرج في ثقيف كذاب ومبير؛ فأمّا الكذاب فالمختار بن أبي عبيد الله، وأما المبير فأنت[6].

---

(1) ابن عساكر- تاريخ دمشق- ج28 ص212، وقارن مع تاريخ اليعقوبي- ج2 ص268.

(2) الزيادة من الطبري- تاريخ- ج7 ص196، وكان طارق بن عمرو واليا على المدينة أثناء حصار الحجاج لمكة، ثم عزله عبد الملك سنة 74هـ وعوضه بالحجاج. نفسه- ج7 ص 198.

(3) حصين في الأصل، وما أثبتنا من م.

(4) أورد الطبري وابن الأثير هذه الرواية مع بعض الزيادة- تاريخ- ج7 ص 196-197/الكامل في التاريخ- ص598، وانظر ابن قتيبة الدينوري- الإمامة والسياسة- ص 203.

(5) ساقط في م.

(6) انظر الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد- المعجم الكبير- تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي- مكتبة العلوم والحكم- الموصل- ط2- 1404هـ-1983م- ج24 ص101- رقم

-

وقالت له: إن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم؛ فرفع دمه إلى ابني فشربه؛ فأتاه جبريل عليه السلام فأخبره؛ فقال له: ما صنعت؟ قال: كرهت أن أصبّ دمك؛ فقال النبي صلى الله عليه وسلم: لا تمسّك النار، ومسح على رأسه، وقال: ويل للناس منك، وويل لك من الناس؛ فانصرف عنها ولم يراجعها[1].

[خطبة الحجّاج بعد مقتل ابن الزبير] ولما قتل الحجاج عبد الله بن الزبير ارتجّت مكة بالبكاء؛ فأمر الحجّاج بالناس؛ فجمعوا إلى المسجد، ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: يا أهل مكة بلغني إنكاركم واستفظاعكم قتل ابن الزبير إليّ، وأنّ ابن الزبير كان من أخيار هذه الأمة حتى رغب في الخلافة، ونازع فيها أهلها؛ فخلع طاعة الله، واستكن بحرم الله، ولو كان شيئا مانعا للعصاة لمنعت آدم حرمة الجنّة، كان الله خلقه بيده، ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وأباح له جنته؛ فلما أخطأ أخرجه من الجنة من خطيئته، وآدم أكرم على الله من ابن الزبير، والجنّة أعظم حرمة من الكعبة، أذكروا الله يذكركم[2].

[موجز عن عبد الله بن الزبير] وكان عبد الله بن الزبير يكنى أبا خبيب، وقيل أبا بكر، ولد بالمدينة بعد الهجرة بعشرين شهرًا، وهو أول من ولد في الإسلام للمهاجرين بالمدينة؛ ففرحوا به فرحًا شديدًا، وذلك أنهم قيل لهم إن اليهود سحرتكم فلا يولد لكم؛ فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم في حِجْره، وحنكه بتمرة، وكان أول شيء دخل بطنه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسمّاه عبد الله باسم جدّه لأمّه أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وكناه بكنيته[3].

273/الهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد- دار الفكر- بيروت- 1412هـ-ج7 ص 508- رقم 12088، وقال: رواه الطبراني، وفيه يزيد بن أبي زياد، والأكثر على ضعفه، وبقية رجاله ثقات.

(1) انظر القصة نفسها عند ابن عساكر- تاريخ دمشق- ج69 ص22/نفسه- ج 28 ص163 /الذهبي- تاريخ الإسلام- حوادث ووفيات 61-80- ص 357-358/نفسه- ص437/ابن عبد البر- الاستيعاب- ج4 ص229/ابن حجر- الإصابة- ج4 ص224-225 /ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص600.

(2) لم نعثر على هذه الخطبة في المصادر المستعملة في التحقيق.

(3) ابن عساكر- تاريخ دمشق- ج28 ص154.

وذكر ابن الزبير عند ابن عباس؛ فقال: قارئ القرآن، عفيف في الإسلام، أبوه الزبير، أمّه أسماء، وجدّه أبو بكر، وعمّته خديجة، وخالته عائشة، وجدّته صفية، /101ظ/والله لأحسبنّه في نفسي محاسبة لن أحاسبها لأبي بكر ولا عمر[1].

وكانت ولاية عبد الله ثمانية أعوام وخمسة أشهر، وتوفي وهو ابن ثلاث وسبعين سنة، وكان يشبه أبا بكر رضي الله عنه، وكانت أمّه تقول: اللهم لا تمتني حتى أوتى به فأحنطه وأكفنه؛ فأتيت به بعد ذلك قبل موتها؛ فجعلت تحنطه بيدها وتكفنه[2].

[تغسيله ودفنه] قال ابن أبي مليكة: كنت الإذن لمن بشّر أسماء بنزول عبد الله من الخشبة؛ فدعت بمركن[3] وشبّ يماني؛ فأمرتني بغسله؛ فكنّا لا نتناول عضوًا إلا جاء معنا؛ فكنّا نغسل العضو، ونضعه في أكفانه، ونتناول العضو الذي يليه فنغسله، ثم نضعه في أكفانه حتى فرغنا منه، ثم قامت فصلت عليه؛ فما أتت عليها جمعة بعد ذلك حتى ماتت رضي الله عنها[4]، وكان عروة بن الزبير رحل إلى عبد الملك بن مروان؛ فرغب إليه في إنزاله من الخشبة؛ فأسعفه بذلك[5].

[رأي ابن عمر في ابن الزبير] وروي أن الحجّاج صلب عبد الله بن الزبير على عقبة المدينة ليرى ذلك قريشًا؛ فلما نفروا جعلوا يمرّون عليه، ولا يقفون حتى مرّ عبد الله بن عمر رضي الله عنه؛ فوقف عليه فقال: السلام عليك أبا خُبيب، قالها ثلاثًا، لقد نهيتك عن ذلك، لقد كنت صوامًا قوامًا، تصل الرحم؛ فبلغ ذلك الحجّاج؛ فأنزله فرمى به في قبور اليهود[6].

---

(1) ابن عساكر- تاريخ دمشق- ج28 ص166.

(2) انظر ابن عساكر- تاريخ دمشق- تراجم النساء- ج69 ص26/الذهبي- تاريخ الإسلام- حوادث ووفيات 61-80- ص 359.

(3) المركن وعاء تغسل فيه الثياب. المعجم الوسيط- ص 371.

(4) ابن عساكر- تاريخ دمشق- تراجم النساء- ج 69- ص27.

(5) ابن خلدون- كتاب العبر- ص 619.

(6) قارن مع ما أورده ابن عساكر- تاريخ دمشق- ج28- ص239-240/ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص598-600/الذهبي- انظر الذهبي- تاريخ الإسلام- حوادث ووفيات 61-80- ص 447.

[ولاية الحجّاج على المدينة] ولما فرغ الحجّاج من ابن الزبير وصلبه، ولاه عبد الملك على مدينة النبي صلى الله عليه وسلم، وكان عليها طارق بن عمرو فعزله، وذلك سنة أربع وسبعين؛ فنهض نحوها بعد أن نقض بنيان الكعبة الذي كان بنى ابن الزبير، وكان ابن الزبير أدخل الحجر في الكعبة ولصقها، وجعل لها بابين بالأرض؛ فأعادها الحجّاج إلى بنائها الأول على ما هي عليه اليوم[1].

[الحجّاج وشيخ من المدينة] وانصرف إلى المدينة؛ فلقي شيخا خارجا من الأخبية؛ فقال له: يا شيخ أمن أهل المدينة أنت؟ قال: نعم، قال: من أيهم أنت؟ قال: من بني فزارة، قال: كيف حال البلد؟ قال: بشرّ حال، قال: لأي شيء؟ قال: لما لحقهم من البلاء بقتل ابن حواري رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال الحجّاج: ومن قتله؟ قال: قتله الفاجر اللعين حجّاج بن يوسف لعنه الله، قال له /102و/ الحجاج، وقد استشاط غضبًا: وإنك يا شيخ ممن أحزنه ذلك، قال: أي والله؛ فأسخط الله الحجاج وأخزاه، وقال له الحجّاج: أوتعرف الحجّاج إن رأيته؟ [قال له][2]: أي والله إني لعارف به؛ فلا عرّفه الله خيرًا، ولا وقاه ضرًا؛ فكشف الحجّاج لثامه وقال: ستعلم أيها الشيخ إذا سال دمك الساعة؛ فلما أيقن الشيخ بالهلاك تحامق، وقال: هذا والله العجب، أما والله يا حجّاج لو كنت تعرفني ما قلت هذه المقالة، أنا والله يا حجّاج العباس بن أبي ثور، أصرع في كل يوم خمس مرّات؛ فقال له الحجاج: انطلق فلا شفاك الله من جنونك ولا عافاك[3].

[الحجّاج ومحمد ابن الحنفية] وكتب محمد ابن الحنفية إلى عبد الملك أن يرفع يد الحجّاج عنه؛ فأجابه بذلك، ولم يجعل للحجّاج عليه سلطانا؛ فلقي الحجّاج يومًا محمد ابن الحنفية في الطواف فعضّ الحجّاج على شفته، وقال: إن لم

---

(1) انظر تاريخ الطبري- ج7 ص198/تاريخ خليفة بن خياط- ص169/ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 601/ابن خلدون عبد الرحمن- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر- اعتنى به أبو صهيب الكرمي- بيت الأفكار الدولية- عمّان (الأردن)- د. ت- ص 619.

(2) ساقط في الأصل، وما أثبتنا من م.

(3) ابن عساكر- تاريخ دمشق- ج12 ص 152-153.

يأذن لي فيك أمير المؤمنين؛ فقال له محمد: ويحك أما علمت أن الله تعالى في كل يوم وليلة ثلاثمائة وستين نظرة لعله أن ينظر إلي منها نظرة واحدة فيرحمني؛ فلا يجعل لك علي سلطانا؛ فكتب بقوله الحجاج إلى عبد الملك؛ فكتب به عبد الملك إلى ملك الروم، وكان قد توعده؛ فكتب إليه ملك الروم: ليست هذه الكلمة من سجيتك ولا سجية آبائك، وما قال ذلك إلا نبي أو رجل من أهل بيت نبي[1].

[معاملة الحجّاج لأهل المدينة] ولما استقرّ الحجّاج بالمدينة عبث بأهلها، واستخفّ بأمر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فختم في أعناقهم، وختم في يد جابر بن عبد الله، وختم في عنق أنس بن مالك إذلالا له، وأرسل إلى سهل بن سعد فجيء به؛ فقال له: ما منعك أن تنصر أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه، قال: قد فعلت، قال: كذبت؛ فختم في عنقه برصاص[2].

[تولية الحجّاج على العراق] ولما دانت لعبد [الملك][3] العراق جعل يولّي عليها الأمير بعد الأمير؛ فما ينزل من المنبر حتى يحصبوه بالحجارة؛ فإما يقتلونه، وإما يجرحونه حتى ضاق بهم ذرعًا، ولم يطق لذلك دفعًا؛ فأمر من نادى الصلاة جامعة، واجتمع الناس فخطبهم وقال: أيها الناس إن نيران العراق قد علا لهيبها، وسطع وميضها، وعظم الخطب بها؛ فجمرها ذكى، وشهابها ورى؛ فهل من رجل ينتدب لهم في سلاح عتيد، /102ظ/وقلب شديد؛ فيخمد نيرانها؛ ويبيد شيبها وشبابها؛ فسكت الناس جميعًا؛ فقام الحجاج بن يوسف فقال: أنا لها يا أمير المؤمنين.

قال: ومن أنت؟ قال: الحجّاج بن يوسف بن الحكم بن عامر بن عروة بن مسعود الثقفي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعظيم الفريقين؛ فقال: اجلس فلست هناك، ثم قال: من للعراق؟ فسكت الناس؛ فقال الحجّاج: أنا يا أمير المؤمنين؛ فقال: اجلس فلست هناك، ثم قال: من للعراق؟ فسكت الناس؛ فقام

---

(1) أورد المسعود نفس الرواية- مروج الذهب- ج3 ص116-117.

(2) انظر الطبري- تاريخ- ج7 ص198/ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص599/ابن خلدون عبد الرحمن- كتاب العبر- ص619/ابن تغري بردي- النجوم الزاهرة- ج1 ص246.

(3) عبد الله في الأصل، وما أثبتنا من م.

الحجّاج فقال: أنا يا أمير المؤمنين؛ فقال له: وما أعددت للعراق يا حجّاج؟ فقال: ألبس لهم جلد النمر، ثم أخوض بهم الغمرات، وأقتحم بهم[1] الهلكات؛ فمن نازعني طلبته؛ فإن لحقته قتلته، وقمت فيهم بشدة ولين، وعجلة وريث، وتبسّم وازورار، وطلاقة واكفهرار، وغلظة ورفق، وجفاء وصلة، وإعطاء وحرمان؛ فإن استقاموا كنت لهم وليًا وحميًا، وإن اعوجّوا لم أبق منهم طوريًا؛ فهذا ما أعددت لهم؛ فإن كنت للعلا قطّاعًا وللأرواح نزّاعًا وللأموال جمّاعًا، وإلا فاستبدل غيري فإن الرجال كثيرة؛ فقال عبد الملك: أنت لها، ثم أمر الكاتب أن يكتب بعهده، وأن يعطيه من الخيل والأموال ما سأل؛ فسار إلى العراق، وذلك سنة خمس وسبعين[2].

[الحجّاج في الكوفة] قال عبد الملك بن عمير الليثي: بينا نحن بالمسجد الأعظم بالكوفة إذ أتانا آت فقال: هذا الحجّاج قد قدم أميرًا؛ فاشرأبّ الناس نحوه، وتطاولوا له، ثم أفرجوا له فرجة عن صحن المسجد الأعظم، فإذا نحن به، وهو يتبهنس في مشيه، متلثما بعمامة خزّ حمراء قد غطى بها أكثر وجهه، متقلدًا سيفًا، متنكبًا قوسًا عربية، يؤمّ المنبر، وهو أحيمر أزرق، ذميم الخليقة؛ فما زلت أرمقه حتى علاه، وما حدر اللثام، فقال: عليّ بالناس؛ فأقبل أهل الكوفة، ولهم يومئذ منعة وعزّة أنفس وحالة حسنة، يخرج الرجل منهم في العشرين والعشرة[3] من مواليه، وفي المسجد رجل يقال له عمير بن ضابئ [البُرْجُمي][4] ، فقال لمحمد بن عطارد: هل لك أن تحصبه؟ فقال: لا حتى نسمع كلامه؛ فقال: لعن الله بني أمية حين يستعملون علينا مثل هذا، والله لكان كلاما كله/103و/ما كان شيئا، والحجّاج ساكت ينظر يمنة ويسرة حتى غصّ المسجد بأهله؛ فقال: يا أيها العراق، إني لا

---

(1) قد في م.

(2) أورد المسعودي رواية مختصرة عن تولية الحجاج على العراق. مروج الذهب- ج3 ص126.

(3) والثلاثون عند المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص126.

(4) البرخي في الأصل وفي م، وما أثبتنا من ابن عساكر- تاريخ دمشق- ج12- ص 130/ والطبري- تاريخ الطبري- ج7 ص206، ويسميه الطبري قبل ذلك محمد بن عمير- تاريخ الطبري- ج7 ص203، ومحمد بن عمير الدارمي عند المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 127.

أعرف قدر اجتماعكم؛ فقال له رجل: قد اجتمعوا أصلحك الله؛ فسكت هُنَيَّة لا يتكلم؛ فقالوا: ما يمنعه من الكلام إلا العي[1] والحصر؛ فجرّد اللثام، ثم قال:

أنا ابن جلا وطلاّعُ الثنايا ... متى أضَع العِمَامة تَعْرِفوني

صليب العود من سهمي بجار ... كنصل السيف وضاح الجبين

أخو الخمسين مجتمع الشدي ... ونجد من معاوية[2] الشؤون[3]

ثم قال: يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق، والله إني لأرى أبصارًا طامحة وأعناقا متطاولة، ورؤوسا قد أينعت وحان قطافها، وإني لصاحبها، أما والله لأحمل الشرّ بحمله، وأخذه بنعله، وأجزيه بمثله، وكأني انظر إلى الدماء تَرَقْرَقُ من تحت العمائم واللحى، ثم قال:

هذا أوانُ الشدّ فاشتدي زِيَم ... قد لفّها الليلُ [بِسواق][4] حطم

ليس برَاعِي إبلٍ ولا غنم ... ولا بجزّارٍ على ظهر وَضَمْ

مدلج الساقين خفاق القدم[5]

ثم قال:

قد لفها الليل بِعُصْلبِيّ[6] ... أرْوَعَ خرّاجٍ من الدوِيّ

مُهَاجِرٍ ليس بأعرابي ... وعاوذ للطعن بالخطي[7]

ثم قال:

قد شمّرت عن ساقها فشدّوا[8] ... وجدّت الحرب بكم فجدّوا

---

(1) العى في م.

(2) مغاورة في م.

(3) ينفرد المؤلف بالبيتين الثاني والثالث عن بقية المصادر التي استعملناها في التحقيق.

(4) بسوم في الأصل، وبسوام في م، وما أثبتنا من الطبري- تاريخ- ج7 ص202/ابن عساكر- تاريخ دمشق- ج12 ص130/المسعودي- مروج الذهب-ج3 ص202/ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 604.

(5) لم يرد هذا الشطر من البيت في المصادر المستعملة في التحقيق.

(6) العصلبي: القوي الشديد الخَلق من الرجال. المعجم الوسيط- ص 605.

(7) لم يرد الشطر الثاني من هذا البيت في المصادر المستعملة في التحقيق.

(8) عند المسعودي فكدّوا.

/103ظ/والقوس فيها وتر [عُـزدُ][1]　　مـثل ذراع البكـر أو أشـدّ

إني والله يا أهل العراق ما يغمز جانبي كمغماز التين، ولا يقعقع لي بالشنآن، ولقد فررت عن ذكاء، وفتشت عن تجربة، واجتريت[2] إلى الغاية، وإن أمير المؤمنين نشر كنانته فجمع[3] عيدانها؛ فوجدني أمرّها طعمًا، وأحدّها سنانًا، وأقداها قدحًا، فوجّهني إليكم؛ فإنكم طال ما أوضعتم في الفتن، وسننتم سنن الغيّ؛ فإن تستقيموا تستقم لكم الأمور، وإن تأخذوا بنيات الطرق؛ فوالله لا أقيل لكم عثرة، ولا أقبل منكم معذرة، ولأنختكم تحت العود، ولأقرعنكم قرع المدرة بالزناد، ولأعصبنكم عصب السلمة، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل، إنّي والله لا أعد ولا أوعد إلا وفيت، ولا أهُمّ إلا أمضيت، ولا أخْلُقُ إلا فريت؛ فإيّاي وهذه الجماعات وقال وقيل، وما أنتم وذاك يا بني اللكيعة، والله لتستقيموا على سبيل الحق، أو لأدعنّ لكل واحد منكم شغلا بنفسه، لينظر الرجل في أمر نفسه، وليحذر أن يكون من فرائسي.

يا أهل العراق إنما أنتم كما قال الله تعالى: "وَضَرَبَ اللهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً [يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللهِ فَأَذَاقَهَا اللهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ"][4] ؛ فاستقيموا واعتدلوا ولا تميلوا، وشايعوا وتابعوا واسمعوا وأطيعوا، واعلموا أنه ليس من شيمي الإكثار والإهذار، وإنما هو انتصاف هذا السيف، ولا أغمده الشتاء والصيف حتى أدع النساء أيامى والولدان يتامى، وحتى يظفر الله بكم، ويذلّ لأمير المؤمنين صعبكم، وليستقيم به أودكم، وقد بلغني رفضكم المهلب بن أبي صفرة، وإقبالكم إلى مصركم عصاة مخالفين، وقد أمرني أمير المؤمنين بأعطياتكم، وإشخاصكم لمجاهدة عدوكم مع المهلب، وقد أمرت لكم بها، وأجلتكم ثلاثا، وأعطيت الله عهدًا يأخذني به، ويستوفي مني، لئن تخلف

---

(1) عطرد في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من تاريخ دمشق ومروج الذهب.
(2) جريت عند الطبري.
(3) عجم عند الطبري.
(4) سورة النحل-الآية 112.

أحد[1] منكم [بعد][2] قبضه عطاءه يومًا واحدًا لأضربن عنقه ولأنهبن ماله[3].

ثم قال: يا غلام اقرأ كتاب أمير المؤمنين إلى من بالكوفة فقرأ الكتاب:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله عبد الملك[4] أمير المؤمنين /104و/ إلى من بالكوفة من المسلمين، سلام عليكم؛ فلم يردّ أحد السلام؛ فقال الحجاج: اسكت يا غلام، ثم قال الحجّاج مغضبا: يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق ومساوئ الأخلاق، يا أهل الفرقة والضلال، يسلم عليكم أمير المؤمنين فلم تردّوا السلام عليه، هذا أدب ابن سمية[5]، والله لئن بقيت لكم لأؤدبنكم سوى هذا التأديب، ولأجعلن لكل امرئ منكم شغلا في نفسه، يا غلام اقرأ كتاب أمير المؤمنين؛ فلما قال سلام عليكم لم يبق في المسجد إلا من قال: وعلى أمير المؤمنين السلام، ثم نزل، ودخل دار الإمرة، وأمر للناس بأعطياتهم، والمهلب يومئذ بمهرجان قدق[6] يقاتل الأزارقة.

[الحجّاج وعمير بن ضابئ] قال عمير بن ضابئ: فوالله ما زال يتكلم، والحصباء تساقط من يدي، ولا أشعر بها، ثم دعا العرفاء فقال لهم: ألحقوا كل من أخذ عطاءه بالمهلب، وايتوني بالبراءات بموافاة من وافاه منهم، ولا تغلق أبواب الجسر ليلا ولا نهارًا حتى تنقضي الثلاثة الأيام.

فلما كان في اليوم الرابع جلس يعرض من يمرّ به من الأجناد؛ فمرّ به عمير بن ضابئ، وكان من أشراف أهل الكوفة، ومن بعث المهلب؛ فقال: أصلح الله الأمير، إني شيخ كبير زمِنٌ، عليل الجسم، ولي عدّة أولاد؛ فليتخيّر الأمير منهم من

---

(1) أحدكم في الأصل، وما أثبتنا من م ومن ن.

(2) ساقط في الأصل، وما أثبتنا من م ومن ن.

(3) أورد ابن عساكر والطبري والمسعودي نفس الرواية مع بعض الاختلاف- تاريخ دمشق- ج 12 ص 131/تاريخ- ج7 ص 202-203/مروج الذهب- ج3 ص127-129.

(4) في الأصل عبد الله عبد الله، وما أثبتنا من م ومن ن.

(5) عند ابن عساكر والطبري ابن نهية، وكان ابن سمية على الشرطة بالبصرة قبل الحجاج.- تاريخ دمشق- ج12 ص 131/الطبري- تاريخ- ج7 ص 206/المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 129.

(6) في الأصل وفي كل النسخ مهران، وما أثبتنا من المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 129، وقال الطبري: ناهض المهلب وابن مخنف الأزارقة برامَهُرْمُز. تاريخ- ج7 ص 208.

شاء؛ فقال الحجّاج: لا بأس بشاب مكان شيخ؛ فلمّا ولّى قال له عنبسة بن سعيد ومالك بن أسماء: أصلح الله الأمير، أتعرف هذا الشيخ؟ قال: لا، قال: هو عمير بن ضابيء الذي وثب على أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه وهو مقتول؛ فوطئ بطنه فكسر ضلعين؛ فقال عمير: إنه كان حبس أبي، [وكان][1] شيخا كبيرًا ضعيفا؛ فلم يطلقه حتى مات في السجن؛ فقال الحجاج: أما أمير المؤمنين عثمان فتغزوه بنفسك، أما الأزارقة فتبعث إليهم بديلا، أوليس أبوك الذي يقول:

هممت ولم أفعل [وكدت][3] وليتني ... تركت على عثمان تبكي حلائله[2]

أما والله إن في قتلك أيها الشيخ صلاحا للمسلمين، ثم جعل يصعد بصره فيه، ويعضّ على لحيته مرّة، ويسرّحها أخرى، ثم أقبل عليه وقال له: يا عمير سمعت مقالتي على المنبر، قال: إنه لقبيح بمثلي أن يكون كذابا، يا حرسيّ إضرب عنقه؛ فضرب عنقه، ثم أمر مناديا ينادي /104ظ/ألا [إن][4] عمير بن ضابيء تأخر بعد ثلاث، وقد كان سمع ضرب الأجل فأمرنا بقتله، ألا وإن ذمة الله بريئة ممن بات الليلة من الجند الذين للمهلب؛ فلما تسامع الجند بقتله ركبوا كل صعب، وذلّوا إلى المهلب؛ فازدحموا على الجسر حتى سقط، وسقط بعض الناس في الفرات؛ فأتاه صاحب الجسر وأعلمه بسقوطه؛ فقال: وممّ ذلك؟ قال: لازدحام هذا البعث عليه، قال: انطلق واعقد لهم جسرين.

وخرج من عنده إبراهيم بن عباس الأموي[5] مذعورًا؛ فلقيه رجل من قومه؛ فقال له: ما الخبر؟ قال له: الشرّ الشرّ، قدم علينا رجل من شرّ أحياء العرب من ثمود، أشعر[6] الساقين، ممسوح الجاعرتين[7]، أخفش[1] العينين؛ فقدّم سيد الحيّ

---

(1) زيادة من الطبري حتى يستقيم المعنى.

(2) الشطر الثاني عند المسعودي: فعلت وأوليت البكاء حلائله– مروج الذهب– ج3 ص 130.

(3) ساقط في الأصل، وما أثبتنا من م ومن ن.

(4) ساقط في الأصل، وما أثبتنا من م ومن ن.

(5) عند المسعودي عبد الله بن الزبير الأسدي– نفسه– ج3 ص 130.

(6) عند الطبري أسقف الرجلين، والسقف أن تميل الرجل على وحشيها، ووحشي الرجل جانبها– تاريخ– ج7 ص 206.

(7) الجاعرتان: الجاعرة الدبر وهي حرف الورك المشرف على الفخذ، وهما جاعرتان– المعجم –

عمير بن ضابئ؛ [فضرب][2] عنقه ثم قال:

أقول لإبراهيم لما لقيته أرى ... الأمر أمسى مهلكا متصعبا[3]

تجهّز[4] فإما أن تزور ابن ضابئ ... عميرًا وإما أن تزور المهلبا

تجهز وأسرع والحق الجيش لا أرى ... سوى الجيش إلا في المهالك مذهبا

هما خطتا خسف[5] نجاؤك منهما ... ركوبك حوليا من الثلج أشهبا

مجال[6] فلو كانت خراسان دونه ... رآها مكان السوق أو هي أقربا

وإلا فما الحجاج مغمد سيفه مدى ... الدهر حتى يترك الطفل أشيبا

وخرج الناس هاربين إلى السواد، وأرسلوا إليهم أن يزودوهم؛ فوافوا المهلب أفواجًا أفواجا؛ فقال المهلب: من هذا الذي استعمل على العراق؟ هذا والله ذكر من الرجال، قتل والله العدو إن شاء الله[7].

[خطبة الحجّاج في أهل البصرة] وخطب الحجّاج أهل البصرة حين قدمها؛ فقال: من أعياه داؤه فإن عندي دواءه، ومن استعجل إلى أجله فعليّ أن أوصله؛ فإن الحزم والجدّ استلب منّي سوطي، وعوضني منه سيفي؛ فنجادي عنقي، وقائميه بيدي، وذبابه قلادة من اغترّ بي، رحم الله امرءا جعل لنفسه زماما تقوده إلى طاعة الله، وعنانا تثنيه عن معصيته[8].

[خطبة أخرى للحجّاج] وخطب الحجّاج يوم الجمعة؛ فلما توسط كلامه

الوسيط- ص 125.

(1) الخفش ضعف في الإبصار يظهر في النور الشديد- المعجم الوسيط- ص 246.

(2) ساقط في الأصل، وما أثبتنا من م ومن ن.

(3) منصبا متشعبا عند الطبري.

(4) تخير عند الطبري.

(5) كره عند الطبري.

(6) فأضحى عند المسعودي، وعند الطبري فحال.

(7) أورد ابن عساكر والطبري والمسعودي الرواية مع بعض الاختلاف- تاريخ دمشق- ج 12 ص 129 تاريخ- ج7 ص 205-206/مروج الذهب- ج3 ص 129-130.

(8) ذكر الطبري وابن الأثير خبر الخطبة، ولم يوردا أي كلمة منها- تاريخ الطبري- ج7 ص 207 /الكامل في التاريخ- ص 605.

سمع تكبيرًا عاليًا من ناحية السوق وقد عظم؛ فقطع خطبته التي كان فيها؛ فقال: يا أهل العراق، يا أهل الشقاق والنفاق، إنّي سمعت تكبيرًا ليس /105و/بالتكبير الذي يراد الله به في الترغيب، ولكنه التكبير الذي يراد به الترهيب، وقد عرفت أنها عجاجة يراد بها القصف، أيا بني اللكيعة وعبيد العصى وأبناء الإيماء، لا يرجع أحدكم علي طلعه، ويحسن حقن دمه، ويصير موضع قدمه، أقسم بالله ولاشك أن أوقع بكم إيقاعًا يكون نكالا لما قبله، وأدبًا لما بعده، وإن مثلي ومثلكم قول الهمداني:

وكنت إذا قوم رموني رميتهم ... فهل أنا في ذاياك لهمدان ظالم

متى يجمع القلب الزكي وصارما ... وأنفا إياه[1] تجتنبك المظالم

[عيوب الحجّاج] وقال عبد الملك يومًا للحجّاج: ليس يخدمني أحد إلا وقد عرفت له عيبًا غيرك؛ فأخبرني بما فيك من عيب؛ فقال: اعفني يا أمير المؤمنين؛ فأبى؛ فقال: أنا نجوح حقود، سريع الغضب، بعيد الرضى، قليل الصبر، قليل الرحمة، قاسي القلب، سفّاك الدماء، قال له: ما في إبليس أكثر من هذا[2].

وكتب إليه الوليد؛ فراجعه سيرتي، وأخلاقي أيقظت رأيي وعقلي، وآنست هواي وشهوتي؛ فأدنيت السيد المطاع في قومه، وأقصيت الخامل الذليل؛ فخاف المسيء العقاب، وشكر المحسن الثواب، والسلام.

[سيرة وأخلاق الحجّاج مع الرعية] وكان الحجّاج زيه زيّ شاطر، وكلامه كلام ساحر، وصولته صولة جبار، وفعله فعل الكفّار، وكان مع ذلك خصيب المائدة، يأكل فيها كل يوم جميع الوفود الواردين عليه وسواهم من أمرائه وقوّاده وأوليائه، قيل خمسمائة لون، وقيل إنه كان يطعم في كل يوم ألف مائدة، على كل مائدة ثريد وجنب من شواء وسمكة طرية، وكان يطوف على الموائد، ويقول: يا أهل الشام، أكسروا الخبز ليلا يعاد عليكم، وكان له ساقيان: أحدهما يسقي الماء والعسل، والآخر يسقي اللبن.

---

(1) وساه حبيب في النسخة م، وأنفا حميا عند ابن عساكر- تاريخ دمشق- ج13 ص 163.

(2) انظر تاريخ دمشق- ج12 ص 167.

ويروى أن الحجاج خطب الناس فقال: يا أيها الناس، الصبر على محارم الله أيسر من الصبر على عذاب الله؛ فقام إليه رجل فقال: يا حجّاج ما أصفى وجهك وأقلّ حيائك، تفعل ما تفعل ثم تقول مثل هذا! فأمر به فأخذ؛ فلما نزل عن المنبر دعا به فقال: لقد اجترأت عليّ؛ فقال /105ظ/له: يا حجّاج أنت تجترئ على الله تعالى فلا تنكره على نفسك، وأجترئ عليك [فتنكره عليّ][1] ؛ فخلى سبيله[2].

وبنى مدينة واسط واستوطنها؛ فسيق إليه رجل من الخوارج، وهو في خضرائها؛ فلما مثل بين يديه، ونظر إلى بنائه قال: "أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ"[3]، قال بعض جلسائه: أقتله قتله الله؛ فقال الخارجي: جلساء أخيك خير من جلسائك؛ فقال الحجاج: أيّ إخوة تعني؟ قال: فرعون حين قالوا لموسى أرجه وأخاه، قال هؤلاء: اقتله؛ فأمر بقتله فقتل.

وسيق إليه قوم من الخوارج؛ فأمر بضرب أعناقهم حتى انتهى القتل إلى شاب منهم؛ فقال: والله يا حجّاج لئن كنا أسأنا في الدنيا فما أحسنت في الصنيعة؛ فصادف كلامه منه أريحية؛ فقال: أفٍّ لهؤلاء الجيف، أما كان فيهم من يقول مثل هذا، وأمر بتخلية سبيله وسبيل من بقي.

[الحجّاج وليلى الأخيلية] وقال الشعبي: كنت على يمين الحجّاج ذات يوم إذ دخلت أعرابية كأنها قمر؛ فسلمت ثم جلست؛ فقال لها الحجاج: ما جاء بك؟ قالت: اختلاف الحلوم وكثرة الغروم، قال: ما حال الناس؟ قالت: البلاد مقشعرّة، والفجاج مغبرّة، والناس مُسنِتُون[4]، ورحمة الله يرجون، وأنشدته؛ فرقّ الحجّاج لكلامها، ثم قال: يا شعبي أتعرف هذه؟ قلت: لا إلا أني لم أر قط أشعر منها، قال هذه ليلى الأخيلية؛ ثم أمر الحجّاج حرسيا فقال: اقطع عني لسانها؛ فخرج بها الحرسي ليقطع لسانها؛ فقالت له: ويلك إنما أمرك أن تقطع لساني بعطية ليس

---

(1) ساقط في الأصل، وما أثبتنا من م ومن ن.

(2) أورد ابن عساكر نفس الرواية- تاريخ دمشق- ج12 ص 143.

(3) سورة الشعراء- الآية 128-129.

(4) أسنت القوم أصابتهم سنةٌ مجدبةٌ- المعجم الوسيط- ص 453.

بمدية؛ فرجعت إليه مع الحرسي [فقالت][1]: أراد والله [أن][2] يقطع مقولي، قال: يا غلام أعطها عشرة آلاف درهم[3].

[الحجّاج وأعرابي] وسيق إليه يوم مهر رائع فأعجبه، وأمر صاحب خيله أن ينظر منه؛ فلما كان بعد أشهر قال له: إن ذلك المهر قد امتلأ شحما؛ فأمره بإسراجه وتقريبه إليه؛ فجاءه فركبه؛ فجمح به، ولم يملك نفسه، وكان المهر عطشانً؛ فلما رأى الماء وقف عليه؛ فاغتنم ذلك الحجّاج؛ فنزل عنه، ونادى أعرابيا كان قريبا منه على قعدد له يلتقط ثمرات من النخل؛ فجاءه فسأله عن اسمه ونسبه؛ فقال له الأعرابي: إني أكره أن أكلم أحمق أو أجيبه؛ فقال: وما رأيت من حمقي وأنت لا تعرفني؟ قال: ركوبك هذا الشيطان الذي /106و/كاد أن يقتلك، قال: يا أعرابي من خير الناس؟ قال: وهذا من عظيم حمقك، أما علمت أن قريشا خير الناس؛ فإن النبي صلى الله عليه وسلم منهم، وهو خير الناس، قال: ثم من؟ قال: الأنصار الذين آووا ونصروا، قال: ثم من؟ [قال:][4] ثم أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي رضي الله عنهم أجمعين؛ فقال: فأين أنت من هذا الحي من ثقيف؛ فإن الناس لا يفرقون بينهم وبين قريش؟ قال له: ثبت والله حمقك، تسألني عن قوم لئام الجدود قصار الحدود، بقية عاد وثمود، عبيد وأبناء عبيد، منهم هذا الأمير المبير الحجّاج بن يوسف عليه لعنة الله؛ فما استتم الكلام إلا والناس أقبلوا عليه من كل مكان يسلمون بالإمارة؛ فلما تحقق الأعرابي أنه الحجّاج، وضع يده على رأسه، ونادى: يا ويلاه، ويا أيتم عيالي!، وأراد الفراق؛ فأمر الحجّاج بصرفه؛ فلما دنا منه قال له: أيها الأمير ذلك السرّ الذي كان بيننا اكتمه؛ فضحك الحجّاج حتى استلقى، وأمر بحبسه إلى أن ينصرف؛ فلما انصرف أمر بإحضاره، وقال له وقد جمع وجوه دولته: حدث القوم بما جرى بيني وبينك، ولا تخالف في كلمة واحدة، قال: أويعفيني الأمير؟ قال: لا بدّ لك أن تقول؛ فنصّ الأعرابي قوله كله؛ فقال له الحجاج: ما كنت تصنع هنالك؟

---

(1) ساقط في الأصل، وما أثبتنا من النسخة م ومن ن.

(2) زيادة حتى يستقيم المعنى.

(3) أورد المسعودي القصة مع اختلاف في نهايتها- مروج الذهب- ج3 ص 170.

(4) ساقط في الأصل، وما أثبتنا من النسخة م ومن ن.

قال: كنت ألتقط تمرات أرجع بها إلى صبية لي يتصاغون من الجوع؛ فأشفق الحجّاج لحاله، وأمر له بوقر خمسين حملا من التمر، وخرج الأعرابي وهو يقول: ما سمعت أن امرءا إنتفع بشتم غيره[1].

وسيق إليه يوما خارجي فسبّه سبًا قبيحًا؛ فقال له الخارجي: يا أسوأ ما أدبتك أمك، يا حجاج بعد الموت منزلة أصانعك عليها ما يؤمنك أن أردد عليك بما يبقى في عقبك؛ فقال له: قد أخطأنا، وخلّينا سبيلك فانطلق.

[مكرمة من الحجّاج] وكتب عبد الملك إلى الحجاج أن يقتل رجلا سمّاه له من شيعة علي رضي الله عنه؛ فبحث الحجّاج عنه؛ فلما مثل بين يديه قال له: ويحك ما الذي جنيت؟ وقال: وما ذاك أصلح الله الأمير؟ قال: كتب إليّ أمير المؤمنين بقتلك، قال: ولِمَ؟ فوالله ما جنيت جناية، ولا خلعت يدًا من طاعة، ولا فرّقت بين جماعة، وإنّي مع ذلك لأعول ثلاثا وعشرين امرأة ما منهن واحدة إلاّ وتمسّني بقرابة قريبة، قال: ومن يعلم ذلك؟ قال: أنا آتيك بهن، /106ظ/وبالبينة على ما قلته؛ فلما كان [من][2] الغد غدا عليه بهن، فقالت إحداهن:

أحجّاج إما أن تمنّ بنعمة ... علينا وإما أن تقتلنا معا

أحجّاج لا تفجع به إن قتلته ... ثمانا وتسعا واثنتين وأربعا

أحجّاج إن قتلته تفجع قسية ضعافا ... وتتركهن في الناس جوعا

أحجّاج لو تشهد مقام بناته ... وعمّاته يندبنه الليل أجمعا

فمن رجل أن يقوم مقامه ... أحجّاج مهلا لا تزدنا تضعضعا

فرقّ الحجّاج لسماع شعرها، ورحم الرجل، وكتب إلى عبد الملك بما نصّ من قضيته؛ فراجعه أن اكتبه في أصحابك، واجر عليه في خاصتك، وافرض لنسائه في الرزية، ومع ذلك فاعطه عشرة آلاف معونة له؛ ففعل الحجّاج ذلك كله؛ فما عرفت له مكرمة سواها[3].

[سبب ولع الحجّاج بسفك الدماء] وروي أن أم الحجّاج كانت تسمى

(1) لم نعثر على هذه الروايات سالفة الذكر في المصادر التي بين أيدينا.

(2) ساقط في الأصل، وما أثبتنا من م ومن ن.

(3) لم نعثر على هذه القصة في المصادر التي بين أيدينا.

الفارعة، وكانت تحت الحارث بن كنَدة[1] ؛ فدخل عليها في السحر فوجدها تتخلل؛ فطلقها فقالت: لم طلقتني؟ قال: دخلت عليك سحرًا فوجدتك تتخللين؛ فإن كنت باكرت الغداء فأنت شرهة، وإن كنت بتِّ والطعام بين أسنانك فأنت قذرة؛ فقالت: إنما تخللت من شظايا السِّواك؛ فتزوجها بعده يوسف بن أبي عقيل والد الحجاج فوطئها؛ فلما قام عنها كانت في سراويله عقرب؛ فضربته على إحليله؛ فعاودها الوطء ليجذب السّم؛ فعلقت بالحجّاج؛ فولدته ولا دبر له؛ فثقبت عن دبره، فأبى أن يقبل ثدي أمه وغيرها؛ فتصدر لهم إبليس في صورة الحارث بن كندة طبيب العرب؛ فقال: ما خبركم؟ قالوا: وَلَدٌ ليوسف بن [أبي] عقيل أبى[2] أن يقبل الثدي؛ فقال: اذبحوا له جديًا أسود، وأولِغوه دمه؛ فإذا كان اليوم الثاني فاذبحوه تيسا أسود وأولِغوه دمه، واطلوا به وجهه، وفي اليوم الثالث كذلك؛ فإنه يقبل الثدي في اليوم الرابع؛ ففعلوا ذلك؛ فأقبل على الثدي؛ فلذلك كان لا يصبر على سفك الدماء، وكان هو يخبر عن نفسه أنه يجد لذة عظيمة لسفك الدماء[3].

[عِدّة من قتل الحجّاج وسجن] وأحصي جملة من قتل قهرًا أو صبرًا؛ فوجد مائة ألف رجل وعشرون ألف امرأة، منهم سبعون بدريًا، ووجد في سجنه بعد موته ثمانون ألف محبوس، /107و/ليس فيهم من يلزمه قتل منهم ثلاثون الف امرأة[4] ؛ فوجد في قصة أعرابي أنه بال في رحبة المسجد فقيل في ذلك:

إذا نحن جاوزنا مدينة واسط ... خرينا وصلينا بغير حساب[5]

فكان من خواص الحجاج أنه من نطفة سمّ، وأول غذائه دم، وطبيبه إبليس.

---

(1) كلدة عند المسعودي.

(2) ولد ليوسف ابن وأبي في م ون.

(3) أورد المسعودي وابن عماد الرواية مع بعض الاختلاف- مروج الذهب- ج3 ص 125-126 /شذرات الذهب- ج1 ص107.

(4) قارن مع ما أورده ابن عساكر- تاريخ دمشق- ج12 ص 184/المسعودي- مروج الذهب- ج 3 ص 166-167/ابن عماد الحنبلي- شذرات الذهب- ج1 ص 108.

(5) انظر ابن عساكر- تاريخ دمشق- ج12 ص 185.

[الحجّاج وحُطيط الكوفي] وروي أن حطيطا[1] كان صوّامًا قوّامًا[2]، يختم في كل ليلة ويوم ختمة، ويخرج من البصرة ماشيًا إلى مكة في كل سنة؛ فوجّه الحجّاج في طلبه؛ فأخذ وأوتي به الحجّاج؛ فقال له: إيه، قال: قل؛ فإني عاهدت الله عزّ وجلّ لئن [سئلت][3] لأصدقن، ولئن ابتليت لأصبرن، ولئن عوفيت لأشكرن، ولأحمدن الله على ذلك، قال: ما تقول فيّ؟ قال: أنت عدو الله، تقتل على الظنّة، قال: فما قولك في أمير المؤمنين عبد الملك؟ قال: أنت شرارة من شرروه، وهو أعظم جرمًا منك، قال: فخذوه فقطعوا عليه العذاب؛ ففعلوا فلم يقل حسًا ولا بسًا؛ فأخبروه؛ فأمر بالقصب فشقّ، ثم شدّ، وصُبّ عليه الخلّ والملح، وجعل [ينتزع][4] قصبة قصبة؛ فلم يقل حسًا ولا بسًا؛ فأتوه فأخبروه؛ فقال: أخرجوه إلى الفندق[5] فاضربوا عنقه، قال جعفر بن المغيرة: أنا لقيته حين أخرج؛ فأتاه صاحب له فقال: ألك حاجة؟ فقال: شربة ماء؛ فأتاه بها فشرب، ثم ضربت عنقه، وكان ابن ثماني عشرة سنة[6].

[الحجّاج وعبد الله بن عمر] ودسّ الحجّاج إلى عبد الله بن عمر رضي الله عنه رجلا سمّ له عصى؛ فمشى به على رجله في ازدحام الناس بعرفات؛ فلما حسّ عبد الله بالسمّ يسري فيه قال: قتلني قتله الله، وقيل إنه سمّ زجّ رمح، وزحمت الطريق، ووضع الزجّ في ظهر قدمه، وذلك أن الحجّاج خطب يوما فقال له عبد الله بن عمر: إن الشمس لا تنتظرك؛ فقال له الحجّاج: قد هممت أن [أضرب][7] عنقك أو قال الذي فيه عيناك؛ فقال له: إن تفعل فإنك سفيه مسلط، وقيل إنه أخفى قوله ذلك.

---

(1) هو حطيط الزيات الكوفي- ابن تغري بردي- النجوم الزاهرة- ج1 ص 267.
(2) قوما في الأصل، وما أثبتنا من م.
(3) سلمت في الأصل، والصحيح ما أثبتنا من م.
(4) تبتر في الأصل، وما أثبتنا من م، وعند ابن عساكر يستل.
(5) السوق عند ابن عساكر.
(6) وردت الرواية نفسها عند ابن عساكر- تاريخ دمشق- ج12 ص182، وانظر النجوم الزاهرة- ج1 ص 267.
(7) أضربك في الأصل، وما أثبتنا من م.

وكان [عبد الله بن عمر رضي الله عنه][1] يتقدم في المواقف بعرفة وغيرها إلى المواضع التي كان النبي صلى الله عليه وسلم وقف فيها؛ فكان ذلك يعزّ على الحجّاج؛ فأمر رجل يفعل به ذلك؛ فمرض عبد الله من ذلك أياما؛ فدخل عليه الحجّاج يعوده؛ فقال له: من بك يا أبا عبد /107ظ/الرحمن؟ فقال: وما تصنع به؟ فقال: قتلني الله إن لم أقتله، قال: ما أراك فاعلا، أنت الذي أمرت من نخسني[2] بزجّ الرمح؛ فقال: لا تفعل يا أبا عبد الرحمن وخرج عنه؛ فلبث أياما ثم مات رحمه الله، وصلى عليه الحجّاج، وذلك سنة ثلاث وسبعين، وقيل سنة أربع وسبعين[3].

[الحجّاج وأنس بن مالك] وتعرّض الحجّاج إلى أنس بن مالك رضي الله عنه؛ فأذلّه وأهانه وعلق رصاصة في عنقه ونادى عليه؛ فبلغ ذلك عبد الملك؛ فكتب إلى الحجّاج، ونهاه عن التعريض له، ونصّ كتابه: أما بعد؛ فإنك عبد علت بك الأمور فطغيت فيها، وعلوت حتى جزت قدرك، وعدوت طورك، والله يا ابن المستفرهة بعجم الزبيب الطائفي لأغمزنك كبعض غمزات الليوث للثعالب، ولأركضنك ركضة تدخل منها في وجعاء أمك، أذكر مكاسب آبائك بالطائف إذ كانوا ينقلون الحجارة على أعناقهم، ويحفرون الآبار بالمناهل بأيديهم؛ فقد نسيت ما كنت فيه أنت وآباؤك من الدناءة واللؤم، وقد بلغ أمير المؤمنين استطالتك على أنس بن مالك خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم جرأة منك على أمير المؤمنين، وقلة معرفة بنقماته وسطواته على من خالف سبيله، وعمد إلى غير محبته، ونزل عند سخطه، وأظنك أردت أن تزوره لتعلم ما عنده من اليقين والنكير فيها؛ فإن سوغتها مضيت قدما، وإن نقضتها وليت دبرا؛ فعليك لعنة الله عبد أخفش العينين، أصكّ[4] الرجلين، ممسوح الجاعرتين.

---

(1) في الأصل وفي كل النسخ عبد الملك بن عمير، والصحيح ما أثبتنا من ابن عساكر- تاريخ دمشق-ج31 ص 122.

(2) نفحني في م، ونخس الدابة نخسا أي طعن مؤخرتها أو جنبها بالمنخاس لتنشط. المعجم الوسيط- ص 909.

(3) النص منقول حرفيا عن ابن عبد البر- كتاب الاستيعاب- ج2 ص 336/ وقارن مع ما أورده ابن عساكر- تاريخ دمشق- ج32 ص 122.

(4) الأصك من كانت أسنانه ملتصقة، والمقصود في النص رجلاه. المعجم الوسيط- ص 125.

وأيم الله لو علمت أنك أجترمت منه[1] جرمًا، وانتهكت له عرضًا لبعثنا إليك من يسحبك ظهر البطن حتى ينتهي بك إليه ليحكم فيك بما أحبّ، ولم يخف على أمير المؤمنين نبأك، ولكل نبأ مستقر فسوف تعلمون؛ فإذا قرأت كتاب أمير المؤمنين فسر راجلا إلى باب أنس بن مالك، واعتذر إليه، واسأله مغفرته؛ فإن فعل فخذ كتابه إليّ بذلك إن شاء الله[2].

[الحجاج وعبد الرحمن بن محمد الأشعث] وكان الحجّاج ولى عبد الرحمن بن محمد الأشعث بن قيس بن معد كرب الكندي أميرًا على خراسان، وكان رجلا صالحًا دينًا رحيمًا؛ فرأى ما فيه من ظلم الحجّاج وجوره، وإغضاء عبد الملك عنه؛ فجمع ناسًا من بقية الصحابة رضي الله عنهم والتابعين، وشكا إليهم ما هم المسلمون فيه من البلاء والجور والقتل مع الحجاج؛ /108و/فاجتمع الكل منهم على توليته، والقيام به راجين أن يريح الله به المسلمين مما هم فيه؛ فأظهر عدله ودينه، وخلع عبد الملك والحجّاج؛ فهاجر كل الفضلاء إليه مثل سعيد بن جبير وغيره؛ فجمع الحجّاج جيوشه، وأمره عبد الملك وسار نحوه؛ فأوقع بابن الأشعث، وهزم أصحابه، وقتل منهم خلقا كثيرًا، وأسر جملة، وذلك بموضع يقال له دير الجماجم، وذلك سنة ثلاث وثمانين؛ فكان يساق إليه من أسر منهم؛ فيقول له: تقرّ بأنك كافرًا بما صنعت من خروجك على أمير المؤمنين، وأن دمك ومالك وحرمك له حلال؛ فإن اعترف بذلك تركه، وإن أبى قتله.

وقام رجل منهم فقال: أصلح الله الأمير، إن لي عليك حقًا، قال: وما هو؟ قال: سبّك عبد الرحمن يومًا فرددت عليه؛ فقال: أنشدك الله رجلا سمع ذلك إلا شهد؛ فقام رجل من الأسرى فقال: قد كان ذلك أيها الأمير، قال: خلّوا عنه، ثم قال للشاهد: فما منعك أن تنكر كما أنكر؛ فقال: لقديم بغضي إياك، قال: وليخلّ عن هذا لصدقه، وسيق إليه بعد ذلك الشعبي ومطرف وسعيد بن جبير، وكانوا من أصحاب ابن الأشعث، وكان الشعبي قبل مختصًا بعبد الملك.

---

(1) منك في الأصل، وما أثبتنا من م.

(2) أورد ابن عساكر نفس الرواية- تاريخ دمشق-ج12 صص171-173، وانظر الدينوري- الأخبار الطوال- ص471-472.

[الحجّاج وأصحاب ابن الأشعث] كان الشعبي ومطرف يريان رأي الباطن، وكان ابن جبير لا يرى إلا الظاهر، فقدم إليه الشعبي فقال: ما دعاك إلى الخروج؟ فقال: أصلح الله الأمير شابنا المنزل، وأجدب الجناب، واكتنفنا الشهر، واستعجفنا الخوف، واستفز الطمع، وغشيتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء؛ فخلى سبيله، ثم قدم إليه مطرف فقال له: أكافر أنت أم مؤمن؟ فقال له: إن من شقّ العصا، وخرج عن الإمام، ونكث البيعة، وفارق الجماعة، وأخاف المسلمين لكافر؛ فخلى سبيله، ثم قدم عليه سعيد بن جبير رضي الله عنه فقال له: أكافر أنت أم مؤمن؟ [قال]: والله ما كفرت به مذ عرفته، ولا أشركت به مذ وحدته.

[الحجّاج وسعيد بن جبير] وكان سعيد بن جبير عبدًا لرجل من بني أسد بن خزيمة؛ فاشتراه سعيد بن العاص في مائة عبد؛ فاعتقهم جميعا، وكان يكنى أبا عبد الله، وكان مختفيا بمكة؛ فكان إذا كان الليل خرج إلى موضع من المسجد فجلس هو وأصحابه، وكان الوليد قدم إليها حاجًا؛ فكان يخرج بالليل ويتنكر؛ فخرج ذلت ليلة فانتهى /108ظ/إلى حلقة فيها سعيد؛ فقال: من هذا؟ قالوا: سعيد بن جبير؛ فسكت، لم يأخذه ولم يأمر بأخذه، فكتب الوليد إلى الحجّاج أن عبد بني أمية بمكة وأنت جالس؛ فبعث إلى مكة فأخذه؛ فقال له الحجاج: يا شقي بن كسير أما قدمت الكوفة وليس يقوم بها إلا عربي فجعلتك إماما؟ قال: بلى، قال: أما وليتك القضاء؟ فضجّ أهل الكوفة وقالوا لا يصلح القضاء إلا العربي؛ فاستقضيت أبا بردة علي بن موسى الأشعري، وأمرته ألا يقطع أمرًا دونك؟ قال: بلى، [قال]: أوما جعلتك في سماري وكلهم من رؤوس العرب؟ قال: بلى، [قال]: أوما أعطيتك مائتي ألف درهم تفرقها في أهل الحاجة ثم لم أسألك عن شيء منها؟ قال: بلى، قال: فما أخرجك عليّ؟ قال: بيعة كانت لأبن الأشعث في عنقي؛ فغضب الحجاج ثم قال: أفما كانت بيعة أمير المؤمنين عبد الملك في عنقك قبل، والله لأقتلنك؛ فأمر بقتله صبرًا؛ فقال سعيد رحمه الله: لا سلطك الله على أحد بعدي؛ فقتله في شعبان سنة خمس وتسعين، وهو ابن سبع وأربعين سنة.

وكان له ابنان: عبد الله وعبد الملك، ومات وليس على الأرض أحد لا يحتاج لعلمه رضي الله عنه، ومات الحجاج بعده في شهر رمضان، ولم يسلط على

أحد، وذلك أنه لما قتل سعيد بن جبير أصابه زمهرير؛ فكان مع النار والدخان سبعة أيام بلياليها؛ فكان يجد البرد من خارجه والحرّ من داخله؛ فكان يروح عليه من خلفه بالروائح، والنيران توقد بين يديه، وكان متى أغفى يرى كأن سعيد بن جبير بين يديه سيفه يحمل عليه؛ فيثور ويقول: مالي ولسعيد؟ ولم يزل على ذلك طول السبعة الأيام حتى هلك[1].

وقيل إنه مرّ في يوم جمعة فسمع استغاثة؛ فقال: ما هذا؟ فقيل: أهل السجون يقولون قتلنا الحرُّ، قال: قولوا لهم "اخْسَئُوا فِيهَا وَلاَ تُكَلِّمُونِ"[2] ؛ فما عاش بعد ذلك إلا أقل من جمعة[3].

[نصيحة الطبيب للحجّاج] وقال قبل هذه الحال لطبيبه تيدلون: صف لي شيئا أعمل عليه؛ فإني أظنّ أنّي أفارقك سريعًا؛ فقال: احفظ عني خلالا، لا تشربنّ دواء من غير وجع، ولا تأكلنّ على شبع، ولا تأكل شهوة، ولا تأكل فاكهة مولية، ولا تأكل من اللحم إلا طريًا، ولا تلبس إلا نقيًا، ولا تنكح إلا فتيا، واشرب من ألبان الإبل فإنها /109و/تقصد القلب، وأدم النظر إلى الخضرة فإن ذلك يجلو البصر، {وماء العسل شفاء يجثم على فم المعدة فيقذف الداء}[4].

[مقدمات موت الحجّاج] ولما أشرف على المنية فرح المسلمون، وسرّوا وابتهجوا؛ فوصله ذلك؛ فأمر مناديًا ينادي: ألا وإن الحجّاج يموت؛ فليفرح من لا يموت، ولما اشتدّ مرضه قال لمنجمه: ما ترى في مرضي؟ قال: لا بأس عليك فلست بميت، ولكن يموت ملك عظيم اسمه كليب، واسمك أنت الحجاج؛ فصاح الحجاج: أنا والله كليب، سمّتني به أمي وأنا طفل؛ فما لبث أن مات[5].

وتوفي وهو ابن خمس وخمسين سنة، وكان ولد سنة أربعين، ومات بمكة،

---

(1) انظر ابن العماد الحنبلي- شذرات الذهب- ج1 صص 108-110، كما أورد الطبري والمسعودي نبذا من هذه القصة- تاريخ- ج8 ص 47-49/مروج الذهب- ج3 ص 164.

(2) سورة المؤمنون- الآية 108.

(3) أورد ابن عساكر والمسعودي نفس الكلام- تاريخ دمشق- ج12 ص192/مروج الذهب- ج3 ص 167.

(4) ساقط في ن.

(5) انظر ابن عماد الحنبلي- شذرات الذهب- ج1 ص 107.

وأوصى أن لا يدفن بها؛ فدفنه ابنه بها، وفي تسميته كليب يقول القائل:

أينسى كليب زمان الهزال وتعليمه سورة الكوثر

وكان معلما بالطائف، وقال آخر من أهل الطائف:

كليب تمكن في حيكم[1] وقد كان فينا صغير الخطر

[عبد الملك وعرار بن شاس] ولما أخذ الحجّاج رأس عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث، وذلك سنة خمس وثمانين، وجّه به إلى عبد الملك بن مروان مع عرار بن شاس الأصدي، وكان أسود ذميمًا من أمة سوداء؛ فلما ورد به جعل عبد الملك لا يسأل عن شيء من أمر الوقيعة إلا أنبأه به عرار في أصح لفظ وأشبع قول وأجزل اختصار، فشفاه من الخبر، وملأ أذنه صوابًا، وعبد الملك لا يعرفه، وقد اقتحمته عينه حين رآه؛ فقال عبد الملك متمثلا بقول عمرو بن شاس في ابنه عرار:

أراد عرارًا بالهوان ومن يرد عرارًا لعمري بالهوان فقد ظلم

وإن عرارًا إن يكن غير واضح فإني أحب الجون ذا المنكب العمم

فقال له عرار: تعرفني يا أمير المؤمنين؟ فقال: لا، [قال][2]: أنا والله عرار؛ فزاده في سروره، وأضعف له الجائزة.

ويروى عرار بفتح العين وكسرها؛ فهو بالفتح شجر، /109ظ/وبالكسر صياح الظليم.

[عبد الملك وابن الأشعث] وكتب صاحب اليمن[3] إلى عبد الملك بن مروان في وقت محاربته عبد الرحمن بن الأشعث: إني وجّهت إلى أمير المؤمنين بجارية اشتريتها بمال عظيم لم ير مثلها؛ فلما دخلت عليه رأى وجها جميلا وخلقا نبيلا؛ فألقى إليها قضيبا كان في يده؛ فانكبت لتأخذه فرأى منها جسما بهره؛ فلما همّ بها أعلمه الإذن أن رسول الحجّاج بالباب؛ فأذن له ونحى الجارية؛ فأعطاه كتابًا من عبد الرحمن بن الأشعث فيه سطور أربعة:

---

(1) كتب في الهامش: "وقيل في أرضكم".

(2) زيادة منا حتى يستقيم المعنى.

(3) قال الدينوري: "وأهديت لعبد الملك في ذلك اليوم جارية إفريقية، أهداها إليه موسى بن نصير، عامله على أرض المغرب"- الأخبار الطوال- ص 464.

سائل مجاور جرم هل جنيت لهم حربا تزيد بين الجيرة الخلط
وهل سموت بجرار له لجب جم الصوامل بين اللحم والفرط
وهل تركت نساء الحي ضاحية في ساحة النار يستوقدن بالغبط[1]

وتحته [مكتوب][2]

قتل[5] الملوك وسار تحت لوائه شجر العرى[3] وعراعر الأقوام[4]

قوله بالغبط: الغبط مراكب النساء وإحداها غبيط، قال الأصمعي: ومعناه أنهن يئسن من الرحيل فجعلن مراكبهن حطبا، وقال غيره: بل قد منعهن الخوف من الاحتطاب، والعُرى بضم العين نبات فعينه مقصور، وعراعر الأقوام معناه رؤوس الأقوام، الواحد عرعرة.

/110و/فكتب إليه عبد الملك كتابًا، وجعل في طيّه جوابًا لعبد الرحمن بن الأشعث:

فما بال من أسعى لأجبر عظمه حفاظا وينوي من سفاهته كسر
أظن خطوب الدهر بيني وبينهم[6] ستحملهم مني على مركب وعر
وإني وإياهم كمن نبه القطا[7] ولو لم ينبه باتت الطير لا تسري
أعوذ على ذي الريث والجهل منهم بحلم ولو عفيت عزمهم يجري

---

(1) الغبط: الحزمة من الزرع بعد حصاده، والغبيط ما يوضع على ظهر البعير لتركيب المرأة فيه. المعجم الوسيط- ص 643.

(2) ساقط في الأصل، والزيادة من م.

(3) شجر العرى: الذي يبقى بعد الجدب، وقيل هم سوقة الناس- ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم- لسان العرب- دار صادر- دار بيروت- د.ت- مادة عرر- ج4 ص 559.

(4) انظر المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 131/الدينوري- الأخبار الطوال- ص 463.

(5) خلع عند الدينوري- الأخبار الطوال- ص 463.

(6) الشطر الأول مختلف عند الدينوري وهو كما يلي: أخال صروف الدهر للحَين منهم- الأخبار الطوال- ص 464، وهو كما يلي عند المسعودي: أظن صروف الدهر والجهل منهم- مروج الذهب- ج3 ص 132.

(7) القطا طائر معروف يسمى بذلك لثقل مشيته، واحدته قطاة، والجمع قطوات- لسان العرب- مادة قطا- ج15 ص 189.

أناة وحلما وانتظارًا بهم غدا فما أنا بالواني ولا الضرع[1] الغمر

وينشد: فما أنا بالفاني والضرع الضعيف.

وهذا الشعر لابن [الرثية][2] الثقفي، ثم بات يقلب كف الجارية ويقول: ما أفدت فائدة أحب إلي منها، تقول ما بالك يا أمير المؤمنين؟ وما يمنعك يا أمير المؤمنين؟ فقال: ما قال الأخطل، وإن خرجت كنت ألأم العرب، وأنشد:

قوم إذا حاربوا شدّوا مآزرهم دون[3] النساء ولو باتت بأطهار

فما إليك سبيل أو يحكم الله بيني وبين ابن الأشعث؛ فلم يقربها حتى قتل ابن الأشعث[4].

[مرض عبد الملك] ولما حضرت الوفاة عبد الملك بن مروان بايع أربعة من بنيه، وهم الوليد ثم سليمان ثم يزيد ثم هشام، واحدًا بعد واحد[5]، وكتب إلى عماله في جميع بلاده بأخذ البيعة لهم؛ فامتنع سعيد بن المسيب فضربه عامل الحجاج، وهو هشام بن اسماعيل المخزومي، ونادى عليه وسحبه، وألبسه مسحًا من شعر؛ فبلغ ذلك عبد الملك؛ فقال أخطأ في ضربه بالسوط إذ لم يضرب عنقه حين امتناعه[6].

ولما ثقل في مرضه دخل عليه الوليد، وهو يجود بنفسه؛ فجعل يبكي ويقول: كيف أصبح أمير المؤمنين؟ فقال عبد الملك: ومشتغل عنا يريد بنا الردى وأشار إليه، ثم ابتدأ بالمصراع الثاني، وأشار إلى نسائه؛ فقال:

---

(1) الضارع في الأصل، وما أثبتنا من م ومن ن ومن المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 131.

(2) ابن الدئتق في الأصل، وما أثبتنا من م، ون، ولم نعثر على ترجمته في المصادر التي بين أيدينا.

(3) عند ابن حبيب: عن.

(4) قارن مع ما أورده ابن حبيب- كتاب التأريخ- ص 130-131، والدينوري- الأخبار الطوال- ص 464.

(5) قال الطبري إنه بايع للوليد وسليمان من بعده. تاريخ- ج8 ص 5/ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص642.

(6) أورد الطبري نفس الرواية- تاريخ- ج8 ص 5.

ومستعبرات بالدموع[1] السواجم.

ثم دخل عليه يوما آخر، وأنشأ يقول:

كم عائد رجلا وليس يعوده ولا ليظهر[2] هل يراه يموت

فبكى الوليد؛ فقال له عبد الملك: [يا هذا أحنين][3] الحمامة؟ إذا أنا متّ فشمّر واتّزر، والبس جلد النمر، وضع سيفك على عاتقك؛ فمن أبدى ذات نفسه فاضرب عنقه، ومن سكت مات بدائه، ثم جعل يذم الدنيا ويقول: إن طويلك لقصير، وإن كثيرك لقليل، وإن كنت منك لفي غرور.

[وصية عبد الملك لأولاده] ثم أقبل على جميع ولده فقال: أوصيكم بتقوى الله فإنها غنيمة باقية وجنة واقية؛ فالتقوى خير زاد، وأفضل ما قدم في المعاد، وليعطف الكبير منكم على الصغير[4]، [وليعرف الصغير][5] حق الكبير مع سلامة الصدور، والأخذ بجميع الأمور، وإياكم والبغي والتحاسد ففيها[6] هلك الملوك الماضون /110ظ/وذوو العزّ المكين، يا بني أخوكم مسلمة [نابكم][7] الذي تفترون عنه، ومجنكم الذي تستجنون به، اصدروا عن رأيه، وأكرموا الحجّاج فإنه الذي وطأ لكم هذا الأمر، كونوا أولادًا أبرارًا، وفي الحروب أحرارًا، وللمعروف منارًا والسلام[8].

ولما فرغ من وصيته سأله بعض بني أمية: كيف تجدك يا أمير المؤمنين؟ فقال: كما قال الله تعالى: "**وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ [وَتَرَكْتُم مَا**

---

(1) والعيون سواجم عند المسعودي.

(2) لينظر عند المسعودي.

(3) "هذا تحنين" في الأصل وفي كل النسخ، وما أثبتنا من المسعودي.

(4) "وليعط الكبير منكم الصغير" في الأصل، وما أثبتنا من م ون.

(5) ساقط في الأصل، وما أثبتنا من م ن.

(6) فيهما عند المسعودي.

(7) إنكم في كل النسخ، وما أثبتنا من المسعودي.

(8) الرواية منقولة حرفيا عن المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 160-161، وانظر ابن عساكر- تاريخ دمشق- ج63 ص 171-172/ابن الأثير- الكامل- ص 643/الدينوري- الأخبار الطوال- ص 472-473.

﴿وَلَّتُكُم وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ﴾[1]، فكان هذا آخر كلام سمع منه[2].

[مدّة خلافته ووفاته] وكانت ولايته منذ بويع إلى أن توفي إحدى وعشرين سنة وشهرا ونصف، وقيل ستة أشهر ونصف، وبقي بعد عبد الله بن الزبير واجتماع من اجتمع إليه من الناس ثلاث عشرة سنة وأربعة اشهر إلا سبع ليال؛ فذلك ما يعدله من استقامة من استقام له الناس[3].

وتوفي بدمشق يوم السبت، وقيل يوم الخميس في النصف من شوال سنة ست وثمانين، وهو ابن اثنتين وستين سنة، وقيل أكثر من ذلك، وقيل ولي اثنتي عشرة سنة، وكانت فتنة ابن الزبير رضي الله عنه ثماني سنين[4].



(1) سورة الأنعام– الآية 94.

(2) انظر المسعودي– مروج الذهب– ج3 ص 161.

(3) انظر المسعودي– مروج الذهب– ج3 ص 161.

(4) قارن مع ما أورده الدينوري– الأخبار الطوال– ص 474/الطبري– تاريخ– ج8 ص6-7/ابن الأثير– الكامل في التاريخ– ص 643/ المسعودي– مروج الذهب– ج3 ص 91.

خبر الوليد بن عبد الملك

الوليد بن عبد الملك بن مروان، يكنى أبا العباس، أمه ولادة بنت العبّاس بن جَزْء بن الحارث بن زهير بن [جَذِيمة][1] العبسي، ولدته بالمدينة سنة اثنتين وخمسين[2].

[بيعته بالخلافة وصفته] بويع بدمشق في اليوم الذي مات فيه أبوه عبد الملك، وهو ابن أربع وثلاثين سنة، وكان أسمر طويلا، واسع الوجه جميله، فيه أثر الجدري، رَجْل الشعر، ألحى، كبير العينين أكحلها، عريض الزند، فظًا مزواجًا مطلاقا، تزوج ثلاثاً وثلاثين امرأة[3]، وكان له أولاد كثيرة[4].

[وزراءه] [كاتبه جناح مولاه، وقيل القعقاع بن خليد القيسي][5]، حاجبه يسر مولاه[6]، وصاحب شرطته كعب بن حماد[7] [العبسي]، وصاحب مظالمه رباح بن عمرة[8] الغساني.

نقش خاتمه: حسبي الله وكفى، وقيل: يا وليد إنك ميت[9].

[أخلاقه وعمارته للمساجد] وكان أحسن الناس أخلاقا، ولم يشهد عنه شرب ولا عصيان[10]، بنى مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة سبع

---

(1) في الأصل وفي كل النسخ خزيمة، والصحيح ما أثبتنا من ابن السائب الكلبي- جمهرة النسب- ص 127/ابن حزم- جمهرة أنساب العرب- ص 91/الطبري- تاريخ- ج 8 ص 7.

(2) انظر ابن عساكر- تاريخ دمشق- ج63 ص 175/تاريخ خليفة بن خياط- ص 190.

(3) قال أبو الحسن الروحي: إنه تزوج ثلاثا وستين امرأة- بلغة الظرفاء- ص 151.

(4) قارن مع ما أورده ابن عساكر- تاريخ دمشق- ج63 ص 167-168/الروحي- بلغة الظرفاء- ص 151/اليعقوبي- تاريخ اليعقوبي- ج2 ص 292

(5) ساقط في الأصل، وما أثبتنا من م ون.

(6) في تاريخ خليفة بن خياط وتاريخ اليعقوبي حاجبه سعيد مولاه، ويقال: محمد بن أبي سهيل مولى مروان- ص 199/تاريخ اليعقوبي- ج2 ص 291.

(7) جماح في ن، وحامد في تاريخ خليفة بن خياط- ص 199، وتاريخ اليعقوبي- ج2 ص 291.

(8) عبدة في تاريخ خليفة بن خياط- ص 199، وتاريخ اليعقوبي- ج2 ص 291.

(9) انظر المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 157/أبو الحسن الروحي- بلغة الظرفاء- ص 151.

(10) قال الطبري وابن الأثير: كان الوليد عند أهل الشام أفضل خلفائهم، (تاريخ الطبري- ج8 ...

وثمانين، وقيل في سنة ثمان وثمانين، ورصّعه وجدد منبره[1]، وبنى مسجد دمشق، وزاد فيه كنيسة كانت للروم، وجعل أخاه سليمان القيّم على بنائه؛ فوجدوا فيه لوحًا من رخام منقوشا في حائط المسجد القبلي؛ فأحضر لقراءته الروم فلم يعرفوه، ثم أحضر عليه وهب بن منبه؛ فلما قرأه حرك رأسه، وإذا فيه: بسم الله يا ابن آدم لو رأيت ما بقي من عمرك لزهدت في طول أملك، وإنما يلقاك ندمك لو قد زلت بك قدمك، وأسلم أهلك وحشمك، وانصرف عنك الحبيب، وودّعك القريب، ثم صرت تدعى فلا تجيب؛ فلا أنت إلى أهلك عائد، ولا في عملك زائد؛ فاعمل لنفسك قبل يوم القيامة، وقبل يوم الحشر والندامة، وقبل أن يحلّ بك أجلك، وتنزع روحك من يدك؛ /111و/فلا ينفعك مالٌ جمعته، ولا ولدٌ ولدته، ولا أخٌ اتخذته، ثم تصير إلى برزخ المثوى ومجاورة الموتى؛ فاغتنم من الحياة قبل الموت، والصحّة قبل السقم، والقوة قبل الضعف، وقبل أن تأخذ بالكَظْم، ويحال بينك وبين العمل.

وأمر الوليد أن يكتب بالذهب على الأزورد في حائطه: ربّنا الله، لا يعبد إلا الله، أمر ببناء هذا المسجد وهدم الكنيسة التي كانت الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين في ذي الحجّة سنة سبع وثمانين[2]، وكتب إليه ملك الروم لما هدم الكنيسة إنك هدمت الكنيسة التي رأى أبوك تركها؛ فإن كان حقا فقد أخطأ أبوك، وإن كان باطلا فقد خالفته؛ فكتب إليه ردًا "**وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ [إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ]**"[3].[4]

ص 51/الكامل في التاريخ- ص 665) بينما قال المسعودي: كان الوليد جبارًا عنيدً، ظلومًا غشومًا- مروج الذهب- ج3 ص 157، وقال السيوطي: كان الوليد جبارًا ظالمًا- تاريخ الخلفاء- ص 265.

(1) انظر الدينوري- الأخبار الطوال- ص 475/الطبري- تاريخ- ج8 ص 15-16/المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 157.

(2) أورد المسعودي هذه الرواية مع بعض الاختلاف- مروج الذهب- ج3 ص 157-158.

(3) سورة الأنبياء- الآية 78.

(4) أورد ابن عساكر نفس الرواية- تاريخ دمشق- ج63 ص 177.

[أعمال أخرى للوليد] وأجرى النفقة على [المجذومين][1] حتى أغناهم عن السؤال، وكان المتولي على ذلك عمر بن عبد العزيز، وجعل للمقعدين خدما يخدمونهم، وللعميان قادة يقودونهم، وأجرى النفقة على الجميع من بيت المال، وأجرى الجراية على أبناء النعم الذين صرف بهم الدهر، وهو أول خليفة أسس الماريستان لمرضى المسلمين والمهوسين، وأمر الحكماء أن يعاونوهم، وأجرى عليهم من بيت المال، وأمر أن تقاس الطرقات، وتتخذ فيها الأميال والفراسخ، وأمر ألا يكذب أحد بحضرته ولا يكنى، وأمر بحفر آبار مكة والمدينة، وكان متى خطر بصبيان المكاتب يأمر المعلمين بتسريحهم ذلك اليوم لترسخ محبته في نفوسهم، ووقع في دمشق وباء كثير فعزم الوليد على الرحيل منها؛ فأتاه بعض رجاله و[قال:] كيف تفر من قدر الله؟ وقد قال تعالى: "**[قُلْ] لَنْ يَنْفَعَكُمُ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذًا لاَ تُمَتَّعُونَ إِلاَّ قَلِيلاً**"[2]، قال له: ذلك القليل شفي وإليه نعي[3].

[خطبة الوليد بعد وفاة عبد الملك] ولما مات عبد الملك صعد الوليد المنبر؛ فحمد الله وأثنى عليه، وقال: لم أر مثلها مصيبة، ولا مثلها نعمة؛ فقد الخليفة وتقليد الخلافة؛ فإن لله وإنا إليه راجعون على المصيبة، والحمد لله ربّ العالمين على النعمة، ثم دعا الناس إلى البيعة فبايعوه، ولم يتخلف عليه أحد[4].

[بين الحجّاج والوليد] ولما بلغ الحجاج موت عبد الملك وولاية الوليد، وفد عليه مهنئا ومغريا؛ فألفاه ماشيًا في بعض منتزهاته؛ فترجّل وقبّل يده، ومشى معه راجلاً وعليه درع وكنانة وقوس عربية؛ فقال له الوليد: اركب يا أبا محمد؛ فقال له: يا أمير المؤمنين دعني أستكثر من الجهاد؛ فإن ابن الأشعث وابن الزبير شغلاني عنه؛ فعزم عليه الوليد ليركب، ودخل الوليد داره؛ فتفضل في غلالة، ثم أذن له؛

---

(1) في الأصل المخذومين، وما أثبتنا من م.

(2) سورة الأحزاب- الآية 16.

(3) انظر الطبري- تاريخ- ج8 ص17/نفسه- ج8 ص51/ابن الأثير- الكامل- ص647/ابن تغري بردي- النجوم الزاهرة- ج1 ص299.

(4) انظر ابن عساكر- تاريخ دمشق- ج63 ص 173/الطبري- تاريخ- ج8 ص 9/ابن الأثير- الكامل- ص 644.

فدخل عليه على هيئته تلك؛ فأطال الجلوس عنده؛ فجاءت جارية فسارّت الوليد ومضت، ثم عادت فسارته ثم انصرفت؛ فقال الوليد للحجّاج: أتدري ما سارتني به الجارية يا أبا محمد؟ قال: لا والله، قال: بعثت إليّ ابنة عمي أم البنين ابنة عبد العزيز بن مروان تقول: ما مجالستك هذا /111ظ/الأعرابي المستلئم[1] في السلاح وأنت في غلالة؟ فقلت لها: قولي لها إنه الحجّاج؛ فراعها ذلك؛ فقالت لجاريتها: عودي إليه وقولي له: ذلك والله أشدّ بجزعي، والله ما أحبّ أن تخلو به وقد قتل العالم حتى تعدى جرمه إلى قتل العلماء والصحابة؛ فقال الحجاج: يا أمير المؤمنين لا تلتفت إلى مفاكهة النساء لزخرف القول فإن المرأة ريحانة وليست بقهرمانة؛ فلا تطلعهن على سرّك ولا على مكايدتك بعدوك، ولا تطعهنّ في غير أنفسهنّ، ولا تشغلهنّ بأكثر من زينتهنّ، وإيّاك ومشاورتهن؛ فإنّ رأيهنّ إلى أفن، وعزمهنّ إلى وهن، واكفف عليهنّ من أبصارهنّ يحجبنك، ولا تملك الواحدة من الأمور ما يجاوز نفسها؛ فإن ذلك على أنعم بحالها وأرخ ليلها، ولا تعد بكرامتها نفسها، ولا تطمعها أن تشفع عندك لغيرها، ولا تطل الجلوس معهنّ والخلوة بهنّ؛ فإن ذلك أوفر لعقلك وأبين لفضلك[2].

[بين الحجّاج وأم البنين] ثم خرج الحجّاج من عنده، ودخل الوليد على أم البنين؛ فأخبرها بمقالة الحجّاج؛ فقالت: يا أمير المؤمنين [لا بدّ][3] أن تأمره غدًا بالتسليم عليّ، قال لها: نعم؛ فلما غدا الحجّاج على الوليد قال له: يا أبا محمد، سِرْ إلى أم البنين فسلم عليها، قال: أعفني يا أمير المؤمنين، قال: لا بدّ من ذلك؛ فمضى الحجّاج إليها؛ فحبسته طويلا بالباب، ثم أذنت له؛ فاقرّ قائما لم تأذن له في الجلوس، ثم قالت له: إيه يا حجّاج أنت الممتنّ على أمير المؤمنين بقتل ابن الزبير وابن الأشعث، أما والله لولا أن الله علم أنك أهون خلقه عليه لما ابتلاك برمي الكعبة، وقتل ابن ذات النطاقين، وأول مولود ولد في الإسلام، وأما ابن الأشعث فقد والله والى عليك الهزائم حتى لذت بأمير المؤمنين عبد الملك بن مروان؛

---

(1) المتسلح عند المسعودي.

(2) وردت الرواية مع اختلاف طفيف عند المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 158.

(3) ساقط في الأصل وفي ن، والزيادة من م.

فأغاثك بأهل الشام، وأنت في أضيق من القرن تناديه: واغوثاه واغوثاه؛ فأظلتك رماحهم، وأنجاك كفاحهم، ولولا ذاك لكنت أذلّ من النُّقُدِ[1]، وأما ما أشرت به على أمير المؤمنين من ترك لذاته، ومن بلوغ أوطاره من نسائه؛ فإن كنّ تفرجن عن مثل ما انفرجت به عنك أمك؛ فما أجدره بالأخذ عنك، والقبول منك، وإن كنّ تفرجن عن مثل أمير المؤمنين فإنه غير قابل منك، ولا مصغ إلى نصحك، ثم قالت: ألم يقل الشاعر وقد نظر إليك وسنان رمح غزالة حرورية بين كتفيك:

أسدٌ عليّ وفي الحروب نعامةٌ	ربداء تنفر[2] من صفير الصافر
هلا برزت إلى غزالة في الوغى	أم كان قلبك في جناحَيْ طائر

ثم قالت لجواريها: اخرجنه عني أخرج الله عينه؛ فخرج ودخل على /112و/ الوليد وجبينه يتفصّد عرقا؛ فقال له: يا أبا محمد، ما كنت فيه؟ فقال: والله يا أمير المؤمنين ما سكتت حتى كان بطن الأرض أحبّ إليّ من ظهرها؛ فضحك الوليد حتى فحص برجله، ثم قال: يا أبا محمد، إنها ابنة عبد العزيز[3].

[صفات الوليد] [4] وأقام الوليد سنتين، فحجّ بالناس، وكان عاقيا قليل المعرفة بالأدب لكونه ربي في القصور، وكان يضرب به المثل؛ فيقال ألحن من الوليد في خطبته[5]، وكان يصوم الاثنين والخميس، وكانت في أيامه فتوحات كثيرة، افتتح ما وراء النهر بخراسان والسند وغزا ملك الصين، وافتتح جزيرة الأندلس[6].

[الفتوحات على عهد الوليد] قال الليث بن سعد: أخبرني خادم كان للوليد قال: إني لقريب منه، وبين يديه طست وهو يتوضأ، إذ أتاه رسول من عند والي خراسان بفتح[7] مدينة من مدنها، فأعلمته فقال: خذ الكتاب منه فقرأه؛ فما أتى على

---

(1) القنفذ في م.

(2) فزعاء تفزع عند المسعودي.

(3) أورد المسعودي هذه الرواية مع اختلاف طفيف- مروج الذهب- ج3 ص 159-160.

(4) من هنا يبدأ ما نشره أحمد مختار العبادي بتصرف تحت عنوان: تاريخ الأندلس.

(5) انظر السيوطي- تاريخ الخلفاء- ص265/ابن الأثير- الكامل- ص665/ابن العماد الحنبلي- شذرات الذهب- ج1 ص 111.

(6) انظر الروحي- بلغة الظرفاء- ص 152/السيوطي- تاريخ الخلفاء- ص 266-267.

(7) افتتح في الأصل، وما أثبتنا من م ون.

آخره حتى قدم رسول آخر بفتح السوس الأقصى من قبل مروان بن موسى بن نصير فقرأه؛ فما أتى على آخره حتى قدم رسول آخر من عند موسى بن نصير بفتح الأندلس، فحمد الله وأثنى عليه، ثم التفت إليّ فقال: أمسك الباب عليّ، ولا تدع أحدًا يدخل ففعلت، قال: وكان عنده ابن له صغير يحبو بين يديه، قال: فخرّ الوليد لله ساجدًا شكرًا له، وحبا الصبي إلى الطست فوقع فيها؛ فاضطرب وصاح فما التفت إليه، وأنا لا أستطيع أن أغيثه لما أمرني من إمساك الباب؛ فأطال السجود حتى خفت موت الصبي، ثم رفع رأسه وصاح بي؛ فدخلت ورفعت الصبي [لما به][1].

قصة[2] فتح الأندلس: وذلك أن الأندلس ومغرب العدوة كانا بأيدي الروم والبربر، فساحل البحر كله للروم والبرية للبربر، منهم من بلغته الدعوة فأسلم، ومنهم من لم تبلغه الدعوة فبقي جاهليًا، وكان على طنجة رومي يسمى يليان، مقدم من قبل لذريق ملك الأندلس، وكانت دار ملكه طليطلة، وكان فيها بيت عليه أقفال، فكل من يلي منهم الملك يزيد قفلا على ذلك البيت، ولم يفتحه قط ملك منهم، ولا علم ما فيه حتى انتهت الأقفال إلى عشرين قفلا؛ فلما ولي[3] لذريق هذا قال: لا بدّ أن أفتح هذا البيت حتى أعرف ما فيه، فقال أقامطته وأقسته: لا تفعل ولا تحدث ما لم يحدثه من تقدم من الملوك؛ فقال: لا بدّ لي من فتحه، والوقوف على ما فيه؛ [ففتحه][4] فلم يجد فيه شيئا غير رقّ كبير فيه صورة رجال عليهم العمائم، وتحتهم صور خيول مسوّمة، وفي أيديهم السيوف، والرايات على القنى بين أيديهم، وفيه مكتوب [بالعجمية][5] هذه {صورة العرب؛ فإذا فتحت أقفال [هذا][6] البيت، ودخل

---

(1) أورد عبد الملك بن حبيب وابن قتيبة الدينوري نفس الخبر- كتاب التأريخ- ص 143/الإمامة والسياسة- ص 236.

(2) في النسخة م وفي ن: قضية فتح الأندلس، وكذا في نشرة العبادي- ص 42.

(3) في الأصل وفي كل النسخ ولى، والصواب ما أثبتنا.

(4) ساقطة في الأصل، وما أثبتنا من م ون.

(5) كلمة ساقطة في الأصل وفي كل النسخ، والزيادة من مجهول- فتح الأندلس- دراسة وتحقيق لويس مولينا- المجلس الأعلى للأبحاث العلمية- الوكالة الإسبانية للتعاون الدولي- مدريد- 1994- ص 13/العبادي- تاريخ الأندلس- ص 43.

(6) ساقط في الأصل، والزيادة من ن.

البيت فتحت العرب}[1] /112ظ/هذه الجزيرة، وتملكوا أكثرها؛ فندم على فتحه وأغلقه[2].

وكانت سير الروم إذ ذاك: إذا كان فيهم من له قدر يدخل بناته قصر الملك الأعظم، فيكنّ مع بناته، ويتأدبن بآدابهن، ويتعلمن ما يتعلم بناته من العلوم والصنائع، ثم يتخيّر لهنّ الملك من أشراف رجاله من يزوجهنّ منهم؛ فيجهزهنّ إليهم ليحبب بذلك نفسه إلي الرجال والنساء والصبيان.

وكان يليان صاحب سبتة وطنجة من خواص الملك للذريق ووجوه رجاله؛ فأنفذ ابنته إليه إلى طليطلة؛ فكانت في قصره، وكان يزوره يليان مرّة في العام في غشت بهدايا وألطاف وطيور للصيد، وكانت بنته من أجمل النساء؛ فوقعت عين لذريق عليها وهو سكران؛ فواقعها وافتضّها؛ فلما صحا وأخبر بذلك ندم، وأمر بكتم ذلك، وأن تمنع الصبية ابنة يليان بأن تخلو بأحد فتحدثه أو تكتب معه كتابا إلى أبيها.

فلما لم تتمكن الصبية من شيء؛ أنفذت إلى أبيها هدية عظيمة، وفي جملتها بيضة مفسودة؛ فلما رآها يليان أنكرها، وعلم أن ابنته أفسدت؛ فجاز إليه في خلاف الوقت المعهود، وذلك في شهر ينير؛ فقال له لذريق: ما جاء بك في هذا الشتاء الحاد؟ قال له: جئت لابنتي فإن أمها مريضة وتخاف المنية؛ فقالت لي: لا بدّ أن أرى ابنتي وأتشفى منها؛ فقال له: وهل نظرت لنا في طيور؟ فقال: قد نظرت لك في صيد طيور لم ير مثلها قط، وأنا آتيك بها عن قريب إن شاء الله، يعني بذلك العرب؛ فأخذ ابنته وانصرف، ومضى من فوره إلى إفريقية إلى الأمير موسى بن نصير فلقيه بالقيروان[3].

---

(1) ما بين الحاضنتين ساقط في م.

(2) أورد عبد الملك بن حبيب- كتاب التأريخ- ص 140، ومؤلف فتح الأندلس نفس الرواية- ص 12-13، كما أوردها كل من ابن عذاري المراكشي- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- ج2 ص3، ومجهول- تاريخ الأندلس- دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية- دار الكتب العلمية- بيروت- 2007م- ص 151-152، وابن قتيبة مع بعض الاختلاف- الإمامة والسياسة- ص 239-240.

(3) الرواية منقولة حرفيا عن مجهول- فتح الأندلس- صص 13-15، وأورد ابن عذاري نبذا

[نسب موسى بن نصير وأولية أسرته] وموسى هذا هو ابن نصير بن عبد الرحمن بن زيد البكري، ولد سنة تسع عشرة في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكان معاوية بن أبي سفيان قد ولى نصيرًا والد موسى هذا على حرسه؛ فلم يقاتل معه عليًا رضي الله عنه؛ وكان أُمِّرَ على إفريقية سنة تسع وسبعين، وقيل سنة ثمان وسبعين؛ فقال له معاوية: ما منعك من الخروج معي على علي، ويدٌ لي عليك [لم](1) تكافئني [عليها](2) ؟ فقال له: لم يمكني أن أشكرك بكفر من هو أولى بشكري منك، قال: ومن هو؟ قال الله عزّ وجلّ، قال: وكيف لا أم لك؟ قال له نصير: وكيف لا أعلمك بها فأغض وأمض؛ فأطرق معاوية مليا ثم قال: أستغفر الله، ورضي عنه(3).

وكان موسى بن نصير عامل إفريقية وما افتتح من الغرب في حياة عبد الملك، ثم مات عبد الملك؛ فأبقاه الوليد عليها، ولما اجتمع يليان صاحب طنجة مع موسى بن نصير بالقيروان، أخبره بقصة /113و/ابنته، وقرّب عليه مرام غلبة الأندلس، وسرعة فتحها، وكثرة أموالها وجمال سبيها، وأنها بلاد مياه كثيرة وجنات وأنهار وغلات.

[مقدمات فتح الأندلس] وكان موسى ذا رأي وتدبير وحنكة وتجربة في جميع الأمور، فقال للنصراني: إنا لا نشكّ في قولك ولا نرتاب، غير أنا نخاف على المسلمين من بلاد لا يعرفونها، وبيننا وبينها البحر، وبينك وبين ملكك حمية الجاهلية واتفاق الدين، ولكن ارجع إلى مكانك، واجمع جندك، ومن يقول بقولك، وجز إليه بنفسك، وشنّ الغارة على بلاده، واقطع ما بينك وبينه، وإذ ذاك

منها- البيان المغرب- ج2 ص 7.

(1) زيادة من ابن حبيب وابن عذاري حتى يستقيم المعنى.

(2) في الأصل وفي كل النسخ بها، ولعل الصواب ما أثبتنا من ابن حبيب وابن عذاري ومؤلف فتح الأندلس.

(3) الرواية منقولة حرفيا عن ابن حبيب- كتاب التاريخ- ص 138-139، وأورد مؤلف فتح الأندلس نفس الرواية- ص 11-12، كما أوردها ابن عذاري- البيان المغرب- ج2 ص 22-23.

تطيب النفس عليه، ونحن من ورائك إن شاء الله.

[حملة طريف بن مالك المعافري] فكتب إذ ذاك موسى بن نصير إلى الوليد بن عبد الملك معلمًا بما جاء به يليان؛ فراجعه أن خذها بالسرايا حتى تختبر ولا تغرر، وإن يليان انصرف فجمع وحشد وجاز في مركبين فحلّ بالجزيرة الخضراء، فشنّ الغارة على تلك البلاد، وحرق وسبى وقتل وغنم ورجع، وقد امتلأت أيديهم خيرًا؛ فشاع الخبر في كل قطر، ثم اجتمع ناس من البربر نحو ثلاثة آلاف رجل، وقدّموا عليهم أبا زرعة طريف بن مالك المعافري، وجاز بهم، وحلّ في جزيرة فسميت طريفا؛ فثبت لها هذا الاسم إلى اليوم؛ فشنّ الغارة وسبى وقتل ورجع سالمًا؛ فكتب يليان إلى موسى بالفتح، وكتب به موسى إلى الوليد؛ فاتفق أن وردت عليه في ذلك اليوم إحدى عشرة بشارة كلها بالفتوحات، فخرّ ساجدا لله تعالى[1].

[حملة طارق بن زياد] ثم رجع يليان ثانية إلى موسى، وأعلمه بما كان من فعله وبلائه، وحرصه على غزو الأندلس؛ فدعا عند ذلك موسى مولاه طارق بن زياد، وعقد له على اثني عشر ألفا[2] بين عرب وبربر، وأمر يليان بالجواز معه بجملته، وانحاش إليه خلق كثير متطوعين؛ فمضى لسبتة، وجاز في مراكبه إلى جبل فأرسى فيه؛ فسمي جبل طارق باسمه إلى الآن[3]، وذلك سنة [اثنتين] وتسعين[4] من الهجرة.

ووجد بعض الروم وقوفًا في موضع وطي كان عزم على النزول فيه إلى البرّ فمنعوه منه؛ فعدل عنه ليلا إلى موضع وعر؛ فوطأه بالمجاذف وبرادع الدواب، ونزل

---

(1) الرواية منقولة حرفيا عن مجهول- فتح الأندلس- ص 15-16.

(2) انظر ابن حبيب- كتاب التأريخ- ص137/مجهول- تاريخ الأندلس- ص153/ابن عذاري- البيان المغرب- ج2 ص 6.

(3) الرواية منقولة حرفيا عن مجهول- فتح الأندلس- ص 16.

(4) في الأصل ثلاث وتسعين، والصحيح ما أثبتنا من ابن حبيب- كتاب التأريخ- ص 137/ابن عذاري- البيان المغرب- ج2 ص 9/أبو بكر ابن القوطية- تاريخ افتتاح الأندلس- تحقيق إسماعيل العربي- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- 1989- ص 22/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 153.

منه في البرّ وهم لا يعلمون؛ فشنّ غارة عليهم وأوقع بهم وغنمهم، ورحل إلى قرطبة بعد أن أحرق المراكب، وقال لأصحابه: قاتلوا [أو موتوا][1] ؛ فلقي عجوزًا فقالت له: كان لي زوج عالم بالحدثان، وكان يخبر أنه سيجوز رجل في صفتك، /113ظ/عظيم الهامة في كتفه شامة، وفيه علامة تكون له الزعامة؛ فكشف لهم عن الشامة والعلامة؛ فتباشر الناس بذلك وتشجّعوا به[2].

فلما انتهى خبره إلى لذريق خرج إلى لقائه في مائة ألف فارس، ومعه العجل تحمل الأموال والكسوة، وهو على سرير تحمله ثلاث بغلات مقرونات، وعليه قبّة مكللة بالدرّ والياقوت، وعلى جسده حلة لؤلؤ قد نظمت بخيوط الإبْرَيْسَم[3]، ومعه أعداد دواب لا تحمل غير الحبال لكتاف الأسرى إذ لم يشك في أخذهم[4].

وكان موسى بن نصير حين أنفذ طارقا مكبًا على الدعاء والبكاء والتضرّع لله تعالى، والابتهال إليه في أن ينصر جيش المسلمين، وما علم أنه هزم له جيش قط[5].

ورحل لذريق قاصدًا قرطبة يريد طارقا؛ فلما تدانيا تخير لذريق رجلا شجاعا عارفا بالحروب ومكائدها، وأمره أن يدخل في عسكر طارق فيرى صفاتهم وهيئاتهم؛ فمضى حتى دخل في محلة المسلمين، فأحسّ به طارق؛ فأمر ببعض القتلى أن تقطع لحومهم وتطبخ؛ فأخذ الناس القتلى، فقطعوا لحومهم وطبخوها، ولم يشكّ رسول لذريق أنهم يأكلونها، فلما جنّ الليل أمر [طارق][6] بهرق تلك اللحوم ودفنها، وذبح بقرًا وغنمًا، وجعل لحومها في تلك القدور.

وأصبح الناس ونودي فيهم بالاجتماع إلى الطعام؛ فأكلوا عنده ورسول

---

(1) ساقط في الأصل، والزيادة من م ون.

(2) قارن مع ما أورده مجهول- فتح الأندلس- ص 16-18.

(3) الإبريسم: أحسن الحرير. المعجم الوسيط- ص 2.

(4) قارن مع ما أورده مجهول- فتح الأندلس- ص 18/ابن القوطية- تاريخ افتتاح الأندلس- ص 23.

(5) انظر ابن حبيب- كتاب التأريخ- ص 142.

(6) زيادة يقتضيها سياق الكلام.

لذريق أكل معهم؛ فلما فرغوا انصرف الرسول إلى لذريق وقال له: أتتك أمة تأكل لحوم الموتى من بني آدم، وصفاتهم الصفات التي وجدنا في البيت المقفول، قد أحرقوا مراكبهم، ووطنوا على الموت أو الفتح؛ فداخل لذريق وجيشه من الجزع ما لم يظنوا[1].

[المعركة بين طارق ولذريق] ثم لم يكن له بدّ من المقابلة، فالتقيا يوم الأحد، وصدق المسلمون القتال، وحملوا حملة رجل واحد على المشركين؛ فخذلهم الله تعالى، وزلزل أقدامهم، وتبعهم المسلمون بالقتل والأسر، ولم يعرف لملكهم لذريق خبر، ولا بان له أثر؛ فقيل إنه ترجل وأراد أن يستتر في شاطئ الوادي؛ فصادف غديرًا فغرق فيه فمات، ولهذا وجد فيه فرد خفّه وهو مرصّع بالدرّ والياقوت عليه الخمل؛ فانسلّ من رجله، وقُوّم في المغنم بمائة ألف دينار، وانتهبت محلته، وانتشر عسكر المسلمين في الجزيرة يمينا وشمالا، وكل ما غنم أخذ طارق منه الخمس لبيت المال، وقسم الأربعة الأخماس على من كان /114و/حضر الوقيعة من المسلمين؛ فتحصل منه مال عظيم، وامتلأت أيدي الناس؛ فتسامع الناس به من كل مكان؛ فجاؤوا إليه من شرق وغرب، واتصل الخبر بموسى فكتب طارق إليه؛ فكتب به موسى إلى الوليد[2].

[فتوحات طارق في الأندلس] ومضى طارق على وجهه إلى طليطلة ففتحها وما وراءها، [3] ووجد في كنيستهم العظمى مائدة سليمان بن داود عليهما السلام، ومرآة إذا نظر الناظر فيها رأى الدنيا كلها بين عينيه، وكانت مدبّرة من أخلاط أحجار وعقاقير منقوشة بخط يوناني جليل، وواحدًا وعشرين مصحفا من التوراة

---

(1) قارن مع ما أورده مجهول- فتح الأندلس- ص 17.

(2) قارن مع ما أورده مجهول- فتح الأندلس- صص 18-20/مجهول- أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها رحمهم الله والحروب الواقعة بها- تحقيق وتعليق إسماعيل العربي- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر-1989م- ص 98.

(3) من هنا يبدأ مخطوط الخزانة الزيانية القندوسية الواقعة في بلدية القنادسة (ولاية بشار- الجمهورية الجزائرية) التي أسسها الأستاذ مبارك الطاهري، وجمع فيها ما بقي من المخطوطات التي كانت تزخر بها خزانة الزاوية الزيانية التي أنشأها جده الشيخ امحمد بن أبي زيان، وتضم حاليا قرابة المائتي مخطوطة، ومنها مخطوطة "الاكتفاء في أخبار الخلفاء".

والإنجيل والزبور[1]، ومصحفا[2] إبراهيم وموسى عليهما السلام، وخمساً وعشرين تاجًا كلها مكللة لأنهم كلما مات ملك منهم ترك تاجه، وكتب فيه اسمه وصفته، وكم عاش وكم ولي، ومنافع الحيوان والأشجار والأحجار، وطلسمات عجيبة محكمة، وكتابًا فيه الصنعة الكبرى وعقاقيرها وإكسيرها، وصنع الأحجار واليواقيت، [والجميع][3] في أوان من ذهب مرصعة بالدر[4].

ورجع طارق إلى قرطبة، واستوطنها بعد أن وغل في بلاد الروم، وانتهى في غزوه[5] إلى أن لقي أمة كالبهائم والوحوش حتى ملّ الناس السفر، وخلقت أبدانهم[6] من طول المشي المستمر؛ فقالوا له: ألم تقنع بما فتح الله عليك؟ فضحك وقال: والله لو ساعدتموني لسرت بكم حتى أقف على باب رومة وقسطنطينية[7] العظمى، وأفتتحها بإذن الله؛ فإذا قد مللتم وسئمتم فارجعوا[8].

[جواز موسى إلى الأندلس] فلما[9] بلغ ذلك كله إلى موسى بن نصير حسده، وخاف إن بلغ الوليد فعله وفتحه أن يسمو[10] عنده، ويرأس عليه[11]؛ فسار بنفسه إلى[12] الأندلس في عشرة آلاف فارس، وكان معه من التابعين رضي الله



(1) الفرقان زائدة في ق.
(2) مصحف في م.
(3) الزيادة من ق.
(4) قارن مع ما أورده ابن حبيب الذي يقول: إن الذي وجد ذلك هو موسى بن نصير- كتاب التأريخ- ص 140/ابن عذاري- البيان المغرب- ج2 ص 17-18/مجهول- فتح الأندلس- ص 23/مجهول- أخبار مجموعة- ص 101
(5) غزاته في ق.
(6) أثوابهم في ق.
(7) في الأصل وفي ق قسطنطينة.
(8) ينسب ابن حبيب هذا القول إلى موسى بن نصير- كتاب التأريخ- ص 142، وكذلك ابن قتيبة الدينوري- الإمامة والسياسة- ص 243.
(9) كلما في ق.
(10) فيسمو في ق.
(11) عنده في ق.
(12) يريد الجواز من ق.

منهم حنش بن عبد الله الصنعاني و[أبو] عبد الرحمن بن عبد الله بن يزيد الحبلي[1] وعبد الرحمن بن شماسة المصري وأبو النضر حيان بن أبي جبلة مولى [بني] عبد الدار، ويقال مولى شرحبيل[2] ابن حسنة، في عشرين رجلا منهم[3].

وجاز إلى الجزيرة الخضراء، وقصد قرطبة؛ فتلقاه[4] طارق وكبّره وعظمه؛ فعلاه موسى بالقضيب على رأسه وقرعه، ومضى /114ظ/على وجهه حتى دخل قرطبة فقال لطارق: أحضرني جميع ما غنمت وما وجدت من الذخائر؛ فأتاه بجميع ذلك وبالمائدة على زوج أرجل وأزال الثالث، وخبأه لأمر دبّره لما أصابه وما شكره، وكانت قطعة واحدة من زمردة خضراء خرط منها أحد أرجلها وحواشيها؛ فقال له موسى: ما هذا؟ قال: هكذا وجدتها؛ فصدقه، وصنع لها رجلا من ذهب، وتتبع الأخماس والأموال، وجمع منها ما لا يحصى عدده[5].

ومضى حتى أتى طليطلة وجاوزها، وفتح ثماني عشرة مدينة، وغنم وسبى وانصرف، وأقام ثلاث سنين يغزو ويجاهد [ويدوخ بلاد الروم][6]، وقد كان أقام طارق قبله ثلاثة أعوام.

[عودة موسى وطارق إلى دمشق] ثم جاز البحر وأجاز معه طارق، واستخلف على الأندلس ابنه[7] عبد العزيز بن نصير، وقصد دمشق نحو أمير المؤمنين الوليد، وحمل جميع ما جلبه من الأندلس، وذلك ثلاثون عجلة موقرة ذهبا وفضة، ومن الأعلاق النفيسة من الياقوت والدر والزمرد والزبرجد، والذخائر الرفيعة من الملابس، ومائة ألف من سبي بين الرجال والنساء والصبيان، منهم

---

(1) البجلي في الأصل، وفي م ون، وما أثبتنا من ق ومن ابن حبيب- كتاب التأريخ- ص 142.
(2) ابن جبل في الأصل وهو تصحيف، وما أثبتنا من ق وم.
(3) قارن مع ما أورده ابن حبيب- كتاب التأريخ- ص 138/نفسه- 142، ومؤلف فتح الأندلس- ص 28.
(4) فالتقاه في ق.
(5) انظر ابن عذاري- البيان المغرب- ج2 ص 16-17/مجهول- فتح الأندلس- ص 24-25.
(6) الزيادة من ق.
(7) أخاه في الأصل، وفي ق وم وهو خطأ، والصحيح ما أثبتنا.

أربعمائة رجل من ملوك العجم متوجين[1].

فلما قرب من دمشق بلغه أن الوليد مريض؛ فكتب إليه سليمان بن عبد الملك أخوه وولي عهده من بعده أن يتأخر حتى يموت الوليد، ويقدم بتلك الأموال عليه؛ فتكون فألا له في أول ولايته؛ فلم يفعل موسى بل جدّ في السير حتى وصل، والوليد مشغول لما به؛ فلم يعبأ به، ولم يعرف مقدارًا لما جاء به[2].

وكان دخوله الأندلس في جمادى الأولى سنة ثلاث وتسعين[3]، وهو ابن ستين[4]، وأقام بإفريقية ست عشرة سنة واليا، وقفل منها[5] سنة خمس وتسعين[6] ؛ فمات الوليد عن قريب[7].

[وفاة الوليد ومدة خلافته] وكانت خلافة الوليد تسع سنين وسبعة[8] أشهر، وتوفي بدمشق يوم السبت للنصف من جمادى الآخرة سنة ست وتسعين، وهو ابن ثلاث وأربعين سنة وسبعة أشهر[9]، {وقيل ست وأربعون}[10]، وكان سبب موته أنه ركب يوما في قصره نجيبا، وجعل حادئا يحدو به /115و/تشبها[11] [منه] بالأعراب؛ فكان الحادي يقول في حدوه رجزًا منه:

يا أيها البكر الذي أراكا ويحك هل تعلم من علاكا

---

(1) قارن مع ما أورده ابن حبيب- كتاب التأريخ- ص 146/ابن قتيبة الدينوري- الإمامة والسياسة- ص 244/مجهول- فتح الأندلس- ص 34/ابن عذاري- البيان المغرب- ج2 ص 19.

(2) انظر ابن حبيب- كتاب التأريخ- ص 147/ابن عذاري- البيان المغرب- ج2 ص 20.

(3) في الأصل سنة 97هـ وهو خطأ في النسخ، ومن المعروف أن العبور كان في شهر رمضان سنة 93هـ (يونيو 712م)، وفي ق سنة 94هـ وهو خطأ.

(4) وهو ابن ثلاث وسبعين في ق.

(5) من الأندلس في ق.

(6) ست وتسعين في ق، كان ذلك في شهر ذي القعدة سنة 95هـ (سبتمبر سنة 714م).

(7) أورد ابن حبيب نفس الكلام- كتاب التأريخ- ص 146.

(8) ستة في ق.

(9) انظر الطبري- تاريخ- ج8 ص51/المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص156/أبو الحسن الروحي- بلغة الظرفاء- ص151.

(10) ساقط في ق.

(11) منه زائدة في ق.

خلـــيفة الله الــــذي امـــــتطاكا لــم يعــط بكــرًا قــط مــا أعطاكــا

فاستحسن الحدو ووصل الحادي، وجعل يتمايل حتى سقط فمرض فمات[1]، وصلى عليه أخوه سليمان [ابن عبد الملك][2].



(1) لم نجد هذه الرواية في المصادر التي بين أيدينا؛ فالطبري وابن الأثير وابن خلدون وغيرهم يقولون إنه مات بدير مُرّان الذي يقع بالقرب من دمشق، وهو دير كبير. تاريخ الطبري- ج8 ص 51/الكامل في التاريخ- ص 665/مروج الذهب- ج3 ص 156/ابن خلدون عبد الرحمن- كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر- ص 635/ابن الخطيب لسان الدين- أعمال الأعلام- ج1 ص 87/تاريخ اليعقوبي- ج2 ص 291/معجم البلدان- ج2 ص 533.

(2) الزيادة من م، وبقية هذه الورقة وثلثي الورقة 115ظ من الأصل فيها كلام عن خلافة سليمان بن عبد الملك، وسيأتي مكانها لاحقا، ويذكر آخرون أن الذي صلى عليه هو عمر بن عبد العزيز- انظر تاريخ اليعقوبي- ج2 ص 291/الطبري- تاريخ- ج8 ص 51.

[115ظ] خبر سليمان بن

عبد الملك بن مروان

يكنى أبا الوليد، وقيل أبو أيوب، أمه [ولادة][1] بنت العباس بن [جزء][2] من العرب الحجازيين[3]، ولد بالمدينة سنة إحدى وخمسين.

[بيعته بالخلافة وصفته] بويع بدمشق في اليوم الذي مات فيه أخوه الوليد، وهو ابن خمس وأربعين سنة[4]، وكان أجمل الناس صورة، أبيض مشربًا بحمرة، أسود الشعر رجله، نحيف البدن، معتدل القامة، وسيما أديبا شاعرًا[5]، نشأ بالبادية عند أخواله من بني عبس لأن الخلفاء كانوا يخرجون أولادهم إلى أحياء العرب ليتعلموا الفصاحة منهم.

[وزراءه:] حاجبه أبو عبيدة، وكاتبه على الإنشاء والرسائل /116و/ عبد الحميد الأكبر كاتب أبيه[6]، وكاتبه على الدواوين والخراج سليمان بن نعيم بن سلامة، وآذنه الحارث بن حكيم، وصاحب شرطته كعب بن خويلد[7] العبسي[8].

---

(1) ساقط في الأصل، وفي م ون، ولبنى في ق، وما أثبتنا من ابن سائب الكلبي- جمهرة النسب- ص 127/ابن حزم- جمهرة أنساب العرب- ص 91.

(2) جرير في الأصل وفي م ون، والصحيح ما أثبتنا من ابن سائب الكلبي- جمهرة النسب- ص 127/ابن حزم- جمهرة أنساب العرب- ص 91.

(3) زاد في ق: العرباء.

(4) اختلف المؤرخون في سنّه عند وفاته؛ فقيل قبض وهو ابن خمس وأربعين سنة، وقيل كان ابن ثلاث وخمسين سنة، وقيل ابن تسع وثلاثين سنة- المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 173.

(5) قارن مع ما أورده الروحي- بلغة الظرفاء- ص 153/تاريخ اليعقوبي- ج2 ص 299.

(6) هذا غير صحيح، وقد أشرنا إلى ذلك فيما سبق.

(7) حامد في تاريخ اليعقوبي- ج2 ص 299/تاريخ خليفة بن خياط- ص 204.

(8) قارن مع ما أورده مؤلف خليفة بن خياط- ص 204/الجهشياري أبو عبد الله- كتاب الوزراء والكتاب- ص 48/الروحي- بلغة الظرفاء- ص 155/تاريخ اليعقوبي- ج2 ص 299.

نقش خاتمه: آمنت بالله وحده.

[خطبته بعد تولي الخلافة]: ولما أفضى الأمر إليه، صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه، وصلى على رسوله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: الحمد لله الذي ما شاء صنع، وما شاء أعطى، وما شاء منع، وما شاء رفع، وما شاء وضع، أيها الناس إن الدنيا دار غرور وباطل وزينة وتقلب بأهلها، تضحك [باكيها][1] وتبكي ضاحكها، وتخيف آمنها وتؤمن خائفها، وتثري فقيرها وتفقر مثريها، عباد الله، اتخذوا كتاب الله إماما، وارضوا به حكما، واجعلوه لكم هاديا دليلا؛ فإنه ناسخ ما قبله، ولا ينسخه ما بعده، واعلموا عباد الله أنه ينفي عنكم كيد الشيطان ومطامعه كما يجلو ضوء الصبح إذا أسفر إدبار الليل إذا عسعس، ثم نزل وأذن للناس عليه فبايعوه، ولم يختلف عليه اثنان[2].

[سياسة سليمان] و{كانت خلافته يمنا وبركة[3]، افتتحها بخير واختتمها بمثله، ابتدأها بهدم دولة}[4] الحجّاج وخذلانه وسيره، وختمها {بما حاز به شرف الآخرة من استخلاف الرجل الفاضل، الآمن في الدنيا العادل}[5] باستخلاف عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، وأقرّ عمال أخيه على عملهم، وأقرّ خالد بن عبد الله القسري على مكة على أنه قد كان غيّر فيها وبدّل، وأمر أن تدار الصفوف حول الكعبة في الصلاة، ولم يكن قبل ذلك، وقال أحد الشعراء وهو يطوف بالبيت، وقد التقى بامرأة عند الحجر الأسود، وكان يهواها:

يا حبذا الموسم من وقفة[6] وحبذا الكعبة من مشهد[7]

وحبذا اللاتي[8] تزاحمنا عند استلام الحجر الأسود

---

(1) ساقط في الأصل، والزيادة من م وق.

(2) ورد نفس النص عند المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 174.

(3) بكرة في الأصل وهو تصحيف.

(4) ما بين الحاضنتين ساقط في ق.

(5) ما بين الحاضنتين ساقط في الأصل وفي م، والزيادة من ق.

(6) موقف عند المسعودي- ج3 ص 174.

(7) مسجد عند المسعودي. ج3 ص 174.

(8) اللاتي في الأصل، وما أثبتنا من ق.

فقال خالد: أما إنهنّ لا يزاحمنك بعد هذا الموسم، وأمر بالتفريق بين الرجال والنساء في الطواف[1].

[بين سليمان وموسى بن نصير] ولما ولي سليمان الخلافة استحضر موسى بن نصير[2]، وسأله عن المائدة وأين رجلها؛ فقال له: هكذا وجدتها حين أخذتها؛ [فأخرج][3] له طارق الرجل من عنده، وقال: بل أنا أخذتها هي وجميع ما أوتي به غير اليسير؛ فلم /116ظ/يجد موسى جوابًا، {وبقي باهتًا}[4] ؛ فسطا عليه، وطالبه بمائتي ألف دينار؛ فدفع إليه مائة ألف وعجز عن الباقي؛ فسجنه حتى ضمنها عنه الأمير يزيد بن المهلب {بن أبي صفرة}[5]، ووزعها على قومه، وذلك لمخالفته إياه فيما كان أمره به من التثبط بتلك الأموال إلى أن يموت الوليد[6].

وسأل سليمان بن عبد الملك عن هذه المائدة؛ فقيل له إن الجنّ كانت تتحف سليمان النبي عليه السلام بهذه الفوائد، تغوص عليها إلى قعر[7] البحار فتخرجها؛ فكانت هذه المائدة في بيت المال معظمة إلى أن ولي القرطر جزيرة الأندلس حين تغلب بخت نصر على بيت المقدس فحملها هي وغيرها من الذخائر الغريبة معه[8].

---

(1) ورد نفس النص عند المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 174.

(2) تجمع المصادر على أن موسى بن نصير قد دخل دمشق قبل وفاة الوليد، وقدّم الغنائم إليه- انظر ابن عبد الحكم- فتوح مصر وأخبارها- ص 353/أبو الحسن البلاذري- فتوح البلدان- لجنة تحقيق التراث- دار مكتبة الهلال- بيروت- 1403هـ-1983م- ص228/مجهول- فتح الأندلس- ص 36/ابن القوطية- تاريخ افتتاح الأندلس- ص 24/أبو إسحاق إبراهيم بن القاسم الرقيق- تاريخ إفريقية والمغرب- تحقيق عبد الله العلي الزيدان- عزالدين عمر موسى- دار الغرب الإسلامي- بيروت- 1990م- ص 56/ابن عذاري- البيان المغرب- ج 2 ص 20.

(3) فخرّج في الأصل وفي م، وما أثبتنا من ق.

(4) ساقط في ق.

(5) ساقط في ق.

(6) قارن مع ما أورده ابن حبيب- كتاب التأريخ- ص 147/ابن عذاري- البيان المغرب- ج2 ص 20-21.

(7) قعور في ق.

(8) انظر مجهول- فتح الأندلس- ص 35-36.

ثم عفا سليمان عن موسى، وحجّ مع سليمان سنة ثمان وتسعين؛ فمات موسى في تلك الحجّة في مدينة النبي[1] صلى الله عليه وسلم، ودفن بها، وصلى عليه سليمان؛ فيروى عن بعض أهل المدينة أن موسى قال يوما لبعض من يثق به: ليموتنّ {إلى يومين}[2] رجل قد بلغ ذكره المغرب والمشرق، قال: فلم أظن إلا أنه يعني الخليفة؛ فلما كان صباح اليوم الثاني لم أشعر وأنا في مسجد النبي[3] صلى الله عليه وسلم حتى سمعت الناس يقولون: توفي موسى بن نصير[4].

[ولاة الأمصار ومواصلة الغزو] وعزل سليمان عبد العزيز بن موسى[5] [ابن نصير][6] عن الأندلس بعد عام من ولايته، وولى مكانه [السمح][7] بن مالك [الخولاني][8].

وجهّز سليمان جيشا جرارًا إلى بلاد الشرك، وأمّر عليه أخاه مسلمة؛ فانتهى إلى القسطنطنية، ودوّخ بلادها، وهزم أجنادها، وصدر سالمًا ظافرًا غانمًا[9].



(1) الرسول في ق.
(2) ساقط في ق.
(3) الرسول في ق.
(4) أورد ابن قتيبة الدينوري نفس الرواية- الإمامة والسياسة- ص 260.
(5) في الأصل وفي ق ابن عبد العزيز أخا موسى، وفي م عبد العزيز أخا موسى، والصحيح ما أثبتنا، والحقيقة أن سليمان لم يعزل عبد العزيز بن موسى بن نصير، وإنما ثار عليه جماعة من الجند فقتله بعضهم سنة سبع وتسعين، ولمزيد من التفاصيل انظر ابن عذاري المراكشي- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- ج2 ص24/الحميدي أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس- تحقيق صلاح الدين الهواري- المكتبة العصرية- صيدا بيروت-ط1- 1425هـ-2004م- ص20/تاريخ الطبري- ج8 ص68.
(6) ساقطة في الأصل وفي م، والزيادة من ق.
(7) السجسج في الأصل وفي م، والسبح في ق، والصحيح ما أثبتنا.
(8) الصحيح أن الذي عين السمح بن مالك الخولاني واليا على الأندلس هو عمر بن عبد العزيز. انظر ابن عذاري المراكشي- البيان المغرب-ج2 ص 26/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 156.
(9) كان ذلك من سنة سبع وتسعين إلى سنة ثمان وتسعين- تاريخ خليفة بن خياط- ص 201 وما بعدها/تاريخ الطبري- ج8 ص 68 وما بعدها.

[بين سليمان وكاتب الحجّاج] ودعا في أحد أيامه يزيد بن أبي مسلم، وكان قد أمر بسجنه وتقييده لأنه كان كاتب الحجّاج وصاحب أمره، وكان ذميمًا؛ فأدخل عليه وهو يرسف في قيوده؛ فازدراه لما رآه، ونبت عنه عيناه؛ فقال له: ما رأيت كاليوم قط لعن الله رجلا أجرّك رسنه[1]، وحكّمك أمره، وأشركك في أمانته؛ فقال له يزيد: لا تقل ذلك يا أمير المؤمنين، إنك ازدريتني لما رأيتني والأمر عني مدبر وعليك مقبل، ولو رأيتني والأمر عليّ مقبل لاستعظمت منّي ما استصغرت، ولاستجللت ما استحقرت؛ فقال له سليمان: عزمت عليك يا ابن أبي مسلم لتخبرني عن الحجّاج، أتراه يهوي في جهنم أم قد استقرّ فيها؛ فقال: يا أمير المؤمنين لا تقل ذلك عن الحجّاج /117و/وقد بذل لكم نصحه، وأخفر[2] دونكم دمه، ووالى وليكم، وأخاف عدوكم، ووطأ لكم المنابر، وأذلّ لكم الجبابر، وإنه يجيء يوم القيامة عن يمين عبدالملك ويسار الوليد، واجعله حيث شئت[3] ؛ فصاح سليمان أخرجوه عني لعنه الله.

ثم التفت إلى جلسائه، وفيهم عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه؛ فقال لهم: ثكلته أمّه ما أحسن بديهته، وتزيينه[4] لنفسه ولصاحبه، ولقد أحسن المكافأة[5] بحسن الصنيعة[6].

وأراد أن يطلقه ويوليه عملا؛ فقال له عمر بن عبد العزيز: يا أمير المؤمنين لا تحمي دولة الظلم؛ [فأقام مسجونا طول حياة سليمان وأيام عمر؛ [فلما ولي يزيد بن عبد الملك أطلقه، وولاه على إفريقية[7].

---

(1) الرسن: ما كان من الأزمة على الأنف. المعجم الوسيط- ص 345.

(2) الخفارة الذمة والعهد والأمان والحراسة. المعجم الوسيط- ص 246.

(3) أحيبت في ق، وفيه زاد قائلا: ويروى أنه يجيء يوم القيامة عن يمين أبيك ويسار الوليد؛ فحيث كان كان.

(4) ترتيبه في الأصل، وتربيته عند المسعودي.

(5) المكافآت في الأصل، وما أثبتنا من م ون وق.

(6) وردت الرواية مع اختلاف طفيف عند ابن عساكر- تاريخ دمشق- ج65 ص291/ والمسعودي- مروج الذهب- ج 3 ص177، كما وردت في تاريخ اليعقوبي- ج2 ص 294 -295.

(7) تم ذلك سنة 101هـ- انظر ابن عساكر- تاريخ دمشق- ج 65 ص 293/ابن الأبار القضاعي-

قال محمد بن يزيد الأنصاري[1]، وكنت عاملا عليها لعمر[2]: فلما اجتمع بي قال: الحمد لله الذي أمكنني منك، والله لو حال بيني وبينك القضاء لسبقته إليك وأمر بثقافي؛ فبينما نحن في الكلام إذ أقيمت صلاة المغرب؛ فقام يصلي؛ فلما سجد وثب عليه رجل كان قد أضرّ به أيام الحجّاج فقتله، وأشار إلي أن سر؛ فمضيت متعجبا[3].

[سليمان ووفد العراق] وقدم على سليمان وفد العراق فقال قائلهم: والله يا أمير المؤمنين ما أتيناك لرغبة ولا لرهبة؛ فقال سليمان: فلم جئت لا جاء الله بك؟ قال: نحن وفد التهنئة لا وفد المرزية، أما الرغبة فقد وصلت إلينا بك، وفاضت في رحالنا، وتناولها الأقصى والأدنى منا، وأما الرهبة فقد أمناها منك بعدلك؛ فحببت إلينا بذلك الحياة، وهونت علينا الموت لما ترجوه فيمن يتخلف من أعقابنا؛ فاستحي سليمان منه وأعظم جائزته.

[بين سليمان وأعرابي] ودخل عليه أعرابي فقال له: يا أمير المؤمنين إني مكلمك بكلام فاحتمله إن كرهته؛ فإن وراءه ما تحبه إن قبلته، قال: هات، [قال:] فإني سأطلق لساني بما خرست به الألسن من عظتك لحق الله عزّ وجلّ وحقّ إمامتك، إنه قد اكتنفك قوم أساؤوا الإحسان[4] لأنفسهم؛ فابتاعوا دنياك بدينهم ورضاك بسخط ربّهم، خافوك في الله عزّ وجلّ، ولم يخافوا الله فيك؛ فهم حزب الآخرة سلم الدنيا؛ فلا تأمنهم على ما ائتمنك الله عزّ وجلّ عليه؛ فإنهم لن يألوا

-

الحلة السيراء- تحقيق حسين مؤنس- دار المعارف- القاهرة- ط2- 1985م- ج2 ص 336/ابن عذاري- البيان المغرب- ج1 ص 48.

(1) الذي عند الجهشياري أن القصة وقعت بين الوضاح بن خيثمة عامل عمر في إفريقية وبين يزيد بن أبي مسلم- كتاب الوزراء والكتاب- ص 56-57.

(2) الصحيح أن الذي ولاه هو سليمان بن عبد الملك، وذلك سنة ست وتسعين- ابن الأبار القضاعي- الحلة السيراء- ج2 ص 335.

(3) قال ابن عذاري: اتفق حرسه على قتله بعدما قرر أن يرسم في يمين الرجل منهم اسمه وفي يساره حرسي، وتم ذلك سنة 102هـ- لمزيد من التفاصيل انظر البيان المغرب- ج1 ص 48 /ابن تغري بردي- النجوم الزاهرة- ج1 ص 313.

(4) الإخبار في ق، والاختيار عند المسعودي.

الأمانة إلا تضييعًا، والأمة إلا عسفًا، والقرى إلا خسفًا، وأنت مسؤول عما اجترحت، {وليسوا مسؤولين عما اجترحت}[1] ؛ فلا تصلح دنياهم بفساد آخرتك؛ فأعظم الناس [عيبا][2] يوم القيامة من باع آخرته بدنيا غيره؛ فقال له سليمان: أما أنت يا أعرابي فقد نصحت، وأرجو الله عزّ وجلّ أن يعين [على][3] ما تقلدنا[4].

وقال لرجل دخل عليه: تكلم في حاجتك، فقال: يا أمير المؤمنين هيبة الخلافة وعظم الملك يمنعاني من ذلك، قال: فعلى رسلك فإنا لا نحب مدح المشاهدة ولا تزكية اللقاء؛ فقال: يا أمير المؤمنين لست أحمدك، ولكني أحمد الله على النعمة بك، قال: حسبك؛ فقد بلغت من الثناء مناط الإحسان بك، وقضى حوائجه][5].

[بين سليمان وسعيد بن مخلد] [وقال الحارث بن سليم الجهيمي: شهدنا مجلس أمير المؤمنين سليمان بن عبد الملك، وأتى سعيد بن مخلد بن عمر بن عثمان بن عفان فقال: يا أمير المؤمنين أتيتك مستعديا؛ فقال: من بك؟ قال: موسى شهدات، قال: وما له؟ قال: سمع بي واستطال في عرضي؛ فقال: يا غلام عليّ بموسى فأتى به؛ فقال: أسمعت به واستطلت في عرضه؛ فقال: ما فعلت يا أمير المؤمنين، ولكنّي مدحت ابن عمه فغضب هو، قال: وما ذاك؟ قال: يا أمير المؤمنين علقت جارية لم يبلغ ثمنها جدتي فأتيته وهو صديقي؛ فشكوت إليه ذلك؛ فلم أصب عنده في ذلك شيئاً؛ فأتيت ابن عمه سعيد بن خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد بن أبي العاص بن أمية فشكوت ذلك إليه كما شكوت إلى هذا؛ فقال: تعود إلي؛ فتركته ثلاثا ثم أتيته فمهل من إذني؛ فلما استقرّ في المجلس، قال: يا غلام قل لقيمي وديعي يفتح بابين بابين؛ فإذا أنا بالجارية؛ فقال لي: هذه بغيتك، قلت: نعم فداك أبي وأمي، ثم قال: اجلس، وقال: يا غلام قل لقيمي طيبنة نفقتي؛ فأتى بطيبته؛

---

(1) ساقط في ق.

(2) ساقط في م، وما أثبتنا من ق.

(3) ساقط في م، والزيادة من ق.

(4) أورد المسعودي هذه الرواية مع بعض الاختلاف- مروج الذهب- ج3 ص 178-179.

(5) الفقرة من "فأقام مسجونا" إلى "وقضى حوائجة" ساقطة في الأصل، وما أثبتنا من م ومن ن وق.

فنشرت بين يديه؛ فإذا فيها مائة دينار وليس فيها غيرها؛ فردت في الطبينة، ثم قال: عتيدتي التي فيها طبينتي فأتى بها؛ فقال: ملحفة فراشي؛ فأتى بها، وضرب الطبينة وما في العتيدة في حواشي الملحفة، وقال لي: شأنك بهواك واستقر بهذا عليه، قال: فقال سليمان: بذلك حيث يقول ماذا؟ فقال:

أبا خالد أعني سعيد ابن خالد ... أخا العرب لا أعني ابن بنت سعيد

ولكنني أعني ابن عائشة الذي ... أبو أبَوَيْه خالد بن أسيد

عقيل الندى ما عاش يرضى به الندى ... فإن مات لم يرض الندى بفقيد

دعوه دعوه إنكم قد رقدتم ... وما هو عن إحسانه برقود

فقال سليمان: يا غلام علي بسعيد بن خالد؛ فأتى به؛ فقال: [يا][1] سعيد أحق ما وصفك به موسى؟ قال: وما هو يا أمير المؤمنين؟ فأعاد عليه؛ فقال: قد كان ذلك يا أمير المؤمنين، قال: فما طرقك ذلك؟ قال: الكلف، قال: فما حملتك الكلف؟ قال: دينا يا أمير المؤمنين: ثلاثين ألف دينار، قال: قد أمرت لك بها وبمثلها وثلاث مثلها؛ فلقيت سعيد بن خالد بعد حين فأخذت بعنان دابته؛ فقلت بأبي وأمي ما فعل المال الذي أمر لك به سليمان أمير المؤمنين؟ قال: وما علمك به؟ قلت: أنا والله لحاضر المجلس يومئذ، قال: والله ما أصبحت أملك دينارًا ولا درهمًا، قلت: فما اغتاله؟ قال: خلة من صديق أو فاقة من ذي رحم، وكان أبوه خالد أجود أهل الشام][2].

[أجود العرب] [ويقال إن أجود[3] العرب في الإسلام عشرة فأجود أهل الحجاز عبد الله بن جعفر بن أبي طالب وعبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وسعيد بن العاص، وأجود أهل الكوفة عتاب بن ورقاء أحد بني رياح بن يربوع وأسماء بن خارجة بن حصين الفزاري وعكرمة بن ربعي الفياض، أحد بني تيم الله بن ثعلبة، وأجود أهل البصرة عمرو بن عبيد الله بن معمر وطلحة بن عبيد الله الخزاعي، وهو طلحة الطلحات، وعبيد الله بن أبي بكر، وأجود أهل الشام خالد بن

---

(1) إضافة حتى يستقيم المعنى.
(2) ساقط في الأصل وفي م ون، والزيادة من ق.
(3) أجواد في ق.

أسيد، وليس في هؤلاء كلهم أجود من عبد الله بن جعفر.

[بين سليمان وأعرابي] ودخل على سليمان أعرابي فقال له: يا أعرابي أأصابك سماء في وجهك هذا؟ قال: نعم يا أمير المؤمنين غير أنها سماء طخياء، وطفاء كان في واديها الدلاء من حجنة النواحي موصولة بالآكام تكاد أن تمس من الرجال الهام، كثير[1] رجلها، قاصف رعدها، بطيء سيرها، حثيث قطرها، معتق ودفها، خضل سيلها، مظلم يومها، قد لجأت الوحوش إلى أوطانها، تبحث عن أصوله بأظلافها، مجتمعة [بعد] شتاتها، متآلفة بعد افتراقها؛ فلولا اعتصامنا يا أمير المؤمنين بعضاة الشجر، وتعلقنا بقنان الجبال لكنا جفاء ببعض الأودية، ولقم الطريق؛ فأطال الله لنا في بقائك، وأخسأ لنا في أجلك؛ فهذه بركتك، وعادة الله في رعيتك، وصلى الله على محمد وعلى آله وسلم تسليما.

فقال له سليمان: لعمر أبيك لئن كانت بديهة لقد أحسنت، ولئن كانت محبرة لقد أجدت، قال: بل محبرة يا أمير المؤمنين؛ قال: يا غلام أعطه ألف درهم؛ فلصدقه إلينا أعجب من وصفه الطخيا المظلمة والوطفاء المنهملة والمرجحة المنبتة.

والرجل رفع الصوت، وقاصف أي كاسر، والحثيث السريع، منعق ودقها أي لودقها صوت مفضل أي بآل، وأخضلتنا السماء أي بلتنا، والعضاة شجر له شوك كالطلح والعوسج، الراجدة عضة لها أصلية، وقد يقال عضة كما تقول عزة، ثم يجمع على عضواة، وقنان جمع قنة وهي الجبل المنفرد، والجفاء ما رمى به الوادي إلى جنباته من الغثاء، ولقم الطريق منهجه، وأنسى أي أخر.

[بلاغة سليمان] وقال سليمان يوما لجلسائه: لقد أكلنا الطيب ولبسنا اللين، وركبنا [الفاره][2] وامتطينا العذراء؛ فلم يبق من لذتي إلا صديق أطرح بيني وبينه مؤنة التحفظ، وكان يقول: زيادة المنطق على العقل خدعة، وزيادة العقل على المنطق منحة، وأحسن ذلك ما زين بعضه بعضا.

[وقدم إليه قاطع طريق فقال له: أكنت آمنا أن تنالك الأحكام فتفقد لها

---

(1) كبير في ن.

(2) الفرات في م، وما أثبتنا من ق.

بعضك من يديك ورجليك فيسئك ذلك في المحيا؟ قال: كلا ولكنه إذا توقيت الشماتة سخت النفس بالمتألف؛ فقال سليمان: صدقت ولو كان حسن اعتذار يبطل حدًا لكان، ثم حدّه.

[رجل يتظلم لسليمان] وظلم وكلاء رجل من بني أمية له قدر ومنزلة رجلا من العرب في مال له بالحجاز؛ فخاصم الرجل وكلاء الأموي في ذلك إلى الوالي الذي كان عليهم؛ فضلع لهم عليه؛ فقال الرجل: لا أرضى إلا بوالي مكة الذي كان ارتفعوا إليه؛ فضلع لوكلائه على الرجل أيضا؛ فقال: لا أرضى إلا بأمير المؤمنين سليمان؛ فخرج الرجل حتى أتى دمشق؛ فلم يلق أحدًا من جلساء سليمان ولا عظيما من عظماء دمشق إلا كان ميلهم إلى الأموي عليه؛ فطلب الوصول إلى الخليفة؛ فتعذر عليه؛ فطفق يشكو ذلك إلى كل من جلس إليه؛ وأنس به حتى شكا ذلك إلى رجل من بوّابي سليمان؛ فرقّ له البواب، وقال: ما يوصلك له أحد إلا خصّي أثير عنده، ولا يوصلك إليه حتى ترغب له؛ فقال الرجل: أنا أجعل له مائتي دينار على أن يوصلني إليه خاليا؛ فسفر البواب بينه وبين الخصي حتى فهم الخصي حاجة الرجل، وما جعل له من الجعالة، وصيّر البواب أمينا، وجعل الدنانير على يديه على أن الدنانير للخصي إذا وصل الرجل إلى سليمان؛ فكلمه خاليا قضيت حاجته أو لم تقض؛ فأمر الخادم الرجل بلزوم الباب؛ فجعل يغدو؛ فلا يزال ملازما بالباب حتى إذا أمسى انصرف إلى رحله.

فلم يزل كذلك يغدو كل يوم إلى أن دعا سليمان الخصي يوما، وأمره أن يأتي بوضوء فأتاه به؛ فبينما الخادم يصب الماء على سليمان إذ ملأ سليمان يده فضرب وجه الخادم؛ فقال الخادم، وعرف منه طيب نفس: أما هذا فتحبسه، وأما أن تعطيني أو تدع من يعطيني فلا؛ فقال له سليمان: هل منعت من عطيتك أحدًا؟ فقال: هذا رجل ببابك قد جعل لي مائتي دينار على أن يكلمك في حاجة له خاليا قضيت الحاجة أو لم تقض، قال له سليمان: أدخله.

وقام سليمان يصلي، ثم قعد يخطو بأصبعه ويدعو؛ فدخل الرجل وسليمان يخطو بإصبعه إلى السماء يدعو الله عزّ وجلّ؛ فقال الرجل حين نظر إلى سليمان في تلك الحال: آه آه أخطأت موضع حاجتي، ثم رجع منصرفًا خارجًا، وانصرف

سليمان فقال للخصي: أين صاحبك؛ فطلبه فوجده قد خرج، وقال للبواب: إدفع الدنانير إلى الخادم فإنه قد وفى بما ضمن؛ فطلبه الخادم على الباب فلم يجده؛ فرجع إلى سليمان فأخبره بذلك؛ فقال سليمان للخادم: بساطي عليك محرم أو تجيئني بهذا الرجل.

فخرج الخادم وثقاته ومن كان يطيف به فتفرقوا في طلبه حتى ظفروا به، وهو يقود راحلته خارجًا من باب من أبواب دمشق متوجهًا إلى أهله؛ فقال الخادم: ارجع إلى أمير المؤمنين فقد طلبك؛ فقال: لا حاجة لي في الرجوع إليه، وقد أمرت البواب أن يدفع لك الدنانير؛ فقال له الخصي: لا بدّ لك من الرجوع؛ فردّه على كره منه حتى أدخله إلى سليمان؛ فقال له سليمان: ألم أخبر أنك جعلت لهذا مائتي دينار على أن يدخلك عليّ؟ فقال الرجل: قد كان ذلك أصلح الله أمير المؤمنين، قال سليمان: فلم أرك حين ملأت عيني منك، قال: بلى، [قال سليمان:][1] فما أخرجك؟ والله إن لك لخبرًا، قال: أجل خبر ضخم العنق، إن فلانا ظلمني في أرض لي بالحجاز؛ فاستعديت عليه الوالي علينا وعلى ناحيتنا فضلع له علي؛ فلم أرض بذلك، واسعديت عليه الوالي الأكبر فضلع له علي؛ فلم أرض بذلك، وقلت لا أقصر حتى أنتهي إلى أمير المؤمنين، فلما قدمت إلى دمشق لم أر بها أحدًا نفزع إليه إلا وجدته معه عليّ؛ فجعلت لخادمك هذا الذي جعلت له على أن يوصلني إليك؛ فلما أوصلني إليك [رأيتك] تخطو بأصبعك إلى السماء تطلب من الله عزّ وجلّ حاجتك وتضرع إليه؛ فقربت بفعلك موضع حاجتي، وعلمت أني قد أخطأت في طلبها، ولم آتها من الموضع الذي ينبغي؛ فرجعت أطلبها من الموضع الذي تطلب أنت حاجتك؛ فبكى سليمان، ثم قال: إن الذي طلبت إليه حاجتك قد قضاها، وأرسل سليمان إلى الأموي، وأمره بردّ ما ادعى عليه؛ فكتب الأموي له بكل ما أحبّ، وأعطاه أيضا ما يصلح به ضيعته، وذلك بقدر، وأوصله وكساه وحمله، وأمر له بفرائض[2].

[وعظ عمر بن عبد العزيز لسليمان] وذكر رجاء بن حيوة قال: حجّ

---

(1) زيادة حتى يستقيم المعنى.

(2) لم نعثر على هذه القصة في المصادر المستعملة في التحقيق.

سليمان بن عبد الملك سنة ثمان وتسعين ومعه عمر بن عبد العزيز؛ فلما انتهى إلى عقبة عُسْفان[1] نظر سليمان إلى السرادقات قد ضربت له من وشي أحمر وأخضر وأصفر، وقد كان عمل له يوسف بن عمر باليمن ثلاث سرادقات، فكانت تضرب له؛ فكان الذي يلي الناس منها من خزّ أخضر، والذي يليه خزّ أصفر، والذي يكون هو فيه من وشيٍ أحمر مُحَبَّر[2] من حَبِرَاتِ[3] اليمن مزرد بالذهب والفضة، في داخله فسطاط فيه أربعة أفرشة من خزّ أحمر، مرافقها من وشي أصفر، وضرب حجر نسائه من وراء فسطاطه، وحجر بنيه وكتابه وحشمه قرب ذلك.

فلما استوى سليمان في قبة العقبة، ونظر إلى ما قد نصب له قال: يا عمر كيف ترى ما هاهنا؟ قال: عمر أرى دنيا عريضة يأكل بعضها بعضا، وأنت المسؤول عنها والمأخوذ بها؛ فبينما هما كذلك إذ طار غراب من سرادق سليمان في منقاره كسرة؛ فصاح الغراب؛ فقال سليمان: ما يقول الغراب يا عمر؟ قال عمر: ما أدري ولكن إن شئت اخبرتك بعلم؛ فقال سليمان: أخبرني؛ فقال عمر: هذا غراب طار من سرادقك في منقاره كسرة يأكلها، وأنت المأخوذ بها والمسؤول؛ فقال سليمان: إنك لتجيء بالعجائب يا أبا حفص؛ فقال عمر: أولا أخبرك بأعجب من هذا يا أمير المؤمنين؟ قال: أخبرني، قال: من عرف الله كيف يعصيه؟ ومن عرف الشيطان كيف يطيعه؟ ومن أيقن بالموت كيف يهنأه العيش ويسوغ له الطعام؟ ومن أيقن بالنار كيف يضحك؟ فقال سليمان: عبت علينا ما نحن فيه يا أبا حفص، من يطيق ما تطيق يا عمر؟ أنت والله الموفق للصواب[4]][5].

---

(1) عقبة عسفان: بضم أوله وسكون ثانيه قرية جامعة بها منبر ونخيل ومزارع على ستة وثلاثين ميلا من مكة وهي حدُ تهامةومن عسفان إلى ملل وملل على على ليلة من المدينة، وقيل عسفان على مرحلتين من مكة على طريق المدينة، والجحفة على ثلاث مراحل. معجم البلدان- ج 4 ص 121-122.

(2) حبّر الشيء زيّنه ونمّقه. المعجم الوسيط- ص 151.

(3) الحَبِرَةُ أو الحِبَرَةُ: ثوب من قطن أو كتان مخطط كان يصنع في اليمن.المعجم الوسيط- ص 151-152.

(4) أورد ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن نبذا من هذه الموعظة- سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز- تحقيق نعيم زرزور- دار الكتب العلمية- بيروت- 1404هـ-1984م- ص 52.

(5) ما بين المعقوفين ساقط في م ون، والزيادة من ق.

[بين سليمان وأبي حازم الأعرج] وقدم سليمان مكة فأقام بها، وسأل هل بالمدينة من التابعين أو ممن أدركهم {أحد}[1] ؛ فقيل له: أبو حازم الأعرج صاحب أبي هريرة، واسمه عبد الرحمن بن هُرمُز، يكنى أبا داود؛ فأرسل إليه؛ فلما دخل عليه قال له: ما هذا الجفاء؟ قال: وأي جفاء رأيت مني يا أمير المؤمنين؟ قال: أتاني وجوه أهل المدينة ولم تأتني أنت، قال: أعيذك بالله أن تقول ما لم يكن؛ فوالله ما رأيتني ولا عرفتك، وما للأعرج من حاجة يتكلم فيها، ولولا خوفكم ما آتيناكم، وعند سليمان محمد بن شهاب الزهري؛ فالتفت سليمان إلى ابن شهاب فقال: أصاب الشيخ وأخطأت.

ثم قال: يا أبا حازم ما لنا نكره الموت ونحب الحياة؟ قال: لأنكم أخربتم الآخرة وأعمرتم الدنيا؛ فتكرهون أن تنتقلوا[2] من العمران إلى الخراب، وعمدتم إلى أموالكم فجعلتموها نصب أعينكم؛ فأنتم تكرهون فراقها، ولو قدمتموها أمامكم لسرّكم أن تلحقوا بها؛ فإن كنت تريد من الدنيا ما يكفيك فأدنى ما فيها يجزيك، وإن كان أدنى ما فيها لا يجزيك فليس فيها شيء يغنيك، قال: يا أبا حازم ما تقول {فيما}[3] نحن فيه؟ قال: أوتعفيني يا أمير المؤمنين؟ قال: إنها نصيحة تلقيها[4] إليّ، قال: إن أباءك قهروا[5] الناس بالسيف، وأخذوا هذا الأمر عنوة على غير رضى من المسلمين ولا مشاورتهم؛ فقد رحلوا عن الدنيا؛ فلو علمت ما قالوا وما قيل لهم؟.

قال له رجل من جلسائه: بئس ما قلت يا أبا حازم، قال: كيف وإن الله أخذ ميثاق العلماء لتبيننه للناس ولا تكتمونه؛ فقال له سليمان: يا أبا حازم كيف بالقدوم على الله؟ قال: أما المحسن فكالرجل يقدم على أهله، وأما المسيء فكالكلب يقدم على مولاه؛ فبكى سليمان ثم قال: ليت شعري ما لنا عند الله، قال: أعرض عملك على كتاب الله، قال: وأيّ مكان أجده قال: "إِنَّ الأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ وَإِنَّ الفُجَّارَ لَفِي

(1) ساقط في ق.
(2) في ق تنتقلون.
(3) ساقطة في ق.
(4) نقلتها في ق.
(5) في ق: إن أباك قهر.

جَحِيمٍ"[1]، قال: فإن رحمة الله قريب من المحسنين.

قال له: يا أبا حازم أوصني، قال له: أوصيك ألا يراك حيث ينهاك، ولا يفقدك حيث أمرك، قال: فادع الله لي، قال: اللهم إن كان سليمان لك وليا فبشره بخير الدنيا والآخرة، وإن كان لك عدوًا فخذ بناصيته إلى ما يحبه ويرضاه[2]، قال له: يا أبا حازم هل لك مال كثير طيب؟ قال: نعم، قال: وما هو؟ قال: الرضا والقنوع، قال: ارفع حوائجك، قال: قد رفعتها، قال: إلى من؟ قال: إلى من لا تقضى الحوائج دونه، ولا ينتظر قضاءها لأمته، قال: ارفع حوائجك، قال: نعم، تنجيني من النار وتدخلني الجنة، قال: ليس ذلك إليّ، قال: فما للأعرج حاجة غيرها؟.

فالتفت ابن شهاب وقال: والله يا أمير المؤمنين إنه لجار لي منذ عشرين سنة ما ظننت أن هذا عنده، قال: أجل والله يا زهري لأني من المساكين، ولو كنت غنيا لعرفتني، أدركنا العلماء وهم لا يأتون الأمراء؛ فكان ذلك في صلاح الفريقين: الوالي والمولى عليه؛ فلما رأيت العلماء يأتون الأمراء يسألونهم ما في أيديهم قالوا: لولا أن الذي بأيدينا خير من الذي بأيديهم ما أتونا؛ فكان ذلك في هلاك الفريقين: الوالي والمولى عليه، قال سليمان: أجل والله يا زهري، لو لم تأتنا لأتيناك، ثم خرج أبو حازم من عنده فوجه له بمائة {ألف}[3] دينار، وكتب إليه: اقبلها ولك عندنا مثلها؛ فردّها وكتب إليه: أعيذك يا أمير المؤمنين أن يكون رسولك إياي لهزل، وردّي عليك لبدل، والله ما أرضاها لك، فكيف أرضاها لنفسي؛ فإن كنت إنما بعثتها عوضا مما حدثتك به فلأكل الميتة والدم ولحم الخنزير في حال الاضطرار أحبّ إليّ منها، وإن كنت إنما بعثت بها إلي لحقّ في بيت مال المسلمين فلي فيها نظر؛ فإن ساويت فيها بيننا، وإلا فلا حاجة لي فيها؛ فقال له رجل من جلسائه: أيسرّك يا أمير المؤمنين أن يكون الناس كلهم مثل هذا؟ قال: لا والله[4].

وأبو حازم الأعرج، ويقال إنه مولى محمد بن ربيعة بن الحرث بن

---

(1) سورة الانفطار- الآية 13-14.

(2) في ق: "ما يحب وما يرضى".

(3) ساقط في ق.

(4) أورد المسعودي جزءًا يسيرًا من هذه الرواية- مروج الذهب- ج3 ص 177-178.

عبد المطلب، توفي بالاسكندرية سنة سبع عشرة ومائة[1].

[مواقف سليمان عند الشدّة] وقال {سليمان}[2] عند موت ابنه[3] أيوب لعمر بن عبد العزيز ورجاء بن حيوة: إني لأجد في كبدي جمرة ولا يطفئها إلا عبرة؛ فقال عمر: أذكرك الله يا أمير المؤمنين، وعليك بالصبر؛ فنظر إلى رجاء بن حيوة كالمستريح إلى مشورته؛ فقال رجاء: أفضها يا أمير المؤمنين فما بذاك[4] من بأس؛ فقد ذرفت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم على ابنه إبراهيم، وقال: [إن] العين تدمع والقلب [يحزن][5]، ولا نقول [إلا ما يرضي ربنا][6]، وإنا بفراقك[7] يا إبراهيم لمحزونون[8] ؛ فأرسل سليمان عينيه فبكى حتى قضى أربا، ثم أقبل عليهما وقال: لو لم أنزف هذه العبرة لتصدعت كبدي، ثم لم يبك بعدها، ولكنه تمثل عند قبره لما دفنه، وحثا على قبره التراب، وقال يا غلام دابتي، ثم التفت إلى قبره فقال:

وقفت على قبر مقيم بقفرة ... متاع قليل من حبيب مفارق

وغضب سليمان على خالد بن عبد الله القسري؛ فلما دخل عليه قال: يا أمير المؤمنين إن القدرة تذهب الحفيظة، وإنك تجل[9] عن العقوبة، وإن تَعْفُ فأهل لذلك أنت، وأن تعاقب فأهل لذلك أنا، فعفا عنه[10].

[بين سليمان ونصيب الشاعر] وخرج نصيب الشاعر[11] يومًا مع ابنتيه

---

(1) قال ابن تغري بردي: توفي عبد الرحمن بن هُرمُز الأعرج مولى محمد بن ربيعة، وكنيته أبو داود سنة 117هـ- النجوم الزاهرة- ج1 ص 354.

(2)ساقطة في ق.

(3) أبيه في ق، وهو تصحيف.

(4) بذلك في ق.

(5) يتوجع في م وفي ن وق، وما أثبتنا من صحيح البخاري.

(6) ما يسخط الرب في م وفي ق، وما أثبتنا من صحيح البخاري.

(7) وإنا بك في م وفي ق، وما أثبتنا من صحيح البخاري.

(8) البخاري- صحيح البخاري- كتاب الجنائز- باب قول النبي صلى الله عليه وسلم إنا بك لحزونون- الحديث 1303- ص 227.

(9) تجلّ في ق.

(10) انظر المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 181.

(11) نصيب الشاعر: هو نصيب بن رباح، أبو محجن، مولى عبد العزيز بن مروان، شاعر فحل =

يتنزه؛ فبينما هو يمشي إذ أبصر بأمير المؤمنين سليمان؛ فقال لابنتيه: دونكما أمير المؤمنين؛ فلما وصلتا إليه قالت الكبرى:

فقيرات ووالدنا فقير أمير المؤمنين أما ترانا

أضرّ به شقاء الجدّ منه وليس يميرنا فيمن نمير

وقالت الصغرى:

أمير المؤمنين أما ترانا كأنا من سواد الليل قير

أمير المؤمنين أما ترانا خنافس بيننا جعل كبير

فضحك سليمان وأمر لهما بجائزة سنية.

[نهم سليمان في الأكل] وكان سليمان نهمًا له معدة كالنار؛ فمتى حصلت الأطعمة فيها عادت حمأ من شدّة حرارتها؛ فكان يأكل أبدًا ولا يشبع، وكان إذا رأى الطعام يساق إليه لم يتمالك حتى يقوم يلقاه ويأخذ منه، ويجيء معه بالأكل، ثم يجلس عليه، ففتحت له خوخة من خلفه يدخل منها الطعام فلا يراه حتى يوضع بين يديه؛ فيهجم عليه هجمة الأسد؛ فإن وجد الشواء في السفود سخنًا أخذه بأكمام حلته التي من الوشي والديباج المثقل بالذهب؛ فأخبر الأصمعي بذلك هارون الرشيد بعد سبعين سنة، فلم يصدقه؛ فقال له: مر الخازن أن يأتيك بصناديقه من الخزانة؛ فجاء بها؛ فوجد بها ثمانين حلة مذهبة مملوءة الأكمام والصدور بالدسم؛ فأعطى الأصمعي منها حلة باعها بخمسمائة دينار[1].

وأتى يوما بالكاملة وكان متخوما؛ فقال: اجمعوا المساكين على هذا الطعام؛ فلما اجتمعوا نظر إلى الطعام؛ فرأى فيه ألوانا حسانا محكمة كان يشتهيها؛ فأخذ في أكلها، وقال للعبيد:][2] أدخلوا المساكين المساجد حتى يصلوا الصلوات التي فاتتهم

-

مقدم في النسب والمدائح،له شهرة ذائعة وأخبار مع عبد العزيز بن مروان وسليمان بن عبد الملك والفرزدق وغيرهم، قال ابن تغري بردي إنه توفي سنة 108هـ لمزيد من التفاصيل عنه انظر النجوم الزاهرة- ج1 ص 334/الزركلي- الأعلام- ج8 ص 31-32.

(1) انظر المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 175.

(2) الفقرة من "فلما ولي يزيد" إلى "كان يشتهيها فأخذ في أكلها وقال للعبيد" ساقطة في الأصل، والزيادة من م ون وق.

لأنهم يشتغلون عن الصلوات بالتكفف.

وخرج يوما من[1] الحمام جائعا، فأمر بإحضار الطعام، فقال له الطباخ: إنه لم ينضج، فقال له: أحضرني ما نضج منها مشويا[2] ، فقدم إليه عشرين خروفا، فأكل أجوافها كلها مع أربعين رقاقة[3]، ثم قدم الطعام بأثر ذلك فأكل مع ندمائه أكله المعتاد.

وحضر يوما مائدة أعرابي وفيها جدي حنيذ، فرأى الأعرابي يجتهد فيه، فقال له: مالك معه كأن أباه نطحك، فقال له الأعرابي: ومالك يا أمير المؤمنين تشفق عليه كأن أمه أرضعتك، فاحتشم ورأى أنه قد غلط، فأعتقه ذلك له.

وكان كثيرًا ما يحضر مائدته، ويجهد فيها حتى يكاد يقاربه في الأكل، فقال له يوما: بلغني أن الماريستان ليس له إمام فكن فيه إماما تصلي بمن فيه، ونرتب لك من بيت المال راتبا، فقال له: الإيمان لي لازمة إن حضرت لك طعاما أبدًا، فاعفني منه ومن الماريستان، فضحك سليمان حتى استلقى.

وكان له كل يوم ثمانون [لونًا][4] للغداء ومثلها للعشاء، يحضر عليها بنو أمية وأشراف الناس، فكانت النفقة تنتهي عليها كل يوم عشرة آلاف درهم [من فضة من بيت المال، وهي ألف مثقال] [5] سوى سائر النفقات.

وكان متى نام علقت له مع السرير سلل الخشكلان[6] ، فمتى استيقظ أكل، فما يصبح فيها شيء، وقدر أكله في كل يوم بمائة رطل بالعراقي حاشا ما كان يأكل متى استيقظ بالليل، وكان مع هذا [الأكل العظيم][7] ضئيل الجسم، لكنه لم ير قط

---

(1) إلى في الأصل وم ون، وما أثبتنا من ق.

(2) من الشواء في ق.

(3) الرقاقة: الرقاق الخبز المنبسط الرقيق، يقال خبز رُقاق. المعجم الوسيط- ص 366.

(4) ساقط في م.

(5) ساقط في م.

(6) الخشكلان في الأصل وفي كل النسخ، والصواب ما أثبتنا، والخَشْكُنان خبزة تصنع من خالص دقيق الحنطة، وتملأ بالسكر واللوز أو الفستق وتقلى. المعجم الوسيط- ص 236، ويؤكد المسعودي حيث يقول: وحكي أنه كان يتخذ سلال الحلوى، ويجعل ذلك حول مرقده. مروج الذهب- ج3 ص 176.

(7) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

أقوى منه ولا أكثر طاقة، وذكر أنه كان بين يديه أسد في قفص؛ فجعل يرميه بقوس البندق؛ فلما آلمه ذلك تحامل على القفص حتى كسره، وأقبل مغضبا إليه؛ فهرب جميع من كان معه؛ فلما دنا منه أخذ مخدة كان يتكئ عليها فلقيه بها في صدره، ودفعه حتى أقعده على كفله؛ فبقي /117ظ/الأسد لا حراك به فنظر إليه، وقد أدخل[1] عظام رقبته في جوفه.

وخرج غازيًا نحو الطائف؛ فبات في منهلة[2] كان فيها جنان لبعض بني أمية؛ فأمر[3] الأموي وكيله أن يتقدم، ويحتفل في طعام يحضره ويكثر منه؛ فعند دخوله للجنان قال للوكيل: يا شمندل هل عندك ما تطعمني؟ قال: نعم، جدي حنيذ كأنه عكة بسمن، قال: هلمّ به؛ فأتاه به؛ فجعل ينهش فيه حتى أتى على نصفه، ثم التفت فإذا عمر بن عبد العزيز جالس بين يديه؛ فقال: هلم أبا حفص، ولم يكن رآه قبل من شدّة شرهه بالأكل؛ فقال: إني صائم فأتى على آخره، ثم جلس ساعة فقال: يا شمندل هل عندك ما تطعمني؟ قال: بلى والله، هريسة بعجل كانت تغدو عليه بقرة [وتروح][4] أخرى، قال عجّل بها؛ فقدمها إليه فأكلها كلها، ثم أقام ساعة فقال: يا شمندل هل عندك ما تطعمني؟ قال: نعم والله، سبع دجاجات[5] مشويات محشوات كأنهن ريال النعام؛ فقال: جئني بهن؛ فأتاه بهنّ؛ فجعل يأخذ بأرجلهن، ويسلخ لحومهن، ويرمي بعظامهن حتى أتى على الجميع.

ثم جال جولة في البستان؛ فكان يأتي شجرة التين وسائر أشجار الفاكهة فيتوكأ على القرع بصدره، ويتناول ما فيه حتى يأتي على آخره وجميع ما في الشجرة، ثم ينتقل إلى أخرى كذلك حتى أتى على أكثر البستان، ثم جلس ساعة وقال: ويلك يا شمندل هل عندك ما تطعمني؟ قال: نعم والله، عِدْلٌ[6] زبيب

---

(1) دخل في الأصل.

(2) المنهلة: المنهل المورد أي الموضع الذي فيه المشرب والمنهل المفازة على طريق السفار لأن فيه ماء. المعجم الوسيط- ص 959.

(3) فتقدم في ق.

(4) ساقط في م.

(5) دجاجة في الأصل.

(6) العِدْلُ: هو نصف الحمل يكون على أحد جنبي البعير. المعجم الوسيط- ص 588.

طائفي[1]، ومائتا رمانة [سفرية][2] كأنها قلال؛ فقال: عليّ بذلك؛ فأتاه به؛ فأكل[3] الجميع، ثم قال: يا شمندل هل عندك ما تطعمني؟ قال: بلى والله ترنجات مصبغات كأنهن هامات رجال عقلاء، وتفاحات مرشقات[4] كأنهن بيضات نعام، قال: ائتني بهن؛ فما برح حتى أباد الجميع.

ثم قال: هل من ماء؟ قال: قلة جديدة [مصوغة من ذهب][5] قد شيب فيها سكر، قال: هاتها؛ فأتاه بقعب[6] يسع زِقًّا[7] فرفعه إلى فيه فكأنما يصب[8] في جبّ، ثم أغفى ساعة واستيقظ؛ فقال: يا شمندل هل عندك ما تطعمني؟ قال: سلة من بيض الأوز كأنها لآل، قال: هاتها؛ فأتاه بمائتي بيضة مسلوقة ومائتي حبة من التين الأخضر فمازال حتى أتى عليها، ثم قال: [يا شمندل][9] علينا بالطعام؛ فأتته الكوامل، ودعا بالناس فأكل معهم؛ فلم ينكر في أكله المعتاد شيئاً، وكان في جملة الطعام صحفة مخ ملقوت بسكر فأكله كله.

ثم رحل من الطائف، ونزل الزهراء؛ فأصابته تخمة /118ظ/وهيضة[10] من ثقل البيض[11] والمخ؛ فلما أيقن بالموت نظر نظر موقن، وفكر في افتياته على مال الله وإسرافه فيه؛ فقال: والله لا كفرت ذلك إلا بتقديم هذا العبد الصالح عمر بن عبد العزيز فخلع أخاه يزيد، وولى عمر بن عبد العزيز، وجعل يزيد بعده ثم هشاما، ثم كتب ببيعته، ثم دعا ببردة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلها ومسح بها وجهه وبكى، وقال: ما أرى أن يحرق الله بالنار وجها باشر بردة رسول الله صلى الله عليه

---

(1) طائف في الأصل.
(2) ساقط فيالأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(3) فأتى على في ق.
(4) مرشات في الأصل وم ون، وما أثبتنا من ق.
(5) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(6) القعب: قدح ضخم غليظ. المعجم الوسيط- ص 748.
(7) الزق وعاء من جلد يجز شعره ولا ينتف، للشراب وغيره. المعجم الوسيط- ص 396.
(8) ينصب في ق.
(9) ساقط في الأصل وم ون، وما أثبتنا من ق وفيها جمعه.
(10) الهيضة: مرض من أعراضه القيء الشديد والإسهال والهزال. المعجم الوسيط- ص 1003.
(11) ساقط في الأصل وم ون، وما أثبتنا من ق.

وسلم.

[نعي نفس سليمان إليه] وتأهب آخر جمعة من جمع {عمره}[1] للخروج والخطبة بالناس؛ فلبس ثيابًا خضرًا، وعمّم عمامة خضراء وتطيب، وكانت بين يديه جارية تقابله بالمرآة فأعجبته نفسه، ومشى بين يديها متبخترًا وهو يقول: أنا الملك الشاب، أنا السيد المجاب الكريم الوهاب؛ فقال: كيف ترينني؟ فأنشدته بديها مما خيل إليه:

أنت نعم[2] المتاع لو كنت تبقى غير أن لا بقاء للإنسان
ليس فيما بدا لنا منك عيب عابه الناس[3] غير أنك فان[4]

فنغصت البيتان نفسه، وغضب غضبا شديدًا، وهمّ أن يوقع بها، ثم خرج باكيًا، وخطب وصلى بالناس، وانصرف وقد أصابه برد شديد[5] من تلك التخمة والهيضة [التي أصابته][6] ؛ فتلقته تلك الجارية؛ فقال لها: اذهبي لا حيّاك الله؛ فلقد نغّصت عليّ يومي؛ فقالت له: بأي شيء جعلت فداك؛ فقال: بالبيتين اللذين أنشدتنيهما؛ فقالت له: وقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أحفظ بيت شعر، ولا أنشدتك شعرًا قط، ولا دخلت عليك يومي هذا إلا السّاعة؛ فعلم أن نفسه نعيت إليه فتزايد ما به؛ فلم تدُر الجمعة الثانية إلا وهو تحت الأرض[7].

[وفاته ومدّة خلافته] وكانت خلافته ثلاث سنين وستة أشهر ونصف[8]،

---

(1) ساقط في الأصل وفي ق، وما أثبتنا من م ون.
(2) خير عند الطبري.
(3) يا سليمان عند المسعودي.
(4) ورد البيت مع بعض الاختلاف عند الطبري:

ليس فيما علمته فيك عيب كان في الناس غير أنك فان

(5) قشعريرة في ق.
(6) ساقط في الأصل وم ون، وما أثبتنا من ق.
(7) أورد كل من الطبري والمسعودي الرواية مع بعض الاختلاف. تاريخ الطبري- ج8 ص 83 /مروج الذهب- ج3 ص 176.
(8) قال الطبري: كانت ولايته سنتين وثمانية أشهر إلا خمسة أيام، وقد قيل كانت خلافته سنتين وسبعة أشهر، وقيل سنتين وثمانية أشهر وخمسة أيام. تاريخ الطبري- ج 8 ص 82.

وتوفي آخر سنة تسع وتسعين، وهو ابن [خمس وأربعين][1] سنة، وصلى عليه عمر بن عبد العزيز، وتركه مع حشمه في مضاربه حتى انتهى إلى دمشق، وكان حجّ بالناس {في خلافته}[2] حجّة واحدة.



(1) ثلاث وأربعين سنة في الأصل، وثمان وأربعين في م ون وق، وما أثبتنا من ابن تغري بردي- النجوم الزاهرة- ج1 ص308/ ابن عماد الحنبلي- شذرات الذهب- ج1 ص116.

(2) ساقط في ق.

خبر[1] عمر بن عبد العزيز

[نسبه]: [هو عمر بن عبد العزيز][2] بن مروان بن الحكم، أمه أم عاصم عربية بنت عاصم بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ولدته بالأردن من بلاد مصر، يكنى أبا حفص[3].

[بيعة عمر وخطبته] بويع يوم الجمعة، وذلك أن سليمان بن عبد الملك لما أشرف على المنية[4] دعا رجاء بن حَيْوَة ومحمد بن شهاب الزّهري ومكحولا وغيرهم من العلماء فكتب وصيته، /118ظ/وأشهدهم عليها[5]، وقال لهم: إذا أنا مت فأذّنوا بالصلاة جامعة؛ فإذا اجتمع الناس، وحضر بنو مروان؛ فاقرأوا هذا الكتاب على الناس.

فلما فرغ من دفنه نودي بالصلاة جامعة؛ فلما اجتمع الناس، وحضر بنو مروان، وإشرأبّوا للخلافة وتشوفوا نحوها؛ فقام الزهري فقال: أيها الناس أرضيتم من سمّاه أمير المؤمنين [سليمان][6] في كتابه؟ فقالوا: نعم؛ فقرأ الكتاب فإذا فيه: قد وليت أمر[7] المسلمين عمر بن عبد العزيز ومن بعده يزيد بن عبد الملك؛ فقام مكحول فقال: أين عمر بن عبد العزيز؟ وكان عمر في آخر الناس فتوقف ولم يجب؛ فدعا به ثانية وثالثة وهو لا يجيب؛ فقام إليه قوم فأخذوا بعضديه ويديه فأقاموه، وذهبوا به إلى المنبر؛ فصعد فيه وجلس على المرقاة الثانية؛ فكان أول من

---

(1) ذكر في ق.

(2) الزيادة من ق.

(3) انظر ابن الجوزي- سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز- ص 9/السيوطي- تاريخ الخلفاء- ص 273، وقال ولد بحلوان، قرية بمصر، وقال ابن تغري بردي إنه ولد بالمدينة سنة 60هـ أو بعدها بسنة، وقال ابن الجوزي ولد سنة 63هـ.النجوم الزاهرة- ج1 ص 314-315/نفسه- ص 9.

(4) الموت في ق.

(5) على نفسه في ق.

(6) ساقط في الأصل وم ون، وما أثبتنا من ق.

(7) أمير في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

بايعه يزيد بن عبد الملك، ثم بايع الناس أجمع[1] بعده، وامتنع سعيد وهشام إبنا[2] عبد الملك من مبايعته، ولم يبايعا إلا بعد يومين[3].

ولما صعد المنبر قال: أيها الناس، إنما نحن من فروع قد مضت أصولها؛ فما بقاء فرع بعد أصله، وإنما الناس في هذه الدنيا أعراض تنتقل فيهم المنايا، وهم فيها نهب المصائب، مع كل جرعة شرق، وفي كل أكلة غصص، ولا ينالون[4] نعمة إلا بزوال[5] أخرى، وما يعمّر فيها أحد[6] يوما من عمره إلا بانهزام آخر من أجله[7].

[صفته] وكان رحمه الله أدم اللون[8]، طويلا نحيفا، أكحل أسود اللحية خفيفها، غائر العينين، دقيق الوجه، وهو أشجّ بني أمية الذي قال فيه عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن من ولدي رجلا بوجهه [شجة][9]، يملأ الأرض عدلا، وذلك أن دابة ضربته في وجهه فشجّته، وقيل إنه ركبها وهو صبي فسقط عنها[10]؛ فأصابته تلك الشجّة؛ فلما رآه أخوه الأصبغ وكان عالما بالحدثان قال: الله أكبر، هذا أشجّ بني مروان الذي يملك، قال الأصمعي: اسمه في كتاب دانيال الزردوق، وهو الأشجّ[11].

[وزراءه] كاتبه على الإنشاء والرسائل أبو الزناد حكيم[12] بن أبي رقية ورجاء بن حَيْوَة الكندي، وكثيرًا ما كان يكتب بيده جلالة منه وتواضعاً.

---

(1) أجمعون في ق.
(2) أبناء في الأصل، وما أثبتنا من ق ون وم.
(3) النص منقول حرفيا عن المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 183.
(4) يتناولون في الأصل. (5) بفراق في الأصل.
(6) معمر في ق.
(7) وردت الخطبة مع اختلاف طفيف عند المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 184.
(8) آمع القرن في الأصل.
(9) شين في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(10) منها في ق.
(11) انظر الروحي- بلغة الظرفاء- ص 156/تاريخ اليعقوبي- ج2 ص 308/ابن العماد الحنبلي- شذرات الذهب- ج1 ص 119.
(12) الليث عند الجهشياري.

وكاتبه على الدواوين والخراج والجند صالح بن حميد وقيل مزاحم، وعلى شرطته يزيد بن بشر الكناني، وعلى حرسه المهاجر بن أبي عياش اللهاني، وعلى مظالمه أبو العباس الهلالي، وحاجبه أبو عبيدة مزاحم مولاه، وكان حبشيا، وآذنه حبشي[1] مولاه، وقيل إنه كان حاجبه، وعلى خاتمه نعيم بن سلامة[2].

وكان نقش خاتمه كفى بالموت واعظا يا عمر، وقيل عمر [يؤمن][3] بالله.

[عماله على الأمصار] ولما ولي عزل /119و/يزيد بن المهلب {وصالح بن عبد الرحمن عن العراق، والسمح بن مالك عن الأندلس[4]، وكل عامل كان لغيره قبله}[5]، واستعمل على الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، وعلى البصرة عدي بن أرطأة الفزاري، وعلى مصر أيوب بن شرحبيل الأصبحي، وعلى الرملة عبد الله بن عوف الكناني، وعلى إفريقية محمد بن [يزيد][6] الأنصاري، وعلى الأندلس حذيفة بن الأحوص[7].

وروي عن عبد الله بن كريز قال: كتب عامل إفريقية إلى عمر بن عبد العزيز رحمه الله يشكو[8] إليه الهوام والعقارب، فأجابه[9]: وما على أحدكم [إذا أمسى وأصبح أن يقول: "**وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلَنَا [وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَى مَا**

---

(1) حبيشا في ق.

(2) قارن مع ما أورده الجهشياري- كتاب الوزراء والكتاب- ص 53-54/تاريخ خليفة بن خياط- ص 208/الروحي- بلغة الظرفاء- ص 155.

(3) يوفي في الأصل، وما أثبتنا من ق.

(4) تتفق جل المصادر على أن عمر بن عبد العزيز هو الذي ولى السمح بن مالك الخولاني على الأندلس. ابن عذاري- البيان المغرب- ج2 ص26/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 156.

(5) ساقط في ق.

(6) في كل النسخ زيد، والصحيح ما أثبتنا، والذي عينه على ولاية المغرب هو سليمان بن عبد الملك، أما عمر بن عبد العزيز فقد ولى إسماعيل بن عبد الله بن أبي المهاجر على هذه الولاية، مولى بني مخزوم. لمزيد من التفاصيل انظر البيان المغرب- ج1 ص 48.

(7) هذا غير صحيح لأن ولاية حذيفة بن الأحوص الأشجعي، وقيل القيسي بدأت سنة 110هـ أي في عهد هشام عبد الملك. ابن عذاري- البيان المغرب- ج2 ص 27.

(8) في ق: فشكوت.

(9) في ق: فكتب إليّ.

أَذَيْتُمُونَا وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ"[1].

واستعمل على [جميع] البلاد أصلح من رآه من الناس [من علمه، وأخبر من توسمه، وأخذ نفسه بالعدل؛ فاحتذى عمّاله حذوه ونحوا نحوه][2]، وكان من [الجلالة[3] والعدالة والصيانة والزهادة][4] والفضل في غاية لم ينلها بعد الخلفاء الأربعة رضي الله عنهم [أحد سواه ولا حواها][5] إلا هو.

[سياسة عمر] غيّر البدع، وردّ المظالم، [وسار بالعدل][6]، ورفض الدنيا، وحذا[7] في بيت المال حذو[8] جدّه عمر بن الخطاب رضي الله عنه [حتى مات][9].

قال أبو الزناد: لما ولي عمر بن عبد العزيز نظر فيما كان بيد سليمان بن عبد الملك؛ فكلما رأى أنه لا يجوز ردّه لبيت المال، وردّ كل [مال][10] مغصوب إلى أربابه، ونظر فيما كان في أيدي بني أمية من القطائع فردّها إلى [مال][11] المسلمين.

قال مالك: وردّ ما كان بيده من القطائع والأموال؛ فقيل له: كيف يعيش ولدك من بعدك؟ قال: أكلهم إلى الله تعالى.

وقال يحيى بن سعيد: كلّمه رجال {من}[12] بني أمية في ما بأيديهم فقال له بعضهم دع[13] ما مضى عليه أولوك، واعمل بما يوفقك الله له؛ فقال: كيف ألقى الله

---

(1) سورة إبراهيم– الآية 12.
(2) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(3) الخلافة في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(4) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(5) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(6) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(7) وسار في ق.
(8) بسيرة في ق.
(9) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(10) ساقط في م، ون.
(11) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(12) ساقط في الأصل.
(13) ضع في الأصل.

وفي أيديك وأيدي أصحابك مظالم أقدر على ردّها [فلا أردها][1].

وكان يرد المظالم على أربابها[2] بغير بينة قاطعة، ويكتفي بيسير الشبهة[3]، [وإذا عرف وجها من مظلمة رجل ردّ ما عليه، ولم يكلفه تحقيق ذلك لما كان يعرف من غشم الولاة][4].

وقال فيه عتبة بن شماس:

إن أولى بالحق في كل حق ... ثم أحرى من[5] بأن يكون حقيقا

من أبوه عبد العزيز بن مروان ... ومن كان جدّه الفاروقا

ردّ أموالنا علينا وكانت ... في ذرى شاهق يفوت الأفوقا[6]

وأمر أن ينفق على أبناء السبيل من مرض منهم، ومن نفقت[7] دابته أخلفت له، ومن ضعف قوي[8]، ومن عليه دين من غير سوء ولا فساد قضي عنه [في حياته وبعد وفاته][9]، وكان يكثر العطاء فربما طلب الرجل لم يعطَ صدقته فلا يجد إلا من قد أعطاه عمر من مال الله، وكان لا يأخذ من بيت مال المسلمين أجرة؛ فقيل له: إن جدك عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان له كل يوم من بيت المال درهمان[10] ؛ فقال: كان عمر بن الخطاب /119ظ/لا مال له، وأنا عندي ما يقوم بي.

وكان قبل خلافته تساق إليه حلة بألف مثقال ليشتريها فيقول: هذه جيدة لولا خشانة فيها، وكان يؤتى بعد خلافته بجبة صوف بأربعة دراهم فيقول: هذه جيدة لولا حلاوة {فيها}[11] ؛ فقيل له في ذلك؛ فقال: [كانت][12] لي نفس تواقة

---

(1) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(2) أهلها في ق.
(3) باليسير في ق.
(4) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(5) "ثم أولى بأن" عند ابن الجوزي- سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز- ص 12.
(6) انظر سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز- ص 12.
(7) نفقة في الأصل.
(8) فليقوى في ق.
(9) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(10) درهما في الأصل.
(11) ساقط في الأصل وفي ق.
(12) كان في م.

لما كنت أميرًا؛ فكانت نفسي تتوق إلى الخلافة؛ فكنت أعمل بعملها؛ فلما صارت إلي تاقت نفسي إلى ما هو أعلى وأفضل وهي الجنة؛ فأنا أعمل لها.

وكان قبل الخلافة يدفع ثيابه إلى الغسّال؛ فيقصد الغسّال جلة الناس بالرشوة ليغسل ثيابهم في الماء الذي يغسل به ثياب عمر لتأخذ من رائحة[1] ثيابه.

[ودخل عليه مسلمة بن عبد الملك، وعليه ريطة[2] من رياط مصره؛ فقال له عمر: بكم أخذت هذه يا أبا سعيد؟ قال: بكذا وكذا، قال: فلو نقصت من ثمنها شيئًا أزائدًا في شرفك؟ قال: لا، قال: فاعلم يا مسلمة أن أفضل الاقتصاد ما كان بعد الجدّة، وأفضل العفو ما كان بعد القدرة، وأفضل الدين ما كان بعد الولاية][3].

ومن عدله وفضله أن الذئب والشاة كانا يشربان في[4] ماء واحد طول خلافته.

[تعزية صاحب القسطنطينية لرسل عمر بعد وفاته] ولقد وجّه رسله إلى صاحب القسطنطينية في الصلح فأجابه إليه، وسرّ وأثنى وشكر، قال [الرسل:][5] فوجّه لنا[6] يوما فدخلنا عليه؛ فوجدناه جالسًا على الأرض، وقد نزل من سريره وأزال تاجه، وقد تغيرت صفاته التي رأينا بالأمس كأنه قد حدث في ملكه حادث عظيم، ثم قال: إنما وجّهت [إليكم][7] لأعزّيكم في ذلك الرجل الصالح [العادل][8] الذي وجهكم إليّ إذ قد مات، قلنا له: من أين عرفت بموته؟ قال: مذ ولي الخلافة كانت الشاة تشرب مع الذئب من ماء واحد في جميع بلادنا، وكانت أغنامنا ترعى

---

(1) روائح طيب في ق.

(2) الريطة والرائطة: الملاءة كلها نَسْق واحد وقطعة واحدة، والريطة كل ثوب لين رقيق. المعجم الوسيط- ص 385.

(3) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(4) من في ق.

(5) الأرسال في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق، والأرسال جمع مفرده الرَّسَلُ وهو القطيع من الإبل والغنم وغيرها، وهي الجماعة من الناس، يقال جاء القوم أرسالا أي جماعات بعضهم في أثر بعض. المعجم الوسيط- ص 344.

(6) عنا في ق.

(7) عنكم في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(8) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

بلا راع؛ فعلمنا أن ذلك من عدله؛ فلما كان اليوم {الذي}[1] عدت [فيه][2] الذئاب على الماشية في كل موضع؛ فعلمنا [بذلك][3] أنه قد مات، قالوا: فورّخنا[4] ذلك اليوم؛ فإذا هو اليوم الذي مات فيه عمر رحمه الله.

[رجل من خراسان يبشر عمر] [وقدم عليه رجل من خراسان فقال له: رأيت في خلافة عبد الملك بن مروان قائلا يقول: إذا ولي الأشجّ من بني أمية يملأها عدلا وقسطًا كما ملئت ظلمًا جورًا؛ فلما ولي الوليد سألت عنه [ف]قيل لي: ليس بأشجّ، ثم ولي سليمان؛ فسألت عنه فقيل لي كذلك؛ فلما وليت أنت سألت عنك فقيل لي: إنك أشجّ؛ فأتيتك أخبرك بذلك؛ فقال له: آ الله، إن الذي رأيت حقا؟ قال له: أي وعزة الله وجلاله؛ فأمر به إلى دار الضيافة؛ فأقام فيها مدة ثم بعث إليه؛ وقال: أمسكتك حتى بعثت إلى بلدك من استقصى عليك؛ فأخبرت أنك من خيار قومك، واستوى فيك قول صديقك وعدوك؛ فانصرف راشدًا][5].

[وعظ سالم السرفي عمر] ولما ولي عمر رحمه الله تعالى دخل عليه سالم السرفي[6]، وكان من خواصه، فقال له عمر: أسرّك ما وليت أم ساءك؟ فقال: بل سرّني بالناس وساءني لك؛ فقال: إني أخاف أن أكون قد أوبقت نفسي؟ قال: وما أحسن ذلك أنك تخاف، إنما يخاف عليك أن لا تخاف، قال: عظني، قال: أبونا آدم أخرج من الجنة بخطيئته[7].

[وعظ محمد بن كعب القرظي عمر] ودخل عليه محمد بن كعب القرظي يوم ولي فقال له: يا أمير المؤمنين إنما الدنيا سوق من الأسواق عنها خرج الناس بما ربحوا منها لآخرتهم، وخرج منها آخرون بما يضرّهم؛ فكم من قوم غرّهم مثل

---

(1) ساقط في الأصل وفي ق.

(2) زيادة حتى يستقيم المعنى.

(3) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(4) ورخ الكتاب أرخه. المعجم الوسيط- ص 1024.

(5) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(6) سالم السرفي: هو سالم مولى محمد بن كعب. ابن الجوزي عبد الرحمن- سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز- ص 165.

(7) أورد ابن الجوزي الموعظة كاملة- سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز- ص 165.

الذي أصبحنا فيه حتى أتاهم الموت فاستوعبهم، وخرجوا من الدنيا مرملين لم يأخذوا من أمر الدنيا والآخرة؛ فاقتسم مالهم من لم يحمدهم، وصاروا إلى من لم يعذرهم؛ فانظر الذي تحب أن يكون معك إذا قدمت فقدمه بين يديك حتى تخرج إليه، وانظر الذي تكره أن يكون معك إذا قدمت[1] فابتغ به البذل /120و/حيث[2] يجوز البذل، ولا تذهبن إلى سلعة قد بارت على غيرك ترجو جوازها عنك، يا أمير المؤمنين افتح الأبواب، وسهّل الحجاب، وانصر المظلوم[3].

وقال عمر لمزاحم مولاه: إن الولاة جعلوا العيون على العوام، وأنا أجعلك عينا على نفسي؛ فإن سمعت عني كلمة تكرهها أو فعلا لا تحبه فعظني عند ذلك، وانهني عنه[4].

[من عجائب الحجّاج] [وقال يوما لعنبسة بن سعيد: أخبرني ببعض مما رأيت من عجائب الحجّاج؛ فقال له: يا أمير المؤمنين كنا جلوس عنده ذات ليلة؛ فأتى برجل فقال: ما أخرجك هذه الساعة؟ وقد قلت لا أجد فيها أحدًا إلا فعلت به وفعلت؛ [ف]قال: أما والله لا أكذب الأمير، أغمي على أمي منذ ثلاث؛ [فكنت عندها؛ فقامت الساعة فقالت: يا بني منذكم أنت عندي؛ فقلت لها: منذ ثلاث، قالت:][5] أعزم عليك إلا رجعت إلى أهلك فإنهم مغمومون بتخلفك؛ فكن عندهم الليلة، وتعود إليّ غدًا؛ فخرجت فأخذ بي الطائف؛ فقال: الحجّاج ينهاكم وتعصوننا، اضربوا عنقه، ثم أتي برجل آخر فقال: ما أخرجك هذه الساعة؟ فقال: والله لا أكذبك، لزمني غريم لي على بابه؛ فلما كانت الساعة أغلق بابه، وتركني على بابه، وجاء طائفك فأخذني؛ فقال: اضربوا عنقه، ثم أتي بآخر فقال: ما أخرجك هذه الساعة؟ قال: كانت معي شربة فشربت؛ فلما سكرت خرجت؛ فأخذني الطائف فذهب عني السكر فزعًا؛ فقال: يا عنبسة ما أراه إلا صادقا، خلوا سبيله؛ فقال

---

(1) زاد في ق: فقدمه بين يديك حتى تخرج إليه.
(2) حتى في ق.
(3) انظر الموعظة كاملة عند ابن الجوزي- نفس المصدر- ص 151-152.
(4) عليه في ق.
(5) ساقط في ق، وما أثبتنا من ابن عساكر- تاريخ دمشق- ج12 ص 178.

عمر بن عبد العزيز لعنبسة: فما قلت له شيئا؟ فقال: لا؛ فقال عمر لآذنه: لا تأذن لعنبسة علينا إلا أن تكون له حاجة[1].

[بين عمر وممطور الأعرج] وبعث عمر إلى أبي سلام، واسمه ممطور الأعرج الحبشي الدمشقي فحمل على البريد؛ فلما قدم عليه قال: لقد شقّ عليّ محملي على البريد؛ فقال: ما أردنا المشقة عليك، ولكن بلغني عنك حديث تحدثه عن ثوبان عن رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحوض؛ فأحببت أن تشافهني به؛ فقال: سمعت ثوبان يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إن حوضي [من][2] عدن إلى عمان، ماؤه أشدّ بياضا من اللبن، وأحلى من العسل، و[أكوابه][3] عدد نجوم السماء، من شرب منه [شربة] لم يظمأ بعدها [أبدًا]، وأول الناس ورودا عليه فقراء المهاجرين؛ فقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: صفهم يا رسول الله، قال: هم الشعث رؤوسا، الدنس ثيابا، الذين لا ينكحون الممتعات، ولا تفتح لهم أبواب السدد؛ فقال عمر بن عبد العزيز: والله لقد نكحت الممتعات فاطمة بنت عبد الملك بنت مروان، وفتحت لي أبواب السدد إلا أن يرحم، لا جرم، لا أدهن رأسي حتى يتشعث، ولا أغسل ثوبي الذي يلي جسدي حتى يتسخ][4].

وكان على قبة {زوجه فاطمة بنت عبد الملك بن مروان}[5] [هذه مكتوب][6]:

بنت الخليفة والخليفة جدّها ... أخت الخلائف والخليفة بعلها[7]

[من مواقف عمر] [وكتب عبد الحميد بن عبد الرحمن إليه: أما بعد يا أمير المؤمنين؛ فإن الناس قد أصابوا من الخير؛ فنلنا خيرًا كثيرًا حتى لقد تخوفت أن

---

(1) الرواية منقولة حرفيا عن ابن عساكر- تاريخ دمشق- ج12 ص 178-179.

(2) ما بين في ق.

(3) آنيته في ق.

(4) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق، وقد أورد ابن الجوزي النص مع بعض الاختلاف- سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز- ص 32-33.

(5) ساقط في ق.

(6) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(7) انظر السيوطي- تاريخ الخلفاء- ص 291.

سيطغيهم؛ فكتب إليه عمر بن عبد العزيز: أما بعد، فإنّ الله تبارك وتعالى لما أدخل الجنة أهل الجنة، وأسكنهم داره، وأحلّهم جواره، رضي عنهم بأن قالوا: الحمد لله ربّ العالمين؛ فأمر من قبلك أن يحمدوا الله عزّ وجلّ على ما رزقهم الله.][1]

وكان عمر بن عبد العزيز إذا أراد أن يعاقب رجلا حبسه ثلاثة أيام، ثم عاقبه كراهة أن [يعجل][2] في أول غضبه.

وأسمعه رجل كلام فقال: أردت أن يستفزني الشيطان؛ فأنال منك اليوم ما تنال مني أنت غدًا يوم القيامة، انصرف عني عافاك الله ورحمك.

[وقال لبعض ولد الحسين بن علي بن أبي طالب: لا تقف على بابي ساعة واحدة إلا ساعة تعلم أني جالس؛ فيؤذن لك عليّ وقت تأتي؛ فإني أستحي من الله تعالى أن تقف على بابي فلا يؤذن لك عليّ.

وروي عن إسحاق بن عبد الله بن أبي فورة قال: لقيت غيلان القروي فقلت: من كان أشدّ الناس عليك كلاما؟ فقال: كان أشدّ الناس عليّ كلاما عمر بن عبد العزيز كأنه يلقن من السماء، ولقد كنت أطلب له مسائل عقّته فيها؛ فبينما أنا ذات يوم في السوق إذ دراهم بيض يقلبها اليهودي والنصراني والحائض والجنب، قلت: إن يكن يوم أظفر به فاليوم، قال: فدخلت عليه فقلت: يا أمير المؤمنين هذه الدراهم البيض فيها كتاب الله يقلبها اليهودي والنصراني والحائض والجنب؛ فإن رأيت أن تأمر بمحوها؛ فقال لي: أردت أن تحتجّ علينا الأمم أنا غيّرنا توحيد ربنا عزّ وجلّ واسم نبينا صلى الله عليه وسلم، قال: فبُهِتُّ؛ فلم أدر ما أردّ عليه.][3]

وذكر العباس بن أبي راشد [عن أبيه][4] قال: نزل بنا عمر بن عبد العزيز [منزلا]؛ فلما رحل قال لي مولاي: أركب معه [فشيعه][5]، قال: فركبت فمررنا بواد؛ فإذا نحن بحية [ميتة][6] مطروحة على الطريق؛ فنزل عمر فنحاها وواراها، ثم ركب؛

---

(1) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(2) يجعل في الأصل وفي م وفي ن.
(3) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(4) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(5) تشيعه في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(6) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

فبينما نحن نسير إذا هاتف يهتف، وهو يقول: يا خرقاء يا خرقاء، قال: [فالتفتنا][1] يمينا وشمالا فلم [نر][2] أحدًا، فقال عمر له: [أسألك][3] بالله أيها الهاتف إن كنت ممن تظهر إلا ظهرت، وإن كنت ممن لا تظهر أخبرنا ما الخرقاء؟ قال: الحية التي دفنتم بمكان كذا وكذا؛ فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لها يوما: يا خرقاء تموتين بفلاة من الأرض، يدفنك خير مؤمن من أهل الأرض يومئذ؛ فقال له عمر: من أنت يرحمك الله؟ قال: أنا من[4] التسعة الذين بايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في هذا المكان؛ فقال له: الله، أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: نعم [الله إني][5] سمعته من رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فدمعت عينا عمر وانصرفنا[6].

وقيل له: لِم لا تنام؟ قال: إن نمت ليلي ضيعت نفسي، وإن نمت نهاري ضيعت الرعية.

[بين عمر ومُخنّث المدينة] وقيل له: إن بالمدينة مخنثا قد أفسد نساء المدينة؛ فكتب إلى عامله على المدينة أن يحمله إليه؛ فلما أدخل عليه رأى شيخا مخضوب اللحية والأطراف [معتجرا[7] بسبيه][8] ومعه دفّ في خريطة؛ فقال له: تبًا[9] لهذه الشيبة وهذه القامة، أتحفظ القرآن؟ قال: لا والله يا أبانا، قال: قبحك الله وقبح أباك؛ فأشار إليه من حضر أن اسكت فسكت؛ فقال له عمر: أتقرأ من المفصل شيئا؟ قال: وما المُفصّل؟ قال: ويلك القرآن، قال: نعم أقرأ "الحَمْدُ لِلَّهِ [رَبِّ

---

(1) فالتفت في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا في ق.

(2) يرى في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا في ق.

(3) سألتك في م الأصل وفي ون، وما أثبتنا في ق.

(4) أنا من أحد في ق.

(5) زاد في ق:.

(6)أورد ابن عساكر وابن الجوزي نفس الرواية. تاريخ دمشق- ج45 ص145-146/سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز- ص39.

(7) معتجرا: اعتجر فلان بالعمامة أي لفها على رأسه، وردّ طرفها على وجهه. المعجم الوسيط- ص 585.

(8) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(9) شبّة في الأصل.

العَالَمِينَ"][1] وأخطأ فيها في موضعين أو ثلاثة، /120ظ/واقرأ "قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ"[2] وأخطأ، وأقرأ "قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ"[3] مثل الماء الجاري، قال: ضعوه في الحبس، ووكلوا به معلما يعلمه القرآن ما يجب عليه من حدود الله[4]، واجروا عليه [ثلاثة دراهم][5] وعلى المعلم [مثلها][6] من مال المسلمين، [ولا يخرج منه][7] حتى يحفظ القرآن؛ فكان كلما أعلم سورة نسي التي قبلها؛ فبعث [المعلم][8] رسولا إلى عمر، وقال: يقول لك أن توجه إليه من يحمل لك ما تعلمه أولا أولا؛ فإني لا اقدر على حمله جملة؛ فيئس عمر من فلاحه[9]، [وقال: ما أرى هذه الدراهم إلا ضائعة، ولو أطعمناها أو أعطيناها محتاجا لكان أصلح، ثم دعا به؛ فلما وقف بين يديه قال له: اقرأ "قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ"[10]، قال: أسأل الله العافية، أدخلت يدك في الجراب فأخرجت شرّ ما فيه وأصعبه؛ فأمر به فاجتث عنقه ونفاه؛ فاندفع يغني وقد توجهوا به:

عوجي بسلمى إن يكن صبر فما الوقوف وأنتم سفر
ما نلتقي إلا ثلاث منى حتى يفرق بيننا النفر

فلما سمع الموكلون به حسن ترنمه خلوه.][11]

[من كلام عمر] وكان عمر رضي الله عنه يقول: الأمور ثلاثة: فما فيه رشد أتيناه، وما فيه إثم تركناه، وما فيه شبهة وشك رجعنا فيه إلى كتاب الله وسنة رسول

---

(1) سورة الفاتحة- الآية 2.
(2) سورة الناس- الآية 1.
(3) سورة الإخلاص- الآية 1.
(4) الطهارة والصلاة في ق.
(5) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(6) ساقط في م الأصل وفي ون، وما أثبتنا من ق، وفيهما النفقة.
(7) ساقط في م الأصل وفي ون، وما أثبتنا من ق.
(8) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(9) فخلى سبيله في الأصل وفي م ون، وساقط في ق.
(10) سورة الكافرون- الآية 1.
(11) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

الله صلى الله عليه وسلم، [ورددناه إلى الله ورسوله صلى الله عليه وسلم كما ذكر في كتابه العزيز قال:[1]] كما قال الله تعالى: «فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ {إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ}»[2].

وقال لميمون بن مهران: يا ميمون لا تصحب عاقا فإنه لن يصلك وقد عقّ أبويه، ولا تخلو بامرأة وإن قرأت عليك سورة من القرآن، [ولا تأتي الشيطان وإن أمرته بمعروف ونهيته عن منكر][3].

[بين عمر وغلام] ولما ولي الخلافة وفد عليه وفد الحجاز؛ فاختار الوفد غلاما منهم فقدموه للكلام؛ فلما ابتدأ الغلام بالكلام قال عمر: مهلا يا غلام، ليتكلم من هو أسنّ منك؛ فهو أولى بالكلام؛ فقال: مهلا يا أمير المؤمنين فإنما المرء بأصغيره قلبه ولسانه[4] ؛ فإذا منح الله العبد لسانا لافظا وقلبا حافظا فقد استجاد له المنحة[5] يا أمير المؤمنين، لو أن الأمور بالسنّ لكان في هذه الأمة من هو أسنّ منك، قال: تكلم يا غلام فهذا السحر الحلال، قال: نعم يا أمير المؤمنين، نحن وفود الشكر والتهنئة لا وفود المرزية، قدمنا إليك من بلدنا نحمد الله الذي منّ بك علينا، لم تخرجنا إليك رغبة ولا رهبة، أما الرّغبة فقد أتتنا منك إلى بلادنا، وأما الرّهبة فقد أمنا منك[6] بعدلك من جورك، قال: عظنا يا غلام وأوجز، قال: نعم يا أمير المؤمنين، إن أناسًا غرّهم حلم الله عنهم وطول أملهم، وحسن ثناء الناس عليهم؛ فلا يغرنك حلم الله عنك وطول أملك وحسن ثناء الناس عليك فتزل قدماك؛ فسأل عمر عن سن الغلام؛ [فقيل له: هو][7] ابن بضع عشرة ستة[8] ؛ فأنشأ عمر يقول:

تعلّم فليس المرء يولد عالما ... وليس أخو علم كمن هو جاهل

---

(1) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(2) سورة النساء- الآية 59.
(3) ساقط في الأصل وفي م، وما أثبتنا من ق.
(4) لسانه وقلبه في ق.
(5) المحلة في ق وهو تصحيف.
(6) أمّننا الله في ق.
(7) فقال في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(8) سنة عشرة في الأصل وفي ق.

فإن كبير القوم لا [علم][2] عنده   صغير إذا التفت عليه المحافل[1]

[بين قاضي المدينة وجاريته] وجاء رجل من أهل العراق إلى المدينة في طلب جارية وصفت له، وهي قارئة غانية، [وذلك في خلافة عمر بن عبد العزيز][3]، فسأل /121و/عنها فوجدها عند قاضي المدينة، [وهو عبد الرحمن بن يزيد بن حارثة العمري المدني [الذي][4] استقضاه عمر أيام ولايته المدينة][5] ؛ فأتاه؛ فسأله أن يعرضها عليه؛ فقال له: يا أبا عبد الله لقد أبعدت الشقة عن هذه الجارية؛ فما رغبتك فيها؟ فقال: إنها تغني [فتجيد][6] ؛ فقال القاضي: ما علمت بهذا؛ فقال لها الفتى: غنِّ؛ فقالت:

إلى خالد حتى أنخنا بخالد   فنعم الفتى يرجى ونعم المؤمل

ففرح القاضي بجاريته، وسُرَّ بغنائها، وغشيه من الطرب {أمر عظيم}[7] حتى أقعدها على مخدة؛ فقال: هاتِ بأبي أنتِ شيئًا؛ فغنّت:

أروح إلى القصاص كل عشية   أرجي ثواب الله في عدد الخطا

فزاد عليه الطرب، ولم يدر ما يصنع[8] ، وأخذ نعله فعلقها من أذنه، وجثا على ركبتيه، وجعل يأخذ طرف أذنه ويقول: أهدوني فإني بدنة حتى أدمى أذنه؛ فلما سكتت أقبل على الفتى وقال: يا حبيبي انصرف قد كنا فيها راغبين قبل أن نعلم أنها تقول؛ فنحن الآن فيها أرغب إذ سمعنا غناءها؛ فانصرف الفتى، وبلغ الحديث عمر بن عبد العزيز فقال: قاتله الله لقد استرقّه الطرب، وأمر بصرفه عن قضائه؛ فلما صرفه قال: نساؤه طوالق لو سمعها عمر لقال اركبوني فإني مطية؛ فبلغ ذلك عمر؛

---

(1) الرواية منقولة حرفيا عن المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 187-188.
(2) مال في م ون.
(3) ساقط في الأصل وفي م، وما أثبتنا من ق.
(4) زيادة أضفناها ليستقيم المعنى.
(5) وذلك في خلافة عمر بن عبد العزيز في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(6) ساقط في م ون، وفي الأصل فتجيز، وما أثبتنا من ق.
(7) ساقط في ق.
(8) صنع في ق.

فأمر بحضوره[1] مع جاريته؛ فلما دخلا عليه قال له: أعد ما قلت؛ فقال للجارية غنِّي فغنّت:

كأن لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس ولم يسمر بمكة سامر

بلى كنا نحن أهلها فأبادنا صروف الليالي والجدود العواثر

فما فرغت من الشعر حتى اضطرب عمر اضطرابًا شديدًا[2]، وجعل يستعيدها ثلاثًا، وقد بلت دموعه لحيته، ثم قال للقاضي: لقد قاربت في يمينك فارجع إلى عملك راشدًا[3].

[بين عمر والشعراء] وجاءت طائفة من الشعراء؛ فأقاموا بباب عمر أيامًا لا يأذن لهم في الدخول منهم جرير بن الخَطَفِي حتى قدم عدي بن أرطأة على عمر، وكانت له عنده مكانة، وقيل عون بن عبد الله الهذلي[4]، وكان من عبّاد الناس وخيارهم، وعليه عمامة[5] صوف؛ فدخل يتخطى رقاب الناس [من قريش][6]، من بني أمية وغيرهم، لا يمنع ولا يحجب، وقريش لا يصلون ولا يدخلون؛ فلما خرج عون بن عبد الله تعرّض له جرير [بن عبد الله][7] فقال: /121ظ/

يا أيها الرجل المرخي عمامته[8] هذا زمانك إني قد مضى زمني

أبلغ خليفتنا إن كنت لاقيه إني لدى الباب كالمصفود في قرن

فاحلل صفادي فقد طال الثواء به ونأت الدار عن أهلي وعن وطن[9]

فقال: نعم أبا حزرة؛ فلما دخل على عمر قال: يا أمير المؤمنين إن الشعراء ببابك،

---

(1) بإشخاصه في ق.

(2) عند المسعودي: حتى طرب عمر طربًا بينًا- مروج الذهب- ج3 ص 189.

(3) أورد المسعود الرواية مع اختلاف طفيف- ج3 ص 188-189.

(4) قال ابن الجوزي: إنه عدي بن أرطأة. سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز- ص 198.

(5) عمة في ق.

(6) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(7) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(8) الشطر الأول عند ابن الجوزي: يا أيها الراكب المزجي مطيته- نفس المصدر- ص 198.

(9) البيت الثالث مختلف عند ابن الجوزي، وهو:

لا تنس حاجتنا، لقيت مغفرة قد طال مكثي عن أهلي وعن وطني

- نفسه- ص 198.

وأقوالهم باقية وسهامهم مسنونة، قال: يا عدي أو يا عون مالي وللشعراء، قال: يا أمير المؤمنين إن النبي صلى الله عليه وسلم قد مدح فأعطى، وفيه أسوة لكل مسلم، قال: ومن مدحه؟ قال: عباس بن مرداس فكساه حلة قطع بها لسانه، قال: وتروي قوله؟ قال: نعم:

رأيتك يا خير البرية كلها ... نشرت كتابا جاء بالحق معلما
سننت لنا فيه الهدى بعد [جورنا][1] ... عن الحق لما أصبح الحق مظلما
فمن مبلغ عني النبي محمدا ... وكل امرئ يجزى بما قد تكلما
تعالى علوا فوق عرش إلهنا ... وكان مكان الله أعلى وأعظما

قال: صدقت؛ فمن بالباب منهم، قلت: ابن عمك عمر بن [عبد الله بن] أبي ربيعة، قال: لا قرّب الله قرابته ولا حيا وجهته، أليس هو القائل؟

ألا ليت أني يوم تدنو منيتي ... شممت الذي ما بين عينيك والفم
وليت طهوري كان ريقك كله ... وليت حنوطي من مشاشك والدم
وليت سليمي في القبور ضجيعتي ... هنالك أو في جنة أو في جهنم

فليت عدو الله تمنى لقاءها في الدنيا، ثم يعمل عملا صالحا، والله لا دخل علي أبدًا؛ فمن بالباب غيره؟ قلت: جميل بن معمر، قال هو الذي يقول:

ألا ليتها تحيا حياة وإن تمت ... ترفي لدى الموتى ضريحي ضريحها
فما أنا في طول الحياة براغب[2] ... إذا قيل قد سوي عليها صفيحها/122و/
أظل نهاري لا أراها ويلتقي ... مع الليل روحي في المنام وروحها

أغرب به، والله لا دخل علي أبدًا؛ فمن غيره ممن ذكرت؟ قلت: كثير عزة، قال الذي يقول:

رهبان مكة والذين عهدتهم ... يبكون من ألم الفراق قعودا
لو يسمعون كما سمعت كلامها ... خرّوا لعزة ركعا[3] وسجودا

---

(1) عوزنا في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(2) بباعث في ق.
(3) راكعين في ق.

أغرب به؛ فمن غيره ممن ذكرت؟ قال: خالد الأحوص الأنصاري، قال: أبعده الله وأسحقه، أليس هو القائل وقد أفسد على رجل مدني جاريته حتى هربت منه؟:

كأن سليمى صيد غادية ... أو دمية زينت لها البيع

الله بيني وبين سيدها ... يفر مني [بها][1] وأتبع

[الأحوص اسمه عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم بن ثابت بن أبي الأقلح قيس بن عِصْمة بن النعمان بن مالك بن أمية بن ضبيعة بن زيد بن مالك بن عوف بن عمرو بن الأوس الأنصاري، وعاصم بن ثابت هو [حَمِيُّ][2] الدَّبْر، وهو خال عاصم بن أبي الأقلح، وقيل أمه جميلة بنت عاصم والأول أكثر؛ فالخؤولة التي بين عمر بن عبد العزيز وبين الأحوص من هذا النسب لأن أم عمر عربية بنت عاصم جدتها جميلة بنت ثابت بن الأفلح[3].

فقال عمر:][4] أغرب به؛ فمن غيره ممن ذكرت؟، قال: همام بن غالب الفرزدق، قال: أليس هو القائل يفخر بالزنا؟

هما دلتاني من ثمانين قامة ... كما انقض بازٌ أقتح[5] الريش كاسره

فلما استوت رجلاي في الأرض ... قالتا أحي يرجّى أم قتيل نحاذره

{فقلت ارفعوا [الأسباب لا يفطنوا بنا][7] ... وأقبلت في أعقاب ليل أبادره}[6]

أغرب به فوالله لا دخل علي أبدًا! فمن غيره ممن ذكرت؟ فقال: الأخطل؛ فقال: أليس هو القائل:

---

(1) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(2) في ق: حام، وما أثبتنا من ابن حزم- جمهرة أنساب العرب- ص 333.

(3) انظر ابن حزم- نفس المصدر- ص 333.

(4) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(5) أقتم عند ابن الجوزي- نفس المصدر- ص 199.

(6) ساقط في ق.

(7) ساقط في الأصل وفي م ون وق، وما أثبتنا من الجمحي محمد بن سلام- طبقات فحول الشعراء- تحقيق محمد سويد- دار إحياء العلوم- بيروت-1998م- ج 2 ص 272.

فلست بصائم رمضان عمري[1] ولست بآكل لحم الأضاحي
{ولست بقائم كالعير يدعو[2] قبيل الصبح حي على الفلاح}[3]
ولست بزاجر عيسا بكورا إلى بطحاء مكة للنجاح
ولكني سأشربها شمولا وأسجد عند منسلخ[4] الصباح

أغرب به؛ فوالله ما وطأ لي بساطا أبدًا وهو كافر؛ فمن بالباب غيره؟ قال: جرير، قال: أليس هو القائل؟

لولا مراقبة العيون أرينها مقل الهوى[5] وسوالف الأرام
/122ظ/هل لا يهنئك[6] إن قتلن مرقشا أو ما فعلن بعروة بن حزام
[ذم المنازل بعد منزلة الهوى والعيش بعد الإير والأقوام][7]
طرقتك صائدة الفؤاد[8] وليس ذا حين الزيارة فارجعي بسلام

فإن كان لا بدّ بهذا فإن شعره عفّة؛ فأذن له، فخرجت إليه فقلت: يا أبا حزرة أدخل؛ فدخل وهو يقول:

إن الذي بعث النبي محمدا جعل الخلافة للإمام العادل
وسع الخلائق[9] عدله ووفاؤه حتى ارعوى وأقام ميل المائل
إنا لنرجو[10] منك خيرًا عاجلا والنفس مولعة بحب العاجل

فلما مثل بين يديه قال له: اتق الله أبا حزرة، ولا تقل إلا حقا؛ فأنشأ يقول:

كم باليمامة من شعثاء أرملة ومن يتيم ضعيف الصوت والنظر

---

(1) عند ابن الجوزي: طوعا. نفس المصدر- ص 199.
(2) عند ابن الجوزي: كالعبد أدعو. نفسه- ص 199.
(3) ما بين الحاضنتين ساقط في م وفي ن وق.
(4) منبلج في ق، وعند ابن الجوزي. نفسه- ص 199.
(5) المهى في ق.
(6) ينهينك في ق.
(7) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(8) القلوب عند ابن الجوزي- نفسه- ص 200.
(9) الخلافة عند ابن الجوزي- نفسه- ص 200.
(10) إني لأرجو عند ابن الجوزي- نفسه- ص 200.

ممن [يعدك تكفي][1] فَقْدَ والـــده — كالفرخ في العشّ لم يدرج[2] ولم يطر

إنــا لنــرجو إذا مــا الغـيث أخلفـنا — مــن الخلـيفة مــا نـرجو مــن المطـر

{أتــى الخلافــة إذ كانــت لــه قــدر — كمــا أتــى موســى ربّــه علــى قــدر}[3]

هــذي الأرامــل قــد قـضيت حاجـتها — فمــن لحاجــة هــذا الأرمــل الذكــر

فقال: يا جرير، والله لقد وليت هذا الأمر ولا أملك إلا ثلاثمائة درهم؛ فمائة أخذها ابني[4] عبد الله، ومائة أخذتها أم عبد الله، يا غلام أعطه المائة الباقية؛ فقال: يا أمير المؤمنين، [والله] إنها لأحب مال كسبته، ثم خرج فقال الشعراء: ما وراءك؟ قال: خرجت من عند أمير يعطي الفقراء ويمنع[5] الشعراء، وإني عنه لراض، ثم قال:

رأيــت رقــي الــشيطان لا تــستفزّه — وقـد كـان شـيطاني مـن الجـن راقيا[6]

[وقال جرير يمدحه:

مــا غــر قــوم كأجــداد يعــدهم عــثمان — ذو الــنور والفــاروق والحكــم

أشــبهت مــن عمــر الفــاروق ســيرته — فــاق البــرية وائــتمت بــه الأمــم

تدعــو قــريش وأنــصار الرســول لــه — أن يمــنعوا بأبــي حفــص ومــا ظلــم

وقال يمدحه:

يعــود الحلــم مــنك علــى قــريش — وتفــرج عــنهم الكــرب الــشدادا

وقــد أمّــنت وحــشهم بــرفق — وأعْـيَ الـناس وحـشك أن يـصادا

وتبنــي المجــد يــا عمــر بــن ليلــي — وتكفــي الممحــل ألــسنة الجمــادا

وتدعـــو الله مجـــتهدا ليرضـــي — وتذكــر فــي رعيــتك المعــادا][7]

---

(1) فمن بعدلك في م.

(2) ينهض عند ابن الجوزي- نفسه- ص 200.

(3) ساقط في ق.

(4) أبي في ق.

(5) منع في ق.

(6) أورد ابن الجوزي هذه الرواية مع بعض الاختلاف. انظر ابن الجوزي- نفس المصدر- صص 196-201.

(7) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

[من مواقف عمر] وقال له حاجبه يوما: بنو[1] أمية بالباب يرغبون عوائدهم عند الخلفاء /124و/والولاة من الكسى والصلات؛ فقال: ما لي مال عظيم أعطيهم منه، ومال الله لا أدفعه إلا في حقه؛ فقال ابنه وهو ابن أربع عشرة سنة: دعني أعنفهم؛ فقال له: ما تريد[2] أن نحمل على الناس الحق في دفعة واحدة فيجتمعون[3] على الباطل، ويدفعون[4] الحق دفعة واحدة فتكون الفتنة، [وأن الله تعالى أراد تحريم الخمر وميل الناس إليها؛ فمرّة ذمّها ومرّة كرّهها، ومرة حرّمها.

وكتب إلى عامله: العجب كل العجب من استئذانك إياي في عذاب البشر كأني جُنة لك من عذاب الله، لو كان رضاي ينجيك من سخط الله إذا أتاك كتابي هذا فانظر من قبلك؛ فمن أعطاك ما عليه عبدًا فخذه وإلا فاستحلفه بالله؛ فلئن تلقوا الله بخياناتهم أحبّ إليّ من [أن][5] ألقاه بعذابهم.

[من خطب عمر] وقال على المنبر: إن غائبا تحدوه اللحظة، وتسرع فيه الساعة جرى بسرعة إلا مات، وإن امرؤ ليس بينه وبين آدم إلا أب ميت لمغرق في الموت، أما إنكم لم تخلقوا عبثا، ولم تتركوا سدى، وأن لكم معادا يحكم الله فيه بينكم فخاب وخسر من خرج من رحمة الله التي وسعت كل شيء، وحرم الجنة التي عرضها كعرض السماء والأرض، واعلموا أن الأمان غدا لمن خاف الله، وباع قليلا بكثير وفانيا بباق، ألا ترون أنكم في أخلاف الهالكين، ويستخلفها من بعدكم الباقون حتى يرد إلى خير الوارثين، ثم إنكم في كل يوم تشيعون غاديا ورائحا إلى الله عزّ وجلّ قد قضى نحبه، وبلغ أجله، ثم تغيبونه في صدع من الأرض، وتدعونه لا موسدا ولا ممهدا، قد خلع الأسباب، وفارق الأحباب، ووجه إلى الحساب غنيا عما خلف، فقير إلى ما قدم، ألا وإنكم من أنصبتم الظهر وأرملتم، وليس السابق من سبق فرسه ولا بعيره، ولكن السابق من غفر له[6].

---

(1) أبو في الأصل، وما أثبتنا من م وق ون.

(2) أما تريد في ق.

(3) فيجتمعوا في ق.

(4) ويدفعوا في ق.

(5) زيادة أضفناها حتى يستقيم المعنى.

(6) قال ابن الجوزي والطبري: وهي آخر خطبة خطبها عمر بن عبد العزيز. نفس المصدر- صص

وقال على المنبر: إن الله لم يجعل لمحسن ولا مسيء في الدنيا خلودا، ولم يرض بما أعجب أهلها ثوابا لأهل طاعته، ولا يبلائها عقوبة لأهل معصيته، وكل ما فيها من محبوب متروك، وكل ما فيها من مكروه مضمحل، كذلك خلقت، ثم كتب على أهلها الفناء، وجعل الله عزّ وجلّ له ميراث الأرض ومن عليها؛ فاتقوا [الله] واعملوا ليوم لا يجزي والد عن ولده، ولا مولود هو جاز عن والده شيئا[1].

وقال حين مات ولده عبد الملك: الحمد لله الذي جعل الموت حتما واجبا على عباده؛ فسوى فيه بين ضعيفهم وقويهم ورفيعهم ودنيهم؛ فقال تبارك وتعالى: «**كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ**»[2] ؛ فليعلم ذوو النهى منهم أنهم صائرون إلى قبورهم، مفردون بأعمالهم؛ فاعلموا أن [عند] الله مسألة فاضحة، قال الله تعالى: «**فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ**»[3].

وقال على المنبر: يا أهل الشام، إنه بلغني عنكم أحاديث وما أنا بالراجي لخيركم ولا بالآمن لشرّكم، ولقد مللتموني، وعلى ذلك لقد مللتكم؛ فأراحني الله منكم وأراحكم مني؛ فما علاه حتى مات[4].

وخرج [غازيا أو][5] حاجًا فاعتل في حمص، فلما حضرته الوفاة قال: [تمت الحجّة على ابن الأربعين][6]، ادع لي بني؛ فدعوا له[7]، وكانوا اثني عشر[8] ؛

258-260/تاريخ الطبري- ج8 ص 97-98.

(1) قال ابن الجوزي: هي خطبة عمر بعد وفاة ابنه عبد الملك. نفس المصدر- ص 305-306.

(2) سورة الأنبياء- الآية 35.

(3) سورة الحجر- الآية 91-92، وقد أورد ابن الجوزي هذا القول- سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز- ص 310.

(4) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(5) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(6) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(7) فدعاهم في ق.

(8) انظر ابن الجوزي- سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز- ص 315، وقال الروحي كان له أربعة عشر ذكرا. بلغة الظرفاء- ص 155، ويقول اليعقوبي: وخلف عمر من الولد تسعة ذكور- تاريخ اليعقوبي- ج2 ص 308.

فلما نظر إليهم دمعت عيناه وقال: يا بني أترككم فقراء؛ فقال مسلمة بن عبد الملك: وما الذي منعك[1] أن تغنيهم؛ فوالله لا يرد ذلك بعدك أحد؟ فقال له: يا مسلمة ما كنت تحريت عنه في الدنيا فأصلى به في الآخرة، وبني [رجلان]:[2] إما طائع فالله يرزقه من حيث لا يحتسب، وإما عاص فلست أعينه على عصيانه، ثم قال لهم: يا بني أترضون أن تكونوا أغنياء في الدنيا ويدخل أبوكم النار على ذلك في الآخرة؟ قالوا: لا، قال لهم: أرجو أنكم لا تلقون أحدًا إلا وهو محب فيكم لأنه ما ناله أبوكم بشر، اذهبوا عصمكم الله ورزقكم الله، [ولا أفقركم؛ فلم يُرَ أحد من ذريته وهو فقير قط][3].

[مرضه ووفاته ومدة خلافته] ومرض تسعة أيام، ومضت عليه ليال لم ينم فيها؛ فاشتدّ عليه الألم، قال مسلمة بن عبد الملك: فقلت له أنا وأخي زوجته لو أرخينا عليك الستر يا أمير المؤمنين، وتركناك تنام فتستريح؛ فقال: افعلا؛ فما كان إلا أن نزلنا عنه سمعناه يقول: حيّ الوجوه {حيّ الوجوه}[4] ؛ فابتدرناه فألفيناه قد مات رحمه الله.

وكانت خلافته سنتين[5] ونصف[6]، ومات بدير سمعان {من أرض حمص في رجب سنة إحدى ومائة، وهو ابن أربعين سنة}[7]، وصلى عليه يزيد بن عبد الملك، وقد كان اشترى من الراهب موضع قبره بأربعين درهمًا[8]، وقال:

---

(1) يمنعك في ق.
(2) رجال في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(3) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق، وقد أورد ابن الجوزي نفس الرواية- ص 320 -321.
(4) ساقط في ق.
(5) سنة في ق.
(6) قال الطبري والروحي وكانت خلافته سنتين وخمسة أشهر، وفي تاريخ اليعقوبي وكانت ولاية عمر ثلاثين شهرا- تاريخ الطبري- ج8 ص 94/بلغة الظرفاء- ص 156/تاريخ اليعقوبي- ج 2 ص 308
(7) ساقط في ق.
(8) اختلف في ثمن شراء التربة؛ فقيل اشتراها بستة دنانير، وقيل بثلاثين دينارًا، وقيل بدينارين، وقيل بعشرة دنانير- ابن الجوزي- سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز- ص 323.

احفروا واعمقوا؛ فإن خير الأرض أسفلها وشرّها أعلاها[1]، وتمثل حين حضرته الوفاة:

/125ظ/يواعدني كعب ثلاثا يعدها ... وأحسب أن القول ما قاله كعب

وما بي لقاء الموت إني لميت ... ولكنما بي الذنب يتبعه الذنب

فلم تنفسح له رحمه الله الأعوام، ولا غفلت عنه الليالي والأيام، فأصيب فيه الإسلام، ورزئت فيه أمة النبي عليه السلام، وقيل إن يزيد سمّه.

قال مسلمة: عندما دفناه أخذتني عيني على قبره فرأيته في حديقة نضرة مخضرة، وفيها قصور مشيدة[2] بالياقوت والجوهر والزبرجد، وعليه حلل خضر وعمامة خضراء؛ فقال لي: يا مسلمة لمثل هذا فليعمل العاملون.

[رثاء الشعراء له] ورثاه جرير فقال:

نعى النعاة أمير المؤمنين لنا ... يا خير من حج بيت الله واعتمرا

حملت أمرًا عظيمًا فاضطلعت به[4] ... وسرتَ فيهم بحكم[3] الله يا عُمَرا

فالشمسُ طالعةٌ ليست بكاسفةٍ ... تبكي عليك نُجُومُ الليلِ والقَمَرا[5]

وقال الفرزدق يرثيه:

أقول لما نعى الناعونَ لي عمرا ... لقد نعيتم قوام الحق والدين

قد غيَّبَ الرامِسونَ اليوم إذ رمسوا ... بدير سمعانَ قِسْطاسَ الموازين/123و/

لم يُلهِهِ عمره عَيْنٌ يُفَجِّرُها[6] ... ولا النخيل ولا رَكْضُ البراذين[7]

(1) انظر ابن الجوزي- سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز- ص 323

(2) مبنية في ق.

(3) وقمت فيه بحق في ق.

(4) فاضطربت له في الأصل.

(5) انظر ابن الجوزي- سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز- ص 335.

(6) يفجره في الأصل، وما أثبتنا من ق.

(7) انظر المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 195.

خبر[1] يزيد بن عبد الملك

[نسبه]: يكنى أبا خالد، أمه عاتكة بنت يزيد بن معاوية بن أبي سفيان[2]، ولدته بدمشق وقيل بالمدينة، وعاتكة هذه رآها إنسان في النوم قبل ظهور بني العباس [على بني أمية][3] كأنها ناشرة شعرها، وهي تقول:

إن الزمان وعيشنا هذا[5] الذي كنا به زمنا نسرّ ونجذل[4]

زالت بشاشته وأصبح ذكره حزنا[6] يفلّ به الفؤاد وينهل

ففسر الناس تلك بزوال ملك بني أمية.

[بيعته بالخلافة وصفته] بويع في اليوم الذي توفي فيه عمر بن عبد العزيز، وكان جميلا، أبيض اللون، نحيف البدن، طويلا خفيفا، نحيف العارضين، لطيف الوجه مدوره، ملون العينين، أسود الرأس واللحية[7].

[عبد الحميد الكاتب ونماذج من كلامه] كاتبه على الإنشاء والرسائل عبد الحميد بن يحيى الكاتب الأكبر، كاتب أبيه [عبد الملك][8] وأخيه [سليمان][9]، ولم يزل يكتب لخلفاء بني أمية واحدًا بعد واحد حتى انقضت دولتهم[10]، وهو

---

(1) ذكر في ق.
(2) انظر المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 195.
(3) ساقط الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(4) نجول في ق.
(5) اللذن في ق.
(6) حزانا في الأصل.
(7) قارن مع ما أورده الروحي- بلغة الظرفاء- ص 157.
(8) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(9) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(10) هذا وهم من المؤلف لأن عبد الحميد بن يحيى بن سعد، مولى بني عامر بن لؤي الكاتب البليغ، الذي كان إماما في الكتابة وجميع فنونها انتقل من تعليم الصبيان إلى تولي الوزارة لمروان بن محمد الجعدي، ثم كتب لابنه من بعده، ولم يكتب كما وهم المؤلف للخلفاء الذي سبقوا مروان. الجهشياري- كتاب الوزراء والكتاب- ص 72/ابن كثير- البداية والنهاية- ج1 ص 55/ابن عساكر- تاريخ دمشق- ج24 ص 92.

الذي فتح أبواب البلاغة، وصاغ المعاني أحسن صياغة.

[فمن فصول][1] كلامه: أما بعد؛ فإن الله تعالى قدر الأمور ووضعها مواضعها؛ فجعل البلاء والرخاء من أولين؛ فالعسر يخلفه اليسر، والشدّة معها الرخاء، والعافية يخلفها البلاء، وحق الله وطاعته في أيهما كان ثابتا على منزلته، دائبا على حاله؛ فللّه حقّ الصبر في البلاء، وحقّ الشكر في الرخاء؛ ففي الله[2] ثواب الأجر على الصبر، وثواب الزيادة على الشكر، ولم يزل الله يبتلي الأسلاف /124ظ/من أهل الحق، ويمحصهم ليعلم الذين [صدقوا][3]، ويعلم الكاذبين.

[وفصل من كلامه: أما بعد فإن الله جعل الدنيا محفوفة بالكره والشرور، وقسم فيها أقساما مختلفة بين أهلها؛ فمن درّت له بحلاوتها، وساعده [الحظ][4] فيها سكن إليها، ورضي بها، وأقام عليها، ومن قرصته بأظفارها، وعضّته بأنيابها قلاها نافرًا عنها، وذمّها ساخطًا [عليها]، وشكاها [مستزيدًا منها][5]، وقد كانت الدنيا أذاقتنا [من] حلاوتها، وأرضعتنا [من درّها أفاويق استحليناها][6]، ثم شمست [منا] نافرة، وأعرضت عنّا متنكرة، فملح علينا عذبها، وأمرّ عندنا حلوها؛ فقد أخذت كلما أعطت، وتباعدت مثلما تقربت، وأعقبت بالراحة نصبًا، وبالقرب بعدًا، وبالأمن خوفًا، وبالعزّ ذلا وبالجدة حاجة، لا ترحم من استرحمها، ولا تعتب من استعتبها؛ فسل الله الذي يُذلّ من يشاء ويُعزّ من يشاء أن يهب لنا ولكم ألفة جامعة، في دار آمنة معها سلامة الأديان والأبدان فإنه خير الوارثين[7].

وفصل من كلامه أما بعد فإنك كتبت كتاب أمرئ جائر عن الهدى، متورط في العمى، متعرّض للحين والردى، متتابع في الضلالة، منهمك في الجهالة، مارق من الدين، مفارق للمسلمين، خارج من الأديان، بطر للعدل والإحسان، قد

---

(1) فصل في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(2) ومن الله في ق.

(3) آمنوا في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(4) الخطب في ق، وما أثبتنا من الجهشياري.

(5) مستديرا في ق، وما أثبتنا من الجهشياري.

(6) درّها في ق، وما أثبتنا من الجهشياري.

(7) أورد الجهشياري هذا الكتاب مع بعض الاختلاف- كتاب الوزراء والكتاب- ص 72-73.

استجمعت عليه أوصاف الشيطان؛ فمنّاه ما منّ أشباهه من الطغيان، فقبل من الشيطان أمنيته، وأمكن أزمته، وصدق مواعيده، وألقى إليه مقاليده؛ فركب عليه الوثاق، وشدّ منه الخناق؛ فطاوعها في العنان، وهو يشرقه أحب الساق؛ فاقحمه غورًا غير ذي قعر، وحبسه لاستباحة دنياه وأخراه بفلاة قفر، وسهمه وعرق بنيه صفر ليس فيها متقدم ولا متأخر، ثم نكص عنه فأسلمه وحيدًا، وتبرأ منه وتركه طريدًا؛ فأدركه[1] الخسران والندامة والحسرة الدائمة إلى يوم القيامة.

ويضرّه ما أوقعه فيه من الطغيان؛ فهو يتلجلج في هواه، ويتردد في معواه، ليس له فيه ملجأ، ولا منه منجأ، وكذلك يفعل الله بالقوم الظالمين، ويستدرجهم من حيث لا يعلمون؛ فانظر ولا نظنّ لك أين وقعت هذه الصفة منك، وأين وضعت منك نفسك، وانزع ولا نزوع بك، وتب ولا توبة لك؛ فإنه لا يدان لك بالأقران، ولا طاقة لك بالأخذان حين تحمل عليك الفرسان، وتنحط عليك العقبان، ويتعاورك اللقاء والطعان، وتحتفك الأعنة، وتنفذك الأسنة، وتحيط بك الكتائب، وتكتنفك المقانب، ويحدو بك الموت من كل جانب؛ فأما لك عند ذلك التناوش، وهيهات حينئذ المناص.

فأما قولك في كتابك سترد عليك الجود عليها الهود؛ فإنّ ذلك صفة الخيل الإناث، عليها الخيل الأحداث، ونحن نقول أهل اليقين والحق: سترد عليك ملائكة الله المقربون وجنده الغالبون، ومعه أولياؤه المنصورون، الكهول على الفحول، كأنها الرعول تخوض الوجول، طوال السبال كأنما تصحب بالحريال، هم الرجال من فارس وراجل، ورامح ونابل، ومصلب وشارع، وخاسر ودارع، ليس معهم إلا أسد محارب قد حنكته التجارب، وقام في الحرب على ساق، وشرب من كأسها المرّ المذاق، ومنازل محكك مفرك قد سدس في الحرب ونزل، وشبّ فيها واكتهل، أو عود مرنح مدرب قد أكل على فاخذه في الحرب وشرب؛ فهو بطيء عن الهرب، وعلى لقائكم حرب ذو شقشقة، وكلكل كأنما أشرب وجهه بقيع الحنظل، قد رضعتهم الحرب ورضعوها، وغذتهم وغذوها، وألفتهم وألفوها؛ فهي أمّهم وهم بنوها، لا يولون الأدبار، ولا يتحدثون بالفرار مذ ضربوا ضرب الهام، واعتادوا الكرّ والإقدام؛ فليسوا

---

(1) فأتركه في الأصل.

بذي هيبة ولا إحجام، يخالسون النفوس، ويجتزّون الرؤوس، ويغمسون السيوف، ويخالطون الزحوف، يزأرون زئير الأسد حين يشتدّ الوغى، وتتحطم القنا؛ فاجمع لذلك جمعا، واخطب له خطبك، واجلب بخيلك ورجلك.

وأما قولك في كتابك إنك تكثف الجموع، وتحشد الجنود، وتضمر الخيول؛ فإنا لا نكثف جمعًا، ولا نحشد جندًا، ولا نضمر خيلا، وثقتنا بأن الله تبارك وتعالى سيمدنا بملائكته، ويزيدنا من نصره بما قد مضت به سنته، ولا يتقدم بقوة إلا كان الله على نعمه، وأنتم تجرون من الله على نقمه، وقد رأيتم ذلك في المواطن والمنازل التي يجمع الله فيها بين الحق والباطل، مع أنني أراني ولا قوة إلا بالله بالذي أنا عليه من الطاعة، والذي أنت عليه من المعصية كجلمود الصخر للزجاجة، إن وقع عليها قضها، وإن وقعت عليه رضها؛ فإن شئت فسر، وإن شئت فأقم، ولا أرى لك إلا الإقامة حتى نأتيك ونحلّ عليك جامعين معدين، وإن شئت فاعمد السير اقحم المنازل، ولا تلبثنّ في المناهل؛ فإنك قد أطلت التضجيع، وأدمت التوديع، ولزمت الفرس، وأوطأت وتوطأت الأرياف، ونازعت إلى الرساتيق، وكرمت خلاطا، ورجوت أن يكون الأمر رباطا، وقد أظلك من عدوك رمحه، ونالك وهجه؛ فاعتدّ للقتال، وتأهب لمنازلة الأبطال، ومطالبة الأشبال، واثبت في المقام؛ فليس حين مرام، ولا تستبطئننا فإنا غير نيام، قد علق الرهان، ولزمت حلقتا البطان، ورغبنا إلى اللقاء، واستسقتنا أسيافنا الدماء، وهي إلى ذلك ظماء؛ فكن على وجل؛ فقد أظلك ما ساءك، صبحك وأمساك.

واعلم أنني صاحب الحرب، المشمر عن ساقه، المسفر عن وجهه، المجدّ في أمره، إنك إن تقبل تنحر، وإن تدبر تعقر، وإن تقم تدهم، وإن تهرب تطلب، ويكون الله بالمرصاد، يأخذ عليك بالإسراد؛ فإن استطعت أن تتخذ في البحر سربا، وفي الأرض نفقا، وإلى السماء سلما فافعل؛ فإنه أعذر من أنذر؛ فلا مفر ولا وزر، ولا يرعبنك كتابي إليك؛ فإن الكتاب وإن اشتدّ لطيف عندي ما يلني ويلنك إلا أن تتوب وترجع؛ فإن تفعل فإن الله تواب رحيم، وإن تتولى وتصدّ فإن الله عزيز ذو انتقام والسلام.][1]

---

(1) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

[وزراءه] وكاتبه على الخراج والأجناد صالح بن جبير الغداني، وقيل يزيد بن عبد الله، وحاجبه خالد مولاه، وآذنه سعيد مولاه، [وعلى شرطته كعب بن حامد[1] العبسي، وعلى حرسه غيلان مولاه][2]، وعلى خاتمه مطر مولاه، وكان نقشه أقلني السيئات يا عزيز، وعلى خاتمه الصغير بكير، وعلى بيوت الأموال هشام بن مضارب، وعلى [المظالم][3] أسامة بن زيد[4].

بنوه: ثمانية ذكور[5] منهم عبد الله، [ولدته [أمه من][6] سبعة خلفاء: أبوه يزيد وأبو يزيد عبد الملك وأبو عبد الملك مروان، وأم أبيه عاتكة بنت يزيد بن معاوية، [وأمّه] سُعدة بنت عبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان، وأم عبد الله بن عمرو قلابة بنت عبد الرحمن بن عمر بن الخطاب، ومن ولده][7] الوليد [بن يزيد][8]، وكان يكنى أبا العباس[9].

[أخلاقه] وكان ماجنا سفيها، وكان يزيد صاحب لهو وطرب ومجون ولعب، وعنده كرم وأدب، وكان يشرب الطلاء، ويسمع الغناء، وكانت عنده جملة قيان، وكلهن ذوات حسن وإحسان منهم حبابة وسلامة، وكلتاهما لها خبر ظريف نذكره بعد إن شاء الله، وكان مع مجونه وخلاعته [متفقدا][10] لأمور بلاده وأهل طاعته، عارفا بالحروب.

[عُمّاله على الأمصار] ولى أخاه مسلما على العراق، وعزل حذيفة بن

---

(1) خالد في ق.

(2) ساقط في م ون.

(3) مضارب في م وهو تصحيف.

(4) انظر تاريخ خليفة بن خياط- ص 215.

(5) وقيل: عشرة- الروحي- بلغة الظرفاء- ص 158.

(6) زيادة منا حتى يستقيم المعنى.

(7) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(8) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(9) الروحي- بلغة الظرفاء- ص 158/ابن حزم- جمهرة أنساب العرب- ص 91.

(10) مفتقدا في الأصل وفي كل النسخ، ولعلّ الصواب ما أثبتنا.

الأحوص عن الأندلس، وولى مكانه عقبة[1] بن الحجّاج الفهري[2]، وهو الذي فتح جليقية، وولى على إفريقية بعد قتل يزيد بن أبي مسلم بشر بن صفوان الكلبي، وذلك سنة اثنتين ومائة.

[بين يزيد وأخيه هشام] وكان يزيد يحسد أخاه هشاما[3] في الخلافة من بعده، ويرى أن أولاده أحق بها من بعده؛ فلم يقدر على خلعه؛ فعهد إلى ولده الوليد من بعد هشام، وكان متى رآه قال: الله حسيب من جعل هشاما بينك وبينها، واشتكى يزيد شكاة شديدة، وبلغه أن هشاما يسرّ بذلك؛ فكتب إليه يعاتبه: أما بعد؛ فقد بلغني استثقالك لحياتي، واستبطاؤك موتي، ولعمري إنك بعدي لواهي الجناح، أجذم الكف، ما استوجبت منك ما يلغني عنك، وكتب في آخره:

تمنّى رجال أن أموت وإن أمت ... فتلك سبيل لست فيها بأوحد

وقد علموا لو ينفع العلم عندهم ... متى مت ما بالباغي علي بمخلد

/125و/منيته تجري لوقت وحتفه ... يصادفه يوما على غير موعد[4]

فقل للذي يبغي خلاف الذي مضى ... تهيأ لأخرى مثلها فكان غد

فراجعه هشام: أما بعد؛ فإن أمير المؤمنين [متى][5] قرع سمعه بأهل الشنآن[6] وأعداء النعمة يوشك أن يقدح ذلك في فساد ذات البين وقطع الرحم[7]، وأمير المؤمنين بفضله، وما جعله الله له أهلا أولى أن يتغمد ذنوب أهل الذنوب، وأما أنا

---

(1) عتبة في كل النسخ، والصحيح ما أثبتنا.

(2) هذا وهم من المؤلف لأن عقبة بن الحجاج السلولي لم يعين واليا على الأندلس إلا في عام 116هـ، وأن الوالي الذي كان على عهد يزيد هو عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي الذي قدمه أهل الأندلس بعد استشهاد السمح بن مالك سنة 102هـ، ثم خلفه عنبسة بن سحيم الكلبي الذي عينه عامل إفريقية يزيد بن أبي مسلم، وأقرّه بشر بن صفوان المعين من طرف يزيد بن عبد الملك. لمزيد من التفاصيل انظر ابن عذاري- البيان المغرب- ج2 ص 26-29/ مجهول- تاريخ الأندلس- ص 156.

(3) يشنأ في ق.

(4) البيت الثالث ساقط في ق.

(5) ساقط في م.

(6) لقول أهل في ق.

(7) الأرحام في ق.

فمعاذ الله أن أستثقل حياتك واستبطئ وفاتك.

فكتب إليه يزيد: نحن مغتفرون ما كان منك، ومكذبون ما قيل [لنا][1] عنك؛ فطب نفسا بذلك، واحفظ وصية أبينا في ترك التباغي والتحاسد والتخاذل، وما حضّ عليه من إصلاح ذات البين واجتماع الأهواء؛ فهو خير لك وأملك بك[2]، وإني لأعلم أنك كما قال الأول:

وإني على أشياء منك يريبني قديما لذو صفح على ذاك مجمل

ستقطع في الدنيا إذا ما قطعتني يمينك فانظر أي كف تبدل

فلما أتاه كتابه ارتحل [إليه]، فلم يزل في جواره مخافة[3] أهل البغي والسعاية حتى مات يزيد[4].

[يزيد وجاريته سلامة] وجلس يوما للمظالم؛ فرفع إليه رفع [في جملة الأرفاع][5]، وفيه إن رأى[6] أمير المؤمنين أن يتفضل، ويسمعني جاريته فلانة وهي سلامة فعل إن شاء الله؛ فلما وقف عليه غضب غضبا شديدًا، ودخل قصره من ساعته، وقال: عليّ برافع هذا الرفع[7]؛ فلما دخل عليه رأى شابا من أبناء التجار من أهل البصرة؛ فقال: ما حملك على ما كتبت به؟ قال: الثقة بكرمك وحلمك وفضلك وعلوك؛ فسكن غضبه، وقال: نعم، وأمر بضرب الستائر، وخروج القيان، وإقامة مجلس الأنس؛ فلما حضر ذلك وخرجت الجارية قال الفتى: من تمام مروءتك يا أمير المؤمنين أن تبيح لي أن اقترح عليها صوتا، قال له: اقترح، قال: غنّ

تألق البرق نجديا فقلت له يا أيها البرق إني عنك مشغول

/125ظ/فغنته فطرب يزيد، وشرب عليه طلاء[8]، وشرب الفتى مثله والجارية،

---

(1) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(2) أملك بك ساقطة في ق.

(3) مخالفة في الأصل.

(4) ورد النص مع بعض الاختلاف عند المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 202.

(5) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(6) أرى في الأصل.

(7) برافعه في ق.

(8) في الأصل وفي كل النسخ رطلا، ولعل الصواب ما أثبتنا، والطلاء ما طبخ من عصير العنب.

ثم قال: بقي صوت آخر فاتمم به {معروفك، قال: أقترح}[1]، قال [لها][2] غنّي:

قد رحلوا وخطت دونهم سجف[3] لو كنت أملكهم يوما لما رحلوا

إني على العهد لم أنس مودتهم فليت شعري وطال العهد ما فعلوا

فلما أكملت الصوت، وثب الفتى وهو يقول: كذا فعلوا، ورمى بنفسه من علية كانت بين أيديهم؛ فاندقّت عنقه فمات من ساعته؛ فلما رأى يزيد ذلك عظم عليه أمره، وقال: أظنّ ذلك المغدور أنا كشفنا عليه [حرمتنا][4]، وترجع إلينا، خذوا بيدها وادفعوها إلى ورثته، وإن لم تكن له ورثة فتباع، ويتصدق بثمنها عليه؛ فأخذ بيدها أحد الخدم وقامت؛ فلما توسطت القصر جذبت يدها من يده، وجرت وهي تنشد:

يا قوم من مات عشقا فليمت مكذا لا خير في عشق[5] [بلا موت][6]

ورمت بنفسها من موضعه؛ فاندقت رقبتها فماتت؛ فرقّ لذلك يزيد وجزع، وتطيّر بها، وتنقص حاله، ثم قال: من بالباب من الندماء؟ قيل له: الأصمعي؛ فأذن له فلما مثل بين يديه أخبره بالقصة، وقال له: وقرابتي[7] من رسول الله صلى الله عليه وسلم لئن لم تحدثني حديثا يشبه هذا أتسلى به لألحقتك بهما، قال الأصمعي: فبقيت متحيرًا حتى ذكرت حديثا كنت سمعته؛ فقلت: نعم، بلغنا أن بعض أمراء طرسوس جلس يوما للمنادمة، وضرب الستائر للقيان على حافة نهر عظيم؛ فغنته جارية منهن:

يا قمر التمّ متى تطلع أشقى وغيري بك تستمتع

المعجم الوسيط- ص 565.

(1) ساقط في ق.

(2) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(3) سجف: السَّجْف أو السِّجْف أحد السترين المقرونين بينهما فرجة. المعجم الوسيط- ص 417.

(4) غطاءنا في م ون.

(5) عاشق في ق.

(6) ساقط في الأصل وفي م ون، ومن ق.

(7) وحق أجدادي الكرام زائدة في ق.

إن كان ربي قد قضى ما أرى منك   علـــى رأســـي فمـــا أصـــنع

وعلى رأس الأمير وصيف كأنه فلقة قمر[1]، وبيده قدح بلور مملوء شرابا؛ فرمى به من يده، وقال: تصنعين هذا، ورمى بنفسه في النهر فغاب؛ فبينما هم /126و/في حيرة إذ هتكت الجارية الستار، وجرت حتى رمت بنفسها عليه؛ فلم تر؛ فبقي الأمير متحيرًا؛ فأمر الغواصة[2] بالغوص عليهما؛ فوجدوهما تحت الماء متعانقين ميتين؛ فأخرجوهما، وصلّي عليهما، ودفنا في قبر واحد، ولم يحضر بعد [أحد][3] من أمراء طرسوس غلاما مع جارية؛ فسكّن هذا الخبر جزع يزيد، ووصل الأصمعي: وأمر بدفنهما في قبر واحد، واستقصى عليهما؛ فأعلم أن الفتى كان سيدها، وأن الدّهر ألجأه إلى بيعها، ثم لم يقدر أن يصبر عنها حتى آلت حاله إلى ما آلت[4].

[يزيد وجاريته حبابة] وقال [يزيد][5] يوما: يقال إن الدنيا لم تصفُ لأحد؛ فإذا خلوت يومي هذا فاطووا[6] عني الأخبار، ودعوني ولذتي وما خلوت له، ثم دعا بحبابة فقال: اسقيني وغنّي؛ فخلدا في أطيب عيش؛ فتناولت حبابة حبّة رمان فوضعتها في فمها، فغصت[7] بها فماتت؛ فجزع يزيد جزعا شديدًا أذهله، [وجعل يترشفها، ومنع من دفنها][8] حتى قال مشائخ بني أمية: إن هذا عيب لا يستقال، وإنما هذه جيفة؛ فأذن في دفنها، وتبع جنازتها ماشيا؛ فلما واراها قال: أمسيت والله كما قال الشاعر كثير عزة:

فإن تسأل عنك النفس أو تدع الهوى   فباليأس تسلو عنك[9] لا بالتجلد

---

(1) البدر في ق.
(2) الغاصة في ق.
(3) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(4) لم نعثر على هذه القصة في المصادر التي بين أيدينا.
(5) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(6) فاقطعوا في ق
(7) فشرقت في ق.
(8) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(9) النفس عند المسعودي.

وكـل خلـيل رآنـي [فهـو قائـل][1] من أجلك هـذا هامت اليوم أو غد

فعدّ بينهما خمسة عشر يومًا[2].

[وفاته ومدة خلافته] وكانت خلافة يزيد أربع سنين وشهرًا ويومين، وتوفي بحوران حتف أنفه، وقيل بالبلقاء من أعمال دمشق يوم الجمعة لخمس ليال بقين من شعبان سنة خمس ومائة، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة[3]، وقيل ابن أربعين، وقيل ابن ست وثلاثين، وصلى عليه ابنه الوليد، وهو ابن خمس عشرة سنة، وهشام بن عبد الملك بحمص[4].



(1) ساقط في م ون.

(2) ورد الخبر عند المسعودي مع بعض الاختلاف- مروج الذهب- ج3 ص 198.

(3) ثمان وثلاثين سنة في ق.

(4) انظر ابن عساكر- تاريخ دمشق- ج 65 ص 309/الطبري- تاريخ الطبري- ج8 ص137 /المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 195/تاريخ خليفة بن خياط- ص 213.

/126ظ/خبر هشام بن عبد الملك

[نسبه]: يكنى أبا الوليد، أمه عائشة بنت هشام بن الوليد [بن المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم][1] المخزومي، وكانت حمقاء[2]، أمرها أبوها[3] ألا تكلم عبد الملك حتى تلد؛ فكانت تثني الوسائد وتركبها، وتشتري الكُنْدُر[4] فتمضغه، وتعمل منه تماثيل، وتضعها على الوسائد، وقد سمّت كل تمثال باسم جارية، وتنادي: يا فلانة، يا فلانة؛ فطلقها عبد الملك، وصار إلى مصعب بن الزبير؛ فلما قتله بلغه مولد هشام بالمدينة؛ فسمّاه منصورًا تفاؤلا بذلك، وسمّته أمّه هشام على اسم أبيها؛ فلم ينكر ذلك عبد الملك[5].

وكان عبد الملك قد رأى في منامه أن زوجه عائشة هذه أم هشام ضربته ضربة في رأسه ففلقته عشرين فلقة؛ فحزن لذلك، ودعا سعيد بن المسيب، وقصّ عليه الرؤيا فقال له: ستلد غلاما يملك الأرض عشرين سنة؛ فولدت هشاما.

[بيعته وصفته] بويع في اليوم الذي مات فيه أخوه يزيد، وهو ابن أربع وثلاثين ونصف، وكان مولده سنة اثنتين وسبعين، وكان أحول، أبيض، سمينا جميلا، أكحل، ربعة، مستدير الوجه، معتدل القامة، عريض الأكتاف، مدور اللحية، يخضب بالسواد[6].

[وزراءه] كاتبه على الإنشاء والرسائل عبد الحميد الأكبر[7]، وعلى الخراج

---

(1) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(2) محمقة في ق.

(3) أهلها في ق.

(4) الكندر: اللبان وهو نبات من الفصيلة البخورية يفرز صمغا. المعجم الوسيط- ص 814.

(5) انظر الطبري- تاريخ- ج 8 ص 139/المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 205/الروحي- بلغة الظرفاء- ص 159.

(6) انظر المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 205.

(7) لم يكتب عبد الحميد بن يحيى للخليفة هشام، والذي كتب له هو سعيد بن الوليد بن عمرو بن جبلة الأبرش الكلبي. انظر الجهشياري- كتاب الوزراء والكتاب- ص59 /الروحي- بلغة الظرفاء- ص160، وقال خليفة بن خياط: كاتب الرسائل سالم مولى سعيد بن مالك- نفسه- ص235.

أسامة بن زيد، وقيل سعيد بن الوليد الأبرش، ثم محمد بن عبد الله بن حارثة، وحاجبه غالب مولاه، وقاضيه [محمد][1] بن صفوان الجمحي، وصاحب شرطته كعب بن حامد العبسي، وعلى حرسه الحبحاب بن عبيد الله بن الحبحاب، وقيل يزيد بن يعلى، وعلى خاتمه الربيع بن [شابور][2]، ونقشه الحكم لله، وعلى طابعه أبو الزبير مولاه[3].

بنوه: عشرة ذكور وإناث منهم معاوية بن /127و/هشام والد عبد الرحمن الداخل للأندلس والملك بها، ومنهم سليمان قتله السفاح[4].

[سيرته وأخلاقه] وكان هشام فصيحًا خطيبًا، ذكيًا عاقلا، عفيفا خيّرًا، لم يحفظ له شرب خمر[5] ولا غيره، وكان فظًا غليظا، جمّاعًا للأموال، عامرًا للأرض، وكانت له سياسة حسنة، وتيقظ في أموره، ويباشرها بنفسه، وكانت له ستور وكسوة وطراز لم يكن لمنَ كان قبله، وكثيرًا ما كان يستعمل الطيب وأنواع اللباس[6].

وحكي عنه أنه حجّ بالناس في خلافته [سنة ست ومائة][7]، فحملت ثياب ظهره ستمائة جمل، ووجد له بعد موته ستة آلاف سراويل، ومات في حجّته تلك سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه؛ فصلى عليه في الموسم، ثم قال: والله ما أدري أي ربح أشكر: أحجّتي أم صلاتي على سالم؟ وصلى فيها أيضا بمكة على طاوس بن كيسان اليماني[8].

[عماله في العراق] وفي هذه السنة عزل هشام عمر بن هبيرة عن العراق وما

---

(1) في الأصل وفي كل النسخ عمر، والصحيح ما أثبتنا.
(2) ياسور في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق، ومن تاريخ خليفة بن خياط- ص 235.
(3) قارن مع ما أورده خليفة بن خياط- نفسه- ص 235/تاريخ اليعقوبي- ج2 ص 328.
(4) انظر الروحي- بلغة الظرفاء- ص 160/تاريخ اليعقوبي- ج2 ص 328.
(5) نبيذ في ق.
(6) الروحي- بلغة الظرفاء- ص 159/المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 205/تاريخ اليعقوبي- ج2 ص 328.
(7) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(8) انظر تاريخ الطبري- ج8 ص 141/ابن العماد الحنبلي- شذرات الذهب- ج1 ص 133، وقال خليفة بن خياط: إن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مات سنة 107هـ. تاريخ خليفة بن خياط- ص 217.

كان إليه من عمل المشرق، وولى ذلك خالد بن عبد الله القسري[1].

[ولاة الأندلس والأحداث بها] وعزل عقبة بن حجّاج عن الأندلس، وولى مكانه الحسام بن ضرار الكلبي؛ فأقام واليا بالأندلس تسعة أعوام، وهو الذي جوّز إليها من أهل الشام عشرة آلاف رجل، وهزم بهم ابن يفرن الزناتي إذ كان قد قام عليه، وظفر به وصلبه، وصلب عن يمينه كلبًا، وعن يساره خنزيرًا، وخلفه قرداً وأمامه دبًا[2]، وسكن أهل دمشق البيرة، وأهل الأردن رَيَّة، وأهل فلسطين شَذُونة، وأهل حمص إشبيلية، وبهم سميت إشبيلية حمص، وأهل قنسرين جيان، وأهل مصر [باجة][3]، ومات أميرًا عليها[4] ؛ فولى هشام [عليها][5] الهيثم بن سحم الكلبي[6].

---

(1) انظر تاريخ خليفة بن خياط- ص 216/الطبري- تاريخ الطبري- ج8 ص 139/اب الأثير- الكامل في التاريخ- ص 696.

(2) هناك تضارب كبير في المعلومات التي يوردها المؤلف عن ولاة الأندلس، فالخليفة هشام بن عبد الملك عيّن يحيى بن سلمة الكلبي واليا عليها في آخر سنة 109هـ، فكانت ولايته سنتين وستة أشهر، ثم وليها حذيفة بن الأحوص الأشجعي وقيل القيسي في سنة 110هـ، وكانت ولايته ستة أشهر، ثم مجموعة من الولاة (عثمان بن أبي نسعة- الهيثم بن عبيد الكناني- محمد بن عبد الله الأشجعي- عبد الرحمن بن عبد الله الغافقي)، ثم وليها عبد الملك بن قطن بن نفيل بن عبد الله الفهري، وكانت ولايته سنتين، ثم عين هشام عقبة بن الحجاج السلولي في شوال سنة 116هـ وكانت ولايته خمسة أعوام وشهرين، ثم خلفه عبد الملك بن قطن وهي ولايته الثانية، وهو الذي أدخل رجال بلج وبهم انتصر على البربر الثائرين بشذونة بقيادة رجل زناتي، وبعد هذه الموقعة ثار بلج وجنده على عبد الملك بن قطن، ثم قتلوه وصلبوه، وصلبوا خنزيرا عن يمينه وكلبا إلى شماله. لمزيد من التفاصيل انظر ابن عذاري- البيان المغرب- ج2 ص 27-32/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 156-157.

(3) ناجة في الأصل وفي م ون وهو تصحيف، والصحيح ما أثبتنا من ق.

(4) تتفق جلّ المصادر المغربي على أن الوالي الذي قام بتوزيع العرب الشاميين الداخلين مع بلج إلى الأندلس هو أبو الخطار الحسام بن ضرار الكلبي، وقد ولاه هشام بن عبد الملك على الأندلس سنة 125هـ لمزيد من التفاصيل انظر البيان المغرب- ج2 ص33/أبو بكر بن القوطية- تاريخ افتتاح الأندلس- ص32.

(5) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(6) لا وجود لوال بهذا الإسم في الأندلس ولكن الإسم القريب هو عنبسة بن سحيم الكلبي الذي عينه يزيد بن أبي مسلم واليا على الأندلس في صفر سنة 102هـ ودامت أربع سنين وثمانية
=

[عمال إفريقية والأحداث الواقعة على عهدهم] وأبقى على إفريقية بشر بن صفوان الكلبي عامل أخيه يزيد عليها، وذلك أن /127ظ/بشرًا أوفد إلى يزيد بهدايا كان أعدها له حتى إذا كان ببعض الطريق لقيته وفاة يزيد فقدم بتلك الهدايا على هشام؛ فردّه على إفريقية؛ فأقام عليها إلى أن توفي من مرض يقال له الدبيلة سنة تسع ومائة، واستخلف بشر على إفريقية نُغاش بن قُرْط الكلبي؛ فعزله هشام وولى عليها عبيدة بن عبد الرحمن القيسي، وذلك في صفر سنة عشر ومائة[1].

فلما قدم عبيدة إفريقية وجّه المستنير بن الحارث[2] غازيا إلى صقلية؛ فأصابتهم ريح فأغرقتهم، ووقع المركب الذي كان فيه المستنير إلى ساحل طرابلس؛ فكتب عبيدة بن عبد الرحمن إلى عامله بطرابلس يزيد بن مسلم الكندي يأمره أن يشدّه وثاقا، ويبعث معه ثقة؛ فبعث في وثاق؛ فلما قدم على عبيدة جلده جلدًا، وطاف به القيروان على أتان، ثم جعل يضربه في كل جمعة حتى أبلغ عليه، وذلك أن المستنير أقام بأرض الروم حتى دخل عليه الشتاء، واشتدّت أمواج [البحر][3] وعواصفه؛ فلم يزل محبوسا عنده[4] حتى قدم عبيدة على هشام من إفريقية ومعه هدايا كثيرة، وذلك سنة خمس عشرة ومائة، وكان في ما قدم به العبيد والإماء، ومن الجواري المتخيرة سبعمائة جارية، وغير ذلك من الخصيان والخيل والدواب والفضة والآنية[5].

فقدم على هشام بهداياه واستعفاه فأعفاه، وكان خلف على إفريقية عقبة بن قدامة التجيبي؛ فكتب هشام إلى عبيد الله[6] بن الحبحاب، وهو عامله على مصر،

أشهر. البيان المغرب- ج2 ص 27.

(1) أورد ابن عبد الحكم نفس الرواية- فتوح مصر وأخبارها- ص360-361، وانظر ابن عذاري- البيان المغرب- ج1 ص 49.

(2) في نسخة أخرى الحبحاب.

(3) البرد في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(4) مسجونا عنده في ق.

(5) وردت الرواية نفسها عند ابن عبد الحكم- فتوح مصر وأخبارها- ص 361-363، وانظر ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 709-710.

(6) عبد الله في ق.

يأمره بالمسير إلى إفريقية، وولاه إياها، وذلك في شهر ربيع الآخر من سَنَة ست عشرة ومائة؛ فاستخلف عبيد الله ابنه القاسم على مصر، وقدم إلى إفريقية؛ فأخرج المستنير من السجن، [وولاه تونس، وغزا عبيد الله بن حبيب بن أبي عبدة[1] السوس وأرض السودان][2]، وجهزه بجيش إلى البربر؛ فغزاهم وظفر بهم ظفرًا لم ير مثله، وأصاب ماشاء الله من ذهب، وكان في جملة ما أصاب جارية أو جاريتين /128و/ من جنس تسميه البربر إجّان، ليس لكل واحدة منهن إلا ثدي واحد[3].

ووجّه [ابن الحبحاب] خالد بن أبي حبيب الفهري إلى البربر بطنجة ومعه وجوه إفريقية من قريش والأنصار وغيرهم؛ فقُتِل خالد وأصحابه، لم ينج منهم أحد؛ فسميت تلك الغزوة غزوة الأشراف، وقفل عبيد الله بن الحبحاب إلى هشام في جمادى الأولى من سنة ثلاث وعشرين ومائة[4].

ثم وجّه هشام إلى إفريقية كلثوم بن عياض القيسي في جمادى الآخرة من السنة المذكورة؛ فقدم إفريقية فغزا طنجة؛ فقتله البربر هناك، ثم ولى هشام حنظلة بن صفوان إفريقية، وذلك في صفر سنة أربع وعشرين ومائة؛ فأقام بها إلى أن ولي مروان بن محمد[5].

[قال عمر بن يزيد الأسدي: دخلت على هشام وعنده خالد القسري، وهو يذكر طاعة أهل اليمن؛ فصفقت بيدي تصفيقة امتلأ البهو منها، ثم قلت: بالله ما رأيت هكذا حطًا ولا مثله خطلا، والله ما فتحت فتنة في الإسلام إلا بأهل اليمن،

(1) عبيدة في كل النسخ، وما أثبتنا من ابن عذاري- البيان المغرب- ج1 ص 51.

(2) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(3) أورد ابن عبد الحكم نفس الرواية- فتوح مصر وأخبارها- ص 363، وانظر أيضا ابن عذاري- البيان المغرب- ج1 ص 51/ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 710/نفسه- ص 714.

(4) ابن عبد الحكم- فتوح مصر وأخبارها- ص 364-365/ابن عذاري- البيان المغرب- ج1 ص 53-54/ابن تغري بردي- النجوم الزاهرة- ج1 ص 368/ ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 714.

(5) ابن عبد الحكم- فتوح مصر وأخبارها- ص 365/ابن عذاري- البيان المغرب- ج1 صص 54-59 /ابن تغري بردي- النجوم الزاهرة- ج1 ص 375/ ابن الأثير- الكامل في التاريخ- ص 714-715.

هم قتلوا عثمان رضي الله عنه، وهم خلعوا عبد الملك، وإن سيوفا لتقطر دمًا من دماء المهلب؛ فلما قمت سعى رجل من آل مروان كان حاضرًا؛ فقال: يا أخا بني تميم، ورث بك زنادي، وقد سمعت مقالتك وأمير المؤمنين مولي خالدًا العراق، وليس بذلك بدًا][1].

[هشام وعلي بن الحسين] وحجّ هشام في زمن عبد الملك أو الوليد فطاف بالبيت؛ فجهد أن يصل الحجر فيستلمه؛ فلم يقدر عليه؛ فنصب له منبر؛ فجلس عليه ينظر إليه الناس ومعه أهل الشام؛ فأقبل علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وكان من أحسن الناس وجها وأطيبهم ريحة؛ فطاف بالبيت؛ فكلما بلغ الحجر تنحّى له الناس حتى يستلمه هيبة له وإجلالا؛ فغاض ذلك هشاما؛ فقال له رجل من أهل الشام: من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيبة؟ فقال هشام: لا أعرفه، مخافة أن يرغب فيه أهل الشام، وكان الفرزدق حاضرًا فقال: ولكني أعرفه، قال الشامي: من هو يا أبا فراس؟ فقال الفرزدق:

هذا سليل حسين وابن فاطمة ... بنت الرسول الذي انجابت به الظلم
هذا الذي تعرف البطحاء وطأته ... والبيت يعرفه والحل والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم ... هذا التقي النقي الطاهر العلم
قوم بهم عرفت بطحاء مكتنا ... والبيت بيت إله الناس والحرم
إذا رأته قريش قال قائلها ... إلى مكارم هذا ينتمي الكرم
ينمي إلى ذروة العز التي قصرت ... عن نيلها عرب الإسلام والعجم
/128ظ/ يكاد يمسكه عرفان راحته ... ركن الحطيم إذا ما جاء يستلم
[يغضي حياء ويغضى من مهابته ... ولا يكلم إلا حين يبتسم][2]
من جَدِّه دان فضل الأنبياء له ... وفضل أمته دانت له الأمم
ينشق نور الهدى من نور غرّته ... كالشمس ينجاب عن إشراقها القتم
مشتقة من رسول الله نبعته ... طابت عناصره والخيم والشيم

(1) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(2) ساقط في م، ون.

هذا ابن فاطمة ان كنت حافظه بجده أنبياء الله قد خُتموا
الله شرّفه قدما وفضّله جرى بذاك في لوحه القلم
فليس قولك من هذا بضائره العرب تعرف من أنكرت والعجم
كلتا يديه غياث عمّ نفعهما يستو كفان ولا يعروهما العدم
سهل الخليقة لا تخشى بوادره يزينه اثنان حسن الخلق والكرم
جمال أثقال أقوام إذا فرحوا حلو الشمائل تحلو عنده نعم
لا يخلف الوعد ميمونا نقيبته رحب الفناء أريب حين يعتزم
عمّ البرية بالإحسان فانقشعت عنه العمامة والإملاق والقدم
من معشر حبّهم دين وبغضهم كفر وقربهم منجى ومعتصم
إن عُدّ أهل التُّقى كانوا أئمتهم أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم
لا يستطيع جواد بعد غايتهم ولا يدانيهم قوم وإن كرموا
هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت والأسد أسد الشرى والبأس محتدم
لا ينقص العسر بسطا من أكفهم سيان ذلك إن أثروا أو إن عدم
[يستدفع السوء والبلوى بحبهم ويسترقّ به الإحسان والنعم][1]
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم في كل برّ ومختوم به الكلم
يأبى لهم أن يحلّ الذم ساحتهم خيم كريم وأيد للندى هضم
أي الخلائق ليست في رقابهم لأولية هذا أوله نعم
/129و/من يعرف الله يعرف أولية ذا فالدين من بيت هذا ناله الأمم

فغضب هشام وأمر بحبس الفرزدق بعسفان بين مكة والمدينة، وبلغ ذلك علي بن الحسين؛ فبعث إلى الفرزدق باثني عشر ألف درهم وقال: اعذر أبا فراس، فلو كان أكثر من هذا لوصلناك به؛ فردّها الفرزدق وقال: يا ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ما قلت الذي قلت إلا غضبا لله تعالى ولرسول الله صلى الله عليه وسلم، وما كنت لآخذ عليه شيئا؛ فقال: شكرًا الله لك ذلك غير أنا أهل البيت إذا أنفذنا أمرًا لم نعد فيه؛ فقبلها وجعل يهجو هشاما، وهو في الحبس؛ فقال:

---

(1) ساقط في الأصل، وما أثبتنا من م ومن ق ون.

أيحبسني[2] بين المدينة والتي إليها قلوب الناس يهوى مثيقها[1]

يقلب رأسًا لم يكن رأس سيدي وعينا له حولاء باد عيوبها

فبعث إليه فأخرجه[3].

[هشام ودرواس بن حبيب] وأصاب الناس مجاعة على عهد هشام؛ فدخل عليه وجوه قريش وأعيان العرب، ودخل معهم رجل اسمه درواس بن حبيب، وعليه جبّة صوف وشملة قد اشتمل بها؛ فنظر هشام إلى حاجبه نظر لائم في إدخال درواس، وقال له: أتدخل من أراد الدخول بغير إذن؟ فعلم أنه عناه؛ فأطرق الناس وهابوا أن يتكلموا؛ فقال درواس: يا أمير المؤمنين ما أخلّ[4] بك دخولي عليك، ولا وضع من قدرك، ولقد سرّني ورفع من قدري، ولقد رأيت الناس دخلوا عليك في أمور أحجموا عن ذكرها؛ فإن أذنت في الكلام تكلمت؛ فقال: تكلم لله أبوك فما أظن صاحب القوم غيرك؛ فقال: يا أمير المؤمنين مرّت بنا سنون ثلاث، أما الأولى فلحت[5] اللحم، وأما الثانية فأكلت[6] الشحم، وأما الثالثة فهاضت[7] العظم، وعندكم فضول الأموال؛ فإن كانت لله فاقسموها بين عباده، وإن كانت لهم ففيم تحظر عنهم، وإن كانت لكم فتصدقوا بها عليهم؛ فإنّ الله يجزي المتصدقين، ولا يضيع أجر المحسنين؛ فقال هشام: لله أنت، ما تركت لنا من واحدة من الثلاث، وأمر بمائة ألف فقسمت في الناس، وأمر في خاصته بمائة ألف؛ فقيل يا /129ظ/ أمير المؤمنين: ألكل رجل من المسلمين أمرت بمثلها؟ قال: والله ما يقوم بيت المال بذلك، قال: فلا حاجة لي فيما يبعث مذمة على أمير المؤمنين؛ فلما صار إلى منزله

---

(1) منيبها عند ابن عساكر.

(2) يحبسي عند ابن عساكر.

(3) أورد ابن عساكر نفس الرواية- تاريخ دمشق- ج 41 ص 401-403، وانظر ابن العماد الحنبلي- شذرات الذهب- ج1 صص 142-144.

(4) أدخل في ق.

(5) أكلت عند ابن عساكر، ولحت من لحى الشجرة والعصا أي قشرها. المعجم الوسيط- ص 820.

(6) أذابت عند ابن عساكر.

(7) هاض العظم هيضا كسره بعدما كاد يتجبر. المعجم الوسيط- ص 1003.

بعث له بها فقبلها؛ فقسم منها تسعين ألفا في تسعة أحياء من العرب، وأمسك لنفسه عشرة آلاف؛ فبلغ ذلك هشاما؛ فقال: لله درّه إن الصنيعة عند مثله لتبعث على الصانع عند غيره[1].

[هشام ومحمد بن الجهم] ووفد عليه وفد قريش من الحجاز، وكان شباب الكتاب إذ قدم الوفود حضروا لاستماع بلاغة خطبائهم، قال محمد بن سفيان: قال أبي: فحضرت كلامهم رجلا رجلا حتى قام محمد بن الجهم بن حذيفة، وكان من أعظم الناس قدرًا؛ فقال: أصلح الله أمير المؤمنين، قد قالت فيك الوفود فأقلت، {وأكثرت}[2] فأطنبت، ووالله ما بلغ قائلهم فضلك، ولا أحصى خطيبهم طولك؛ فإن أذنت في القول قلت، قال: قل وأوجز، قال: تولاك الله يا أمير المؤمنين بالحسنى، وزينك بالتقوى، وجمع لك خير الآخرة والأولى، إن لي حوائج أفأذكرها؟ قال: هاتها، قال: كبرت سنّي، ورقّ عظمي، ونال الدهر منّي؛ فإن رأى أمير المؤمنين أن يجبر كسري وينفي فقري فعل، قال: وما الذي ينفي فقرك ويجبر كسرك؟ قال: ألف دينار وألف دينار [وألف دينار][3] ؛ فأطرق هشام طويلا، ثم قال: هيهات يا ابن أبا الجهم، بيت المال ما[4] يحتمل ما سألت؛ فقال له: إن الله آثرك بمجلسك فإن تعطنا[5] فحقنا أديت، وإن تمنعنا نسأل الذي بيده ما حويت يا أمير المؤمنين، إن الله جعل العطاء محبة والمنع مبغضة، والله لئن أحبك أحبّ إليّ من أن أبغضك.

قال له: فألف دينار لماذا؟ قال له: أقضي بها دينا قد حان قضاؤه، وحناني حمله وأضرّ بي أهله، قال: فلا بأس أن تنفس كربة، وتؤدي أمانة، وألف دينار لماذا؟ قال: أشتري بها أرضا يعيش بها ولدي، وأستعين بها على نوائب دهري، وتكون لمن بعدي، قال: وألف دينار لماذا؟ قال: أزوج بها من بلغ من ولدي، قال: نعم

---

(1) أورد ابن عساكر نفس الرواية- تاريخ دمشق- ج17 ص 227-228.
(2) ساقط في ق.
(3) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(4) لا في ق.
(5) تعطينا في الأصل، و في ق، وتطعنا في م وهو تصحيف، والصحيح ما أثبتنا.

المسلك سلكت، أغضضت بصرًا، وأعقبت ذكرًا، واستفدت نسلا، وإنّا قد أمرنا لك بما سألت، قال: المحمود الله على ذلك، ثم خرج فأتبعه هشام بصرة.

وقال: /130و/إذا كان القريشي فليكن مثل هذا، ما رأيت رجلا أوجز في مقال ولا أبلغ في بيان منه، ثم قال: أما والله إنا لنعرف الحق إذا نزل، ونكره الإسراف والبخل، وما نعطي تبذيرًا، ولا نمنع تقتيرًا، وإنما نحن خزّان الله في بلاده، وأمناءه على عباده؛ فإذا أراد أعطينا، وإذا منع أبينا، ولو كان كل قائل بصدق، وكل سائل يستحق ما خيبنا قائلا، ولا رددنا سائلا؛ فنسأل الذي بيده ما استحفظنا أن يجريه على أيدينا فإنه يفتح الرزق لمن يشاء ويقدر، إنه بعباده خبير بصير؛ فقالوا: يا أمير المؤمنين، لقد تكلمت فأبلغت، وما بلغ في كلامه [ما] نصصت؛ فقال: إنه مبتدئ، وليس المبتدئ كالمقتدي[1].

[هشام والشاعر أبو النجم العجلي] وامتدحه أبو النجم العجلي[2]، واسمه الفضل بن قدامة بأرجوزة يقول فيها: الحمد لله الوهوب المجمل، حتى انتهى إلى قوله: لما ذهب به الروي عن الكفر[3] في غير هشام، والشمس في الجو كعين الأحول، ويروى والشمس قد صارت كعين الأحول؛ فأغضبه ذلك وأمر بصفعه وصرفه، وقال: هذا يتقاعى[4] علينا؛ فأمّل أبو النجم رجعته؛ فكان يأوي إلى المسجد؛ فأرق هشام ذات ليلة؛ فقال لحاجبه: أبغي رجلا عربيا فصيحا يحادثني وينشدني؛ فطلب له ما رغب؛ فوقع على أبي النجم؛ فأتى به؛ فلما دخل عليه قال: أين كنت منذ أقصيناك؟ قال: حيث ألفاني رسولك، قال: فمن كان أبو[5] مثواك؟ قال: رجلين: تغلبيا وكلبيا، أتغدى عند أحدهما، وأتعشى عند الآخر، يقال للتغلبي عمرو بن بسطام، وللكلبي سليمان بن كسلان[6] ؛ فقال له: ما لك من الولد؟ قال:

---

(1) لم نعثر على هذه القصة في المصادر التي بين أيدينا.

(2) الجعلي في الأصل وهو تصحيف.

(3) الفكر في ق.

(4) قَعَه أي اجترأ عليه بالكلام. المعجم الوسيط- ص 750.

(5) أبا في م ون.

(6) كيسان في ق.

ابنتان[1]، قال: أزوجتهما؟ قال: زوجت إحداهما، قال: فيم أوصيتها؟ قال: قلت لها ليلة أهديتها:

سبي الحماة وابهي عليها　　وإن أبت فازدلفي إليها

ثم اقرعي بالود مرفقيها　　وجدد الجفاء به عليها

/130ظ/ لا تخبر الدهر بذاك ابنيها

قال: أفوصيتها بغير هذا؟ قال: نعم، قلت:

أوصيت من بره قلبا حرا　　بالكلب خيرا والحماة شرا

لا تسئمي نهكا لها وضرا　　والحي عليهم بشر طرا

وإن كسوك ذهبا ودرا　　حتى يروا حلو الحياة مرا

قال هشام: ما هكذا وصى يعقوب ولده، قال أبو النجم: ولا أنا كيعقوب ولا ،ابنتي كولده، قال: فما حال الأخرى؟ قال: قد درجت بين بيوت الحي، وشفعنا في الرسالة والحاجة، قال: فما قلت [فيها؟ قال: قلت:][2]

كأن ظلامة أخت شيبان　　يتيمة ووالدها حيان

الرأس قمل كله وصيبان　　وليس في الرجلين إلا خيطان

فهي التي يذعر منها الشيطان.

قال: فقال هشام يا غلام ما فعلت الدنانير المختومة التي أمرتك بقبضها؟ قال: ها هي عندي، وزنها خمسمائة دينار، قال: ادفعها إلى أبي النجم ليجعلها في رجلي ظلامة[3] مكان الخيطين[4].

[نصيحة رجل هشام] وخرج الزهري يوما من عند هشام؛ فقال: ما رأيت كاليوم ولا سمعت كأربع كلمات تكلم بهن رجل عند هشام؛ فقيل له: وما هن؟

---

(1) اثنان زائدة في ق.
(2) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(3) طلقة في ق، وهو تصحيف.
(4) انظر الذهبي- تاريخ الإسلام- ج1 ص 885-886/الصفدي صلاح الدين خليل بن أيبك- الوافي بالوفيات- تحقيق هلموت ريتر- دار النشر فرانزشتاينر- فيسان- ط2- 1401هـ- 1981م- ج1 ص 3179-3180.

قال: قال يا أمير المؤمنين احفظ عني أربع كلمات فيهن صلاح ملكك وصلاح[1] رعيتك، قال: هاتهنّ، قال: لا تعد عدة لا تثق من نفسك بإنجازها، ولا يغرنك المرتقى إذا كان المنحدر وعرًا، وأعلم أن الأعمال جزاء فاتق العواقب، وأن الأمور بغتات فكن على حذر.

[هشام وزيد بن علي] ودخل عليه [أبو الحسين][2] زيد بن علي بن الحسين بن علي بن ابي طالب رضي الله عنهم فلم يجد موضعا ينزله؛ فنزل بين يديه، وقال: يا أمير المؤمنين ليس أحد يكبر عن تقوى الله، ولا يصغر عن تقوى الله؛ فقال له هشام: اسكت لا أم لك، أنت الذي تنازعك نفسك الخلافة، وانت ابن أمة، قال: يا أمير المؤمنين إن لك جوابا، إن أحببت أجبتك، وإن أحببت أمسكت، /131و/ قال: بل أجب، قال: إن الأمهات لا يقعدن بالرجال دون بلوغ الغايات والآمال، وقد كانت أم إسماعيل أمة فلم يمنعه ذلك أن بعثه الله نبيا، وجعله أبا العرب، وأخرج من صلبه محمدًا صلى الله عليه وسلم، وإسحاق ابن حرّة؛ فأخرج الله من صلبه القردة والخنازير وعبد الطاغوت، أتقول لي هذا وأنا ابن فاطمة وابن علي؟ ثم خرج فقال هشام: ألستم[3] تزعمون أن أهل هذا البيت بادوا، وإلا لعمري ما باد قوم هذا خلفهم.

فمضى زيد هذا إلى الكوفة؛ فكتب عاملها، وهو يوسف بن عمر الثقفي، أن زيد بن علي يريد القيام عليك بالعراق، وقد اجتمع عنده مال كثير؛ فكتب إليه هشام أنفذه إلينا مكرما؛ فلما دخل سلم عليه بالخلافة؛ فكلمه فيما نقل عنه إليه؛ فأنكر ذلك وحلف له، وقبل منه هشام، وخرج عنه زيد، ورحل من فوره إلى خراسان؛ فقام بها؛ فتبعه ناس كثير، وزعموا أنه مهدي هذه الأمة، وعظم أمره، وقويت شوكته؛ فجهز إليه هشام عسكرًا، وقدّم عليه يوسف بن عمر أمير الكوفة؛ فالتقيا[4] وتحاربا؛ فأصاب زيداً سهم في نحره؛ فمات رحمه الله وانهزم عسكره؛ فبعث برأسه إلى

(1) استقامة في ق، واستقام في الأصل.
(2) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(3) ألست في الأصل.
(4) فتلقيا في الأصل، فتلاقيا في ق.

دمشق؛ فكتب إليه هشام أن[1] اصلبه عريانا فصلبه؛ فقال في ذلك شاعر هشام قصيدة منها:

نصبنا لكم زيدًا على جذع نخلة ... وما كان مهديا على الجذع ينصب[2]

فلم يفلح هشام بعده، ولا انتفع بسلطان، وقال ابنه يحيى بن زيد [في ذلك:]

خليلي عني بالمدينة بلغا ... بني هاشم أهل النهى والتجارب

فحتى بنو مروان تقتل منكم ... خياركم والدهر جم العجائب

وحتى متى ترضون بالخسف منهم ... وكنتم[3] أباة الخسف عند التحارب

لكل قتيل[4] معشر يطلبونه ... وليس لزيد ويحكم مطالب

وكانت وفاة زيد سنة إحدى وعشرين ومائة في شهر صفر، وله اثنتان /131 ظ/وأربعون سنة.

[هشام وابنه سعيد] وولى هشام ابنه سعيدًا على حمص، وكان شابًا جميلا مغرما بالزنا؛ فوصل رجل من أهل حمص، وكتب رقعة ورشقها في قصبة، وجعلها في بعض مصائد هشام؛ فلما مرّ بها أخذها، وإذا فيها:

أنهي إليك أمير المؤمنين فقد ... فضلتنا بأمير ليس عنينا

يخالف الناس ليلا في حريمهم ... وفي النهار يرينا النسك والدين

فقال هشام: هذه مصيبة عظيمة ومقالة فاحشة؛ فكتب بعزله؛ فلما مثل بين يديه علاه بالخيزرانة، وقال له: يا ابن اللخناء، تزني وأنت ابن أمير المؤمنين؟ إذهب فأنتم نطف لسكارى في أرحام الحيض، والله لا وليتكم أمرًا أبدا؛ فهو كان السبب في أن لم يعهد لأحد من أولاده بعد الوليد بن زيد.

---

(1) إلى في الأصل.

(2) قارن مع ما أورده المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 206-207/تاريخ اليعقوبي- ج2 ص 325-326/الطبري- تاريخ الطبري- ص 226 وما بعدها.

(3) كنت في الأصل.

(4) قبيل في ق.

[وفاته] ولما احتضر[1] هشام نظر إلى ولده وحشمه يبكون ففتح عينيه، وبكى في وجوههم، ثم قال: جاد عليكم هشام بالدنيا، وجدتم عليه بالبكاء؛ فترك عليكم ما خلف، وتركتم عليه ما اكتسب في أسوأ حال إن لم يغفر الله له.

وكانت خلافته تسع عشرة سنة وسبعة أشهر وثلث [شهر][2]، وتوفي بالرصافة من أرض قنسرين يوم الأربعاء لست خلون من شهر ربيع الآخر سنة خمس وعشرين ومائة، وهو ابن تسع وخمسين سنة[3].



(1) أحضر في كل النسخ، والصحيح ما أثبتنا.

(2) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(3) اختلف المؤرخون في مبلغ سنه عند وفاته؛ فقيل توفي وهو ابن خمس وخمسين سنة، وقيل اثنتين وخمسين سنة، وقيل أربع وخمسين سنة، وقيل ثلاث وخمسين سنة. الطبري- تاريخ- ج8 ص 247/المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 205.

خبر الوليد بن يزيد بن
عبد الملك بن مروان

[نسبه]: يكنى أبا العباس، ولقبه الخليع، أمّه أمّ الحجّاج بنت محمد بن يوسف بن الحكم بن أبي عقيل بن مسعود الثقفية، ابنة أخي الحجّاج بن يوسف، ولدته بدمشق، وقيل بطبرية[1].

[بيعته وصفته] بويع يوم الأربعاء الذي مات فيه عمّه هشام، وهو ابن تسع وعشرين سنة، وكان جميلا، أبيض، مشربا بحمرة، ربعة[2].

[وزراءه] كاتبه /132و/يوسف بن مهروية، وحاجبه مولاه قطري[3]، وصاحب شرطته عبد الرحمن بن حميد[4] الكلبي، ثم عبد الله بن عامر[5].

نقش خاتمه: يا وليد احذر الموت.

[أخلاقه] وكان يحب اللهو والصيد، وأظهر الشرب والملاهي والمعازف، وفي أيامه كان ابن سريج المغني ومعبد[6] وغيرهما[7]، وفي ذلك يقول:

أنا الوليد الإمام مفتخرا ... أنعم بالي وأتبع الغزلا

أنقل رحلي إلى مجالسها ... ولا أبالي مقال من عذلا

غراء فرعاء يستضاء بها ... تمشي الهوينا إذا مشت فضلا

ولم يسكن مدينة، وكان مقامه بالظواهر، وزاد في أول ولايته أهل المدينة

---

(1) انظر ابن عساكر- تاريخ دمشق- ج63 ص 320-322.
(2) الروحي- بلغة الظرفاء- ص 161.
(3) قطن عند الروحي- بلغة الظرفاء- ص 163، وفي تاريخ اليعقوبي- ص 334.
(4) حميد في كل النسخ، وكذا في تاريخ اليعقوبي- ج2 ص334، واسمه عبد الرحمن بن حنبل في تاريخ خليفة بن خياط- ص 239.
(5) قارن مع ما أورده خليفة بن خياط- نفسه- ص 239/الروحي- بلغة الظرفاء- ص 163.
(6) معند في ق، وهو تصحيف.
(7) انظر المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 213/السيوطي- تاريخ الخلفاء- ص 300 /الروحي- بلغة الظرفاء- ص 161.

في أعطياتهم عشرة دنانير لكل رجل[1].

[عمّاله على الأندلس] وعزل [عنبسة][2] بن سحيم عن الأندلس، وقدّم عليها [ثعلبة بن سلامة][3] العاملي[4].

[قيام يحيى بن زيد ومقتله] وفي أيامه ظهر يحيى بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم بالجوزجان[5] من خراسان، وهو ابن زيد الذي ظهر في أيام عمّه هشام وصلبه؛ فخرج ابنه يحيى هذا منكرًا للظلم، وما عمّ الناس من الجور؛ فجهز إليه نصر بن سيّار سلم[6] بن أحوز المازني؛ فقتله بسهم أصابه بعد وقائع كثيرة كانت بينهما بقرية يقال لها أرعونة، واحتزّ رأسه فحمل إلى الوليد، وصلب جسده بالجوزجان؛ فلم يزل مصلوبا إلى أن خرج أبو مسلم صاحب الدعوة العباسية؛ فقتل مسلم بن أحوز، وأنزل جثة يحيى فصلى عليها، ودفنها هنالك؛ وأظهر أهل خراسان النياحة سبعة أيام في سائر أعمالها لما أمنوا من عقاب بني أمية، وكل مولود ولد في تلك السنة بخراسان سمي يحيى أو زيداً لما دخلهم من الحزن ومن الجزع عليهما[7].

[إهانة الوليد للمصحف] وقرأ الوليد يومًا في المصحف "وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ مِنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَاءٍ صَدِيدٍ"[8] ؛ [ف]دعا

---

(1) قارن مع ما أورده الطبري- تاريخ الطبري- ج8 ص 258.

(2) الهيثم في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا وهو الصحيح من ق.

(3) عنبسة بن سلمة في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(4) توفي عنبسة بن سحيم الكلبي سنة 107هـ وهو والٍ على الأندلس، ثم خلفه يحيى بن سلمة الكلبي الذي عينه هشام بن عبد الملك في آخر سنة 109هـ. ابن عذاري- البيان المغرب- ج 2 ص 27.

(5) جوزجان ويقال جوزجانان اسم كورة واسعة من كور بلخ بخراسان، وهي بين مرو الروذ وبلخ، وبها قتل يحيى بن زيد. ياقوت الحموي- معجم البلدان- ج2 ص 182.

(6) في كل النسخ مسلم والصحيح ما أثبتنا من تاريخ خليفة بن خياط- ص 253/تاريخ الطبري- ج8 ص 266.

(7) انظر نفس الرواية عند المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 212-213، وقارن مع الطبري- تاريخ الطبري- ج8 ص 265-266.

(8) سورة إبراهيم- الآية 15- 16.

بالمصحف فنصبه غَرَضًا للنشّاب، ورماه وهو يقول:

أتـــوعد كـــل جـبار عنـــيد فهـــا أنـــا ذاك جـــبار عنـــيد

/132ظ/ إذا ما[1] جئت ربك يوم حشر فقل يا ربي مزقني الوليد[2]

[حبّ الوليد للخيل وإقامة الحلبة] [وكان مُغْرًى بالخيل وجمعها، وإقامة الحلبة، وهي يومئذ ألف فرس قارح[3]، ووقف بها ينتظر الزائد ومعه سعيد بن عمر الأشدق، وكان [له][4] فيها جواد يقال له المصباح؛ فلما طلعت الخيل قال الوليد:

خيلـــي وحـــق الكعـــبة المحـــرّمه ســـبقن أفـــراس الـــرجال اللُّـــومه

وأقبل فرس الوليد المسمى بالوضاح أمام الخيل، فلما دنا صرع فارسه، وأقبل المصباح فرس سعيد يتلوه وعليه فارسه، فقال سعيد والوليد يسمع:

نحـــن ســبقنا الـــيوم خـــيل اللـــومة قـــد صـــرف الله إلـــينا المكـــرّمه

كـــذاك كـــنا فـــي الدهـــور القدمـــة أهـــل العـــلا والـــرتب المعظمـــة

فضحك الوليد لما سمعه، وخشي أن يسبق فرس سعيد؛ فركب فرسه حتى ساوى الوضاح؛ فقذف بنفسه عليه، ودخل سابقا؛ فكان الوليد أول من فعل ذلك وسَنّهُ في الحلبة، ثم فعله المهدي في أيام المنصور، والهادي في أيام المهدي، ثم عرضت على الوليد الخيل في الحلبة الثانية؛ فمرّ به فرس لسعيد؛ فقال: [لا][5] نسابقك[6] وأنت القائل:

نحن سبقنا اليوم خيل اللومة

فقال: ليس هكذا قلت يا أمير المؤمنين، وإنما قلت:

نحن سبقنا اليوم خيلا لومه

---

(1) قد في الأصل.

(2) الرواية منقولة حرفيا عن المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 216.

(3) القارح: من ذي الحافر، ما استتمّ الخامسة وسقطت سنّه التي تلي الرباعية، ونبت مكانها نابه.المعجم الوسيط- ص 724.

(4) الزيادة من المسعودي.

(5) الزيادة من المسعودي.

(6) أنا زائدة، ويحذفها يستقيم المعنى.

[فضحك الوليد][1]، وضمّه إلى نفسه[2]، وقال: لا عَدَمتُ من قريش أخا مثلك][3].

[شعر للوليد ألحد فيه] وذكر المبرد[4] قال: إن الوليد ألحد في شعر له ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم فمنه قوله:

[تلعّب][5] بالخلافة هاشمي   بلا وَحْيٍ أتاه ولا كتاب

فقل لله يمنعني طعامي   وقل لله يمنعني شرابي

[مقتل الوليد] فلم يُمْهَل بعد هذا القول إلا أياما يسيرة [وقتل][6]، وكان سبب قتله أن يزيد بن الوليد بن عبد الملك تكلم في خلع الوليد هذا، وعاقده قوم على الفتك به؛ فخرج بدمشق، وذلك في ثمان بقين من جمادى الآخرة؛ فأخذ عمال الوليد بن يزيد، ونادى في الناس بالعطاء والزيادة؛ فبلغ الوليد ذلك، وهو بالبلقاء من أرض عمان؛ فسار حتى نزل بالبخراء؛ فدخل عليه يزيد بن الوليد وأصحابه فقتلوه[7]، وكان قد بايع لابنيه الحكم وعثمان، وكان يقال لهما الحملان فقتلا معه[8].

وكانت خلافته سنة وشهرين وعشرين يوما، وقتل بالبخراء على أيام من تدمر في جمادى الآخرة سنة ست وعشرين ومائة، وحمل رأسه إلى دمشق؛ فنصب في مسجدها.

---

(1) الزيادة من المسعودي.

(2) كتب المؤلف صدرًا في المتن، ثم صححها في الحاشية.

(3) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق، والرواية منقولة عن المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 215-216.

(4) المبرد هو محمد بن يزيد النحوي- مروج الذهب- ج3 ص 216.

(5) تغلب في م ون، وما أثبتنا من الأصل ومن ق، ومن مروج الذهب.

(6) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق، والرواية منقولة حرفيا عن المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 216.

(7) انظر تاريخ خليفة بن خياط- ص 236-237/تاريخ الطبري- ج8 ص 279 وما بعدها.

(8) انظر تاريخ خليفة بن خياط- ص 243.

خبر يزيد الناقص [ابن الوليد]

هو يزيد][1] بن الوليد بن عبد الملك، يكنى أبا خالد، [ولقبه الناقص][2]، أمّه شاهفريد ابنة فيروز بن يزدجرد بن شهريار بن كسرى[3]، ولدته بدمشق، وعمّة شاهفريد هذه سلامة ابنة يزدجرد أم علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم.

[بيعته وصفته] بويع بدمشق يوم الخميس ليلتين بقيتا من جمادى الآخرة بعد موت ابن عمه الوليد، وكان أسمر، نحيفا مربوعا، حسن الوجه والجسم[4].

[وزراءه] كاتبه بكر بن السمح، وحاجبه مولاه سلمة[5]، نقش خاتمه: يا يزيد قم بالحق تُصبه، وفي حين ولايته نقص أهل المدينة العشرات التي كان زادهم الوليد فلقب بالناقص[6].

[مذهبه وعمّاله] وكان قدريا[7]، وقيل معتزليا[8]، وعزل عن الأندلس عنبسة بن سلمة[9]، وولى مكانه عبد الملك /133و/ بن قطن[10]، واستعمل

---

(1) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(2) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(3) قال الطبري: وأمه أم ولد اسمها شاه آفريد بنت فيروز بن يزدجرد بن شهريار بن كسرى، وقال المسعودي: وكانت أمه سارية بنت فيروز بن كسرى- تاريخ الطبري- ج8 ص 312/مروج الذهب- ج3 ص 226/تاريخ اليعقوبي-ج2 ص 335.

(4) قارن مع ما أورده الطبري- تاريخ- ج8 ص 312.

(5) قارن مع تاريخ خليفة بن خياط- ص 242/تاريخ اليعقوبي- ج2 ص 335.

(6) انظر الطبري- تاريخ- ج ص 287/المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 221.

(7) قال الطبري: وقيل إنه كان قدريًا. تاريخ الطبري- ج8 ص 312.

(8) قال المسعودي: وكان يذهب إلى قول المعتزلة، وما يذهبون إليه في الأصول الخمسة، وهو القول بالمنزلة بين المنزلتين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. مروج الذهب- ج3 ص 222.

(9) ثعلبة في ق، ولا وجود لوال بهذا الإسم، والأقرب هو ثعلبة بن سلامة العاملي الذي ولاه أهل الشام الأندلس في شوال سنة 124هـ وهم الذين شكلوا الجند الذين أرسلهم هشام بن عبد الملك إلى المغرب لإخماد ثورة البربر. انظر البيان المغرب- ج2 ص 32-33.

(10) يوجد اضطراب كبير لدى المؤلف بشأن ولاة الأندلس سواء تعلق الأمر بأسمائهم، أو

منصور بن جمهور [الكلبي][1] على العراق فلما سمع بذلك يوسف بن عمر هرب إلى الشام[2].

[**خطبته بعد توليه الخلافة**] ولما قتل {ابن عمّه}[3] الوليد، خرج فخطب الناس؛ فقال: أيها الناس إني لم أخرج طالبًا للمال ولا مريدًا للدنيا، ولا غضبًا لنفسي، ولكن لما رأيت أن قد طفئ نور الهدى، وهدمت أعلام التقوى، وظفر الجبّار العنيد المهتك للحرمة، المظهر للبدعة، الذي لا يؤمن بالكتاب، ولا يصدق بيوم الحساب، وهو شريكي في نسبي، و[كفئي][4] في حسبي، استخرت الله تعالى في جهاده حتى طهّر الله منه البلاد، وأراح منه العباد، ولاية من الله لنا؛ فالحمد لله رب العالمين.

أيها الناس إن لكم [عليّ] إن وليت ألا أحفر نهرًا ولا أشيّد قصرًا ولا أدخر ذهبًا ولا فضّةً، ولا أعطيه ولدًا ولا زوجةً، ولا أجمّر[5] جيوشكم فيقتتلوا، ويفتتن أهلوهم، ولا أكلف أهل ذمتكم فوق طاقتهم؛ فأقطع نسلهم، وأجليهم عن عبادهم، ولا أنقل مالا من بلد إلى بلد حتى [أقسمه][6] بين أهله أولا أولا؛ فإن أنا وفيت لكم [فاسمعوا وأطيعوا][7] بما اشترطته لكم علي وإلا فاخلعوني، وإن عرفتم مكان أحدٍ تعرفونه بصلاحٍ فأنا أول داخل في بيعته[8].

بتاريخ توليتهم، أو بمصدر تعيينهم، ومن أجل استيفاء ذلك انظر ابن عذاري- البيان المغرب- ج2 صص 23-38/ابن القوطية- تاريخ افتتاح الأندلس- صص 24-33 /مجهول- تاريخ الأندلس- صص 156-158.

(1) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(2) لمزيد من التفاصيل انظر الطبري- تاريخ- ج8 ص 293 وما بعدها.

(3) ابنه في الأصل وهو خطأ، وما بين الحاضنتين ساقط في ق.

(4) نعتي في كل النسخ، والصواب ما أثبتنا من تاريخ خليفة بنم خياط- ص 238/تاريخ الطبري- ج8 ص 292.

(5) جمّر الجيش: جمّر الأمير الجيش أي جمعهم في الثغور وحبسهم عن العود إلى أهليهم.المعجم الوسيط- ص 133.

(6) أقتسم في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(7) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(8) قارن مع ما ورد في تاريخ خليفة بن خياط- ص 238/تاريخ الطبري- ج8 ص 292/الكامل -

[قيام مروان بن محمد وقتل يزيد] وفي سنة ست وعشرين ومائة غضب مروان بن محمد بن مروان على يزيد؛ فخرج من الجزيرة؛ فدخل دمشق؛ ففرّ يزيد؛ فظفر به مروان فقتله وصلبه، وقتل من والاه ومالأه[1].

وكانت خلافته خمسة أشهر[2]، وتوفي بدمشق في ذي القعدة[3] سنة ست وعشرين ومائة، وهو ابن اثنين وثلاثين سنة، وقيل ست وأربعين سنة.



في التاريخ- ص 742.

(1) ينفرد المؤلف بهذا الخبر لأن ما يورده بقية المؤرخين أن يزيد توفي بدمشق ولم يقتل. تاريخ الطبري- ج8 ص 312/الكامل في التاريخ- ص 747/مروج الذهب- ج3 ص 220.

(2) ستة أشهر في ق، قال الطبري: ولي ستة أشهر وأياما، وقيل كانت ولايته خمسة أشهر.تاريخ الطبري- ج8 ص 312/الكامل في التاريخ- ص 747.

(3) قال الطبري وابن الأثير والمسعودي: إنه توفي في ذي الحجة من سنة ست وعشرين ومائة. تاريخ الطبري- ج8 ص 312/الكامل في التاريخ- ص 747/مروج الذهب- ج3 ص220.

خبر إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك

[نسبه]: [هو إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك][1]، يكنى أبا إسحاق، ولقبه صلتان، أمه أم ولد اسمها بريرة[2] ولدته بحمص.

[بيعته] بويع في اليوم الذي مات فيه أخوه يزيد.

[صفته] وكان أبيض، جسيما طويلا، أسود الشعر، خفيف /133ظ/مقدم اللحية، له ظفيرتان من الشعر برأسه.

[وزراءه ونقش خاتمه] كاتبه مروان بن أبي جمعة وحاجبه وردان مولاه نقش خاتمه توكلت على الحيّ.

[موقف الرعية من خلافته] أبى أهل حمص أن يبايعوه، وقتلوا[3] أميرهم عبد الله بن سخيرة، وأخرج أهل المدينة عاملهم[4]، وكان من بحضرته من الناس يسلّم عليه بعضهم بالإمرة، وبعضهم بالخلافة[5].

[الصراع بين مروان وإبراهيم] وفي أول سنة سبع وعشرين ومائة، سار مروان بن محمد من أرمينية إلى {إبراهيم بن الوليد مظهرًا للطلب بدم الوليد بن يزيد لأنه أنكر من خلافته ما أنكر من خلافة أخيه يزيد بن الوليد}[6] ؛ فاجتمع إليه أهل الجزيرة وقنسرين وحمص؛ فسار في سبعين ألفا؛ فوجّه إليه إبراهيم بن الوليد سليمان بن هشام بن عبد الملك في مائة ألف؛ فالتقوا بأرض الغوطة[7] ؛ [فهزمه][1]

---

(1) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(2) اسمها سعار في تاريخ اليعقوبي- ج2 ص 337.

(3) قتل في الأصل.

(4) انظر تاريخ خليفة بن خياط- ص 240.

(5) انظر الطبري- تاريخ الطبري- ج8 ص 312/السيوطي- تاريخ الخلفاء- ص 306.

(6) ساقط في ق.

(7) الغوطة: هي الكورة التي منها دمشق، استدارتها ثمانية عشر ميلا يحيط بها جبال عالية من جميع جهاتها، ومياهها خارجة من تلك الجبال، وتمد في الغوطة عدة أنهر فتسقي بساتينها وزروعها.معجم البلدان- ج4 ص 219، وقال اليعقوبي إن المعركة دارت في عين الجرّ من عمل دمشق- تاريخ اليعقوبي- ص 337.

مروان بن محمد، وقتل من أصحابه خلقا كثيرا[2].

ودخل مروان دمشق، وخلع إبراهيم نفسه في صفر، ثم قتله مروان بعد خلعه نفسه بشهرين، وصلبه بناحية الرقة[3]، وكانت خلافته شهرين[4].



(1) فهزم في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(2) مقتلة عظيمة في ق، ولمزيد من التفاصيل عن هذه الأحداث انظر الطبري- تاريخ الأمم والملوك- ج9 ص 3-4.

(3) نقل المؤلف هذا الخبر من المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 226/نفسه- ج3 ص 244، ويخالفه في ذلك بقية المؤرخين، قال ابن الأثير وغيره: إن إبراهيم بن الوليد لم يزل حياً حتى قتل فيمن قتل من بني أمية في وقعة السفاح، ثم قال: فكان ممن غرق يومئذ إبراهيم بن الوليد بن عبد الملك المخلوع فاستخرجوه في الغرقى، وقيل بل قتله عبد الله بن علي بالشام.الكامل في التاريخ- ص 747/نفسه- ص 779/السيوطي- تاريخ الخلفاء- ص 305 /تاريخ اليعقوبي- ص 337.

(4) قال ابن الأثير: فمكث أربعة أشهر، وقيل سبعين يوماً.الكامل في التاريخ- ص 747.

[مروان الجعدي]

خبر مروان الجعدي، وأخبار الأندلس وولاتها[1]: هو مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أخي عبد الملك بن مروان، يكنى أبا إسحق، وقيل أبا عبد الملك، لقبه حمار الجعدي، أمه ريّا ويقال طرونة، كانت لمصعب بن الزبير، وصارت من بعده لمحمد بن مروان[2]؛ فولدت له مروان هذا [بحرّان][3] من الجزيرة[4].

[بيعته وصفته] بويع في [صفر] سنة سبع وعشرين ومائة، واجتمع على بيعته أهل الشام، وقعد عنها سليمان بن هشام بن عبد الملك وغيره من بني أمية، وكان أبيضَ مشربا بحمرة، أشهل العينين، عظيم الهامة، كبير اللحية كثها.

[وزراءه ونقش خاتمه] كاتبه عبد الحميد بن يحيى الأكبر، وحاجبه صقلاب[5] مولاه، وصاحب شرطته كريز[6] بن الأسود الغنوي[7]، ونقش خاتمه: اذكر الموت يا غافل، وهو آخر خلفاء بني أمية.

[الاضطرابات على عهده] ولما /134/و/ولي الخلافة نبش قبر يزيد بن الوليد، واستخرجه وصلبه[8]، وعزل عبد الملك بن قطن عن الأندلس، وقدم عليها

---

(1) في ق: ذكر مروان بن محمد الجعد وأخبار الأندلس وولاتها.

(2) نقل المؤلف هذا الخبر حرفيا عن المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 233، وقال خليفة كانت أمّه أمة لمصعب بن عمير، أما الطبري فقال: إن أم مروان بن محمد كانت لإبراهيم بن الأشتر، وأصابها محمد بن مروان بن الحكم يوم قتل ابن الأشتر. تاريخ خليفة بن خياط- ص 267/تاريخ الطبري- ج9 ص 96.

(3) حوران في كل النسخ، والصحيح ما أثبتنا من تاريخ الطبري-ج9 ص3، وحرّان مدينة عظيمة مشهورة من جزيرة أقور، بينها وبين الرها يوم وبين الرقة يومان، وهي على طريق الموصل والشام والروم. معجم البلدان- ج2 ص 235.

(4) قال السيوطي: ولد مروان بالجزيرة سنة اثنتين وسبعين وأمه أم ولد. تاريخ الخلفاء- ص 307.

(5) عند خليفة بن خياط هو سقلاب ويقال مقلاص. ص 267.

(6) هو كوثر بن الأسود الغنوي في تاريخ خليفة بن خياط- ص 267.

(7) انظر تاريخ خليفة بن خياط- ص 267.

(8) انظر تاريخ خليفة بن خياط- ص 244/تاريخ الطبري- ج9 ص 10/تاريخ الخلفاء-

ثوابة بن نعيم الأنصاري[1]، وفتح حمص، وخرّب سورها لخلافهم عليه، وذلك سنة ثمان وعشرين ومائة[2]، وخرج عليه الضحاك بن قيس الساري[3] فيمن تبعه من الخوارج وتوجه إليه، وأقبل مروان نحوه؛ فالتقوا بكفر توثا[4] سنة ثمان وعشرين ومائة في صفر؛ فقتل الضحاك، وقام[5] [مقامه] الخيبري[6]؛ فاقتتلوا فهزم مروان وانصرف، وولّى الخوارج شيبان[7] ورجع بأصحابه إلى الموصل، وأتبعه مروان فقاتله شهرًا فانهزم شيبان، ووجّه مروان خلفه عامر بن ضبارة [المرّي][8].

واستعمل يزيد بن عمر بن هبيرة [الفزاري][9] على العراق فأقبل حتى قدم واسطا، وجاء[10] عبد الله بن عمر بن عبد العزيز مخالفا لمروان؛ فأخذه يزيد بن عمر بن هبيرة وأوثقه، وبعث به إلى مروان؛ فلم يزل في حبسه مع ابن له حتى مات فيه.

ص 307.

(1) هذا وهم آخر من المؤلف لأن الأندلس في عهد مروان أصبحت تحت سلطة أهلها الذين قدموا يوسف بن عبد الرحمن الفهري والصميل بن حاتم من أجل تسيير شؤونها.

(2) يقول خليفة بن خياط والطبري إن ذلك كان سنة 127هـ.تاريخ خليفة بن خياط- ص 244 /تاريخ الطبري- ج9 ص 11/تاريخ اليعقوبي- ج2 ص 340/338.

(3) الضحاك: هو الضحاك بن قيس بن الحصين بن عبد الله الخارجي الذي بايعه مائة وعشرون ألف مقاتل على مذهب الصُفْرية، وملك الكوفة وغيرها، وقتله مروان بن محمد.ابن السائب الكلبي- جمهرة النسب- ص 498/ابن حزم- جمهرة أنساب العرب- ص 322.

(4) كفر توثا: قرية كبيرة من أعمال الجزيرة بينها وبين دارا خمسة فراسخ، وهي بين دارا ورأس عين. معجم البلدان- ج4 ص 468.

(5) معه في الأصل وفي م ون، والصواب ما أثبتنا من ق.

(6) الخيبري: قال الطبري: هو سعيد بن بهدل، وهو أحد قواد الخوارج، وقد تولى القيادة بعد وفاة الضحاك. الطبري- تاريخ الطبري- ج9 ص 14/تاريخ خليفة بن خياط- ص 247-248/تاريخ اليعقوبي- ج2 ص 339.

(7) شيبان: هو أبو الدلفاء شيبان بن عبد العزيز اليشكري، وهو الذي تولى قيادة الخوارج بعد وفاة الضحاك والخيبري. تاريخ خليفة بن خياط- ص 245/تاريخ اليعقوبي- ج2 ص 339.

(8) الموري في الأصل وفي م ون، والصواب ما أثبتنا من ق، ومن تاريخ اليعقوبي- ج2 ص 339.

(9) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(10) وجعل في ق.

ولم يزل مروان في تشتت من أمره، واضطراب من النواحي عليه، وهو مع ذلك يقيم الحجّ للناس إلى سنة ثلاثين ومائة؛ فظهر أبو مسلم عبد الرحمن بخراسان داعيًا لبني هاشم وبها نصر بن سيّار عامل لبني أمية؛ فواقعه أبو مسلم ففضّ جموعه، وسار نصر هاربًا حتى توفي بأرض ساوة[1] من همذان[2].

[وفاته ومدة خلافته] وكانت خلافة مروان خمس سنين وعشرة أشهر وقيل غير ذلك، وتوفي أول سنة اثنتين وثلاثين ومائة بأبي صير[3] من أعمال مصر[4]، [وتأتي سير من أعمال مصر على الصفة التي أذكرها في أخبار أبي العباس السفاح إن شاء الله][5]، وهو ابن ست وخمسين سنة، وقيل سبع وستين.



(1) ساوه: مدينة حسنة بين الري وهمذان في واسط. معجم البلدان- ج 3 ص 179.

(2) انظر المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 243.

(3) أبو صير: بوصير اسم لأربع قرى بمصر، ومنها بوصير قُوريدُس التي قتل فيها مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الذي به انقرض ملك بني أمية، وقتل فيها لسبع بقين من ذي الحجة سنة 132هـ. معجم البلدان- ج1 ص 509.

(4) انظر تاريخ خليفة بن خياط- ص 267/المسعودي- مروج الذهب- ج3 ص 233.

(5) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

[أخبار الأندلس وولاتها]

وأقام ثوابة بن [سلامة الجذامي][1] أميرًا على الأندلس أربع سنين[2] إلى أن ظهرت الدولة العباسية بالمشرق، وانقرضت[3] دولة بني أمية.

وقام بالخلافة بنو العباس؛ فبقي الأمر بالأندلس سدىً؛ فاتفق أهل الأندلس على تقديم يوسف بن عبد الرحمن الفهري[4].

[قيام الإمارة الأموية بالأندلس] وكانت دار الإمْرَة قرطبة؛ فأقام بها أميرًا إلى أن يأتي أمر الخليفة بوال، فاشتغل بنو العباس[5] بالمشرق لأنه كان أهمّ وأعظم، {ولم يقدموا على الأندلس أحدًا}[6]، وذلك قدر سبع سنين، [وقيل أقام الفهري واليا عشر سنين][7] إلى أن قصد الأندلس /134ظ/عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان[8] فارًا من بني العباس [حين استولوا على الخلافة

---

(1) في الأصل وفي كل النسخ ثوابة بن نعيم الأنصاري، والصحيح ما أثبتنا، وقد بايع أهل الأندلس ثوابة بن سلامة الجذامي سنة 127هـ بعد انتصاره على أبي الخطار حسام بن ضرار الكلبي. انظر مجهول- فتح الأندلس- ص 63/البيان المغرب- ج2 ص 35/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 157.

(2) قضية مدة حكم ثوابة: وهم المؤلف أيضا في مدة حكم ثوابة حيث بقي ثوابة واليا سنة ثم هلك في سنة 128هـ فتح الأندلس- ص 64/البيان المغرب- ج2 ص 35.

(3) وزالت في ق.

(4) بعد وفاة ثوابة عادت الحرب بين اليمانية والمضرية، وأقامت الأندلس أربعة أشهر من غير وال إلى أن تراضى أهلها واتفقوا على تولية يوسف بن عبد الرحمن الفهري، وذلك في غرة ذي الحجة سنة 128هـ- فتح الأندلس- ص 64-65/البيان المغرب- ج2 ص 35.

(5) في ق: فتأخر الأمر باشتغال بني العباس.

(6) ساقط في ق.

(7) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(8) هو الأمير أبو المطرّف عبد الرحمن بن معاوية المعروف بالداخل وبصقر قريش، وقد حكم الأندلس من سنة 138هـ إلى سنة 172هـ (756-788م). البيان المغرب- ج2 ص 47 وما بعدها/ابن الخطيب لسان الدين- تاريخ إسبانية الإسلامية أو أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام- تحقيق وتعليق إ. ليفي بروفنسال- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- 1426هـ-2006م- ص 7 وما بعدها/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 158 وما بعدها/أبو العباس المقري- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان الدين بن الخطيب- تحقيق مريم قاسم طويل ويوسف علي طويل- دار الكتب =

بالمشرق][1]، وانحاش إليه كل من كان من بني أمية بالأندلس، وممن يقول بقولهم، ومن كان يجد على يوسف الفهري موجدة لمظلمة جرت عليه، أو لتقصير قصّر به، أو لعطاء حرمه، مالَ [إلى] عبد الرحمن؛ فاجتمع عنده جمع كبير، وقصد بهم قرطبة دار إمرة[2] الفهري؛ فبرز إليه الفهري في جيش لا يحصى كثرة فاقتتلا، وتحاربا مدّة من عام إلى أن هزم الفهري وقتل[3]، واستبيح عسكره [وقتل أكثره]، ودخل عبد الرحمن قرطبة.

[الدولة المروانية بالأندلس][4]: وطاعت له الأندلس بأسرها، وملكها ثلاثا وثلاثين سنة، ولقي فيها حروبًا، وقاسى خطوبًا، ثم توفي عبد الرحمن، وولي ابنه هشام[5]، وأقام ملكا[6] سبع سنين وتوفي.

وولي ابنه الحكم[7] ؛ {فأقام واليا ستا وعشرين سنة[8]، ثم توفي، وولي ابنه

= العلمية- بيروت- ط1- 1415هـ-1995م- ج1 ص 317 وما بعدها/ابن عبد ربه أبو عمر أحمد بن محمد- العقد الفريد- تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري- دار الكتاب العربي- بيروت- 1402هـ- 1982م- ج4 ص 488-489.

(1) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(2) إمارة في ق.

(3) لم يقتل يوسف الفهري في هذه الموقعة، ولكنه قتل بعد ذلك بأربع سنوات، عقب قيامه بثورة ضد عبد الرحمن من أجل استعادة نفوذه السابق، ولكن الأمير الأموي هزمه وقتله بنواحي طليطلة سنة 142هـ/759م. ابن عذاري- البيان المغرب- ج2 ص 49.

(4) ساقط في م وفي ق.

(5) هو الأمير أبو الوليد الراضي هشام بن عبد الرحمن الذي ولي الأندلس من سنة 172هـ إلى سنة 180هـ (788-796م). البيان المغرب- ج2 ص 61 وما بعدها/ابن الخطيب- نفس المصدر- ص 11 وما بعدها/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 169 وما بعدها/المقري- نفح الطيب- ج1 ص 322 وما بعدها/ابن عبد ربه- العقد الفريد- ج4 ص 490.

(6) في ق: مالكها.

(7) هو الأمير أبو العاصي الحكم بن هشام المعروف بالربضي الذي حكم من سنة 180هـ إلى سنة 206هـ(796-822م). ابن حيان القرطبي- المقتبس- السفر الثاني- دراسة وتحقيق محمود علي مكي- مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية-د.ت- ص 91 وما بعدها/البيان المغرب- ج2 ص 68 وما بعدها/ابن الخطيب- نفس المصدر- ص 14 وما بعدها/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 174 وما بعدها/ المقري- نفح الطيب- ج1 ص 326 وما بعدها/ابن عبد به- نفس المصدر- ج4 صص 490-492.

(8) في ق أربعا وثلاثين سنة، وهو خطأ.

عبد الرحمن[1] ؛ فأقام واليًا إحدى وثلاثين سنة ثم توفي، وولي ابنه محمد}[2] ؛ فأقام واليًا أربعا وثلاثين سنة، وفي أيامه انتهى جيش المسلمين عنده مائة ألف فارس، ومنهم عشرون ألفا بدروع الفضة، وأنشأ في البحر سبعمائة غراب[3] ثم توفي.

وولي ابنه المنذر بن [محمد][4] ؛ فأقام واليًا ثلاث سنين[5]، ثم توفي.

وولي أخوه عبد الله بن محمد[6] ؛ فأقام واليا {خمسا وعشرين سنة ثم توفي،

---

(1) هو الأمير أبو المطرف عبد الرحمن بن الحكم، وكان حكمه من سنة 206هـ إلى سنة 238هـ (822-852م). ابن حيان القرطبي- المقتبس- السفر الثاني- ص 275 وما بعدها/ابن حيان- المقتبس من أنباء أهل الأندلس- تحقيق محمود علي مكي- دار الكتاب العربي- بيروت- 1393هـ-1973م- ص 1 وما بعدها/البيان المغرب- ج2 ص 80 وما بعدها/ابن الخطيب- نفس المصدر- ص 18 وما بعدها/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 183 وما بعدها/ المقري- نفح الطيب- ج1 ص 331 وما بعدها//ابن عبد به- نفس المصدر- ج4 ص 493.

(2) ما بين الحاضنتين ساقط في ق، وهو الأمير محمد بن عبد الرحمن الذي حكم من سنة 238هـ إلى سنة 273هـ(852-886م). ابن حيان- المقتبس من أنباء أهل الأندلس- تحقيق محمود علي مكي- ص 101 وما بعدها/البيان المغرب- ج2 ص 93 وما بعدها/ابن الخطيب- نفس المصدر- ص 20 وما بعدها/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 190 وما بعدها/ المقري- نفح الطيب- ج1 ص 337 وما بعدها/ابن عبد به- نفس المصدر- ج4 ص 493- 496.

(3) غراب: جمعها الأغربة، وهي سفن حربية كبيرة تشبه مقدماتها رأس الغراب، ومنه أخذت تسميتها.النخيلي درويش- السفن الإسلامية على حروف المعجم- دار المعارف- الإسكندرية- 1979م- ص 37-38.

(4) هو الأمير أبو الحكم المنذر بن محمد بن عبد الرحمن، وامتدّ حكمه من سنة 273هـ إلى سنة 275هـ (886-888م).البيان المغرب- ج2 ص113 وما بعدها/ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص 23 وما بعدها/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 194 وما بعدها/ المقري- نفح الطيب- ج1 ص 338//ابن عبد به- نفس المصدر- ج4 ص 496-497.

(5) قال ابن عذاري وملك سنتين إلا أياما، وقال مجهول أيامه سنة وأحد عشر شهرا واثنا عشر يوما.البيان المغرب- ج2 ص 119/تاريخ الأندلس- ص 194.

(6) هو الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن، وكان حكمه من سنة 275هـ إلى سنة 300هـ (888-912م).ابن حيان الأندلسي- المقتبس في تاريخ الأندلس- تحقيق إسماعيل العربي- منشورات دار الآفاق الجديدة- المغرب-1411هـ-1990م- ص 15 وما بعدها/البيان المغرب- ج2 ص 130 وما بعدها/ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص 26 وما بعدها/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 197 وما بعدها/ المقري- نفح الطيب- ج1 ص 338-339//ابن عبد به- نفس المصدر- ج4 ص 497-498.

وولي [حفيده][1] عبد الرحمن الناصر بن [محمد][2]، وهو ابن خمس وعشرين سنة فأقام ملكا}[3] خمسين سنة، منها خمس وعشرون سنة في غزو وحرب حتى دانت له الروم كلها، [وذلت وخمدت في أقصى بلادها في كثرة أعدادها ومنها][4]، خمس وعشرون سنة أخرى في البطالة والراحة والمجون، [الذي استوفى فيه حمامه][5]، وإذ ذاك أمر ببنيان الزهراء؛ فكملت في خمس وعشرين سنة.

وأحصى[6] الأمناء على بنيانها جملة ما أنفق عليها، فوجدوه خمسة وثمانين مديا[7] من الدراهم القاسمية[8]، سوى من سخّر فيها من الرعية ومن زوامله[9]

---

(1) في الأصل ابنه، والصحيح ما أثبتنا، ويؤكد ذلك كل المؤرخين ومنهم ابن عذاري الذي يقول: هو عبد الرحمن بن محمد الذي قتله أخوه مطرّف ابن الأمير عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم، والمؤلف المجهول حيث يقول: ولم يكن أبوه محمد خليفة. البيان المغرب- ج2 ص 156/تاريخ الأندلس- ص 201.

(2) في الأصل عبد الرحمن الناصر بن عبد الله، وهو خطأ، والصحيح أنه أبو المطرّف عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الملقب بالناصر، ودام حكمه للأندلس من سنة 300هـ إلى سنة 350هـ(912-961م).ابن حيان- المقتبس- (الجزء الخامس)- تحقيق ب. شالميتا وف. كورينطي وم. صبح- المعهد الإسباني العربي للثقافة- كلية الآداب للرباط-مدريد-1979م- ص 7 وما بعدها/البيان المغرب- ج2 ص 156 وما بعدها/ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص 28 وما بعدها/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 201 وما بعدها/ المقري- نفح الطيب- ج1 ص 339 وما بعدها//ابن عبد ربه- نفس المصدر- ج4 صص 498-527.

(3) الفقرة ما بين قوسين ساقطة في ق.

(4) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(5) ساقط في الأصل وفي م ون، وفي نسخة العبادي وما أثبتنا من ق.

(6) حصل في ق.

(7) مديا في ق، والمُدُّ والمدي معناهما واحد، والجمع أمداد، وهو مكيال قديم اختلف الفقهاء في تقديره بالكيل المصري؛ فقدره الشافعية بنصف قدح، وقدره المالكية بنحو ذلك، وهو رطل وثلث عند أهل الحجاز، وعند أهل العراق رطلان، وقال مؤلف تاريخ الأندلس نقلا عن الرازي: والمدي مائة صاع وسبعة أقفزة. المعجم الوسيط- ص 858/تاريخ الأندلس- ص 206.

(8) قال مؤلف تاريخ الأندلس المجهول: وعدد ما أنفق في بنائها خمسة عشر ألفاً من بيت مال، مبلغ ذلك بالكيل واحد وثمانون مديا ونصف. ص 205-206.

(9) الزوامل: مفردها الزامل والزاملة وهي ما يحمل عليه من الإبل وغيرها. المعجم الوسيط- ص 401.

وزوامل أجناده، وحُصِّل مجباه في العام؛ فبلغ خمسة آلاف ألف دينار[1]، فكان يقسمها أثلاثا؛ فالثلث [يختزنه في] بيت المال، والثلث [ينفقه على] الأجناد، والثلث/135و/[مدخر][2].

وأمر ببنيان مدينة سالم، واستقضى جحّاف بن [يمن][3]، وتسمى بالخليفة أمير المؤمنين[4] وخطب لنفسه، وكان من تقدمه من آبائه يخطبون لبني العبّاس[5].

---

(1) وكانت جبايات الأندلس يومئذ خمسة آلاف ألف وأربعمائة ألف وثمانون ألف دينار، ومن المستخلص سبعمائة ألف وخمسة وستون ألف دينار. البيان المغرب- ج2 ص 231-232/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 206/ المقري- نفح الطيب- ج1 ص 363.

(2) في الأصل وفي م ون: للشعراء والخطباء والقصاد، وفي ق يهبه على الشعراء، وما أثبتنا من ابن عذاري الذي يقول: إن الناصر قد قسّم الجباية على ثلاثة أثلاث: ثلث للجند وثلث للبناء وثلث مدخر. البيان المغرب- ج2 ص 231-232/ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص 38/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 206/ المقري- نفح الطيب- ج1 ص 363.

(3) جحاف بن أيمن في الأصل، وما أثبتنا من ابن الفرضي الذي يسميه جحاف بن يمن، ويقول إنه: من أهل بلنسية، كان حسن التصرّف وجيها، ولاه أمير المؤمنين عبد الرحمن بن محمد الناصر أحكام القضاء بموضعه أي بلنسية، فلم يزل قاضيا إلى أن استشهد في غزاة الخندق سنة سبع وعشرين وثلاثمائة. تاريخ علماء الأندلس- تحقيق صلاح الدين الهواري- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- ط1- 1427هـ-2006م- ترجمة 322- ص 105-106/الضبي ابن عميرة- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس- تحقيق صلاح الدين الهواري- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- ط1- 1426هـ-2005م- ص 240.

(4) تم ذلك سنة 316هـ/929م، وهو التاريخ الذي أعلن فيه عبد الرحمن نفسه خليفة وتلقب بالناصر لدين الله. ابن حيان- المقتبس- تحقيق شالميتا وآخرين- ص 241/ابن عذاري- البيان المغرب- ج2 ص 198/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 203-204.

(5) قضية خطبة أمراء بني أمية بالأندلس لبني العباس لا يستقيم مع المصادر الأخرى التي تجمع على أن الدعوة لبني العباس لم تتم إلا خلال فترة محدودة من حكم عبد الرحمن بن معاوية. قال ابن حزم: عبد الرحمن بن معاوية خطب لأبي جعفر المنصور أعواما- رسائل ابن حزم- رسالة نقط العروس في تواريخ الخلفاء- ص 84/وقال ابن الأبار: ويقال إنه أقام أشهرا دون السنة يدعو لأبي جعفر المنصور...إلى أن أفرد نفسه بالدعاء- الحلة السيراء- ج 1 ص 35-36/وقال مؤلف كتاب فتح الأندلس: فاستوثق الأمر لمعاوية فجند الأجناد...وقطع الدعاء لأبي جعفر المنصور- ص 94/ وقال ابن أبي دينار متحدثا عن عبد الرحمن الداخل: فاستحوذ على بلاد الأندلس، واستقلّ بها، وخرجت الأندلس عن طاعة بني العباس- المؤنس في أخبار إفريقية وتونس- دار المسيرة- بيروت- ط3- 1993م- ص 121/وقال أبو العباس المقري: وكان يدعو للمنصور، ثم قطع دعوته، ومهّد

=

فلما قام على بني العباس بمصر وإفريقية بنو عبيد، وتسمّوا بالخلفاء وأمراء المؤمنين، وانشغل عنهم بنو العباس بما كانوا فيه من الخلع والخلاعة، والقيام عليهم والفتك بهم، اقتدى عبد الرحمن الناصر بهم، وسلك مسلكهم في مذهبهم، ثم توفي.

وولي ابنه الحكم بن عبد الرحمن[1]، وأقام واليًا خمس عشرة سنة كاملة، واستكتب محمد بن أبي عامر[2]، وقرّبه وأظهره، ثم توفي.

وولي ابنه هشام بن الحكم[3] ؛ فاستوزر محمد بن أبي عامر [المذكور][4] وقرّبه وأظهره؛ [فأقام معه وزيرًا][5] نحو العام.

[استبداد المنصور محمد بن أبي عامر]: وكان ابن أبي عامر في غاية من الذكاء

الدولة بالأندلس- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب- ج1 ص 318.

(1) هو أبو المطرّف الحكم بن عبد الرحمن الناصر لدين الله الملقب بالمستنصر بالله، وامتد حكمه من سنة 350هـ إلى سنة 366هـ(961-976م). ابن حيان- المقتبس في أخبار بلد الأندلس- تحقيق عبد الرحمن علي الحجي- دار الثقافة- بيروت- 1983م-ص 19 وما بعدها/ابن الأبار- الحلة السيراء- ج1 ص 197 وما بعدها/ابن عذاري- البيان المغرب- ج2 ص 231 وما بعدها/ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص 41 وما بعدها/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 210 وما بعدها/ المقري- نفح الطيب- ج1 ص 365 وما بعدها.

(2) هو أبو عامر محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عامر، ولمزيد من التفاصيل عنه انظر ابن بسام الشنتريني- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة- تحقيق سالم مصطفى البدري- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1-1419هـ/1998م-ج4- ص 35 وما بعدها/ابن الأبار- الحلة السيراء- ج1 ص 268 وما بعدها/ابن عذاري- البيان المغرب- ج2 ص 256 وما بعدها/ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص 59 وما بعدها/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 216 وما بعدها/ المقري- نفح الطيب- ج1 ص 378 وما بعدها.

(3) هو الخليفة أبو الوليد هشام بن الحكم الملقب بالمؤيد بالله، حكم من سنة 366هـ إلى سنة 400هـ(976-1009م). ابن الأبار- الحلة السيراء- ج1 ص 200 وما بعدها/ابن عذاري- البيان المغرب- ج2 ص 253 وما بعدها/ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص 43 وما بعدها/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 215 وما بعدها/ المقري- نفح الطيب- ج1 ص 378-379.

(4) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(5) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

والشهامة والشجاعة؛ فرأى هشامًا صبيًا صغيرًا [غرًا][1]، مشتغلا باللعب {والفتك}[2] والخلاعة فحجر عليه، وضرب على يديه بعد أن استمال الأجناد بالإحسان إليهم، [والرعايا بالرفق والامتنان][3] ؛ فمالوا معه جملة[4]، [واتفقوا على هذه الفعلة][5] ؛ فبنى لنفسه قصرا[6]، ونقل إليه بيت المال، واستكتب الكتاب [واستعمل الحسّاب][7]، وأنفذ إلى جميع الأعمال من وثق بأمانته من العمال، ولم يترك لهشام سوى الخطبة والضرب باسمه للدينار والدرهم، [واختار هو لنفسه، وصيّر باسمه سائر رسمه][8] غير أنه ينفذ الأمور عنه، ويظهر للناس أنها تصدر منه[9].

[غزوات المنصور بن أبي عامر] ثم سمت به همّته وشجاعته إلى قود العساكر [التي هي في طاعته][10]، وغزو بلاد الروم إلى أن [ذلل][11] منها كل صعب [غير][12] مروم؛ ففتح الله تعالى على يديه، وفتح [برشلونة][13]، وقتل ملكها [بوريل][14]، وسبى أهلها وخرّبها، وغنم منها مغانم كثيرة من عبيد وخدم ومال وسلاح وثياب وبهائم، وآب إلى قرطبة سالمًا غانمًا ظافرًا.

---

(1) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(2) ساقط في ق، وفتك ركب ما تدعو إليه نفسه غير مبال. المعجم الوسيط- ص 673.

(3) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(4) كلهم في ق.

(5) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(6) يقصد بالقصر مدينة الزاهرة التي بناها المنصور محمد بن أبي عامر في شمال شرق قرطبة، وهي تقابل مدينة الزهراء التي بناها الناصر. انظر البيان المغرب- ج2 ص 275/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 222.

(7) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(8) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(9) أنها لم تصدر منه في ق.

(10) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(11) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(12) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(13) برشلولة في الأصل، وبرشولة في م ون، وما أثبتنا من ق.

(14) بربل في الأصل وفي م ون، ومربل في ق، والصحيح ما أثبتنا، وبوريل هو حاكم إمارة برشلونة فيما بين سنتي 343 و382هـ/954-992م. ابن حيان-المقتبس- تحقيق الحجي- ص 20 هامش 1، ولا يوجد في المصادر ما يؤكد مقتله على يد المنصور بن أبي عامر.

ثم غزا عدة غزوات، وفتك في الروم جملة فتكات حتى [دانت][1] له أقاصي بلاد الشرك، ودخلت له بالسلم تحت الملك إلى {أن}[2] وافاه رسول صاحب القسطنطينية العظمى[3]، ورسول صاحب رومة[4] وقشتالة[5] بهدايا وألطاف وغرائب أتحاف، وكلهم يخطب أمانه، ويطلب أن يحاشى[6] من معرته[7] مكانه.

[سياسة المنصور بن أبي عامر] وأقام على هذه الحال مع هشام ثمانيا وعشرين سنة؛ فلما حضرته /135ظ/الوفاة بكى؛ فقال له حاجبه كوثر الفتى[8]: مم تبكي يا مولاي؟ لا بكت عيناك؛ فقال: مما جنيت على المسلمين؛ [فلو قتلوني وحرقوني ما انتصفوا مني][9] ؛ فقال [له]: وكيف [ذلك]؟، وأنت أعززت الإسلام، وفتحت البلاد، وأذللت الكفر، وجعلت النصارى ينقلون التراب من أقصى بلاد الروم إلى قرطبة حين بنيت بها جامعها؛ فقال له: لمّا افتتحت بلاد الروم ومعاقلهم؛ [كنت عمّرتها؛ فأمرت بنقل الأقوات إليها من كل مكان، وشحنتها بها حتى عادت في غاية من الإمكان][10]، ووصلتها ببلاد المسلمين، وحصّنتها غاية التحصين فاتصلت العمارة، وها أنا هالك، وليس في بني من يخلفني، وسيشتغلون باللهو والطرب [والشرب][11] ؛ فيجيء العدو فيجد بلادًا عامرة {وأقواتا حاضرة}[12] ؛

---

(1) أذلت في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(2) ساقط في الأصل.

(3) صاحب القسطنطينية هو بازيل الثاني (976-1025م).

(4) صاحب رومة في هذا الوقت هو أوتو أو أوتون الثالث الذي حكم من سنة 996م إلى سنة 1002م.

(5) قشتيلة في الأصل.

(6) حاشى استعملت هنا للاستثناء فيقال مثلا حاشى زيدًا من القوم أي استثناه. المعجم الوسيط- ص 177.

(7) معرته في ق، المعارة معناها الشراسة والتقطيب غضبا.المعجم الوسيط- ص 592.

(8) يذكره ابن الخطيب ضمن كبار الفتيان الصقالبة العامريين الذين كانوا في خدمة المنصور بن أبي عامر وابنه عبد الملك المظفر. أعمال الأعلام- ص 104.

(9) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(10) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(11) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(12) ساقط في ق.

فيتقوى بها على محاصرة المسلمين[1]، [ويستعين بوجدانها على منازلتها][2] ؛ فلا يزال يتغلبها شيئا فشيئا، [ويطويها طيًا فطيًا][3] حتى يملك[4] أكثر هذه الجزيرة[5]، [ولا يترك فيها إلا معاقل يسيرة][6] ؛ فلو ألهمني الله إلى تخريب ما تغلبت عليه، [وإخلاء ما تملكت][7]، وجعلت بين بلاد المسلمين و[8] النصارى[9] مسيرة عشرة أيام فيافيا[10] وقفارا، [لا يزالون لو راموا سلوكها حيارى][11] ؛ فيصعب على النصارى الوصول إلى بلاد المسلمين إلا بعد الجهد والمشقة[12] ؛ فقال له الحاجب: أنت [إلى][13] الراحة إن شاء الله أقرب؛ فتأمر بهذا الذي رأيت؛ فقال له: هيهات حال الجريض[14] دون القريض، والله لو استرحت وفعلت هذا[15]، وأمرت بما ذكرت لقال الناس: مرض ابن أبي عامر؛ فأورثه المرض[16] جنونا وحمقا[17] تمكن من دماغه؛ فخرّب بلاد المسلمين [وأجلاهم وأقفرها][18]، فمات رحمه الله

---

(1) محاصرتها في ق.
(2) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(3) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(4) يتملك في ق.
(5) هذا الكلام يناقض بقية المصادر التي تذهب إلى القول بأن المنصور قد خرّب المناطق المجاورة للمسلمين، وجعلها خالية من السكان، وعلى العكس من ذلك فإن المظفر قد انتهج سياسة مخالفة لأبيه إذ شجع على تعمير هذه المناطق. انظر ابن عذاري- البيان المغرب- ج3 ص 7.
(6) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(7) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(8) بلاد زائدة في ق. (9) الروم في ق.
(10) فيافي في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(11) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(12) في ق: فلا يصلون إلى بلاد الإسلام إلا بمشقة وكثرة الزاد وصعوبة المرام.
(13) على في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(14) الجريض: الغصّة وفي المثل: حال الجريض دون القريض يضرب لأمر يعوق دونه عائق. المعجم الوسيط- ص 117.
(15) في ق: لو تأنّى واتقق، ونفّس عنّي المنون في المخنق.
(16) في ق: مرضه. (17) في ق: جنونا وهوسا.
(18) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

[عما قريب][1].

[عبد الملك المظفر] وقام بالأمر من بعده ابنه عبد الملك وتسمى بالمظفّر[2] ؛ فأقره هشام على ما كان عليه أبوه معه؛ فلم يسدّ مسده، [ولم يحلّ موضعه، وكان يزاحم بغير عود، وكان اسم أبيه حماه فلم يستبح إلا اليسير من حماه]، وغزا غزوات ظهر فيها على الروم ظهورًا جيدًا[3]، ثم أخذته[4] ذبحة ليلا فمات من حينه[5]، ونظر في غسله وتكفينه، وكانت مدّة ولايته سبعة أعوام[6].

[عبد الرحمن شنجول وقيام المهدي] ثم قام بالأمر من بعده أخوه عبد الرحمن[7]، وذلك سنة [تسع وتسعين وثلاثمائة][8]، وتسمّى بالمهدي، وسمّته العامة شنجول أي أحمق[9] ؛ فعامل الله تعالى[10] بالكذب والفجور، وعاشر الرعيّة

---

(1) كانت وفاة المنصور ابن أبي عامر في 27 رمضان سنة 392هـ (1002/08/11م)، وهو ابن خمس وستين سنة، ودفن في مدينة سالم. ابن عذاري- البيان المغرب- ج2 ص 301.

(2) هو عبد الملك المظفر بن المنصور بن أبي عامر، ولمزيد من التفاصيل عنه انظر ابن بسام- الذخيرة- ج4 ص 49 وما بعدها/البيان المغرب- ج3 ص 3 وما بعدها/ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص 83 وما بعدها/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 236/المقري- نفح الطيب- ج1 ص 405.

(3) في ق: كان على الروم منه فيها ظهور.

(4) في ق: أصابته.

(5) توفي عبد الملك المظفر سنة 399هـ/1009م، وتشير بعض المصادر إلى أن أمّه الذلفاء كانت تعتقد أنه مات مسموما من طرف أخيه عبد الرحمن شنجول. انظر البيان المغرب- ج3 ص 37/ابن الخطيب- أعمال الأعلام- القسم الثاني- ص 109.

(6) قال ابن عذاري إن حكمه دام ست سنين وأربعة أشهر وسبعة أيام.البيان المغرب- ج3 ص 4.

(7) لمزيد من التفاصيل عنه انظر البيان المغرب- ج3 ص 38/ابن الخطيب- أعمال الأعلام- القسم الثاني- ص 109.

(8) في الأصل أربعمائة، والصواب ما أثبتنا حيث تولى عبد الرحمن بن المنصور الحجابة في صفر سنة 399هـ/1009م بعد وفاة أخيه عبد الملك. انظر ابن بسام- الذخيرة- ج4 ص 54/ابن عذاري- البيان المغرب- ج3 ص 37/ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص 89/المقري- نفح الطيب- ج1 ص 405.

(9) شنجول هو تصغير لفظ سانشو، وهو اسم جده لأمه، الذي كان ملكا لنافارا، وكان المنصور قد تزوج ابنته التي اعتنقت الإسلام، وتسمّت باسم عبدة.ابن الخطيب- نفس المصدر- ص 66.

(10) في ق: خالقه.

والأجناد[1] أسوأ معاشرة، وعكف على المعاصي، وشرب الخمر مجاهرة، [ونَصَر الباطل، وغيّر الحقّ، وأذلّ أهل الشرف، ورفع كل وغد وأحمق][2] حتى أدّاه غالب حمقه [وهوسه][3] أن ضمّ الناس إلى مبايعته بولاية العهد /136و/من بعد هشام، وتسمّى بولي عهد الإسلام؛ فضجّ لذلك بنو أمية، واستعظموا طغيانه وغيّه؛ فثار عليه وعلى هشام منهم ثائر[4]، وتبعه الأجناد وكافة الناس؛ فقبض على هشام وغيّبه، وقطع خبره وسبّبه، وقتل شنجولا وصلبه[5].

[الفتنة الأندلسية وظهور ملوك الطوائف] فلما اتصل الخبر بأمراء البلاد، ثار كل واحد منهم في بلده بمن عنده من الأجناد؛ فثار [زاوي] ابن زيري[6] بن مناد بمن تبعه في ناحية غرناطة، وثار ابن عبّاد القاضي بإشبيلية، وثار إسماعيل بن ذي النون بطليطلة، وكان أميرًا عليها لابن أبي عامر، وثار يوسف بن هود بسرقسطة، وكان أميرًا عليها [لبني أمية، وأقرّه ابن أبي عامر][7]، وثار كل قاضٍ في موضعه، [وكل عامل، وكل من فيه مُنّة[8]][9] كابن الأفطس في بطليوس وابن صمادح في المرية وابن مجاهد في دانية وابن طاهر في مرسية وغيرهم من جنسهم

---

(1) في ق الأجناد والرعايا.

(2) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(3) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(4) يقصد به محمد بن هشام بن عبد الجبّار بن عبد الرحمن الناصر الذي تولى الخلافة سنة 399هـ(1009م) وقتل شنجول، وتسمى بالمهدي. البيان المغرب-ج3 صص 50-60/أعمال الأعلام- صص 113-129/مجهول- تاريخ الأندلس- صص 237-239.

(5) دخل المهدي قرطبة منتصف جمادى الآخرة سنة تسع وتسعين وثلاثمائة، وقتل عبد الرحمن بن أبي عامر. ابن بسام- الذخيرة- ج1 ص 26/ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص 109-111/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 237/المقري- نفح الطيب- ج1 ص 408.

(6) ثار ابن زيري في الأصل وفي م ون، وزيري بن زيري في ق، والصحيح زاوي بن زيري بن مناد الصنهاجي، ولمزيد من التفاصيل عنه انظر ابن عذاري- البيان المغرب- ج3 ص 125 وما بعدها/ابن الخطيب- أعمال الأعلام- صص 227-229/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 256.

(7) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(8) المنة بالضم القوة، والجمع منن بضم الميم أيضا. المعجم الوسيط- ص 889.

(9) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

كثير [لكن هؤلاء هم المشاهير][1].

ثم قام قائم من بني أمية، وتسمّى [بالمستعين][2] في قرطبة على قاتل شنجول ومُغيّب هشام، وجرت بينهما فتن وحروب إلى أن قتل المهدي، وقيل[3] إن هشاما وجد في أثناء تلك الحروب مستخفيا في بعض تلك القصور فقتل، ولذلك أقام[4] ابن عباد بإشبيلية رجلا كان أشبه الناس بهشام؛ فبايعه على أنه هشام، وبايعه الناس محبة، وجعل ينفذ الأوامر باسمه، ويأمر عنه بما يريده؛ فلما تمكن ابن عباد في الرئاسة وتقعدد[5] غيّبه، وزعم أنه مات، واستبدّ بالأمر.

وعند ذلك انقطع اسم الخلافة من الجزيرة، ودارت الدوائر المبيرة، وفسد حال الرائس والمرؤوس، وارتفع كل خامل وخسيس، وثار الثوار، واشتعلت بكل مكان النار، وظهر العدو غاية الظهور لا سيما على الأطراف والثغور؛ وقصد العدو[6] طليطلة؛ فخرج إليه أميرها إسماعيل بن ذي النون[7] ؛ فهزمه العدو هزيمة بددت الأجناد، وأفنت الأعداد، ثم قصد سرقسطة فبرز إليه واليها سليمان بن هود[8]؛ فهزمه وانتهب محلته، وأفنى رجاله وجملته.

---

(1) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتناه من ق.

(2) بالمهدي في الأصل وهو خطأ، لأن القائم من بني أمية هو سليمان بن الحكم الملقب بالمستعين وليس المهدي كما أورده المؤلف، ولم يكن هو من قتل المهدي محمد بن هشام بن عبد الجبار، بل قتله واضح الفتى حاجبه، ورمى برأسه إلى البربر. ابن بسام- الذخيرة- ج1 ص 21/ابن عذاري- البيان المغرب- ج3 ص 100/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 238-239.

(3) في ق وذكر.

(4) قام في الأصل.

(5) عند العبادي يتبعدد، ولا معنى لها.أحمد مختار العبادي- تاريخ الأندلس- ص 68.

(6) في ق فسار العدو وقصد.

(7) إسماعيل بن ذي النون: هو الأمير إسماعيل الظافر بن عبد الرحمن بن سليمان بن ذي النون، وحكم طليطلة فيما بين عامي 427 و435هـ.ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص 177/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 259.

(8) سليمان بن هود: هو أبو أيوب سليمان بن محمد بن هود الجذامي الملقب بالمستعين بالله، وكان من أكبر قادة جند الثغر الأعلى واستولى عند قيام الفتنة على لاردة سنة 431هـ واستولى على سرقسطة وأصبح صاحب الثغر الأعلى سنة 438هـ. ابن الأبار- الحلة السيراء- ج2 صص 245-247/ابن عذاري- البيان المغرب- ج3 ص 220.

[تكالب النصارى على المسلمين] وخرج من [أقصى] بلاد الروم جيش عظيم، ووصل إلى صاحب قشتالة، وهي دار ملكهم، وبها كان البيطين[1] ملكهم.

وخرج أيضا من الأرض الكبيرة جيوش كثيرة[2] ؛ فانتشر جميعهم /136ظ/ على الجزيرة يقتلون ويأسرون إلى أن وصلوا[3] إلى بلنسية[4] ؛ فبرز إليهم واليها أبو مروان عبد الملك بن رزين[5] فهزم وقتل، واستبيح معسكره الذي كان تهمّم في جمعه واحتفل، وقصدوا وادي الحجارة؛ فلقيهم قائدها ابن الكناني[6] فهزموه، وأثقلوه جراحا، ورتب البيطين [ملك قشتالة][7] على الثوّار الجزية؛ فأدّوها على رغم أنوفهم، [وذلك وأيم الله أعظم من لقاء جيوشهم][8]، وكان ذلك في سنة خمس وأربعمائة.

ورجع البيطين إلى بلاده، وخلف قائده ردمير[9] على تلك النواحي؛ فاستوطن مدينة بربشتر[10] التي أخذت من أيدي ابن هود[11].

---

(1) كذا وفي نسخ أخرى البسطين والبنطين، ويسميه ابن عذاري البيطبين، ويقول إنه: ملك الأردمانيين الذين استولوا على بربشتر، وعاثوا فيها فسادا، فقتلوا المقاتلة وسبوا الحريم والذرية، وكان ذلك سنة 456هـ انظر البيان المغرب- ج3 ص 225-226، ويعلق العبادي على هذا الأسماء فيقول: وهي من الكلمات الغامضة التي اختلف في تفسيرها وتحديد مدلولها. انظر تعليق العبادي- تاريخ الأندلس- ص 69 الهامش 2.

(2) في ق كبيرة. (3) في ق انتهوا.

(4) يقصد المؤلف سهلة بني رزين أو شنتمرية بني رزين التي تعرف أيضا بشنتمرية الشرق الواقعة غرب تيروال وشرقي وادي الحجارة لأن مدينة بلنسية تقع بعيدة إلى الجنوب. ابن الأبار- الحلة السيراء- ج2 ص109.

(5) في الأصل وزير، والصحيح ما أثبتنا، وأبو مروان عبد الملك بن رزين الملقب بحسام الدولة. انظر البيان المغرب- ج3 ص185.

(6) ابن الكناني أو ابن الكتاني، ولم نعثر على ترجمته.

(7) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(8) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(9) ردمير: لعل المقصود هنا الملك سانشو راميرات (1063-1094م).العبادي- تاريخ الأندلس- ص 72 هامش 5.

(10) بربشتر في الأصل، وبرنشتر في ق، والصحيح بربشتر وهي مدينة من بلاد بربطانية بالأندلس، وهي حصن على نهر. الحميري ابن عبد المنعم- صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار- نشر إ. ليفي بروفنسال- دار الجيل- بيروت- ط2- 1408هـ/1988م- ص 39-41.

(11) ابن هود: هو أبو جعفر أحمد بن هود الملقب بالمقتدر الذي خلف أباه سليمان المستعين

=

وعند انصراف البيطين إلى بلاده، وجد بعض ملوك النصارى، وهو فردلند[1] قد خالفه إلى قشتالة طمعا في تملكها؛ فتحاربا عليها مدة، واشتغل الروم في الحرب شهورًا عدّة؛ فانتهز ابن هود في ردمير الفرصة إذ كان في صدره غصّة؛ فكتب إلى ابن عباد[2] أن يمدّه؛ فبعث إليه قائدًا يسمى معاذ بن أبي قرّة[3] بعسكر انتخبه وأعدّه؛ فصار إليه، وهزموا جميعا العدو وطردوه، واستردّوا[4] بربشتر وغيرها، [وكفى الله المسلمين ضرّ تلك الطاغية][5] ؛ فاستحيا المسلمون قليلا، ولم يقصدهم عدو إلا [هزم][6]، {وانصرف}[7] مفلولا، وإنما كان خذلهم التحاسد وفرط الخلاف، {والتباغض}[8] وقلة الإنصاف.

وطال اشتغال الروم بعضهم ببعض، فاتفقت كلمة المسلمين؛ فشنّ العدو الغارة على ناحية غرناطة؛ فخرج في إثره برابرها فهزموه، [واحتووا على مضربه فانتهبوه][9]، وقصد ردمير بن شانجة مدينة وشقة[10]، وشنّ عليها وعلى نواحيها

بالله على حكم سرقسطة فيما بين عامي 441 و475هـ. انظر ابن عذاري- البيان المغرب- ج 3 ص 222-223/ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص 172 وما بعدها.

(1) فردلند: لعله يقصد فرناندو الأول بن سانشو العظيم (1035-1065م) الذي حارب صهره ملك ليون برمودو الثالث حول امتلاك إمارة قشتالة، وانتهت الحرب بمقتل هذا الأخير سنة 1037م، كما حارب أخاه غرسية ملك نافارة، وانتهت الحرب بمقتل غرسية، واستيلاء فرناندو على أجزاء كبيرة من مملكة أخيه.

(2) ابن عباد: وهو المعتضد بن عباد ملك إشبيلية.انظر البيان المغرب-ج3 ص 204 وما بعدها/ابن الخطيب- أعمال الأعلام- صص 155-157/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 260 وما بعدها.

(3) معاذ بن أبي قرّة: لم نعثر له على ترجمة.

(4) في ق وهزمه عن بلاده وطرده، واسترد.

(5) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(6) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(7) ساقط في ق.

(8) ساقط في ق.

(9) وانتهبوا جميع أسبابه في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(10) وشقة: وهي من مدن الثغر الأعلى، وتقع شمال شرقي سرقسطة. انظر الحميري- الروض المعطار- ص 194-195.

غاراته؛ فخرج ابن هود من سرقسطة قاصدًا لملاقاته؛ فهزمه وقتله، واستباح معسكره.

[إغــارة الأفرنج على طليطلة وغرب الأندلس] وأغار الافرنج على نواحي طليطلة؛ فأتبعهم واضح الفتى قائد ابن ذي النون فهزمهم؛ ثم كانت الحروب بينهم سجالا إذ كانت الروم قد اشتغلت بعضها ببعض إلا أنهم في خلال ذلك تغلبوا [على جملة من مدن المسلمين][1]، منها حصن قَلَهرَّة[2] وحصن وخشة[3] وحصن شيرون[4]، تغلب [عليها] شانجة بن أبركة[5]، ثم توفي عن قريب، وقام بالأمر من بعده بنوه فردلند[6] وغرسية[7] وردمير[8] لعنهم الله؛ فقدموا كبيرهم فردلند؛ فاحتوى /137و/على حصون كثيرة منها شنتمرية بلد ابن رزين وما سواها، وأخذ[9] من بلاد ابن الأفطس[10]، في غرب الأندلس من عمل بطليوس[11]،

---

(1) من مدن المسلمين جملة في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(2) قلهرة: مدينة من أعمال تطيلة في شرقي الأندلس. معجم البلدان- ج 4 ص 393.

(3) وخشة: لم نعثر لها على تعريف.

(4) شيرون: لم نعثر لها على تعريف.

(5) شانجة بن أبركة: يقصد سانشو الثالث الملقب بالعظيم ملك نافارا وقشتالة وليون وآراقون (1000-1035م)، وأبركة هو اسم جده سانشو أبركة.انظر العبادي- تاريخ الأندلس- ص 75 هامش 1.

(6) فردلند: هو فرناندو الأول الإبن الأكبر لسانشو العظيم. انظر العبادي- تاريخ الأندلس- ص 75 هامش 2.

(7) غرسية: هو الإبن الثاني لسانشو العظيم، وقد حكم نافارا منذ وفاة والده سنة 1035م إلى أن قتله أخوه فرناندو الأول واستولى على بلاده سنة 1045م. انظر العبادي- تاريخ الأندلس- ص 75 هامش 3.

(8) ردمير: هو راميرو الأول وهو ابن غير شرعي لسانشو العظيم، وقد حكم بعد وفاة أبيه مملكة أراقون إلى أن قتله المقتدر بن هود في معركة عند بلدة قرادوس سنة 1063م. انظر العبادي- تاريخ الأندلس- ص 75 هامش 4.

(9) أخذوا في الأصل.

(10) ابن الأفطس: وهو أبو بكر محمد بن عبد الله بن الأفطس المعروف بالمظفر المتوفى سنة 460هـ/1067م، وكان معاصرا للمعتضد بن عباد. ابن عذاري- البيان المغرب- ج3 ص 235 وما بعدها/ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص 183-184.

(11) بطليوس: وهي مدينة جليلة من إقليم ماردة بناها عبد الرحمن بن مروان الجليقي. انظر الروض المعطار- ص 46.

حصونًا[1] كثيرة أيضا، ثم توفي لعنه[2] الله، وترك بنين ثلاثة: شانجة وغرسية والفنش؛ فتنازعوا الملك؛ فقتل شانجة وثقف غرسية، وخلص الملك للفنش بن فردلند[3]، واستبدّ به، واستفحل أمره، [واستحكم في المسلمين طمعه][4]، {وأصبح في قياسه الفاسد أن يستخلص جزيرة الأندلس لنفسه}[5] ؛ فلم ينم عن شنّ الغارات، [ومواصلة الغزوات][6].

[سيرة ملوك الطوائف] وصادف أيام ملكه نفاقا كثيرا بين المسلمين واختلافا عظيما، وضعف بعضهم عن بعض إلا بمعونة الروم؛ فبذلوا للفنش ما يحبه من الأموال ليعينهم على مناوئيهم بأنجاد الرجال، والنصراني[7] في أثناء ذلك [لما بينهم من الفتنة][8] مسرور، وهم [مع ذلك][9] مشتغلون بشرب الخمور[10] واقتناء القيان، [وركوب المعاصي][11] وسماع [الطنابر][12] العيدان، وكل واحد منهم يتنافس في شراء[13] الذخائر الملوكية [متى طرأت من المشرق][14] كي يوجهها إلى الفنش هدية ليتقرب بها إليه، ويحظى دون مطالبه لديه، إلى أن ضعف من [أولئك][15] الثوار الطالب والمطلوب، وذلّ الرئيس والمرؤوس، وافتقرت الرعية،

---

(1) حصون في الأصل.

(2) أخزاه في ق.

(3) الفنش بن فردلند: هو الفونسو السادس الذي فرّ بعد استيلاء أخيه سانشو على ليون وجليقية إلى طليطلة إلى أن التجأ عند المأمون بن ذي النون. انظر العبادي- تاريخ الأندلس- ص 76 هامش 3.

(4) وطمع في المسلمين في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(5) ساقط في ق.

(6) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(7) اللعين في ق.

(8) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(9) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(10) الخمر في م ون.

(11) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(12) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(13) يستحبون في ق.

(14) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(15) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

وفسدت أحوال الجميع بالكلية، وزالت من النفوس الأنفة الإسلامية.

وأذعن من بقي منهم خارج الذمة إلى أداء الجزية، وصاروا[1] للفنش عمالا يجبون له الأموال، ولا يخالف أمره أحد، {ولا يتجاوز له حدّ}[2]، ووكلوا أمور المسلمين إلى اليهود؛ فعاثوا فيهم عيث الأسود، وجعلوهم حجّابًا ووزراء وكتابا.

ويتطوّف[3] الروم في كل عام على الأندلس يسبون ويغنمون ويحرقون ويهدمون ويأسرون.

[مملكة بني ذي النون بطليطلة] وفي هذه المدة [مات][4] إسماعيل بن ذي النون[5] صاحب طليطلة، وذلك في سنة سبع وستين وأربعمائة، وكان صاحب قرطبة مدافعًا عنها لابن عباد، ومانعًا لحوزته بمن عنده من الأجناد، وكان أشبه أولئك الثوار شيمًا، وأقلهم لهوًا وإسرافًا، وأجلّهم هممًا[6]، وكانت أيامهم تسمّى أيام الفرق[7]، /137ظ/وحمل عند موته على أعناق الرجال إلى طليطلة، وبها دفن رحمه الله، ولم يخلف إبنًا.

وفي هذه السنة توفي الفقيه المحدث الإمام أبو عمر بن عبد البر[8]

---

(1) صار في الأصل. (2) ساقط في ق.

(3) وتتطوف في ق. (4) ساقط في م ون.

(5) المقصود هنا يحيى بن إسماعيل بن ذي النون الملقب بالمأمون المتوفى سنة 467هـ/1075م. ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص 177-178.

(6) همة في ق.

(7) الفرق بفتح الفاء بمعنى الخوف أو بكسرها بمعنى الطوائف، وهي تسمية جميلة لهذه الفترة المضطربة التي عرفت في كتب التاريخ بفترة ملوك الطوائف حسب تعبير العبادي- تاريخ الأندلس- ص 78 هامش 3.

(8) أبو عمر بن عبد البر: هو أبو عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري المولود بقرطبة سنة 386هـ/978م والمتوفى بشاطبة سنة 463هـ/1071م، وهو يخالف التاريخ الوارد في المتن، ولمزيد من التفاصيل عنه انظر: ابن بشكوال خلف بن عبد الملك- كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس- تحقيق صلاح الدين الهواري- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت-1423هـ-2003م- صص 521-523/الضبي- بغية الملتمس- ص 454-456/القاضي عياض- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك- تحقيق محمد سالم هاشم- دار الكتب العلمية- بيروت- 1418هـ-1998م- ج 2 ص 352-353/ابن فرحون المالكي- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب- تحقيق مأمون بن محيي الدين الجنّان- دار الكتب العلمية- بيروت- 1417هـ-1996م- ص 440-442.

بشاطبة[1] بلده رحمه الله.

فقام بالأمر بعد إسماعيل بن ذي النون حفيده يحيى[2]، وتلقب بالقادر، وكان ضعيف المنّة قليل المعرفة، ربّي في أحجار النساء و[الدّأيات[3]][4]، ونشأ بين الخصيان والغانيات؛ فملك[5] أمره العبيد، {وحكم عليه كل خصي ومولود، كل يدبر ملكه على إرادته، وينفرد بوزارته}[6] ؛ فطمع في بلاده الرؤساء، واحتقره القرناء [والغرباء][7] ؛ فأول من استهدف لمطالبته ابن عباد لما كان بينه وبين جدّه من العداوة {والبغضاء}[8] ؛ فحصل له قرطبة وسائر أعمالها كطلبيرة[9] وغافق[10] وما بينهما.

وجعل صاحب سرقسطة ابن هود[11] يطالبه أشدّ مطالبة، ويحاربه أنكى محاربة، واستعان عليه بالطاغية ابن ردمير؛ فأخذ له شنتبرية[12] ومُلينة[13] ؛ فضعف

---

(1) شاطبة: مدينة جليلة بالأندلس متقنة حصينة وهي قريبة من جزيرة شقر. الحميري- الروض المعطار- ص 337/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 134.

(2) يحيى: هو أبو الحسن يحيى بن إسماعيل بن ذي النون المتوفى سنة 468هـ/1075م. انظر عنه مجهول- تاريخ الأندلس- ص 259- 260.

(3) الدّأيةُ هي الحاضنة غير الأم. المعجم الوسيط- ص 268.

(4) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(5) فحكم في ق.

(6) ساقط في ق.

(7) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(8) ساقط في ق.

(9) طلبيرة: أقصى ثغور المسلمين، وتقع على نهر تاجة- الروض المعطار- ص395/مجهول- تاريخ الأندلس- ص95.

(10)غافق: حصن حصين ومعقل جليل بقرب حصن بطروش، في أهله نجدة وحزم. الروض المعطار- ص 426-427/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 130.

(11) ابن هود: هو أحمد بن سليمان بن هود المقتدر بالله المتوفى سنة 474هـ/1081م.انظر ابن عذاري- البيان المغرب- ج3 ص 222-225/ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص 171-172/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 255.

(12) شنتبرية: شنتمرية في نسخة وشنتبرية تقع في شمال شرق طليطلة بالقرب من منابع نهر التاجو. لمزيد من التفاصيل عنها انظر الحميري- الروض المعطار- ص 347/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 107-108.

(13) ملينة: حصن في مقاطعة قونكة يعرف بملينة أراغون، ويقع شمال شرق طليطلة. العبادي- تاريخ الأندلس- ص 80.

الحفيد عن الدفاع عن نفسه لما عنده من قلة التدبير، واستنصر بالفنش، وكانت بلنسية لجدّه[1]، وكان له فيها قائد يسمى أبا بكر بن [عبد العزيز][2] ؛ فداخله ابن هود [حتى قام على القادر][3]، واستبدّ بنفسه دون أمر؛ فخطب إليه ابن هود إذ ذاك ابنته طمعا منه أن يتملك بها بلنسية؛ فملكه أياها، وزفّها إليه.

وكانت [قونكة][4] للقادر [فنازلها][5] ابن ردمير، ووالى عليها الحصار حتى كادوا أن يهلكوا عطشا؛ فافتدوا منه بمال كثير.

وجهّز القادر بشيرًا الفتي، وأمره بمناجزة ابن هود وابن ردمير {فانصرفا، ورأى أن انصرافهما دون لقائهم غنم كبير}[6].

وقامت بطليطلة في إحدى الليالي فتنة وضجّة للعامة، وصيحة للعامة [منكرة] مات فيها الفقيه أبو بكر بن [الحديدي][7] وجماعة من أمثاله، وانتهبت ديار الأعيان؛ فكتب القادر إلى الفنش يعلمه بما جرى، ويرغب أن يوجه إليه عسكرًا؛

---

(1) وهو يحيى بن إسماعيل بن المأمون بن ذي النون، ولمزيد من التفاصيل عنه انظر: ابن عذاري- البيان المغرب- ج3 ص266-267/ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص 178 وما بعدها/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 260.

(2) أبو بكر بن عبد الرحمن في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق، وأبو بكر بن عبد العزيز: كان أبوه وزيرا للأمير عبد العزيز العامري ثم وزيرا لابنه عبد الملك المظفر، وبعد وفاته سنة 456هـ خلفه في الوزارة ابنه أبو بكر ابن عبد العزيز؛ فلم يمكث في منصبه طويلا حتى سقطت بلنسية في يد المأمون بن ذي النون الذي أقره في منصبه ثم عينه نائبا عنه في حكم المدينة بعد عزل أميرها عبد الملك المظفر، وظل هذا الوزير حاكما لبلنسية إلى غاية وفاته سنة 478هـ/1085م.ابن عذاري- البيان المغرب- ج3 ص266.

(3) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(4) كنكة في الأصل، والصحيح قونكة أو كونكة، وكانت من أمنع حصون منطقة الثغر الأدنى طليطلة. انظر الشريف الإدريسي- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- 1414هـ-1994م- ج2 ص 560.

(5) فأزاله في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(6) ساقط في ق.

(7) أبو بكر بن الحديدي في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق، وأبو بكر ابن الحديدي كان كبير الجماعة بطليطلة منذ عهد إسماعيل الظافر بن ذي النون الذي كان لا يقطع أمرًا دون استشارته، وسار ولده المأمون على نفس السيرة، وبعد وفاته خلفه حفيده يحيى القادر الذي استجاب لحاشيته فتخلص من ابن الحديدي في أوائل المحرم سنة 468هـ/1076م.ابن بسام- الذخيرة- ق4 م1ص 118-121/ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص 179.

فراجعه أن وجِّه إليَّ مالا إن كنت تريد الدفاع عن أنحائك وإلا سلّمتك لأعدائك.

وكان /138و/أسرّ شيئاً عند الفنش فتنة تقع بين الولاة من المسلمين؛ فيعين هذا على هذا، وهذا على هذا؛ فيستجلب بذلك أموالهم [طمعا][1] منه أن يعجزوا؛ فيظفر هو بملك الجزيرة كلها؛ فلما لم يقم القادر بما رسم عليه من المال، جمع الرعية وأهل الحضر وجميع العمال، وقال لهم: أقسم لئن لم تحضروني هذا المال الذي طلب في الحين لأجعلنّ عنده رهنا جميع من عندكم من العيال والبنين؛ فلم يجبه أحد بحرف غير القائد أبي شجاع ابن لُبُون[2] ؛ فإنه قال له: لقد خلعت نفسك بما قلت، وربما أزمعت عليه وعولت؛ ففسدت نفوس الجماعة، ورأوا أنه لا تجب عليهم له طاعة؛ فأنفذوا في السرّ إلى ابن الأفطس[3] ؛ فلما شعر بذلك القادر فرّ ليلا بعماله وجملة ماله؛ فقصد وبذة[4] ؛ فآواه[5] صاحبها أبو وهب[6].

ودخل ابن الأفطس طليطلة، ولم يكن للقادر ناصر ولا ملجأ غير الفنش؛ فكتب إليه واستنصر به؛ فجاء بنفسه في أسرع وقت؛ فتلقاه القادر، واتفقا على محاصرة طليطلة حتى يخرج عنها ابن الأفطس، ويصرفها إليه على أن يحصل جميع أموالها في يديه؛ فقال له الفنش: أعطني [حصن][7] سرية[8] وحصن قورية[9] رهنا؛ فأعطاهما له؛ فأدخل فيهما اللعين ثقاته في الحين، وحصّنهما أشدّ تحصين.

ثم حاصر طليطلة أشدّ حصار؛ فلما رأى ابن الأفطس ضيق الحال عليه،

---

(1) ويشجعوا عظما في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(2) أبو شجاع ابن لبون: هو شجاع أرقم بن لبون (بضم اللام ثم الباء مع تشديدها)، كان واليا على وبذة. الحلة السيراء-ج2 ص169.

(3)ابن الأفطس: هو عمر المتوكل بن الأفطس الذي حكم غرب الأندلس سنة 464هـ/1072م، وقتله المرابطون سنة 488هـ /1094م. ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص 185-186.

(4) وبذة: مدينة بالأندلس، وهي حصن على واد بقرب أقليش.الروض المعطار- ص 607.

(5) فناداه في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(6) ابن وهب في الأصل، والصحيح أبو وهب عامر بن لبون شقيق أبي شجاع الذي حكم وبذة. ابن الأبار- الحلة السيراء- ج2 ص 169.

(7) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(8) حصن سرية: يقول العبادي: هي ولا شك حصون قريبة من الحدود القشتالية، ولعلها المعروفة الآن باسم شَرِيَة. نفس المرجع- ص 83.

(9) حصن قورية: بالأندلس قريبة من ماردة، بينها وبين قنطرة السيف مرحلتان. الحميري- الروض المعطار- ص 485.

وهو لا يرجو [انتصارًا][1] من أحد خرج فارًّا؛ فدخلها القادر[2]، واستأصل جميع أموالها؛ فلم يقبلها الفنش منه؛ فأحضر جميع ما كان عنده من نفيس الذخائر الموروثة عن أبيه وجدّه؛ فلم يفِ بما قاطعه عليه؛ فسأله أن يُنْظِره بالباقي إلى أن يَنظر فيه ويجعله بين يديه؛ فقال: أعطني حصن قنالش[3] رهنا؛ فأعطاه إياه.

فلما ظفرت به يده جعل فيه ثقاته، وحصل فيه أقواته؛ وانصرف إلى قشتالة غانمًا مملوء الحقائب سالمًا؛ فتغيرت نفوس الناس على القادر؛ ففرّوا سرًّا إلى [عمل][4] ابن هود؛ فجاد عليهم وأحسن إليهم.

[استيلاء الفنش على طليطلة] وزحف كل ثائر إلى بلاد القادر طمعا في تملكها، {والحصول على /138ظ/قطب فلكها}؛ فابن عباد يشنّ عليها الغارات من الغرب، وابن هود يذيقه من الشرق {حطيم غصص}[5] الكرب؛ فلما تحقّق القادر أنه لا طاقة له على الدفاع، {ولا سبيل له عنهم إلى امتناع}[6]، كتب إلى الفنش [لحينه][7]، وتخلّى[8] له عن طليطلة وأنظارها ليعينه على أخذ بلنسية وأقطارها؛ فطار [إليه][9] الفنش بجناح، ووصل الغدو بالرواح؛ فحين وافاه أخلى له البلد، وحصل فيها بالأهل والولد، بعد أن شرط عليه أن يُؤمّن من فيها من المسلمين في الأنفس والأموال والأهلين والبنين[10]، وأن من أحبّ منهم [الخروج][11] لم يمنع منه، ومن أحبّ المقام لم يلزمه سوى أداء الجزية {على عدد ما عنده من الأشخاص}[12]، وإن رجع بعد رحيله نزل على ما كان بيده من عقار دون تعرض

---

(1) تناصرا في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(2) تم ذلك سنة 474هـ/1081م.ابن بسام- الذخيرة- ق4 ج1 ص 124-127.

(3) حصن قنالش:المقصود هنا قرية قنالش الواقعة شمال شرقي طليطلة في منطقة وادي الحجارة على الحدود القشتالية. العبادي- نفسه- ص 83 هامش 6.

(4) انظر في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(5) برق في ق.

(6) ساقط في ق.

(7) في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(8) ليتخلى في ق.

(9) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(10) بعد أن شرط عليه من فيها من المسلمين أن يؤمنهم في أنفسهم وأموالهم وبنيهم في ق.

(11) التنقل في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(12) ساقط في ق.

عليه في كثيره ولا قليله؛ فعاهدهم على ذلك، وأعطاهم صفقة اليمين، {وأقسم لهم أنه لا يغدر في ذلك ولا يمين}[1].

وكان تملكه لها سنة ثمان وسبعين وأربعمائة[2]، وكان استفتاح طارق لها سنة [اثنتين] تسعين[3] ؛ فأقامت دار الإسلام ثلاثمائة سنة وثمانية وثمانين من الأعوام[4] ؛ فخرج المسلمون من جميع الأقطار حين تملكها العدو، ولم يكن لهم قرار ولا هدوء، ولا طمع في التخلص من يد اللعين سوى أنباء طرأت عليهم من قبل المرابطين، وأنهم قد ملكوا مغرب العدوة، وطردوا عنه الزناتيين؛ فكأنهم تأنسوا بأنبائهم، ورجوا الفرج من تلقائهم.

وفي سنة دخول العدو طليطلة، توفي [المؤتمن][5] يوسف بن هود[6] صاحب سرقسطة، وقام بالأمر من بعده ابنه أحمد، وتسمى بالمستعين.

وفيها توفي الوزير أبو بكر بن عبد العزيز القائم بأمر بلنسية الذي كان أزمع القادر أن ينازله {ويخرّب منازله}[7]، وبقي أمرها بعده سدى، [نُهْزَةً[8] للعدو][9] ؛ فرحل عند ذلك القادر من طليطلة مع جيش وجّهه معه الفنش، وعليه ألبَرْ هَانس[10] لعنه الله، وذلك في سنة ثمانين وأربعمائة؛ فأنزله القادر بالرُّصافة[11]، ونزل هو دار

(1) ساقط في ق.

(2) سقطت طليطلة نهائيا في يد الأسبان في 27 محرّم سنة 478هـ/25 ماي 1085م.

(3) تسعين في كل النسخ، والصحيح أن استيلاء المسلمين على طليطلة عاصمة القوط كان سنة 92هـ/714م. مجهول- تاريخ الأندلس- ص 96.

(4) وثمانٍ وثلاثين سنة في ق.

(5) المقتدر في كل النسخ، والصحيح ما أثبتنا لأن المقتدر هو لقب أبيه أحمد بن سليمان بن هود. ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص 172/المقري- نفح الطيب- ج1 ص 422.

(6) المؤتمن يوسف بن هود: تصيّر له ملك أبيه بالثغر كله، وهلك سنة 478هـ، وولي بعده المستعين. ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص 172/المقري- نفح الطيب- ج1 ص 422.

(7) ساقط في ق.

(8) النُّهْزَةُ: الفرصة، يقال هو نهزة المختلس: صيد لكل أحد. المعجم الوسيط- ص 958.

(9) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(10) البرهانس: هو القائد الأسباني البار هانش ابن أخي السيد الكمبيادور، وكان من كبار قواد الملك ألفونسو السادس ملك قشتالة وليون. ابن القطان حسن بن علي- نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان- تحقيق محمود علي مكي- دار الغرب الإسلامي- بيروت- 1990م- ص 63-64.

(11) الرصافة: وهي رصافة بلنسية التي بناها عبد الله بن عبد الرحمن المعروف بالبلنسي، وكانت =

الإمارة؛ فيا له من صدْع صدَّع {أفلاذ}[1] الأكباد، وفزّع قلوب العباد، {واستوى في مصابه الحاضر والباد}[2]، ووافى بلنسية فأدخله أهلها فيها خوفا من /139و/ الحصار، [فألفاها مدينة عصا السيّار][3].

ولما حصل الطاغية الفنش بطليطلة شمخ بأنفه، ورأى أن زمام الأندلس قد حصل في كفه؛ فشنّ غاراته على جميع أعمالها حتى فاز باستخلاص جميع أقطار ابن ذي النون واستئصالها، وذلك ثمانون منبرًا سوى البُنيّات[4] والقرى المعمورات، وحاز من وادي الحجارة إلى طلبيرة وفحص اللج[5] وأعمال شنتمرية كلها؛ فلم يكن بالجزيرة مَن يلقى أقلّ كلب من كلابه، فعند ذلك وجّه كل رئيس بالأندلس رسله إلى الفنش مهتئين، وبأنفسهم وأموالهم مفتدين، وفي أن يشركهم في بلادهم له عاملين، ولأموالهم إليه جابين حتى أن صاحب شنتمرية حسام الدولة ابن رزين[6]، نهض إليه بنفسه، وتحمّل هدية عظيمة {القدر سنية متقرّبا}[7] إليه، وراغبا أن يقرّه في بلده عاملا بين يديه؛ فجازاه على هديته بقرد وهبه إياه؛ فجعل ابن رزين يفخر به على سائر الرؤساء، ويعتقد أنه جُنَّة مما كان يحذر من الفنش من وقوع البأساء[8].

وانتحى الفنش انتحاء الجبابرة، وأنزل نفسه منازل القياصرة، وداخله من

منية للراحة والاستجمام، وكانت تقع بين بلنسية والبحر أي جنوب شرقي بلنسية. الروض المعطار- ص 269.

(1) ساقط في ق.

(2) ساقط في ق.

(3) ساقط في ق.

(4) قال الحميري: البنات لواحق بالأمهات، ويقصد بها المدن الصغرى على أساس أن المدن الكبرى كانت تسمى الأمهات. الروض المعطار- ص 100.

(5) فص اللج: اسم يطلق على عدة مواضع بالأندلس، ولمزيد من التفصيل انظر العبادي- نفسه- ص 87 هامش 4.

(6) ابن رزين: هو حسام الدولة يحيى بن عبد الملك بن هذيل بن رزين آخر ملوك الأسرة، وقد حكم سهلة بني رزين أو شنتمرية الشرق بعد موت أبيه سنة 496هـ ثم خلعه المرابطون في رجب سنة 497هـ وبذلك انقرضت دولة بني رزين. انظر البيان المغرب- ج3 ص310-311/ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص 205-206.

(7)ساقط في ق.

(8) البأس في ق، والبأساء اسم للحرب. ابن عذاري- البيان المغرب- ج3 ص 311.

الإعجاب ما احتقر به كل ماش على التراب، وتسمى بالامبراطور، وهو بلغتهم[1] أمير المؤمنين[2]، وجعل يكتب في كتبه الصادرة عنه من الإنبراطور ذي المِلَّتين، وأقسم لأرْسَال الرؤساء أنه لا يترك في الجزيرة من الثوار أحدا، ولا يبقي لهم ملتحدا سوى من اكتنفته رعايتي، وشملته عنايتي.

وكان رسول ابن عبّاد إليه يهوديا يعرف بابن مشعل[3] ؛ فقال له: كيف أترك قوما مَجَّانين[4]، تسمّى كل واحد منهم باسم[5] خلفائهم وملوكهم وأمرائهم؛ فمنهم المعتضد والمعتمد والمعتصم والمتوكل والمستعين والمقتدر والأمين والمأمون، وكل واحد منهم لا يسلُّ[6] في الذَّبِّ عن نفسه سيفا، ولا يرفع [عن نفسه فضلا][7] عن رعيته ضيما ولا حيفا، قد أظهروا الفسوق والعصيان، واعتكفوا على المغاني والعيدان، [ومعاطاة بنت الدنَّان[8]][9]، وكيف يَحِلُّ لبشر أن يُقِرَّ منهم على رعيته أحداً، {وأن يدعها بين أيديهم سُدىً؟}[10].

وانتشر الروم على جميع الأقطار، /139ظ/{وعاثوا في جميع الأمصار}[11]، [وصارت لهم أقصى بلاد المسلمين مرتعا][12]، ولقد بلغ الروم، [من كان أحقر من الذّر[13] فيهم][14] أن أغاروا في ثمانين فارسا ممن لا خلاق لهم على نظر المرية[15] ؛ فأخرج ابن صمادح[1] قائدا من قواده، ومعه من خيار جنده

(1) ومعناه في ق.
(2) الأمراء في ق.
(3) مشقل في ق.
(4) المجّان الكثير المجون، ويمكن أن تقرأ بدون تشديد الجيم بمعنى أنهم فقدوا عقولهم.
(5) بأسماء في ق.
(6) يسأل في ق.
(7) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(8) الدن وعاء ضخم للخمر ونحوها. المعجم الوسيط- ص 299.
(9) ساقط في الأصل وفي م ون، وعند العبادي- تاريخ الأندلس- ص 89، وما أثبتنا من ق.
(10) ساقط في ق.
(11) ساقط في ق.
(12) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(13) الذر النسل والذر صغار النمل، ولعل المقصود هنا صغار النصارى من حيث المكانة. المعجم الوسيط- ص 310.
(14) ساقط في الأصل وفي م ون، وعند العبادي- نفسه- ص 89، وما أثبتنا من ق.
(15) المرية: مدينة محدثة أمر ببنائها عبد الرحمن الناصر، وهي من أشهر مراسي الأندلس =

أربعمائة؛ فلما التقوا بالعدو انهزموا، وما وقفوا ولا أقدموا.

[الاستنجاد بالمرابطين وعبورهم إلى الأندلس] ولما تيقن كل من ثار ورأس، ولا سيما رؤساء غرب الأندلس كابن عباد وابن الأفطس مذهب القنش[2] فيهم، وأنه لا يقنع منهم بجزية ولا هدية، رأوا أن الرجوع إلى الحق أحق؛ فاستصرخوا بالمرابطين، واستنصروا بأمير المسلمين يوسف بن تاشفين على أن ينخرطوا في سلكه، ويدخلوا تحت ملكه، وفتحوا له بابا إلى الجهاد كانوا قد سدّوه؛ فأجابهم إلى ما رغبوه، ولم يخالفهم فيما طلبوه، إذ كان راغبا في جهاد المشركين[3]، والذبّ عن حريم المسلمين؛ فاستيقظ [طرف][4] النصر من منامه، [وطلع][5] بدر التأييد[6] من [خلال][7] غمامه.

وأسرع[8] في عبور البحر بنفسه وإخوته المرابطين سنة [ثمانين وأربعمائة][9]، وقد أخلص لله تعالى نيته، وحقق في ذاته طويته، وملأ البحر أساطيل، وأجاز الأجناد رعيلا رعيلا، واحتلّ بالجزيرة الخضراء[10] في كتيبته الخضراء

وأعمرها. انظر الروض المعطار- ص 537-538/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 138.

(1) ابن صمادح: ويقصد به محمد بن معن بن صمادح المعتصم بالله المتوفى في ربيع الآخر سنة 484هـ ابن عذاري- البيان المغرب- ج3 ص 174-175/ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص 190-191.

(2) الطاغية في ق.

(3) المسلمين في الأصل، وهو خطأ.

(4) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(5) تطلّع في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(6) الهمة في ق.

(7) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(8) وأشرع في ق.

(9) أربعمائة وثمانين في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق، وتشير أغلب المصادر إلى أن عبور يوسف بن تاشفين إلى الأندلس كان في منتصف ربيع الأول سنة 479هـ/جوان 1086م.

(10) الجزيرة الخضراء: ويقال لها جزيرة أم حكيم، وهي على ربوة مشرفة على البحر، ومرسى الجزيرة مشتى مأمون، وهو أيسر المراسي للجواز، وأقربها إلى برّ العدوة، ويحاذيه مرسى مدينة سبتة. انظر الحميري- الروض المعطار- ص 223-224/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 122.

المشتملة[1] على اثني عشر ألف راكب من صناديد الأجناد.

{ووافاه المعتمد محمد بن المعتضد بن عبّاد بجملة من عنده من الأجناد}[2]، والمتوكل بن الأفطس بجميع ما تحت لوائه من الأجناد[3]، ولحق أكثر الرؤساء بمن معهم، وكل من رغب في الجهاد.

وكان الفنش محاصرًا لسرقسطة، وقد أقسم أنه لا يبرح عنها حتى يدخلها [ويملكها][4]، {والقدر يأبى إلا خلاف ذلك}[5] ؛ فبذل له المستعين صاحبها أموالا جمّة في زواله وتنقله عنها وترحاله فأبى كل الإباء، وجعل لكل من دان له من الإسلام البِرّ والرعاية، وأخذ نفسه بالعدل فيهم والأمان، والرفق في السرّ والإعلان، ووعدهم ألا يلزمهم غير ما توجبه السنّة الإسلامية، وأنه يحملهم في سائر ذلك على الحرّية، وقد كان تحقق أنه فرّق على ضعفاء أهل طليطلة مائة ألف دينار ليستعينوا /140و/بها على الزراعة والاعتمار؛ فاستدلّ أهل سرقسطة على صدق مقاله وتحقق فعاله.

فبينما هو كذلك إذ وصل إليه ظهور المرابطين في مغرب العدوة، وأنهم يرومون الجواز للأندلس في كل روحة وغدوة؛ فكتب إليه [الفنش][6] أن هؤلاء السائسين[7] يهددونني بجوازك، وقد جعلت لمن يبشرني بذلك عشرة آلاف مثقال؛ فإما أن تجوز إلي وإما أن أجوز إليك؛ فوجّه إليّ رسولك بما نعتمد عليه من هذين الوجهين[8] ؛ فراجعه أمير المسلمين بعد البسملة والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم:

فــلا كُــتْبَ إلا المــشرفيةُ والقَــنَا ولا رُسُــلَ إلا بالخَمِــيس العرمــرم[9]

---

(1) كتيبة تشتمل في ق. (2) ساقط في ق.

(3) بجميع من تحت لوائه في ق. (4) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(5)ساقط في ق.

(6) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(7) الماشين في ق.

(8) راجع نص الرسالة التي بعث بها ألفونسو السادس إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، وردّ هذا الأخيرعليه في: مجهول-الحلل الموشية في ذكر الأخبار المراكشية- تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة- دار الرشاد الحديثة- الدار البيضاء-1399هـ-1979م- ص 42-43.

(9) البيت للشاعر أبي الطيب المتنبي المتوفى سنة 354هـ/955م- ابن الخطيب- تاريخ المغرب العربي في العصر الوسيط من كتاب أعمال الأعلام- تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد

-

ولم يرد على هذا البيت حرفًا؛ فما كان إلا أن وصل هذا الجواب وكتاب ثقته بطليطلة بجواز أمير المسلمين قد ورد عليه؛ فوجّه إلى المستعين أن يدفع له من المال ما أمكنه[1]، ويأخذ في أسباب الارتحال، وجواز المرابطين قد نمى[2] إلى المستعين؛ فأبى أن يدفع إليه درهما واحدًا [خشية أن يتقوّى به ويستعين][3] ؛ فرحل [عنه][4] اللعين {صاغرًا، وآب بالخيبة إلى طليطلة خاسرًا}[5].

وأنفذ[6] كتبه إلى جميع النصارى معلما بجواز المرابطين؛ فوافاه أهل قشتالة في عدد لا يحصى، وأقلع قائده ألبر هانس عن بلنسية فلحق به، وأقبلت عليه العساكر من أقصى الرومية حتى ملأوا البطاح والأفضية؛ فأعجب بنفسه، ووثق بكثرة من اجتمع إليه من أبناء جنسه، وأقسم [لعنه الله][7] أن لا يقوم له طالب، ولا يغلبه مغالب، [ولو أن الله الذي لا يفوته هارب تعالى الله عن ذلك][8] ؛ فخذله الله إذ تبرأ من قوته وحوله.

وانفصل عن طليطلة بجيوشه التي ضاقت بها البطاح، ولم يصحبها نصر ولا نجاح كأنها الليل الدامس والبحر الطامس، قد لبسوا الدروع الضافية، [وتقلدوا][9] السيوف الماضية، {وتقلسوا بالحديد، وتقدموا بأس شديد}[10]، طبولهم[11] القرون، وألويتهم كأنها السحاب الجون[12].

إبراهيم الكتاني- دار الكتاب- الدار البيضاء- 1964م- ص 239.

(1) ما أمكنه من المال في ق.

(2) أنمى في الأصل، وأتى في م، وما أثبتنا من ق.

(3) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(4) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(5) ساقط في ق.

(6) جميع زائدة في ق.

(7) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(8) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(9) تحزّموا في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(10) ساقط في ق.

(11) طلبوا لهم في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(12) الجون بفتح الجيم والجمع جون بضمها لها معان كثيرة منها الخليج الناتج عن امتداد مياه البحر في الأرض، والجون من الإبل والخيل هو الأدهم الشديد السواد، والجون من النباتات يضرب إلى السواد من خضرته، ولعل المراد هنا بالسحاب الجون هو الكثيف

[موقعة الزلاقة] وسار أمير المسلمين[1] نحو بطليوس[2] قاصدًا طليطلة للقاء الفنش في جيوش تقرّ بها عيون الأولياء؛ فالتقيا على مقربة من بطليوس، /140ظ/ بموضع [يعرف][3] بالزلاقة، وكان بين المحلتين[4] ثلاثة أميال؛ فتراسلا متى يكون اللقاء {الذي فيه تسال الدماء}[5] ؛ فقال الملعون: هذا يوم الخميس والجمعة عيدكم والأحد عيدنا؛ فيكون يوم السبت اللقاء بيننا؛ فقال أمير [المسلمين][6]: كذلك إن شاء الله يكون، واللعين قد اعتقد[7] في ذلك المكر، وقصد الغدر.

وكان أمير [المسلمين][8] قد نزل بمحلّة تجاه العدو، ونزل ابن عبّاد وسائر رؤساء الأندلس على بعد منه؛ فرفع ابن عبّاد الإسطرلاب، ونظر الطالع ومنزل أمير المسلمين؛ فقال: [لم أر أنجس من منزل نزله أمير المسلمين][9] ؛ فلما كان ليلة الجمعة رحل عنه أمير المسلمين، ونزل بين جبلين؛ فأخذ المعتمد طالع نزوله فيه؛ فقال: لم أر قطّ أسعد من ذلك المنزل [الذي نزله][10].

القاتم اللون كناية عن سواد الألوية أو كثرتها. المعجم الوسيط- ص 149/العبادي- نفس المرجع- ص 92 هامش 5.

(1) أمير المؤمنين في الأصل وفي ق، والصحيح أن حكام المرابطين لم يتلقبوا بلقب أمير المؤمنين، وإنما أمير المسلمين. انظر الحلل الموشية- ص 29/علي بن أبي زرع الفاسي- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس- تحقيق عبد الوهاب بنمنصور- المطبعة الملكية- الرباط- ط2- 1420هـ-1999م- ص 189 /عبد الواحد المراكشي- المعجب في تلخيص أخبار المغرب- ص 97-98.

(2) بطليوس: من إقليم ماردة، وهي مدينة عظيمة من قواعد الأندلس، وكانت قاعدة المظفر بن الأفطس، وهي في بسيط من الأرض. انظر الحميري- الروض المعطار- ص 93/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 102.

(3) يقال له في الأصل، وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(4) المحلة في ق.

(5) ساقط في ق.

(6) المؤمنين في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(7) اعتمد في ق.

(8) أمير المؤمنين في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(9) فقال له: ذلك منزل نحيس في الأصل وفي م ون، وعند العبادي- نفسه- ص 93، وما أثبتنا من ق.

(10) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

فلما كان سحر ليلة الجمعة قدّم اللّعين كتائبه، {وضمّ إليه جنائبه}[1]، وقصد نحو محلة المعتمد ورؤساء الأندلس، وهو يظنّها محلّة أمير المسلمين؛ فلم يشعروا بهم إلا وسيوفهم في رقابهم {تشرع}[2]، ورماحهم في دمائهم تكرع؛ ففرّ الناس فرار الأوعال من تلك السهولة والأجبال، ووقف لهم المعتمد كالأسد الورد[3]، وناطحهم مناطحة الأقران، وثبت ثبوت راسخات الرعان[4] حتى أثخن بالجراح، وتبع الروم فلّ المسلمين[5] ثمانية عشر ميلا في تلك البطاح يقتلون ويأسرون {وينتهبون}[6].

فأعلم أمير المسلمين بانهزام الرؤساء؛ فقال: اتركوهم قليلا للفناء[7] [فكلا الفريقين من الأعداء][8] ؛ فلما تحقق أن أكثرهم قد أسر وقتل[9]، رأى أنه قد [آن][10] أن يفترس العدو إذ قد تباعد عن محلته، {وتحمّل}[11]، وقصد بجيشه محلة العدو[12] فتغلبها {واستأصلها}[13] وانتهبها، وقتل فيها نحو عشرة آلاف بين راجل وفارس، وما منهم إلا بطل مداعس، ومضى على وجهه في أثر ألفنش، وقد

---

(1) ساقط في ق.

(2) ساقط في ق.

(3) الورد بفتح الواو وسكون الراء ومعناها الجريء، وتطلق على الأسد وعلى الكميت من الخيل.المعجم الوسيط- ص 1024/العبادي- نفس المرجع- ص 94.

(4) الرعان: الرّعن أنف الجبل الشاخص البارز، أي بمعنى الجبال الطويلة. المعجم الوسيط- ص 355.

(5) المسلمون في الأصل.

(6) ساقط في ق.

(7) عسى يفنوا في ق.

(8) فكل من الأعداء في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(9) هذه الرواية تتعارض مع ما أوردته المصادر التاريخية بشأن موقعة الزلاقة، والتي تفيد بأن يوسف بن تاشفين قد أمر بعض قواده بإحراق محلة الفنش المنشغل بمحاربة ابن عباد، وأرسل إليه يعلمه بقدومه لنجدته. ولمزيد من التفاصيل انظر ابن أبي زرع- الأنيس المطرب- ص 186 وما بعدها/الحلل الموشية- ص 60-61/الحميري- الروض المعطار- ص 290-291/عبد الواحد المراكشي- المعجب- ص 100.

(10) أمن في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(11) ساقط في ق.

(12) محلته في ق.

(13) ساقط في ق.

تفرّق له في أتباع الإسلام أكثر الجيش؛ فوضعوا السيوف في ظهورهم، {والأسل في نحورهم}[1] ؛ فانهزموا وولّوا مدبرين خاسئين فارّين مدحورين.

ولجأ اللعين إلى جبل منيع في نحو ثلاث مائة فارس من رجاله، وكان قد وصل في ستين ألفًا من أنجاد أبطاله؛ فلما جنّ عليه الليل، {وأمن [من][2] أن تتبعه الخيل}[3]، انسلّ /141و/{انسلال الأرنب أمام ذي المخلب}[4]، ولحق بطليطلة [ذليلا قليلا][5] مهزومًا، حزينًا مكلومًا.

مُــوَكَّلاً بِــيَفَاعِ الأَرْضِ يُفْــرِعُهُ مِــن خِفَّــةِ الخَــوْفِ لا مِــن خِفَّــةِ الطَّــرَبِ[6]

وابتدر المسلمون بقطع رؤوس المشركين، وبنوها كالصوامع في [صحون][7] الجوامع، وقام المؤذنون في أعلاها بالآذان ثلاثة أيام، وتراجع للمحلة كل من سلم من [المسلمين][8]، وكانت الهزيمة يوم الجمعة عاشر رجب الفرد سنة [تسع وسبعين] وأربعمائة[9]، وتنفس بها مختنق الجزيرة، {وثبتت بسببها بلاد كثيرة}[10].

فبينما أمير المسلمين يدبر في الدخول إلى بلاد المشركين إذ وافاه كتاب

---

(1) ساقط في ق.

(2) زيادة حتى يستقيم المعنى.

(3) ساقط في ق.

(4) ساقط في ق.

(5) ساقط في الأصل وفي م ون، وعند العبادي- نفس المرجع- ص 94، وما أثبتنا من ق.

(6) البيت من قصيدة أبي تمام حبيب بن أوس التي يمدح فيها الخليفة العباسي المعتصم بالله بمناسبة فتح مدينة عمورية ومطلعها:

السـيف أصـدق إنبـاء مـن الكتـب في حده الحد بين الجد واللعب

ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي- تحقيق محمد عبده عزام- ذخائر العرب- المجلد الأول – ص 74.

(7) حصون في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(8) الإسلام في الأصل وفي م ون، والمسلمون في ق، والصواب ما أثبتنا.

(9) في الأصل إحدى وثمانين وأربعمائة وهو خطأ، والصحيح أن تاريخ الوقعة هو يوم الجمعة 11 رجب سنة 479هـ (23 أكتوبر 1086م) كما ذكره يوسف بن تاشفين في خطابه بالفتح إلى عدوة المغرب، والمعتمد بن عباد في كتابه إلى حضرة إشبيلية.انظر الحلل الموشية- ص 64/ والأنيس المطرب- ص 191.

(10) ساقط في ق.

بوفاة ابنه الكبير؛ فطرأ عليه من ذلك رزء كبير، ولم يكن له بدّ من [العودة][1] إلى العدوة {بسبب هذا المصاب الخطير}[2] ؛ فترك عند المعتمد ثلاثة آلاف فارس، وقدّم عليهم القائد أبا عبد الله محمد بن الحاج[3]، وأخذ في الانصراف، وترك أهل الأندلس مع رؤسائهم في غاية من الاختلاف، وقد مالت نفوسهم إلى أمير المسلمين لما رأوا عنده من العدل [والشهامة][4] والإنصاف[5].

[عودة الصراع بين ملوك الطوائف] فلما تحقق عند النصارى أنه قد جاز، وقطع البحر وفاز، اتفقوا على تدويخ[6] شرق الأندلس؛ فشنّوا الغارات على سرقسطة وجهاتها، وتمادوا إلى بلنسية ودانية[7] وشاطبة ومرسية[8] وذواتها؛ فانتسفوها نسفًا، وتركوها[9] قاعًا صفصفا، وأخذوا حصن مرة رايط[10] وغيرها؛ فساء حال الشرق، وحسن المغرب بمن كان فيه من المرابطين.

---

(1) الصدرة في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(2) ساقط في ق.

(3) هو أبو عبد الله محمد بن سموين بن محمد بن ترجوت، ابن عم يوسف بن تاشفين وأحد كبار قواده، وقد قام بدور كبير في المعارك التي دارت بين المرابطين والنصارى في الأندلس، ولمزيد من التفاصيل عنه انظر: ابن القطان- نظم الجمان- ص 65/ابن عذاري- البيان المغرب- ج4 ص 54-55.

(4) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(5) من العدل فيه والإنصاف في الأصل؛ لما فيه من العدل والإنصاف في م.

(6) أن يدوخوا في ق.

(7) دانية: مدينة بشرق الأندلس، عامرة حسنة، عليها سور حصين، ولها مرسى عظيم، ومنها كان يخرج الأسطول للغزو. محمد بن عبد المنعم الحميري- الروض المعطار في خبر الأقطار- تحقيق إحسان عباس- مكتبة لبنان-بيروت- ط2- 1984م- ص 231-232/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 135.

(8) مرسية: وهي قاعدة تدمير، بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم، واتخذت دار العمال وقرار القواد. الروض المعطار- ص 539-540/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 135-136.

(9) وذروها في م.

(10) مرة البط في ق، وهو تصحيف، قال دوزي: إنها بلدة ميرافت Miravet الواقعة شمال طرطوشة، ولكن العبادي يرى على أنها على أغلب الظن مريبطر، وهي من أعمال بلنسية، وتقع في شمالها على بعد نحو 21 كلم. نفسه- ص 97/وانظر ما كتب عن مريبطر في الروض المعطار- ص 540.

وخرج الحاجب منذر بن أحمد بن هود من لاردة[1]، ونزل على بلنسية {وحصرها}[2] طامعا في أخذها من يد القادر؛ فلما سمع به ابن أخيه[3] المستعين استنصر بالقنبيطور لعنه الله، وخرج معه في أربعمائة فارس، والقنبيطور في ثلاثة آلاف فارس، وغزا {معه}[4] بنفسه حرصا منه على تملك[5] بلنسية على أن للقنبيطور أموالها وللمستعين جَفْنها[6]؛ فلما سمع بمجيئه عمّه الحاجب رحل عنها، ولم يحل بطائل منها؛ فلم يزل محاصرًا لها حتى حصلها.

وفي /141ظ/هذه السنة، وهي سنة إحدى وثمانين وأربعمائة، استشهد القائد أبو شجاع بن لبون، وفيها مات الخليفة أبو المظفر [علي][7]، وفيها كان السيل الأعظم في صدمة أكتوبر الذي خرّب بلنسية وغيرها، وهدم برج القنطرة[8].

---

(1) ناردة في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق، ولاردة: مدينة قديمة بنيت على نهر يخرج من نهر شيقر الذي يخرج من أرض جليقية، وتقع بشرقي مدينة وشقة، ولها حصن منيع. الروض المعطار- ص 507/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 131.

(2) ساقط في ق.

(3) ابن أخته في ق.

(4) ساقط في ق.

(5) ملك في الأصل، والصواب ما أثبتنا.

(6) حقبها في ق وهو تصحيف، وكلمة الجفن وجمعها أجفان وجفون لها معان كثيرة منها جفن العين وأجفان المراكب والبئر الصغيرة والقصعة، ويرى دوزي أن الأندلسيين أطلقوا كلمة جفن أيضا على المدينة بصفة عامة باستثناء الحصون أو قصبتها، ويؤكد ذلك قول ابن الخطيب: فنازل المسلمون مدينة أشونة، ودخلوا جفنها عنوة، واعتصم أهلها بقصبتها، وقوله في موضع آخر: فدخل جفنها، واعتصم من تأخر أجله بقصبتها؛ فالمقصود إذن بأجفان البلاد هو سهولها أو أجزاؤها الداخلية وليس جبالها أو حصونها المرتفعة، ولعل المراد هنا هو أن القنبيطور قد خصّ نفسه بثروات بلنسية المحيطة بها بينما يحصل المستعين على المدينة. انظر العبادي- نفس المرجع- ص 98 هامش 3.

(7) عنبر في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق، ولم نعثر على ترجمته.

(8) برج القنطرة: حدد العذري موقع هذه القنطرة عند وصفه لمدينة بلنسية حيث قال: وبلنسية مدينة مسورة...ولها خمسة أبواب: الباب الشرقي يسمى بباب القنطرة، ويخرج منه على قنطرة قد صنعها المنصور بن عبد العزيز بن أبي عامر، ليس في الأندلس أتقن منها، وعلى هذه القنطرة تخرج الرفاق إلى طليطلة وسرقسطة وطرطوشة وما هنالك...راجع العذري أحمد بن عمر المعروف بابن الدلائي- نصوص عن الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك – تحقيق عبد العزيز الأهواني- مطبعة معهد الدراسات الإسلامية- مدريد- 1965م- ص 17-18.

واستعجل[1] في تلك المدة ابن ردمير[2]، لما جرى على الفنش التدمير، وانضمت إليه جميع النصرانية؛ فنزل بهم على تطيلة[3] في نحو أربعمائة ألف {نسمة}[4] ، فردّهم الله {عنها}[5] خائبين، واستولى على حصون من عمل ابن هود.

[حصار النصارى لبلنسية] ثم إن الفنش خفَّ روعه وانتعشت نفسه؛ فحشد وجمع واستعدّ، وخرج قاصدًا لمنازلة بلنسية ومحاصرتها بعد أن كتب إلى أهل جنوة وبيشة[6] أن يأتوه في البحر؛ فوصلوا إليه في نحو أربعمائة قلاع؛ فاستحكم طمعه فيها وفي جميع سواحل الجزيرة؛ فارتاع له كل من في السواحل، {ثم إن الله تعالى خالف بين كلمتهم وأذن بتفرّقهم؛ فأصبح وهو راحل}[7]، {ولم يحصل على طائل}[8].

ولما نزل الفنش على بلنسية غضب القنبيطور[9] واحتدّ، وجمع وحشد لأنه كان يعدّها له طاعة، والقادر بها عامله، إذ لا قدرة له على الدفاع ولا استطاعه؛ فخالفه إلى قشتالة فحرق وهدم؛ فكان ذلك أقوى الأسباب في افتراق ذلك الجمع عن بلنسية.

وانصرف الفنش إلى قشتالة مسرعا، والقنبيطور قد ولّى راجعا، ونزل



(1) استفحل في الأصل وفي ق، وما أثبتنا من م ون.

(2) المقصود بابن ردمير هو ملك آراجون ونافارا سانشو راميراث(1043-1094م)، وكان قد هاجم مدينة طرطوشة هو وولي عهده بدرو الأول في ذلك الوقت. العبادي- نفس المرجع- ص 100- هامش 2.

(3) تطيلة: مدينة بالأندلس في جوفي وشقة، وبين الجوف والشرق من مدينة سرقسطة، وهي على نهر إبره. الروض المعطار- ص 133/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 133-134.

(4) ساقط في ق.

(5) ساقط في ق.

(6) بيشة: والصحيح بيش، من قواعد بلاد الروم، عامرة الأسواق والديار، ولأهلها مراكب واستعداد لركوب البحر. الشريف الإدريسي- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق- ج2 ص 750/الحميري- الروض المعطار- ص 120.

(7) ساقط في في م ون.

(8) ساقط في ق.

(9) القنبيطور: هو الفارس القشتالي رودريقو دياث بيبار الملقب بالسيد الكمبياتور أو القنبيطور، ومعناه السيد المبارز. العبادي- تاريخ الأندلس- ص 99 هامش 5.

أسطول جنوة وغيرها على طرطوشة[1]، وجاءهم ابن ردمير وصاحب برشلونة[2] ؛ {فثبتها الله ودفع عنها، وانصرف جميعهم خائبا منها، وكرّ القنبيطور إلى بلنسية}[3]، واتفق معهم على مائة ألف مثقال جزية في كل عام.

وفي هذا العام[4] استحكم طمع أصناف النصارى على الجزيرة؛ فضيّق غرسية[5] على المرية، والفانت[6] على لورقة، وحاصر البرهانس مرسية، والقنبيطور شاطبة.

وجهّز المعتمد ابنه الراضي في ثلاثة آلاف فارس للقاء العدو لعنه الله، وهو في ثمانية آلاف فارس [ثلاثمائة فارس][7] فانهزم [ابنه][8] أمامه، وفرّ قدامه؛ فاستأصل محلته وقتل وأسر جلّته.

وبنى أسقف افرنجي /142و/في ضفة البحر حصن ششنة[9] ؛ فحميت عند

---

(1) طرطوشة: مدينة عظيمة من بنيان الأقاصرة، حصينة البناء، وبها أسواق وعمارات وضياع، وإنشاء المراكب الكبار من خشب جبالها، ولمزيد من التفاصيل عنها انظر الروض المعطار- ص 391/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 134-135.

(2) برشيونة في ق، وصاحب برشلونة في ذلك الوقت هو رامون برانجر الثالث، وحكم من سنة 1082 إلى 1131م. العبادي- نفس المرجع- ص 100 هامش 3.

(3) ساقط في ق.

(4) في هذه السنة في ق.

(5) لعلّ المقصود به غرسية خيميناس، أحد قواد الملك ألفونسو السادس الذي احتلّ قلعة لييط الواقعة بالقرب من لورقة، ثم أخذ منها يشن الغارات على المرية ونواحيها سنة 1086م. العبادي- نفس المرجع- ص100 هامش4.

(6) الفانت: يفهم من النص أن المقصود بها شخص يسمى أو يلقب بهذا الإسم، ومن المحتمل أن تكون كلمة الفانت تعريبا للكلمة الإسبانية Infante إنفانت ومعناها ابن الملك أو أحد قرابته الحاصلين على هذا اللقب، ويذكر ابن عذاري: ترك غرسية بن شانجة بركة ثلاثة أولاد منهم غرسية الذي ترك ابنين أحدهما الفنت الذي أحرق جامع البيرة وقتل بروطة. انظر البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- تحقيق إحسان عباس- دار الثقافة- بيروت- ط 2-1400هـ- 1980م- ج4 ص 50/العبادي- نفس المرجع- ص101 هامش1.

(7) في الأصل ثمانية آلاف فارس، وما أثبتنا من م ومن ن وق.

(8) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(9) كذا في الأصل، وفي م ون، وشسة في ق، ولعلها شجنة، وهي مرسى من أعمال مرسية.العبادي- نفس المرجع- ص101 هامش3.

ذلك نفوس مَن بإشبيلية من المرابطين، وتقدم عليهم القائد محمد بن عائشة[1]، وقصد بهم مرسية، والتقى بهم مع جملة من النصارى فهزموهم، وقتلوا منهم جملة، وأسروا جماعة، وخلع[2] صاحب مرسية[3]، وتمادى إلى دانية؛ ففرّ صاحبها ابن مجاهد[4] في البحر، وآوى إلى الدولة الحمادية الصنهاجية، والملك إذ ذاك الناصر بن علناس[5] ؛ فأحسن إليه وأكرمه.

---

(1) محمد بن عائشة: هو الأمير أبو عبد الله محمد بن يوسف بن تاشفين ويعرف بابن عائشة، وكان من كبار قواد المرابطين، عينه أبوه قائدا على شرق الأندلس بعد أن عاث السيد الكمبيادور فيها فسادا؛ فولي عمل مرسية، واضطلع بضبط الأحوال في تلك المنطقة.ابن القطان- نظم الجمان- ص 65 هامش 2.

(2) أي القائد المرابطي محمد بن عائشة.

(3) لعله يقصد القائد عبد الرحمن بن رشيق الذي حكم مرسية باسم المعتمد ثم استقلّ بحكمها بعد ذلك إلى أن كان عبور المرابطين إلى الأندلس وانتصارهم على النصارى في معركة الزلاقة، ورواية ابن الكردبوس تتفق مع معظم الروايات التي تقول بأن القائد ابن عائشة قد استولى على مرسية من يد ابن رشيق سنة 484هـ/1091م، وجعلها قاعدة عسكرية للجيوش المرابطية. ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص 257/ابن سعيد الغرناطي علي بن موسى- المغرب في حلى المغرب- تحقيق خليل المنصور- دار الكتب العلمية- بيروت-1417هـ-1997م- ج2 ص204.

(4) ابن مجاهد: هو أبو الحسن علي بن مجاهد إقبال الدولة الذي خلف أباه على ملك دانية، وقد استولى جاره وصهره ابن هود على بلاد دانية سنة 468هـ ونقله إلى سرقسطة وأقطعه إقطاعا يمونه ويقيم أوده؛ فكان آخر العهد به، وقال صاحب تاريخ الأندلس: فأخذ بلاده وأمواله وثقفه بسرقسطة؛ فمات بها في الثقاف. ابن الأبار- الحلة السيراء- ج2 ص 248/ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص 221-222/مجهول- الحلل الموشية- ص 76-77 /مجهول- تاريخ الأندلس- ص 251-252، وعليه فإن المعني بالكلام في المتن هو أبو مروان عبيد الله بن محمد بن معن بن صمادح التجيبي، الذي ولي المرية بعد وفاة أبيه، وبقي بها إلى أن قبض على المعتمد محمد بن عباد؛ فلما وافاه الخبر بذلك أسلم المرية في رمضان سنة 484هـ، وقصد بجاية فأقام فيها تحت رعاية المنصور بن الناصر بن علناس وفي كنفه. انظر عبد الله بن بلقين- كتاب التبيان- تحقيق أمين توفيق الطيبي- منشورات عكاظ- الرباط- 1995م- ص169-170/الحلة السيراء- ج2 ص88-90.

(5) إذا كان ابن عائشة قد استولى على مرسية ودانية سنة 484-485هـ؛ فإن ملك بجاية في هذا الوقت هو المنصور بن الناصر بن علناس الذي دام حكمه من 481 إلى 498هـ(1088-1105م)، أما والده الناصر بن علناس فقد حكم من سنة 454 إلى 481هـ(1062-1088م). ابن الخطيب- أعمال الأعلام- القسم الثالث- ص 96-97.

ودخل ابن عائشة دانية؛ فوافاه بها ابن جحّاف[1] قاضي بلنسية، وسأله النهوض إليها معه؛ فلم يمكنه أن يفارق موضعه؛ فأنفذ معه عسكرًا، وقدّم عليه قائده أبا ناصر؛ فوصلا إليها، وقصدا القادر وقتلاه، وذلك سنة خمس وثمانين وأربعمائة.

فلما انتهى ذلك إلى القنبيطور، وهو محاصر لسرقسطة غاظه وحميت نفسه، وزال عنه أنسه لأنها كانت بزعمه طاعته، لأن القادر كان يعطيه منها مائة ألف دينار[2] في العام جزية؛ فرحل عن سرقسطة؛ فنزل على بلنسية، وحاصرها {مدّة من}[3] عشرين شهرا إلى أن دخلها قسرًا[4] بعد أن لقي أهلها في تلك المدّة ما لم يلقه بشر من الجوع والشدّة إلى أن وصل عندهم فأرّ بدينار، وكان دخوله إياها سنة سبع وثمانين وأربعمائة[5].

وفي هذه المدّة انقطع إلى القنبيطور وغيره من أشرار {المسلمين}[6] وأرذالهم وفجارهم {وفسّاقهم}[7]، وممّن يعمل بأعمالهم خلق كثير وتسمُّوا بالدواثر، فكانوا يشنون على المسلمين الغارات [ولا يدعون للإسلام حرمة، ولا يرقبون في مؤمن إلاًّ ولا ذِمّة][8]، [ويكشفون الحرمات، يقتلون الرجال، [ويسبون][9] النساء والأطفال، وكثير منهم ارتدّ عن الإسلام، ونبذ شريعة النبي محمد عليه السلام}[10] إلى أن انتهى بيعهم للمسلم الأسير بخبزة وقدح خمر

(1) هو أبو جعفر بن عبد الله بن جحاف المعافري قاضي بلنسية، وقائد حركة المقاومة في المدينة ضد نصارى قشتالة، وقد انتهز ابن جحاف فرصة غياب السيد كمبيادور عن بلنسية وقام بثورة في رمضان سنة 485هـ/أكتوبر 1092م، وقتل القادر ابن ذي النون واستولى على أمواله، وأعلن أن السلطة في يد أبناء البلد، ولم يلبث أن اختير رئيسا للجماعة في المدينة؛ فتولى زمام أمورها. العبادي- تاريخ الأندلس- ص 103 هامش 1.

(2) مائة ألف مثقال في ق.

(3) ساقط في ق.

(4) قهرا عند العبادي- نفس المرجع- ص 103.

(5) أي 1094م.

(6) ساقط في ق.

(7) ساقط في ق.

(8) ساقط في الأصل وفي م ون، وعند العبادي- نفس المرجع- ص103، وما أثبتنا من ق.

(9) يسلبون في الأصل، وفي ق وعند العبادي- نفس المرجع- ص 103، وما أثبتنا منم.

(10) ساقط في ق.

ورطل حوت، ومن لم يَفْدِ نفسه قطع لسانه، وفقئت [عينه][1]، وسلطت عليه الكلاب الضارية؛ {فأخذته أخذة رابية}[2].

وتعلقت طائفة منهم بالبرهانس لعنه الله {ولعنهم}[3] ؛ فكانت تقطع ذكور الرجال وفروج /142ظ/النساء، ورجعوا له من جملة الخدمة والعمال، وفتنوا فتنة عظيمة في أديانهم، {وسلبوا جملة إيمانهم}[4].

[المرابطون والقضاء على ملوك الطوائف] فلما رأى الأمير سير بن أبي بكر[5] ما [حلّ][6] من كَلَبِ[7] العدو بالعباد، {وما نزل من الفساد في البلاد}[8]، تجهز وخرج قاصدًا البرهانس؛ فهزمه وجنوده، وفلّ الله به حدّه؛ فارتاع لذلك الروم، {ورأوا أن قراع المرابطين غير مروم}[9] ؛ [فحسده][10] ابن عبّاد وغيره من الرؤساء بقلّة إنصافهم، وكثرة بغيهم واختلافهم؛ فاعتقدوا بهم المكر، وأضمروا لهم النكث[11] والغدر، وخاطبوا الفنش[12] سرًا أن [يسعوا على المرابطين سرًا وجهرًا][13]، ويصيّروهم له طعمة[14] على أن يتركهم على ما بأيديهم عمّالا، ويجبون له من الرعية أموالا؛ فوقع الاتفاق على ذلك، وشرعوا في تدبير

(1) أجفانه في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(2) ساقط في ق.
(3) ساقط في ق.
(4) ساقط في ق.
(5) سير بن أبي بكر: هو أحد كبار قواد يوسف بن تاشفين، وصهره، ولي مكناس وفازاز سنة 467هـ/1074م، وشارك في موقعة الزلاقة، وبعدها أسندت له مهمة خلع ملوك غرب الأندلس، وعين حاكما عليه، ولمزيد من التفاصيل عنه انظر ابن أبي زرع- الأنيس المطرب- ص 180/185/نفسه- 195-196/ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص 163-164/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 263
(6) حمل في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(7) من كلف عند العبادي- نفس المرجع- ص 104.
(8) ساقط في ق.
(9) ساقط في ق.
(10) فحسدهم في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(11) الخيانة في ق.
(12) الطاغية الفاسقة في ق.
(13) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(14) طمعة في الأصل وفي م ون، وهو تصحيف، وما أثبتنا من ق.

الأمر من هنالك، وحادوا بأمير المسلمين عند انصرافه من [العدوة][1]، وهي [الدخلة][2] الثانية عن الجهاد، وأغروه بغرناطة ومالقة والمرية، وشغلوه بها عن مكافحة الأعادي كي يتم تدبيرهم على مهل، ويتأقب العدو لما أمّل.

وقصد الأمير غرناطة، ونزل قريبا منها؛ فقالت لعبد الله [ابن بلقين][3] بن باديس بن حبّوس أميرها أمه: أُخْرُج وسَلِّم على عمّك يوسف؛ فخرج وسلّم عليه؛ فلما أراد الانصراف أدخل في خباء، وجعل كبل {ثقيل}[4] في رجله؛ فدخل الأمير البلد بهذا الغدر[5] {فاستطلع به واستبدّ}[6]، وسِرُّ القوم في الغدر به {عنده واضح، ومكرهم في الإيقاع به لائح}[7] لكنه جرى على مرادهم[8] كأنه لا يعلم حقيقة اعتقادهم، وإنما كان غرضه أن يتبين للمسلمين مذهبهم، وسعيهم الذميم وطلبهم كي تقوم له الحجّة عليهم عند امتداد يده [في عقابه][9] إليهم، ولم يأمنهم بعد على نفسه ولا رجاله، ولا اطمأن إلى أحد منهم في حالة من أحواله.

ثم إنه وجّه جيشا إلى المرية؛ ففرّ ابن صمادح[10] منها في قطعة بحرية،

---

(1) الغزوة في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(2) الرحلة في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(3) عبد الله هو حفيد باديس بن حبوس وليس ابنه. عبد الله بن بلقين- كتاب التبيان- ص 38/ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص 233/مجهول- تاريخ الأندلس- ص 258-259.

(4) ساقط في ق.

(5) كان سقوط مملكة غرناطة في يد المرابطين في رجب سنة 483هـ/سبتمبر 1090م، ولمزيد من التفاصيل عن ذلك راجع عبد الله بن بلقين- كتاب التبيان- ص 156 وما بعدها/ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص 235-236.

(6) ساقط في ق.

(7) ساقط في ق.

(8) مذادهم عند العبادي- نفسه- ص 105.

(9) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(10) يعلق العبادي على خبر سقوط المرية فيقول: تختلف الروايات حول سقوط المرية (نفس المرجع- ص105 هامش1)، ونحن من جهتنا لا نرى هناك اختلافا بين هذه الروايات بل على العكس، فأغلبية المؤرخين يجمعون على نفس الرواية، ولسان حالهم ابن أبي زرع الذي يقول: إن القائد محمد بن عائشة رحل بجيش المرابطين فنزل المرية؛ فهرب عنها صاحبها معز الدولة بن صمادح في البحر إلى إفريقية بأمواله وعياله، وأسلم له البلد، ونزل بأهله وأمواله في مدينة بجاية في كنف ملكها المنصور بن الناصر بن علناس، ومن هؤلاء ابن الكردبوس، حيث يرى هؤلاء أن المعتصم بن صمادح حينما حضرته الوفاة (توفي في =

وآوى إلى دولة [بني][1] حماد، وملكها إذ ذاك المنصور بن الناصر؛ فقرّبه وأحسن إليه، وأدناه حتى كان أحظى من ولديه.

وأنفذ الأمير سير [ابن أبي بكر][2] إلى إشبيلية لخلع[3] المعتمد بن عبّاد، وأمره بقتل من حاربه معه من الرعية والأجناد، وقيل إن أمير [المسلمين][4] لم يأمر بخلع المعتمد، إذ كان أقسم له أن لا يغدره [ولا يخلعه][5]، /143و/إلا بعد أن اجتمع معه فقهاء إشبيلية وقضاتها وأعيانها وسراتها، وقالوا له: هؤلاء الرؤساء لا تحلّ طاعتهم، ولا تجوز إمارتهم لأنهم فسّاق [ظلمة][6] فجرة؛ فاخلعهم عنا [وأرحنا][7] ؛ فقال لهم: وكيف يجوز لي ذلك، وقد عاهدتهم وارتبطت معهم على إبقائهم؟؛ فقالوا له: إن كانوا عاهدوك فهاهم قد ناقضوك، وأرسلوا إلى [الطاغية][8] الفنش أن يكونوا معه عليك حتى يوقعوك بين يديه، ويعود أمرهم إليه؛ فبادرهم بخلعهم [بجمعهم][9]، ونحن بين يدي الله المحاسبون؛ فإن أذنبنا فنحن لا أنت

ربيع الآخر سنة 484هـ) أوصى ابنه معز الدولة أحمد بن المعتصم بن صمادح بالفرار إلى بني حماد أصحاب بجاية، واشترط عليه ألا يقوم بذلك إلا بعد أن يعلم بسقوط إشبيلية، وخلع أميرها المعتمد بن عباد، وقد نفذ الابن الوصية إذ أنّ سقوط إشبيلية كان في 22 رجب سنة 484هـ/09-09-1091م، ومغادرة المعز لمدينة المرية كان في رمضان سنة 484هـ، وتشير هذه المصادر إلى أن ملك المرية وقت محاصرة المرابطين لها كان المعتصم بن صمادح، وقد مات أثناء الحصار، ولم يستول المرابطون على المرية إلا بعد وفاته. انظر عبد الله بن بلقين- كتاب التبيان- ص 169-170/ابن الأبار- الحلة السيراء- ج 2 ص 89-90/ابن أبي زرع- الأنيس المطرب- ص 196-197/ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص 191-192/ابن عذاري- البيان المغرب- ج3 ص168.

(1) ابن حماد في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(2) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(3) فخلع في ق.

(4) المؤمنين في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(5) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(6) ساقط في الأصل وفي م ون، وعند العبادي- نفسه- ص 106، وما أثبتنا من ق.

(7) ساقط في الأصل وفي م ون، وعند العبادي- نفسه- ص 106، وما أثبتنا من ق.

(8) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(9) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق

المعاقبون، فإنك إن تركتهم وأنت قادر عليهم أعادوا بقية بلاد الإسلام[1] إلى الروم، وكنت أنت المحاسب بين يدي الله تعالى [محاسبة المضيع لعبده المظلوم، فاتقّ الله حق تقاته في المسلمين][2].

فعند ذلك أزمع[3] على خلعهم أجمعين، فنازل الأمير {سير}[4] إشبيلية وحاصرها، [وضيّق عليها حتى داخلها الوهى وخامرها][5]، وخلع ابن عباد منها، [واستولى عليها][6]، ثم خلع ابن الأفطس[7] من بطليوس، واستولى على ملك غرب الأندلس، وقد كان تملك [المرية][8] {مرسية}[9] ودانية وشاطبة على يدي قائده محمد بن عائشة، وانصرف أمير المسلمين إلى العدوة.

[الجواز الثالث ليوسف بن تاشفين] وفي سنة تسعين وأربعمائة جاز أمير المسلمين إلى الأندلس الجواز الثالث، ووصل إلى قرطبة {فبلغه}[10] أن الفنش تحرك إليه، فقال: لست ألقاه أبدًا، فإن الهزائم مخلوقة، وقد كان منّا خطأ في لقائه سنة الزلاقة، ولكني أخرج إليه قوادي {بأنجاد}[11] أجنادي، فإن قدّر الله بانهزامهم عند التقائهم كنت ردءًا لهم من ورائهم.

فجرّد عسكرًا جرارًا من مرابطين وعرب وأندلس الشرق والغرب، وقدّم عليهم قائده محمد بن الحاج، فالتقوا بكنشرة[12]، فكانت بينهم جولات وحملات إلى أن زلزل الله أقدام المشركين، وولّوا مدبرين، فالتحقتهم السيوف واختطفتهم

---

(1) المسلمين في ق.
(2) ساقط في الأصل وفي م ون، وعند العبادي- نفس المرجع- ص 107، وما أثبتنا من ق.
(3) عزم في ق.
(4) ساقط في م.
(5) ساقط في الأصل وفي م ون، وعند العبادي- نفسه- ص 107، وما أثبتنا من ق.
(6) ساقط في الأصل وفي م ون، وعند العبادي- نفسه- ص 107، وما أثبتنا من ق.
(7) الأمير في ق.
(8) ساقط في الأصل، وما أثبتنا من م ون، ومن ق.
(9) ساقط في ق.
(10) بياض في ق.
(11) ساقط في ق.
(12) بكبشوة في الأصل وفي م ون، بلنشرة في ق، ولعلها بلدة كنسويقرا Consuegra من أعمال طليطلة، وعند هذه المدينة أحرز المسلمون انتصارا ساحقا على ألفونسو السادس، وكان ذلك سنة 490هـ(1097/08/15م). العبادي- نفس المرجع- ص 108 هامش1.

الحتوف، وآب المسلمون إلى قرطبة سالمين [ظافرين][1] غانمين؛ فسرّ بهذا الفتح أمير المسلمين، وأخذ في الصّدر إلى العدوة، وقد كان أنفذ جملة من جيشه إلى [كونكة][2]، وقدم عليه محمد بن عائشة؛ فالتقوا مع البرهانس لعنه الله؛ فانهزم أمامهم، واستأصلوا محلته، وانصرفوا فرحين، وبالظفر مستبشرين.

ثم نهض إلى ناحية /143ظ/جزيرة شقر[3]، وذكر له أنه يؤمّها ويقصدها [ويقدمها][4] ؛ فالتقى بجملة من جند القنبيطور؛ فأوقع بهم وقتلهم أشر[5] قتلة، ولم يفلت إلا اليسير من تلك الجملة؛ فلما وصل الفلّ إليه مات غمة [همّا وغمّا][6] لا رحمه الله[7]، [وانقلب إلى نار عليه تحمى][8].

[جهاد المرابطين في الأندلس] وفي سنة ثلاث [وتسعين][9] وأربعمائة[10] جاز الأمير يحيى بن أبي بكر بن يوسف بن تاشفين إلى الأندلس مجاهدًا، وصحبه الأمير سير بن أبي بكر بجملته ومحمد بن الحاج، وساروا [جميعًا حتى نزلوا على طليطلة وحاصروها، وشنّوا الغارات على نواحيها، وتغلبوا][11] على جملة من

---

(1) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(2) كنكة في الأصل وفي م ون، وكذلك في ق، والصحيح ما أثبتنا، وقد سبق التعريف بهذه المدينة.

(3) زاد بعدها كلمة العدو ولا يستقيم معها سياق الكلمة، وجزيرة شقر: جزيرة بالأندلس قريبة من شاطبة، وبينها وبين بلنسية ثمانية عشر ميلا، وقد أحاط بها الوادي، وهي حسنة البقعة كثيرة الأشجار والثمار والأنهار. الحميري- الروض المعطار- ص 349.

(4) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(5) شرّ في ق.

(6) همّة في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(7) مات السيد القنبيطور سنة 492هـ/1099م وظل جثمانه ببلنسية إلى أن انسحب عنها أتباعه قبيل سقوطها في يد المرابطين سنة495هـ/1102م حاملين رفات سيدهم الذي دفنوه على مقربة من مدينة برغش. العبادي- نفسه- ص 109 هامش1.

(8) ساقط في الأصل وفي م، وما أثبتنا من ق.

(9) وسبعين في الأصل وما أثبتنا من م ون، ومن ق.

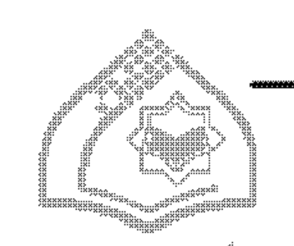
(10) نوفمبر 1099م.

(11) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق، ويعتبر هذا النص من النصوص التاريخية القيمة التي لم ترد في المصادر العربية الأخرى إذا استثنينا إشارة عبد الرحمن ابن خلدون المختصرة التي قال فيها: وغزا الأمير مزدلي صاحب بلنسية إلى بلد برشلونة فأثخن بها وبلغ إلى حيث لم يبلغ أحد قبله، ورجع، وانتظمت بلاد الأندلس في ملكة يوسف بن تاشفين.

حصونها، وسبوا سبيًا كثيرًا، وغنموا غنمًا غزيرًا، وصدروا ظافرين[1].

وفي سنة أربع وتسعين وأربعمائة[2] جاز الأمير مزدلي[3] في جيش عرمرم، وقصد بلنسية منازلا ومحاصرًا لها، فأقام عليها سبعة أشهر؛ فلما رأى الفنش [لعنه الله][4] ما حلّ برجاله من ألم الحصار وأهواله، وصل بجملته الذميمة إليها، وأخرج جميع من كان فيها من الروم لديها، وأضرمها نارًا، {وتركها آية واعتبارًا}[5]، وتملك المرابطون بتملكها جميع جزيرة الأندلس سوى سرقسطة بلد المستعين بن هود، فإنها بقيت مدة بيده {لانتزاحه وبعده، واعتضاده بجيرانه الروم بما يدفع لهم من الجزية}[6].

ثم غزا الأمير مزدلي والي بلنسية [برشلونة][7]، [وبلغ منها إلى موضع لم يبلغ أحد إليه معها][8] ؛ فهدم بيعها، وزلزل صوامعها[9]، وأحرق بلادها، ومزّق أجنادها، [وقتل وأسر][10]، وتغلب حصونها [قسرًا][11] ؛ فرجع وأيدي المسلمين قد امتلأت



-

انظر كتاب العبر- ص 1648.

(1) وقد ظفروا في ق.

(2) نوفمبر 1100م.

(3) دلين في الأصل، هو الأمير أبو محمد مزدلي بن سلنكان أو تيلكان ابن عم يوسف بن تاشفين وأحد كبار قواده، ومن أبرز أعماله استرجاع بلنسية في 15 رجب سنة 494هـ(15/05/1102م)، ثم عين واليا على تلمسان سنة 497هـ ثم على ولايات غرناطة وقرطبة والمرية سنة 505هـ كما قاد عديد الحملات على الإسبان وبخاصة في طليطلة، وفي إحداها استشهد سنة 508هـ(فبراير1115م) بنواحي طليطلة. ابن القطان- نظم الجمان- ص74 هامش3/ابن عذاري- البيان المغرب- ج4 ص60/ ابن خلدون- العبر- ص1647-1648./ الناصري السلاوي- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى- تحقيق جعفر الناصري ومحمد الناصري- دار الكتاب- الدار البيضاء- 1418هـ-1997م- ج2 ص66.

(4) ساقط في الأصل وفي م، وما أثبتنا من ق.

(5) ساقط في ق.

(6) ساقط في ق.

(7) ابن جلنونة في الأصل وفي م ون، وهو تصحيف، وما أثبتنا من ق.

(8) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(9) صممها في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(10) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(11) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

من غنائم المشركين، وجلب نواقس وصلبانًا وأواني قد كللت فضّة وعقيانًا؛ فأمر أن تركب [على تلك النواقيس][1] ثريات، وتوقد في جامع بلنسية[2] ؛ [فكانت فيه معلقة كأنها السيوف في آذان الخرائد[3] مشرقة][4].

ثم خرج علي بن الحاج من قرطبة وفي صحبته ابن يحون[5] في عسكر ضخم غازين نحو جهة قشتالة؛ فلقيهما الرنك[6] لعنه الله بجموعه الغزيرة؛ فأوقعوا {به وقعة مبيرة}[7]، [وفرّ فرار الظليم[8]، وقتلوا بكل مكان][9].

ثم خرج القائد [ينالة][10] من المرابطين غازيا إلى ناحية قلعة أيوب[11] ؛ فالتقى بطائفة من الروم فهزمهم هزيمة شنيعة، واستباح محلتهم المنيعة، وسبى وغنم، وصدر وقد سلم.

[الجواز الرابع ليوسف بن تاشفين] وفي سنة سبع وتسعين وأربعمائة[12] كرّ إلى الأندلس أمير المسلمين، وهي الكرّة الرابعة، وهي آخر مرّة جاز إليها، وانتهى

---

(1) تركب تلك النواقس في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(2) إشبيلية في ق.

(3) الخرائد جمع خريدة أو خريد، وهي العذراء أو البكر التي لم تمس، وتطلق أيضا على اللؤلؤة التي لم تثقب. المعجم الوسيط- ص 225.

(4) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(5) محيون في ق، ولم نهتد إلى ترجمته في المصادر المستعملة في التحقيق.

(6) المقصود بالرنك هنا الأمير Enrique de Borgona الذي تزوج ابنة الملك ألفونسو السادس الأميرة تيريزا سنة 1095م، وقد أهداها والدها بهذه المناسبة إمارة البرتغال، وقد أنجبت منه الأمير ألفونسو أنريكي الذي صار فيما بعد أول ملك على البرتغال، وحكم من سنة 1128 إلى 1158م. العبادي- نفسه- ص 111 هامش 6.

(7) ساقط في ق.

(8) الظليم: ذكر النعام. المعجم الوسيط- ص 577.

(9) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق، وعند العبادي: وفرفروا الظليم بكل مكان. نفس المرجع- ص 111.

(10) في الأصل يغالة وعند العبادي- نفسه- ص 111، وهو تصحيف، والصحيح ما أثبتنا، وينالة هو أبو عمر ينالة اللمتوني وكان واليا على غرناطة، وعزل عنها في جمادى الأولى من عام 522هـ. البيان المغرب- ج4 ص75.

(11) قلعة أيوب مدينة قريبة من مدينة سالم، حصينة شديدة المنعة، وهي قريبة من مدينة دروقة.الحميري- الروض المعطار- ص 469.

(12) وهي تقابل سنة 1103-1104م.

إلى مرسية، وولى على بلنسية القائد أبا محمد ابن فاطمة[1]، /144و/وعزل عنها الأمير مزدلي، وعوّضه بتلمسان، وعزل عنها تاشفين بن يتينغمر [المقاتلة][2] الدولة الحمادية، {ومعاملته أياها معاملة دنية}[3].

وفيها [وافى][4] كتاب المستعين بن هود صاحب سرقسطة على أمير المسلمين راغبا أن يوجه إليه جيشا يحتمي به من الفنش، {إذ قد أخذ بمخنقه، وأشفى على آخر رمقه}[5] ؛ فأنفذ إليه ألف فارس تخيرهم، وقدّم عليهم القائد عبد الله ابن فاطمة؛ فحصل بتلك الجملة عنده؛ فأورى الله بها زنده؛ فخرج القائد ابن فاطمة بجملته، وأغار على بلاد الروم فغنم، وانصرف وهو سالم[6].

وفيها لقي القائد محمد بن عائشة الروم بفحص اللج[7] من بلاط العروس فظفر بهم، واحتوى على سلبهم[8]، {وامتلأت أيدي رجاله من نهبهم}[9].

وفيها رحل أمير المسلمين إلى غرناطة ومعه ابنه الأمير علي؛ فأخذ له بيعة أهل الأندلس قاطبة، ثم رجع إلى العدوة، وملكه قد أضحى للأندلس، سوى سرقسطة، جامعا.

---

(1) هو أبو محمد عبد الله بن محمد ابن فاطمة، ويسمى أحيانا أبا عبد الله ابن فاطمة، يشتهر بالنيولان اشترك في استنقاذ بلنسية من المسيحيين مع مزدلي بن سلنكان سنة 495هـ/1102م، ووليها سنة 503هـ، ثم نقل إلى فاس، ومنها إلى إشبيلية سنة 509هـ، وكانت وفاته في رمضان سنة 511هـ/يناير 1118م. ابن عذاري- البيان المغرب- ج4 ص106.

(2) في الأصل وفي م لمعاونة وكذا عند العبادي، والصحيح ما أثبتنا من ق، ويؤكد ذلك قول ابن خلدون: وولى يوسف بن تاشفين مكان أخيه تاشفين بن يغمر فنهض إلى أشير وافتتحها، فقام المنصور ومعه كافة صنهاجة ومن العرب أحياء الأثبج وزغبة وربيعة ومن زناتة أمما كثيرة، ونهض إلى غزو تلمسان...وكان تاشفين قد أفرج عن تلمسان...ولقيته عساكر المنصور فهزموه. كتاب العبر- ص 1642.

(3) ساقط في ق.

(4) أوفى في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(5) ساقط في ق.

(6) سالما في ق.

(7) ساقط في ق.

(8) سليمان في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(9) ساقط في ق.

[جهاد المرابطين بالأندلس على عهد علي بن يوسف]: وفي سنة خمسمائة[1] توفي {أمير المسلمين}[2] يوسف بن تاشفين، وقام بالأمر من بعده ابنه الأمير علي؛ فجهز إلى الأندلس جيشا {انتقاه}[3]، وقدم عليه القائدين الأخوين أبا سليمان وأبا عمران ابني تارشتا[4]؛ فقصدا جهة شنتمرية والرياحين؛ فشنا الغارة على [جميع][5] تلك الجنبات[6]؛ فامتلأت بالغنائم أيدي الغزاة[7]، [وانصرفا على أحسن الحالات][8].

وفي سنة إحدى وخمسمائة جمع الفنش واحتفل، وحشد أهل بلاده، وقصد شرق الأندلس وأقبل؛ فتصدى له الأمير تميم[9] ؛ فتقابلا[10] وتضاربا، {وتجاولا وتحاربا}[11] ؛ فنصر الله جيش المسلمين، وانهزم العدو اللعين[12] بعد أن [شُجَّ

---

(1) خمس ومائة في الأصل، وما أثبتنا من م ون، ومن ق، وهي تقابل سنة 1106م.
(2) ساقط عند العبادي- نفسه- ص 113.
(3) ساقط عند العبادي- نفسه- ص 113.
(4) لعلهما من أبناء الزعيم اللمتوني محمد المعروف بتارشتا أو تارشتى الذي تزعم صنهاجة في الصحراء، وجاهد المشركين من أهل السودان إلى غاية استشهاده قبيل مجيء عبد الله بن ياسين وقيام دولة المرابطين، وقد وصفه البكري بقوله: وكان رئيسهم محمد المعروف بتارشتى من أهل الفضل والخير والدين والحج والجهاد، وهلك بموضع يقال له فنقارة من بلاد السودان. البكري- أبو عبيد- المسالك والممالك- تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري- الدار العربية للكتاب- بيت الحكمة- تونس-1992م- ج2 ص858.
(5) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(6) الجهات في ق.
(7) فامتلأت الأيدي من الغنائم في ق.
(8) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(9) هو أبو الطاهر تميم بن يوسف بن تاشفين، ولاه علي بن يوسف على غرناطة، ثم على إشبيلية سنة 516هـ، وعزل عنها في السنة الموالية.ابن أبي زرع- الأنيس المطرب- ص 164-165 /نفسه- ص 201/ابن عذاري- البيان المغرب- ج4 ص49.
(10) فتقاتلا في ق.
(11) ساقط في ق.
(12) هذه الوقعة المشهورة دارت عند حصن أقليش أو أقليج بالقرب من قونكة سنة 501هـ/ 1108م، ويجعل ابن أبي زرع تاريخها في عام 502هـ وقد انتهت هذه الوقعة بانتصار المرابطين على جيوش ألفونسو السادس ملك قشتالة، ومقتل ابنه الوحيد وولي عهده دون سانشو.ابن القطان- نظم الجمان- صص 63-66/ابن عذاري- البيان المغرب- ج4 ص 50/ابن أبي زرع- الأنيس المطرب- ص 201-202.

وجهه وكلم][1]، وقتل ابنه[2] لعنه الله، واستبيح عسكره، وقتل وسبي أكثره، ورجع ظافرًا وقد أبلى بلاء ظاهرًا.

{وآب اللعين مفلولا خاسرًا}[3] ؛ فأسف على قتل ولده، [وقال: أيّ عيش يطيب لي من بعده][4] ؛ فأقام [ثلاثة شهور في غير عافية ولا سرور][5]، ومات لعنه الله؛ فحمل على أعناق الرجال إلى قشتالة؛ فدفن مع آبائه، وأراح الله المسلمين من دائه.

ولم يترك ابنًا ذكرًا إلا ابنته[6] ؛ قامت[7] بالأمر من بعده مدّة، وأحكمته عقدًا وشدّة، ثم خشيت أن يطالبها أحد ملوك الروم[8] أو/144ظ/الإسلام فيحرجها[9]، فدسّت إلى ابن ردمير[10] أن يتزوّجها؛ فتمّ بينهما النكاح؛ فلا فلاح ولا نجاح؛ فما لبثا إلا القليل حتى وقع بينهما شرّ طويل؛ فافترقا على أشرّ حال.

---

(1) في الأصل وفي م ون، وعند العبادي (نفسه- ص 114): جرح، وما أثبتنا من ق.

(2) هو الأمير سانشو أو شانجه كما تسميه المصادر العربية، وهو ابن الملك ألفونسو السادس من زوجته زايدة المسلمة التي كانت قد فرت إلى قشتالة بعد مقتل زوجها المأمون بن المعتمد بن عباد على يد المرابطين عند دخولهم قرطبة، فتزوجها ألفونسو السادس، وأنجب منها ابنه الوحيد هذا، وكان سنه في هذه الوقعة خمس عشرة سنة. ابن عذاري- البيان المغرب- ج4 ص50/ابن أبي زرع- الأنيس المطرب- ص 202.

(3) ساقط في ق، ويفهم من هذا النص أن الملك ألفونسو السادس قد اشترك في وقعة أقليش، والواقع أنه لم يشترك فيها لشيخوخته ومرضه، وأرسل نيابة عنه ولده شانجة رفقة سبعة من كبار قواده أبرزهم الكونت البرهانس والكونت غرسية أوردونييز والكونت رامون دي بورقونيا، ولهذا عرفت هذه الوقعة باسم أقليس أو الأقماط السبعة los siete condes. العبادي- نفسه- ص 115- هامش 1.

(4) ساقط في الأصل وفي م، وما أثبتنا من ق.

(5) ثلاثة أشهر في الأصل وفي م، وما أثبتنا من ق.

(6) المقصودة هي ابنة ألفونسو السادس الشرعية الكبرى دونيا أوراكا التي خلفت أباها في حكم قشتالة وليون وغالبسيا بعد وفاته سنة 502هـ/1109م، وبقيت في منصبها إلى أن توفيت سنة 520هـ/1126م. العبادي- نفسه- ص 115- هامش 2.

(7) فأقامت في ق، وكذا عند العبادي- ص 115.

(8) أحد من الملوك في ق.

(9) فيهر حبها عند العبادي، ولا معنى لها. نفسه- ص 115.

(10) هو ألفونسو الأول ابن سانشو راميرات الملقب بالمحارب ملك أراجون ونافارا، ودام حكمه من سنة 499 إلى سنة 529هـ/ 1104-1134م. العبادي- نفسه- ص 115-هامش 4.

وأخذ ابن ردمير في الترحال، [وحشد][1] أهل بلاده، [وحشدت][2]، وأقبل نحوها، ونهضت إليه وما تردّدت؛ فتواقعا[3] مدّة، والحرب بينهما مشتدّة، إلى أن أمكنها الله منه فهزمته هزيمة {عظيمة}[4] [لم يكن له فيها كرّة][5]، فقد[6] فيها من صناديد رجاله نيفا من ثلاثة آلاف، وتزوجت بعده قِمطًا[7] من الأقامطة، فولدت[8] منه السليطن فَمَلّكه الروم؛ إنما ورثه عن أمه لا عن أبيه، [لأن أباه لم يكن من نسل الملوك فينافس فيه][9].

وفي سنة ثلاث وخمسمائة جاز[10] الأمير علي بن يوسف إلى الأندلس قاصدًا الغزو؛ فنزل الجزيرة بجيوش غزيرة؛ [فقصد][11] نحو طليطلة، ونزل على بابها، وحاز المُنْية[12] المشهورة التي بها، وتغلب على جملة من حصونها، وانتشرت جيوشه على تلك الأقطار؛ فلاذ المشركون بالفرار إلى المعاقل الرفيعة والحصون المنيعة، وداخل أهل قشتالة[13] [الخوف والجزع][14]، {وخامر قلوبهم}[15] الفزع، ولم يشكّوا أنه يغشاهم ويُخرِّب مثواهم؛ فكرّ من هنالك إلى العدوة راجعًا، {و}إلى

---

(1) شدّ في الأصل وفي م، وما أثبتنا من ق.
(2) وشدّت في الأصل وفي م، وما أثبتنا من ق.
(3) فتوافقا في الأصل وفي م، وما أثبتنا من ق.
(4) ساقط في ق، وعند العبادي- ص 116.
(5) ساقط في الأصل وفي م، وما أثبتنا من ق.
(6) افتقد في ق، وعند العبادي- ص 116.
(7) قومطا في ق، وتذكر المصادر المسيحية أن الملكة أوراكا قد تزوجت، بعد انفصالها من زوجها ملك أراغون، من القمط أو الكونت بدرو قونثالث دي لارا. العبادي- نفسه- ص 116 هامش3.
(8) فرزقت في ق، وكذا عند العبادي- ص 116.
(9) ساقط في الأصل وفي م، وما أثبتنا من ق.
(10) عبر البحر في ق.
(11) فعمد في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(12) المنية بضم الميم وسكون النون وفتح الياء تعني الحدائق الواسعة. العبادي- نفسه- ص 117 هامش1.
(13) قشتيلية في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(14) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(15) ساقط في ق.

{مقر} ملكه {مسارعًا}[1].

[استيلاء النصارى على سرقسطة]: وفيها قصد الرنك[2] وابن ردمير[3]، لعنهما الله، المستعين بن هود[4] في جيوش ما يحصى لها عدد[5]؛ {فنزل}[6]؛ فبرز إليهما والقدر[7] قد غرّه؛ فقتل رحمه الله شهيدًا [بقامرة][8]، وحاصر ابن ردمير البلد [شهورًا][9]، وأذاق أهله ويلاً وثبورًا إلى أن صالحه [أهلها][10] على أن يسلموا البلد إليه، ويجعلوه في يديه؛ فمن أحبّ منهم الإقامة على أداء الجزية

---

(1) ساقط في ق.

(2) يقصد به أمير البرتغال في ذلك الوقت وهو أنريكي دي بورغونيا. العبادي- نفسه- ص117 هامش2.

(3) هو ألفونسو الأول المعروف بالمحارب ابن سانشو راميراث. العبادي- نفسه- ص 117 هامش 3.

(4) حدّد ابن عذاري تاريخ هذه الوقعة بقوله: وولي ملك سرقسطة المستعين ابن هود المقتول في ملحمة يوم الإثنين مستهل رجب من سنة ثلاث وخمسمائة، ويتفق معه كل من ابن الأبار وابن الخطيب وابن الكرديوس، كما يتفق مع ما ورد في المصادر المسيحية التي جعلته في 24 يناير 1110م. البيان المغرب- ج4 ص55/الحلة السيراء- ج2 ص248/ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص 174.

(5) لا تحصى كثرة في ق، وعند العبادي- ص 117.

(6) ساقط في ق، وعند العبادي- ص117.

(7) العدو عند العبادي- ص 117.

(8) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق، وقامرة: التي ورد ذكرها كمكان للموقعة لم يرد ذكرها لا في المصادر العربية ولا في المصادر المسيحية، وكلمة قامرة وجمعها قوامير وبالإسبانية أطلقت في الأصل على مخازن المحاصيل الزراعية وعلى التربة الخصبة المنتجة، مع العلم أن المصادر المسيحية قد حددت مكان هذه الموقعة عند بلدة بلتيرة الواقعة على ضفاف نهر الإبرو شمالي تطيلة وشمال غرب سرقسطة، ويؤيد هذا التحديد ما أورده ابن الخطيب وابن عذاري وابن الأبار من أن المستعين بن هود هاجم مدينة تطيلة وأرباضها ثم فاجأه العدو هناك ودارت بين الطرفين معركة دامية انتهت بهزيمة المسلمين واستشهاد المستعين بن هود سنة 503هـ/1110م. انظر ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص 174/ابن عذاري- البيان المغرب- ج4 ص53/ابن الأبار- الحلى السيراء-ج2 ص248 /العبادي- نفسه- ص117-118 هامش7.

(9) شهراً في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(10) أهلها في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

خاصة أقام، ومن أحبّ أن يرحل [بما عنده][1] إلى حيث شاء من بلاد المسلمين[2] {رحل}[3] وله الأمان التام [إلى أن يصل إلى بلاد الإسلام][4]، وعلى أن يسكن الروم المدينة والمسلمون ربض الدباغين، وعلى أن كل أسير يفلت للروم من المدينة، [ويحصل][5] عند الإسلام، فلا سبيل لمالكه إليه، ولا اعتراض له عليه؛ فوقع على ذلك الاتفاق، وانعقدت [فيه][6] بينهم عقود بالعهد الوكيد والميثاق، وأسلموا إليه البلد[7] ؛ فيا له من [كرب][8] قطع الأكباد، [ومن مصاب أقض المضاجع][9]، وأذهب الجَلَد.

فلما استقرّت به لعنه الله الدار، أخذ /145و/أكثر المسلمين في الرحيل والفرار؛ فبلغ عددهم {نحوًا من}[10] خمسين ألف نسمة[11] ما بين صغير وكبير ونساء وذكور؛ فلما ساروا من المدينة على مرحلة، ركب بنفسه مع من استصحب واحتمله؛ فوقف عليهم وأمرهم أن يبرزوا جميع ما [عندهم][12] من القليل والكثير لديهم؛ فرأى أموالا لا تحصى كثرة، ولا كان راجيًا أن يرى جزءًا منها دهره؛ فقال لهم: لو لم أقف على ما عندكم من هذه الأموال لقلتم لو رأى بعضها لم يسمح لنا بالترحال؛ {فسيروا}[13] الآن حيث شئتم في أمان، ووجّه معهم من رجاله من

---

(1) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(2) من البلاد في ق، وكذا عند العبادي- ص 118.
(3) ساقط في ق، وكذا عند العبادي- ص 118.
(4) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(5) يحمل في الأصل، وما أثبتنا من م ون، ومن ق.
(6) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(7) سقطت سرقسطة صلحا في يد ملك أراغون ألفونسو الأول المحارب في 4 رمضان سنة 512هـ/19 ديسمبر 1118م، وذلك بعد حصار طويل دام تسعة أشهر، ومنذ ذلك الوقت صارت قاعدة لدولة أراغون. ابن أبي زرع- الأنيس المطرب- ص 205/الحميري- الروض المعطار- ص 317/ابن سعيد الغرناطي- المغرب في حلى المغرب- ج 2 ص355/العبادي- نفسه- ص118 هامش 2.
(8) مصيب في الأصل، ومصاب في م ون، وعند العبادي- ص 118، وما أثبتنا من ق.
(9) ساقط في الأصل وفي م ون، وكذا عند العبادي- ص 118، وما أثبتنا من ق.
(10) ساقط في ق. (11) خمسين ألفاً في ق.
(12) ساقط في الأصل، ولديهم في ق، وكذا عند العبادي- ص 119، وما أثبتنا م ون.
(13) ساقط في ق.

يشيّعهم إلى آخر أعماله، ولم يأخذ[1] منهم سوى [غير][2] مثقال على الرجال والنساء والأطفال؛ فتملكها لعنه الله من ذلك التاريخ إلى هلمّ[3].

[مصير بني هود بعد سقوط سرقسطة] وعندما دخلها [لعنه الله][4] فرّ عماد الدولة ابن المستعين بن هود[5] إلى روطة[6]، وهو معقل على مقربة من سرقسطة، مساوٍ لأعنان السماء، وفي غاية من المنعة والارتقاء كان المستعين [بن هود][7] قد أعدّه وبناه وشيده، [وبالأقوات والسلاح قد شحنه][8]، وحفر فيه إلى الوادي سربا أتقنه، أدراجه تنيف على الأربعمائة دَرَج[9]، فما يُقطع له شرب ولا منهج؛ فأقام فيه أعوامًا ممتنعًا على المشركين إلى أن توفي رحمه الله.

وقام بالأمر من بعده ابنه أحمد وتسمى بالمستنصر[10] ؛ فراسله طاغية الروم [الإنبراطور][11] الملقب بالسليطن[12]، وقال له: تخلَّ لي عن روطة، وأعوضك عنها

---

(1) رزأهم في ق. (2) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(3) هذا النص يعطينا معلومات جديدة عن أحداث سقوط مدينة سرقسطة عاصمة الثغر الأعلى في أيدي ملك آراغون ألفونسو المحارب، والتي لم ترد في المصادر المتوفرة لدينا الآن.

(4) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(5) هو عماد الدولة أبو مروان عبد الملك بن أحمد المستعين بن المؤتمن بن أحمد المقتدر بن سليمان المستعين بالله بن هود الجذامي الذي حكم سنة 503هـ وتوفي بروطة سنة 524هـ. ابن الأبار- الحلة السيراء- ج2 ص 248-249/ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص 175/ابن عذاري- البيان المغرب- ج4 ص55.

(6) روطة: حصن حصين من أعمال سرقسطة، وأحد معاقلها المنيعة في منطقة الثغر الأعلى، ويقع على نهر خالون أو شالون، أحد روافد نهر إيرو، ويسمّيها ابن الأبار بحصن روطة اليهود. ابن الأبار- الحلة السيراء- ج2 ص246/

Ahmed Alrazi-la Description de l'Espagne-texte en francais de E.Levy Provençal- Al Andalus-vol.xviii-ano 1953-P.78

(7) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(8) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق. (9) دَرَجَةً في م.

(10) المتنصر في م ون، والمستنصر: هو أبو جعفر أحمد بن عبد الملك سيف الدولة المستنصر بالله ويلقب أيضا بالمستعين بالله، وهو آخر ملوك بني هود. ابن الأبار- الحلة السيراء- ج2 ص 249/ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص 175-176.

(11) الإنبوطر في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق، والإنبراطور أو الإنبرادور معناه سلطان السلاطين كما ورد عند ابن الخطيب- أعمال الأعلام- ص 330.

(12) السليطين: أول من تسمى بلقب إنبرادور هو حفيد فردلند المسمى بالفنش في المصادر العربية (ألفونسو)، وكان ابتداء ملكه سنة 1147م، ودام حكمه ستا وخمسين سنة. ابن
=

بقشتيلة[1] ما هو أحسن وأفيد[2]، وتقرب من غرب بلاد الأندلس، وأخرج معك بنفسي وأجنادي [وأبطالي وأنجادي][3]، وأتطوّف[4] معك على تلك البلاد، وتدعوهم إلى طاعتك؛ فمن أجابك ودخل في جماعتك تركت عنده ثقاتك، واستعملت عليه ولاتك، وأمّنته أنا من غارات الروم، {وكنت لهم كالأب المشفق الرحيم}[5] ؛ فأرجو أنه لا يتوقف عن إجابتك أحد إذ قد أذاقهم المرابطون العذاب الأشدّ؛ فكرههم الجميع، وبودهم أن يضحى مَلِكهم وهو صريع، ولو ظفرت بك أيديهم ما أبقوا منهم بشرا في ناديهم إذ لم يبق لهم من أبناء الأملاك {أحد سواك}[6] ؛ فرسخ هذا الكلام في رأسه[7]، {وتمكن من نفسه}[8]، وتخلى[9] له عن معقل ما أبصر مثله {من يعقل}[10]، و[أنزله][11] بقشتالة /145ظ/في قرى ومزارع، وأرضين ذات [مراتع][12]، ثم خرج معه إلى غرب بلاد الإسلام[13] في جيوش لا ترام؛ فما قصد موضعا إلا ألفاه متقلعا[14] ممتنعا، ولا أطاعه بشر، ولا انبسط له من قرية من القرى أحد ولا انتشر، لأنهم تخوفوا إن طاعوا له[15] أن يغلبه العدو ويملكهم[16]، {ويقتلهم ويهلكهم}، وكانوا جميعا حريصين عليه، مائلين[17] بنفوسهم {لولا ذلك}[18] إليه؛ فرجع أخسر صفقة من أبي غُبْشَان[19] [حين قاد إلى

الخطيب- أعمال الأعلام- ص 330.

(1) قشتالة في ق. (2) ما هو أحسن وأحسن في ق.

(3) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق

(4) وأطوف في ق. (5) ساقط في ق.

(6) ساقط في ق. (7) نفسه في ق.

(8) ساقط في ق. (9) تنحى في ق.

(10) ساقط في ق.

(11) وأمر له في الأصل وفي م ون، وعند العبادي، وما أثبتنا من ق.

(12) مراجع في الأصل وفي م ون، وعند العبادي، وما أثبتنا من ق.

(13) الأندلس في ق.

(14) متعلقا في ق.

(15) أطاعوه عند العبادي- ص 121.

(16) يتملكهم في ق، وعند العبادي- ص 121.

(17) ما يليق عند العبادي (نفسه- ص 121)، ولا ينسجم مع سياق الكلام.

(18) ساقط في ق.

(19) أبو غبشان: عنشان في ق، وأبو غُبْشَان هو المُحْتَرِش بن حُليل بن حُبْشِية بن سلول بن

بيت الله الحرام الحبشان، وكان كما قال الله تعالى، وهو أصدق القائلين: "فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ"(1)](2).

[جهـــاد المـــرابطين] وفي سنة سبع وخمسمائة(3) غزا الأميران سير بن أبي بكر ومزدلي طليطلة، وشنّا على جميع تلك الجهات السرايا و[الغارات](4) ؛ فهدموا {ودمدموا}(5)، وحرقوا ومزّقوا [كل من لقوا](6) ؛ فتعرّض لهم البرهانس(7) لعنه الله في عشرة آلاف دارع(8) فهزماه وأثخناه، وقتل من جماعته(9) سبعمائة فارس.

وفيها وقعت بين أهل قشتالة وبين ابن ردمير حروب [كثيرة](10) دمّرت الفريقين أيّ تدمير، وانجلت عن البرهانس لعنه الله قتيلا عقيرا، أصلى الله روحه سعيرا(11).

[تكالب النصارى على الجزائر الشرقية] وفي سنة ثمان وخمسمائة(12)،

كعب بن عمرو بن عامر بن لُحَي بن قمعة بن الياس الخزاعي، ويضرب به المثل في الحمق والندامة وخسارة الصفقة. ابن حزم- جمهرة الأنساب- ص 235-236/العبادي- نفسه- ص 121 هامش 5.

(1) سورة البقرة- الآية 16.

(2) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(3) سبع وأربعمائة في ق وهو خطأ، والصحيح ما ورد في المتن، وهي تقابل سنة 1113م.

(4) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(5) ساقط في ق.

(6) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(7) الرهانس في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق،وكان البرهانس في ذلك الوقت حاكما على مدينة طليطلة من قبل أوراكا ملكة قشتالة وليون. العبادي- نفسه- ص 121 هامش9.

(8) دراع في م ون، والدارع هو لابس الدّرع، وهي قميص من حلقات من الحديد متشابكة يلبس وقاية من السلاح. المعجم الوسيط- ص 280.

(9) جملته في ق.

(10) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(11) المقصود هنا تلك الحرب الأهلية التي دارت بين ألفونسو المحارب ملك آراغون والملكة أوراكا، والتي قتل خلالها القائد البرهانس حاكم طليطلة على يد أهل مدينة شقوبية الموالين لملك آراغون، وكان ذلك سنة 507هـ/1114م. العبادي- نفسه- ص 122 هامش1.

(12) وهي تقابل سنة 1114م.

اجتمع أهل بيشة وجنوة، وعمّروا ثلاثمائة مركب، وخرجوا إلى جزيرة يابسة من عمل ميورقة؛ فغلبوها وسبوها وانتهبوها[1]، ثم انتقلوا إلى جزيرة ميورقة، وكان واليها قبل حلول العدو بنواحيها المرتضى[2] من أهل الأندلس، ثار فيها عند انقطاع دولة بني أمية [بالأندلس][3] حين ثار سواه، ثم توفي، وقام بالأمر من بعده خصي من خصيانه اسمه مبشر[4] لقبه[5] ناصر الدولة، وكان أصله من قلعة الحَمِير[6] من نظر لاردة؛ فسباه العدو صغيرًا وخصاه؛ فوجه المرتضى رسولا إلى الروم في بعض مآربه؛ فاستحسن الرسول عقل الفتى مبشر ونبل ذاته ففداه، وقدم به على المرتضى فسرّ به وقرّبه وأدناه؛ فوجد عنده {من حسن}[7] خدمة الملوك {ما تمناه}[8].

وكان سامي الهمم، وحميد الشيم، كثير الفضائل والكرم؛ فلما نازله العدو ذبّ عن حماه، ولم يحمد رأيه في مقارعته إياه إلى أن مات رحمه الله؛ فقام بالأمر من بعده القائد أبو الربيع سليمان [بن لبون][9] قريبه؛ فحمى جهده حتى غلب عليه،

---

(1) تم ذلك في أوت سنة 1115م.

(2) المرتضى: هو الأمير عبد الله المرتضى، وكان في بادىء الأمر واليا على الجزائر الشرقية من قبل الأمير إقبال الدولة علي بن مجاهد الصقلبي العامري أمير دانية، وعندما استولى أمير سرقسطة المقتدر بن هود على دانية، وسجن أميرها، وزوج ابنه علي بن مجاهد، أعلن عبد الله المرتضى استقلاله بحكم الجزائر الشرقية.ابن سعيد الغرناطي- المغرب في حلى المغرب-ج2 ص381/ابن خلدون- العبر- ص 1005/السيد عبد العزيز سالم- أحمد مختارالعبادي- تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس- دار النهضة العربية- بيروت- 1969م- ص243.

(3) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(4) مبشر: وهو مبشر بن سليمان ناصر الدولة الذي ولي ميورقة بعد عبد الله المرتضى فدام بها ملكه وأحسن التدبير، وقصده الفضلاء، ولم يخلعه الملثمون منها. ابن سعيد- المغرب- ج2 ص 381/ابن عذاري المراكشي- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- قسم الموحدين- ص239/ابن خلدون- العبر- ص1005/نفح الطيب- ج6 ص36/السيد عبد العزيز سالم- العبادي- نفس المرجع- ص243.

(5) فتلقب بناصر الدولة في ق.

(6) قلعة الحمير بفتح الحاء وكسر الميم من أعمال لاردة، وتقع في سهل مرتفع محاط ببعض التلال الصغيرة. العبادي- نفسه- ص122 هامش6.

(7) ساقط في ق.

(8) ساقط في ق.

(9) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

وتملك /146و/العدو البلد[1].

وفي خلال ذلك الحصار كان ناصر الدولة كتب إلى أمير المسلمين يستصرخه {ويستنصره}[2]، ووجه كتابه مع القائد أبي عبد الله بن ميمون، وكان إذ ذاك عنده قائد غراب بين يديه؛ فلم يشعر به العدو حتى خرج الغراب معمرًا ليلا من دار الصناعة عليه؛ فانطلق في الحين يقفو {أثره}[3]، واتبعه نحو عشرة أميال والظلام قد ستره، فلما قطع يأسه من الظفر {به}[4]، رجع خاسئا {على عقبه}[5] ؛ فوصل ابن ميمون إلى أمير المسلمين بالكتاب؛ فأمر في الحين بتعمير ثلاثمائة قطعة، [وأن تلقى بعد نصف شهر[6] دفعة][7] ؛ فامتثل أمره في ذلك، {واندفعت بجملتها من هنالك}[8]، وإذ ذاك تعين ابن ميمون عند أمير المسلمين.

فلما سمع[9] العدو بخروج ذلك الأسطول، أخلى وصدر عن الجزيرة[10]، وعينه بما احتمل من السبي والأموال قريرة؛ فلما وصل الأسطول [وجد المدينة خاوية علي عروشها، محرّقة سوداء، مظلمة منطبقة؛ فعمرها قائد الأسطول][11] ابن تاقرطاس[12] بمن معه من المرابطين والمجاهدين وأصناف الناس، وجلب[13] إليها من كان فرّ عنها إلى الجبال؛ فاستوطنوها وعمروها وسكنوها، وانصرف الأسطول إلى مكانه، {وعاد[14] إلى موضع مقرّه واستيطانه}[15].

---

(1) سقطت ميورقة في يد العدو في 7 ذي القعدة سنة 508هـ/3 أبريل 1115م. ابن القطان- نظم الجمان- ص 75/ابن عذاري المراكشي- البيان المغرب- قسم الموحدين- ص 239/ابن خلدون- العبر- ص 1005.

(2) ساقط في ق. (3) ساقط في ق.

(4) ساقط في ق. (5) ساقط في ق.

(6) شهر عند العبادي- نفسه- ص 123.

(7) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(8) ساقط في ق.

(9) شعر في ق، وكذا عند العبادي- نفسه- ص 124.

(10) كان ذلك سنة 509هـ/1115-1116م.

(11) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(12) ابن تاقرطاس: لم نعثر على ترجمته، ولعله من قادة البحرية المرابطية في البحر المتوسط.

(13) جاب في الأصل، وما أثبتنا من م ون، ومن ق.

(14) دعا في الأصل، وما أثبتنا من م ون.

(15) ساقط في ق.

وفي انصراف العدو إلى أوطانه، هبّت عليهم [ريح][1] ببحار طامية؛ فحملت منه أربع قطائع إلى ناحية دانية؛ فعمد[2] إليها قائد البحر أبو السداد[3]؛ ففرّت أمامه، وغرقت واحدة منها قدّامه، وعكس الثلاث[4]، [وصار ما كانت قد أمرته من غزوه...][5].

[نهاية المرابطين وقيام الموحدين] ولما كثر بالغرب فساد الملثمين[6]، [وامّحى رسم الدين][7]، وانطمست[8] آثاره، واندرست[9] أخباره، وعفا رسمه، وامتحى اسمه، [وامتحص رسمه][10] واستخفى المعروف بشخصه، وسما المنكر بنفسه، وأناخ الجور بكلكله، وضرب الباطل بجرانه، ولم يراقبوا الله في عباده كثيرًا ولا قليلا، وصاروا كالأنعام بل هم أضلُّ سبيلا.

إلى أن جاء الله [تعالى][11] بالإمام [المعصوم][12] المهدي رحمه الله[13]

---

(1) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(2) فعمر في م وعند العبادي- نفسه- ص 124.
(3) أبو السداد: لم نعثر على ترجمته، ولعله من قادة البحرية المرابطية في البحر المتوسط.
(4) عكسها بمعنى قلبها وردّها وتهني هنا بأنه صيّرها مراكب إسلامية. الزمخشري- أساس البلاغة- ص 431.
(5) ساقط في الأصل وفي م ون، وفي ق، وعند العبادي- نفسه- ص 124.
(6) المفسدين في ق.
(7) وامتحى برسم الدار في الأصل، وفي م ون، وعند العبادي وانحيازهم عن الدين- نفسه- ص 124، وما أثبتنا من ق.
(8) طمست في ق.
(9) ودرست في ق.
(10) ساقط في الأصل وفي م ون، وكذا عند العبادي- نفسه- ص 124، وما أثبتنا من ق.
(11) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(12) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.
(13) المهدي: هو محمد بن عبد الله بن عبد الرحمن بن هود بن خالد بن تمام بن عدنان بن سفيان بن صفوان بن جابر بن عطاء بن رياح بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، وقيل مثل ذلك سواء إلى عدنان فنسب هكذا: عدنان بن صفوان بن جابر بن يحيى بن عطاء بن رياح بن يسار بن العباس بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنهم، وقيل إنه محمد بن عبد الله بن وكلّيد بن يامصال بن حمزة بن عيسى بن عبيد الله إدريس بن إدريس بن عبد الله بن حسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم. ولمزيد من التفاصيل عن نسبه وأعماله انظر ابن القطان- نظم الجمان- ص 87-88، وعن نسبه واختلاف الآراء فيه انظر: أبو بكر بن علي الصنهاجي المكنّى بالبيدق-

[محمد العربي القرشي الهاشمي الحسني... عضد شريعة محمد صلى الله عليه وسلم فقال: "لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى [يبعث] الله رجلا من بيتي يواطئ اسمه إسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض [قسطا وعدلا] كما ملئت ظلما وجورا"[1]، وقال عليه السلام: "المهدي مني من ولد فاطمة"[2]][3] ؛ فأوضح[4] من الدين معالمه، وجدد[5] منه مراسمه، وأظهر آياته، وأشهر بيناته[6] حتى عاد كما كان جديدا دون عَدد ولا عُدد، ولا كثرة ولا مدد بل قام فيه محتسبا وحيدًا خلوًا من المال والرجال /146ظ/فريدًا؛ فما زال يركض في بحر[7] الحق واليقين، ويجري على سنن الصحابة والتابعين، ويأمر بالمعروف الناس أجمعين، وينهى عن المنكر في كل حين، لا تأخذه في الله لومة لائم، ولا يخشى صولة قاعد ولا قائم حتى أعاد الله كلمته على رغم المجسمين.

[عبد المؤمن بن علي وأعماله] فقام بالأمر بعده عبد المؤمن بن علي[8] ؛

المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب- تحقيق عبد الوهاب بن منصور- دار المنصور للطباعة والوراقة- الرباط- 1971م- ص12-13/نفسه- كتاب أخبار المهدي بن تومرت- تحقيق عبد الحميد حاجيات- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- ط2- 1986م- ص 29 وما بعدها/ابن القطان- نظم الجمان- ص 61 وما بعدها/ابن أبي زرع الفاسي- الأنيس المطرب- ص 217 وما بعدها/مجهول- الحلل الموشية- ص 103 وما بعدها/مجهول- مفاخر البربر- ص 207/ ابن خلدون- العبر وديوان المبتدأ والخبر- ص 1668- 1670.

(1) أبو داود- صحيح سنن المصطفى- دار الكتاب العربي- بيروت- د.ت- كتاب المهدي- ج2 ص 207، وقال الألباني في صحيح الجامع الصغير صحيح. الوابل- أشراط الساعة- ص 256 هامش 1.

(2) أبو داود- سنن المصطفى- كتاب المهدي- ج2 ص 208، وقال الألباني في صحيح الجامع صحيح. يوسف بن عبد الله الوابل- أشراط الساعة- دار الإمام مالك للنشر- البليدة- ط5- 1415هـ-1994م- ص 255 هامش 1.

(3) ساقط في الأصل وفي م ون، وما أثبتنا من ق.

(4) وأوضح في الأصل.

(5) وجد في الأصل.

(6) بيناته عند العبادي- نفسه- ص 124.

(7) نجى عند العبادي- ص 124.

(8) عبد المؤمن بن علي: هو أبو محمد عبد المؤمن بن علي وبويع يوم الخميس الرابع عشر من شهر رمضان عام أربعة وعشرين وخمسمائة، تاريخ وفاة المهدي محمد بن تومرت، وتوفي

فأعزّ[1] الله بقيامه الدين، وأذلّ به الكافرين، وكانت بينه وبين الملثمين وقائع مشهورة، وفي الإسلام إلى غاية الدهر مذكورة، طحنهم فيها أي طحين، وأباد خضراءهم أجمعين، واستأصل شأفتهم، واستباح بيضتهم، واجتاح ملكهم، وعجّل الله تعالى هلكهم، وفتح الله له البلاد، وأدان له العباد؛ فملك بلاد الأندلس والمغرب كله، الأقصى منه والأدنى، وإفريقية كلها إلى أطرابلس، وعمل بالحق في إصداره وإيراده، وعدل بين عباد الله في بلاده.

[يوسف بن عبد المؤمن وأعماله] ثم قام بعده ابنه أبو يعقوب[2] ؛ فجرى على سَنِّهِ[3] القويم، وسلك سبيله المستقيم؛ فأوضح من الدين منهاجه، وأقام منه اعوجاجه[4]، وأصبح به الشمل ملتئما، والأمر منتظما، والصلاح متسقا، والباطل محدودًا، ورواق الأمر ممدودًا؛ فحقنت به الدماء، وسكنت معه الدهماء، وانقمعت له الأعداء، واتفقت ببركته الآراء، وصلحت عليه الأمور، واتصلت به الجمهور.

برباط الفتح، ليلة الثلاثاء الثامن من جمادى الآخرة سنة ثمان وخمسين وخمسمائة (1130-1163م)، وهو عبد المؤمن بن علي بن علوي بن يعلى بن نزار بن نصر بن علي بن عامر بن الأمير أبي نصر بن موسى بن عون الله بن يحيى بن ورزايغ بن صطفور بن نفور بن مطماط بن هود بن قيس غيلان بن مضر، وقال مؤلف مفاخر البربر إن النسابة نقلوا هذا النسب من خط أمير المؤمنين أبي محمد عبد الواحد بن يوسف بن عبد المؤمن، ولمزيد من التفاصيل عنه انظر: مجهول- مفاخر البربر- ص199/نفسه- ص 208/البيدق- المقتبس من كتاب الأنساب- ص 14/نفسه- كتاب أخبار المهدي بن تومرت- ص 65 وما بعدها/ابن القطان- نظم الجمان- ص 170 وما بعدها/ابن أبي زرع- الأنيس المطرب- ص235 وما بعدها/ابن عذاري- البيان المغرب- قسم الموحدين- ص16 وما بعدها/مجهول- الحلل الموشية- ص 142 وما بعدها/ابن خلدون- كتاب العبر- ص 1670 وما بعدها.

(1) فأعز عند العبادي ص 125

(2) أبو يعقوب: هو يوسف بن عبد المؤمن، ثالث حكام دولة الموحدين، ولي في اليوم الذي مات فيه أبوه، وتوفي بشنترين من غرب الأندلس في الثمن عشر من ربيع الآخر سنة 580هـ (1163-1184م). مجهول- مفاخر البربر- ص 208، ولمزيد من التفاصيل عنه انظر ابن القطان- نظم الجمان- ص 170 وما بعدها/ابن أبي زرع- الأنيس المطرب- ص269 وما بعدها/ابن عذاري- البيان المغرب- قسم الموحدين- ص83 وما بعدها/مجهول- الحلل الموشية- ص 142 وما بعدها/ابن خلدون- كتاب العبر- ص 1670 وما بعدها.

(3) سنته عند العبادي- نفسه- ص 125.

(4) إعجاجه في الأصل، والصواب ما أثبتنا من النسخة 6709- الورقة 141و، ومن العبادي- نفسه- ص 125.

[يعقوب بن يوسف وأعماله] ثم قام من بعده ابنه أبو يوسف[1] ؛ فقام بالحق أكمل قيام، وأحكمه أحسن إحكام، وأتقنه وأبرمه أي إبرام، ولم يزل الله تعالى يمنحه في عدو مباين، ومضاد مشاحن، ومناوئ مكابر، وحسود مجاهر من جميل[2] الصنع، وكفاية المهم والدفع وإظهار الحجة وإعلاء الكلمة ما يزيد به نعمة الله عليه تماما، وأياديه لديه انتظاما والتاما.

وله الفتوحات الظاهرة، والآيات الباهرة، ودوّخ بلاد الشرك وخرّب قصورها، واستباح معاقلها، وأظلم ديجورها[3]، وبدّل صوت النواقيس فيها بالأذان، وأزال القول بالتثليث عنها وما سواه من عبادة الأوثان /147و/بإخلاص الكلمة لله الواحد الرحمن؛ فأصبح الدين متصلا، وعموده معتدلا، وبراهينهم وفتوحاتهم أعظم من أن تحصى أو تحصر في كتاب، بل يضيق عنها كل خطاب، ولا يبلغ التعبير عن كنهها بإطالة ولا إسهاب، بل هو أمر الله تعالى الذي لا دفع فيه للدافع، ولا حيلة فيه لزائغ أو ممانع، لا يضرّه من خذله مع تطاول الأعوام، وتقادم الأعصار وتناوب الأيام، وتعاقب الأدوار، بشرى من الرسول عليه السلام صادقة، وأحاديث جاءت منه موثقة رائقة.

روى مسلم بإسناده إلى نافع بن عتبة[4] قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة؛ فأتى النبي صلى الله عليه وسلم قوم من قبل المغرب عليهم ثياب الصوف؛ فوافقوه عند أكمة، وذكر الحديث، وقال فيه، قال: فحفظت عنه أربع كلمات

---

(1) أبو يوسف: هو يعقوب بن يوسف الملقب بالمنصور، بويع يوم وفاة أبيه بإشبيلية، وتوفي بمراكش في الثاني والعشرين من شهر ربيع الأول سنة 595م(1184-1199م). مجهول- مفاخر البربر- ص 208، ولمزيد من التفاصيل عنه انظر ابن القطان- نظم الجمان- ص 170 وما بعدها/ابن أبي زرع- الأنيس المطرب- ص283 وما بعدها/ابن عذاري- البيان المغرب- قسم الموحدين- ص170 وما بعدها/ 199/مجهول- الحلل الموشية- ص 142 وما بعدها/ابن خلدون- كتاب العبر- ص 1670 وما بعدها.

(2) جميع في الأصل، وما أثبتنا من النسخة 6709، الورقة 141، ومن العبادي- نفسه- ص 125.

(3) الديجور الظلمة، ووصفوا به فقالوا ليل ديجور وليلة ديجور. المعجم الوسيط- ص 271.

(4) نافع بن عتبة: هو نافع بن عتبة بن أبي وقاص بن زهرة بن كلاب ابن أخي سعد، كان من مسلمة الفتح، روى جابر بن سمرة وهو ابن عمته عنه كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم، وحديثه في صحيح مسلم. ابن حجر العسقلاني- الإصابة في تمييز الصحابة- ج3 ص 516.

أجدهنّ[1] في يدي، قال: تغزون جزيرة العرب؛ فيفتحها الله، ثم تغزون فارس فيفتحها الله، ثم تغزون الروم فيفتحها الله، ثم تغزون الدجّال [فيفتحه][2] الله[3].

[أنجز السفر الأول من كتاب الاكتفا في أخبار الخلفا بعون الله تعالى وقوته ويتلوه في السفر الثاني إن شاء الله أخبار بني العباس وسبب ظهورهم وصلى الله على مولانا وسيدنا محمد وعلى آله وسلم تسليما][4].



(1) أعدهنّ في جميع النسخ، وما أثبتنا من صحيح مسلم.

(2) فيفتحها في الأصل، وما أثبتنا من صحيح مسلم.

(3) أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري- صحيح مسلم- كتاب الفتن وأشراط الساعة- باب ما يكون من فتوحات المسلمين قبل الدجال- الحديث رقم 2900- ص 1432، وتتمة الحديث: قال: فقال نافع يا جابر لا نرى الدجّال يخرج حتى تفتح الروم.

(4) كملت دولة بني أمية، وما أضيف إليها من أخبار الأندلس، وصلى الله على سيدنا محمد رسوله الكريم وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا أثيرًا طيبًا مباركًا.

فهرس المصادر والمراجع

أولا: القرآن الكريم

ثانيا: كتب الحديث

1- البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل- صحيح البخاري- مراجعة وضبط الشيخ محمد علي القطب والشيخ هشام البخاري- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- 1424هـ- 2003م.

2- ابن حبان محمد أبو حاتم التميمي البستي- صحيح ابن حبان- تحقيق شعيب الأرناؤوط- مؤسسة الرسالة- بيروت- د.ت.

3- ابن حنبل أحمد أبو عبد الله الشيباني- مسند أحمد بن حنبل- تخريج شعيب الأرناؤوط- مؤسسة قرطبة- القاهرة- د. ت.

4- أبو داود- صحيح سنن المصطفى- دار الكتاب العربي- بيروت- د.ت.

5- الطبراني أبو القاسم سليمان بن أحمد- المعجم الكبير- تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي- مكتبة العلوم والحكم- الموصل- ط2- 1404هـ- 1983م.

6- مسلم بن الحجاج القشيري أبو الحسين- صحيح مسلم- مكتبة الإيمان- المنصورة- د.ت.

ثالثا: المصادر:

7- ابن الأبار القضاعي- الحلة السيراء- تحقيق حسين مؤنس- دار المعارف- القاهرة- ط 2- 1985م.

8- ابن أبي دينار محمد بن أبي القاسم الرعيني- المؤنس في أخبار إفريقية وتونس- دار المسيرة- بيروت- مؤسسة سعيدان- تونس- ط3- 1993م

9- ابن الأثير الجزري- الكامل في التاريخ- اعتنى به أبو صهيب الكرمي- بيت الأفكار الدولية- عمّان- د. ت.

10- الإدريسي أبو عبد الله الشريف- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة-1414هـ-1994م.

11- ابن الشباط التوزري محمد بن علي- وصف الأندلس وهو قطعة من كتاب صلة السمط وسمة المرط- دراسة وتحقيق أحمد مختار العبادي- المعهد المصري للدراسات الإسلامية- مدريد- 1971م.

12- الإصطخري إبراهيم بن محمد- المسالك والممالك- تحقيق محمد جابر عبد العال الحيني- وزارة الثقافة والإرشاد القومي- القاهرة- 1381هـ 1961م.

13- ابن أنجب الساعي تاج الدين أبي طالب علي- الدرّ الثمين في أسماء المصنفين- ضبطه وعلق عليه أحمد شوقي بنبين ومحمد سعيد حنشي- الخزانة الحسنية- الرباط- ط1- 1428هـ- 2007م.
14- ابن بسام الشنتريني- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة- تحقيق سالم مصطفى البدري- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1419هـ- 1998م.
15- ابن بشكوال أبو القاسم خلف بن عبد الملك- كتاب الصلة في تاريخ علماء الأندلس- تحقيق صلاح الدين الهواري- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- ط1- 1423هـ- 2003م.
16- البخاري محمد بن إسماعيل- التاريخ الكبير- تحقيق السيد هاشم الندوي- دار الفكر- بيروت- د. ت.
17- البكري أبو عبيد- كتاب المسالك والممالك- تحقيق أدريان فان ليوفن وأندري فيري الدار العربية للكتاب- تونس- 1992م.
18- البلاذري أبو الحسن أحمد بن يحيى- فتوح البلدان- لجنة تحقيق التراث- دار مكتبة الهلال- بيروت- 1403هـ-1983م.
19- البيدق أبو بكر بن علي الصنهاجي- كتاب أخبار المهدي بن تومرت- تقديم وتحقيق وتعليق عبد الحميد حاجيات- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- ط2- 1986م.
20- البيدق أبو بكر بن علي الصنهاجي- المقتبس من كتاب الأنساب في معرفة الأصحاب- تحقيق عبد الوهاب بن منصور- دار المنصور للطباعة والوراقة- الرباط- 1971م.
21- ابن تغري بردي الأتابكي- النجوم الزاهرة في أخبار مصر والقاهرة- تحقيق محمد حسين شمس الدين- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1413هـ- 1992م.
22- أبو تمام حبيب بن أوس الطائي- ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي- تحقيق محمد عبدة عزام- ذخائر العرب- القاهرة- د. ت.
23- الجمحي محمد بن سلام- طبقات فحول الشعراء- تحقيق محمد سويد- دار إحياء العلوم- بيروت- 1998م.
24- الجهشياري أبو عبد الله محمد بن عبدوس- كتاب الوزراء والكُتّاب- تحقيق مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري- مطبعة مصطفى البابي الحلبي- القاهرة- ط2- 1401هـ- 1980م.
25- ابن الجوزي أبو الفرج عبد الرحمن- سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز-

تحقيق نعيم زرزور- دار الكتب العلمية- بيروت- 1404هـ- 1984م.
26- ابن حجر العسقلاني أحمد بن علي- الإصابة في تمييز الصحابة- دار الكتاب العربي- بيروت- د. ت.
27- ابن حزم الأندلسي- جمهرة أنساب العرب- مراجعة وضبط لجنة من العلماء- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1403هـ- 1983م.
28- ابن حزم الأندلسي- رسائل ابن حزم الأندلسي- تحقيق إحسان عباس- المؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت- ط2- 1987م.
29- الحميدي أبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح- جذوة المقتبس في ذكر ولاة الأندلس- تحقيق صلاح الدين الهواري- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- ط1- 1425هـ- 2004م.
30- الحميري محمد بن عبد المنعم- الروض المعطار في خبر الأقطار- تحقيق إحسان عباس- مكتبة لبنان- بيروت- ط2- 1984م.
31- الحميري محمد بن عبد المنعم- صفة جزيرة الأندلس منتخبة من كتاب الروض المعطار في خبر الأقطار- نشر إ. لافي بروفنصال- القاهرة- 1937م.
32- الحنبلي ابن عماد- شذرات الذهب في أخبار من ذهب- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1399هـ- 1979م.
33- أبو حنيفة الدينوري أحمد بن داود- الأخبار الطوال- تحقيق عصام محمد الحاج علي- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1421هـ- 2001م.
34- ابن حوقل النصيبي أبو القاسم- كتاب صورة الأرض- دار الكتاب الإسلامي- القاهرة- د. ت.
35- ابن حيان القرطبي- المقتبس- السفر الثاني- دراسة وتحقيق محمود علي مكي- مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية- الرياض- د. ت.
36- ابن حيان القرطبي- المقتبس من أنباء أهل الأندلس- تحقيق محمود علي مكي- دار الكتاب العربي- بيروت- 1393هـ- 1973م.
37- ابن حيان القرطبي- المقتبس في تاريخ الأندلس- تحقيق اسماعيل العربي- منشورات دار الآفاق الجديدة- الدار البيضاء- ط1- 1411هـ- 1990م.
38- ابن حيان القرطبي- المقتبس- الجزء الخامس-نشر وتحقيق ب.شالميتا وف.كورنطي وم.صبح وغيرهما- المعهد الإسباني العربي للثقافة- كلية الآداب بالرباط- مدريد- 1979م.
39- ابن حيان القرطبي- المقتبس في أخبار بلاد الأندلس- تحقيق عبد الرحمن علي الحجي- دار الثقافة- بيروت- 1983م.

40- ابن حيان القرطبي- من نصوص كتاب المتين- تحقيق عبد الله محمد جمال الدين- المجلس الأعلى للثقافة- القاهرة- 1418هـ- 1997م.
41- ابن خرداذبة أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله- المسالك والممالك- مكتبة الثقافة الدينية- القاهرة- د. ت.
42- ابن الخطيب لسان الدين- الإحاطة في أخبار غرناطة- تحقيق محمد عبد الله عنان- مكتبة الخانجي- القاهرة- ط2- 1393هـ- 1973م.
43- ابن الخطيب لسان الدين- تاريخ إسبانية الإسلامية أو كتاب أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الاسلام- تحقيق إ. ليفي بروفنسال- دار المكشوف- بيروت- ط2- 1956م.
44- ابن الخطيب لسان الدين- المغرب العربي في العصر الوسيط وهو القسم الثالث من كتاب أعمال الأعلام- تحقيق أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتاني- دار الكتاب- الدار البيضاء- 1964م.
45- ابن الخطيب لسان الدين- أعمال الأعلام فيمن بويع قبل الاحتلام من ملوك الإسلام- تحقيق سيد كسروي- دار الكتب العلمية- بيروت- 1424هـ- 2003م.
46- ابن خلدون عبد الرحمن- ترجمان العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر- دار الكتاب اللبناني- مكتبة المدرسة- بيروت- 1983م.
47- خليفة بن خياط أبي عمرو- تاريخ خليفة بن خياط- تحقيق مصطفى نجيب فوّاز وحكمت كشلي فوّاز- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1415هـ- 1995م.
48- الدباغ أبو زيد عبد الرحمن بن محمد- معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان- تحقيق عبد المجيد خيالي- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1426 هـ- 2005م.
49- الذهبي محمد بن أحمد- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام- تحقيق عمر عبد السلام تدمري- دار الكتاب العربي- بيروت- ط2- 1409هـ- 1989م.
50- الرقيق إبراهيم بن القاسم- تاريخ إفريقية والمغرب- تحقيق عبد الله العلي الزيدان وعزالدين عمر موسى- دار الغرب الإسلامي- بيروت- ط1- 1990م.
51- الروحي أبو الحسن- بلغة الظرفاء في أخبار الخلفاء- تحقيق عماد أحمد هلال ومحمد حسني عبد الرحمن وسعاد محمود عبد الستار- وزارة الأوقاف المصرية- القاهرة- 1424هـ- 2003م.
52- ابن أبي زرع الفاسي علي- الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ مدينة فاس- مراجعة عبد الوهاب بن منصور- المطبعة الملكية-

الرباط- ط2- 1420هـ- 1999م.
53- الزمخشري محمود بن عمر- أساس البلاغة- دار صادر- بيروت- ط1- 1412هـ- 1992م.
54- الزهري محمد بن أبي بكر- كتاب الجغرافية- تحقيق محمد حاج صادق- منشورات مجلة الدراسات الشرقية- دمشق- 1968م.
55- ابن السائب الكلبي أبو المنذر هشام بن محمد- جمهرة النسب- تحقيق ناجي حسن- عالم الكتب-بيروت- 1425هـ- 2004م.
56- ابن سعد محمد- الطبقات الكبرى- تحقيق سهيل كيالي- دار الفكر- بيروت- ط1- 1414هـ- 1994م.
57- ابن سعيد المغربي- كتاب الجغرافية- تحقيق إسماعيل العربي- ديوان المطبوعات الجامعية- الجزائر- الطبعة الثانية- 1982م.
58- ابن سعيد المغربي علي بن موسى- المغرب في حلى المغرب- تحقيق خليل المنصور- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1417هـ- 1997م.
59- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر- تاريخ الخلفاء- دار الجيل- بيروت- 1408هـ- 1988م.
60- السيوطي جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر-حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة- تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- ط1- 1425هـ- 2004م.
61- الصفدي صلاح الدين- الوافي بالوفيات- نشر هلموت ريتر- دار النشر فرانز شتاينر- فسبادن- 1962م.
62- الضبي أحمد بن يحيى- بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس- تحقيق صلاح الدين الهواري- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- ط1- 1426هـ- 2005م.
63- الطبري محمد بن جرير- تاريخ الطبري وهو تاريخ الرسل والملوك ومن كان في زمن كل منهم- تقديم ومراجعة صدقي جميل العطار-دار الفكر-ط1- 1418هـ-1998م.
64- ابن عبد البر النمري أبو عمر- الاستيعاب في معرفة الأصحاب- دار الكتاب العربي- بيروت- د. ت.
65- ابن عبد الحكم أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله- فتوح مصر وأخبارها- تحقيق وتقديم محمد الحجيري- دار الفكر- بيروت- ط1- 1416هـ- 1996م.
66- عبد الله بن بلقين- كتاب التبيان- تحقيق أمين توفيق الطيبي- منشورات

عكاظ- الرباط- 1995م.
67- عبد الملك بن حبيب- كتاب التأريخ- تحقيق خورخي أغوادي- المجلس الأعلى للأبحاث العلمية ومجلس التعاون مع العالم العربي- مدريد- 1991م.
68- ابن عذاري المراكشي- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- الأجزاء الأول والثاني والثالث- تحقيق ومراجعة ج.س.كولان وإ.ليفي بروفنسال- دار الثقافة- بيروت- ط 2- 1400هـ- 1980م.
69- ابن عذاري المراكشي- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- الجزء الرابع: تحقيق إحسان عباس- دار الثقافة- بيروت- ط2- 1400هـ- 1980م.
70- ابن عذاري المراكشي- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب- قسم الموحدين- تحقيق محمد إبراهيم الكتاني وآخرين- دار الثقافة للنشر والتوزيع- الدار البيضاء- ط1- 1406هـ- 1985م.
71- العذري أحمد بن عمر المعروف بابن الدلائي- نصوص على الأندلس من كتاب ترصيع الأخبار وتنويع الآثار والبستان في غرائب البلدان والمسالك إلى جميع الممالك- تحقيق عبد العزيز الأهواني- مطبعة معهد الدراسات الإسلامية- مدريد- 1965م.
72- ابن عساكر أبو القاسم علي بن الحسن- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها- دراسة وتحقيق علي شيري- دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- د. ت.
73- ابن عياض اليحصبي القاضي- ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك- تحقيق محمد سالم هاشم- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1 - 1418هـ- 1998م.
74- ابن فرحون المالكي- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب- دراسة وتحقيق مأمون بن محيي الدين الجنان- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1417هـ- 1996م.
75- ابن الفرضي الأزدي محمد بن يوسف- تاريخ علماء الأندلس- تحقيق صلاح الدين الهواري- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- ط1- 1427هـ- 2006م.
76- ابن القاضي المكناسي أبو العباس أحمد بن محمد- درّة الحجال في غُرّة أسماء الرجال- تحقيق مصطفى عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1 - 1423هـ- 2002م.
77- ابن قتيبة الدينوري عبد الله بن مسلم- الإمامة والسياسة- تحقيق خليل المنصور- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1418هـ- 1997م.
78- القزويني زكرياء بن محمد بن محمود- آثار البلاد وأخبار العباد- دار صادر-

بيروت- د. ت.
79- ابن القطان حسن بن علي- نظم الجمان لترتيب ما سلف من أخبار الزمان- تحقيق محمود علي مكي- دار الغرب الإسلامي- بيروت- 1990م.
80- القلقشندي أحمد بن علي- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1405هـ- 1984م.
81- ابن القوطية أبو بكر- تاريخ افتتاح الأندلس- تحقيق إسماعيل العربي- م.و.ك- الجزائر- 1989م.
82- ابن كثير القرشي الدمشقي إسماعيل بن عمر أبو الفدا- البداية والنهاية- تحقيق عبد الرحمن اللادقي ومحمد غازي بيضون- دار المعرفة- بيروت- ط3- 1418هـ-1998م.
83- ابن الكردبوس التوزري أبو مروان عبد الملك- تاريخ الأندلس وهو قطعة من كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء- دراسة وتحقيق أحمد مختار العبادي- المعهد المصري للدراسات الإسلامية- مدريد- 1971م.
84- المالكي أبو بكر عبد الله بن محمد- رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية- تحقيق بشير البكوش- دار الغرب الإسلامي- ط2- 1414هـ- 1994م.
85- مجهول- كتاب أخبار مجموعة في فتح الأندلس وذكر أمرائها والحروب الواقعة بها تحقيق اسماعيل العربي- المؤسسة الوطنية للكتاب- الجزائر- 1989م.
86- مجهول- كتاب الإستبصار في عجائب الأمصار- نشر وتعليق سعد زغلول عبد الحميد- دار النشر المغربية- الدار البيضاء- 1985م.
87- مجهول- الحلل الموشية الموشية في ذكر الأخبار المراكشية- تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمامة- دار الرشاد الحديثة- الدار البيضاء- ط1- 1399هـ- 1979م.
88- مجهول- كتاب ذكر سبب فتح الأندلس وأمرائها- دراسة وتحقيق لويس مولينا- المجلس الأعلى للأبحاث العلمية- الوكالة الاسبانية للتعاون الدولي- مدريد- 1994م.
89- مجهول- تاريخ الأندلس- دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1428هـ- 2007م.
90- مجهول- مفاخر البربر- دراسة وتحقيق عبد القادر بوباية- دار أبي رقراق للطباعة والنشر والتوزيع- الرباط- ط1- 2005م.
91- المراكشي أبو عبد الله بن عبد الملك- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة- تحقيق محمد بن شريفة- دار الثقافة- بيروت- بدون تاريخ.

92- المراكشي أبو محمد عبد الواحد بن علي- المعجب في تلخيص أخبار المغرب- تحقيق صلاح الدين الهواري- المكتبة العصرية- صيدا- بيروت- ط1- 1426هـ- 2006م.
93- المسعودي- أبو الحسن علي بن الحسين- مروج الذهب ومعادن الجوهر- دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع- بيروت- ط4- 1401هـ- 1981م.
94-المقري التلمساني أحمد- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب- تحقيق مريم قاسم طويل ويوسف علي طويل- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1415هـ- 1995م.
95- المقريزي أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي- إتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا- تحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1422هـ- 2001م.
96- المقدسي المعروف بالبشاري- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم- تحقيق محمد مخزوم- دار إحياء التراث العربي- بيروت-1408هـ- 1987م.
97- المناوي عبد الرؤوف- فيض القدير شرح الجامع الصغير- تعليق ماجد الحموي- المكتبة التجارية الكبرى- مصر- ط1- 1365هـ.
98- ابن منظور جمال الدين محمد بن مكرم- لسان العرب- دار صادر- دار بيروت- د. ت.
99- الناصري السلاوي أحمد بن خالد- الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى- تحقيق وتعليق جعفر الناصري ومحمد الناصري- دار الكتاب- الدار البيضاء- 1418هـ- 1997م.
100- النباهي الأندلسي ابن الحسن- تاريخ قضاة الأندلس أو المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا- تحقيق مريم قاسم طويل- دار الكتب العلمية- بيروت- ط 1- 1415هـ- 1995م.
101- النديم محمد بن إسحاق- الفهرست- تحقيق مصطفى الشويمي- الدار التونسية للنشر (تونس) المؤسسة الوطنية للكتاب (الجزائر)- تونس- 1405هـ- 1985م.
102- النويري أحمد بن عبد الوهاب- تاريخ المغرب الإسلامي في العصر الوسيط من كتاب نهاية الأرب في فنون الأدب- تحقيق مصطفى أبي ضيف أحمد- دار النشر المغربية- الدار البيضاء- 1984م.
103- ابن هشام أبو محمد عبد الملك- السيرة النبوية- دار ابن حزم- بيروت- ط1 - 1422هـ- 2001م.

104- الهيثمي نور الدين علي بن أبي بكر- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد- دار الفكر- بيروت- 1412هـ.
105- الوابل يوسف بن عبد الله - أشراط الساعة- دار الإمام مالك للنشر- البليدة- ط5- 1415هـ-1994م.
106- الواقدي أبو عبد الله محمد بن عمر- فتوح الشام- تحقيق عبد اللطيف عبد الرحمن- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1417هـ- 1997م.
107- ياقوت الحموي- معجم البلدان- دار بيروت للطباعة والنشر- دار صادر- بيروت- 1404هـ- 1984م.
108- اليعقوبي أحمد- كتاب البلدان- تحقيق محمد أمين ضناوي- دار الكتب العلمية- بيروت- ط1- 1422هـ- 2002م.
109- اليعقوبي أحمد بن أبي يعقوب- تاريخ اليعقوبي- دار صادر- بيروت- د. ت.

المراجع:
110- الزركلي خير الدين- الأعلام- دار العلم للملايين- بيروت- ط11- 1995م.
111- السيد عبد العزيز سالم وأحمد مختار العبادي- تاريخ البحرية الإسلامية في المغرب والأندلس- دار النهضة العربية- بيروت- 1969م.
112- محمد القادري وآخرين- فهرس المخطوطات العربية والأمازيغية- مؤسسة الملك عبد العزيز- الدار البيضاء- 2005م.
113- محمد عبد الله عنان وآخرون- فهارس الخزانة الحسنية- إشراف ومراجعة أحمد شوقي بنبين- المطبعة الملكية- الرباط- 1421هـ- 2000م.
114- مجمع اللغة العربية- المعجم الوسيط- مكتبة الشروق الدولية- القاهرة- ط 4- 1426هـ- 2005م.
115- محمد حميد الله- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة- دار النفائس- بيروت- ط5- 1405هـ- 1985م.
116- النخيلي درويش- السفن الإسلامية على حروف المعجم- دار المعارف- الإسكندرية- 1979م.

117- Al Razi Ahmed- Description de l' Espagne- texte en français de E. Levy Provençal- Al Andalus- vol XVIII- ano 1953.

فهرس المحتويات